وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

موسوعة

السياسة والحرب في بلاد الشام

الجزء الثاني

تقديم: العماد علي حبيب

اللواء الركن المجاز
أ. الدكتور
إبراهيم مصطفى المحمود





موسوعة
السياسة والحرب
في بلاد الشام
الجزء الثاني


الهيئة العامة
السورية للكتاب

اللواء الركن المجاز
أ. الدكتـور
إبراهيم مصطفى المحمود

موسوعـة

السياسة والحرب في بلاد الشام

الجزء الثـاني

تقديم : العماد علي حبيب

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١١م



موسوعة لسياسة و لحرب في بلاد لشام / إبرهيم مـــصطفى لمحمـــود ؛ تقـــديم علي حبيب .- دمشق: لهيئـــة لعامـــة لـــسورية للكتـــاب، ٢٠١١م.- ج٢

(٥٩٢ ص) ؛ ٢٤ سم .

(تاريخ سورية. درسات ونصوص؛ ٨)

١- ٣٥٥,٤ م ح م م ٢- ٩٥٦ م ح م م

٣- لعنون ٤- لمحمود ٥- لسلسلة

مكتبة لأسد

تاريخ سورية (دراسات ونصوص)

«٨»



إهــداء

إلى الشهداء الذين رووا بدمائهــم تراب الوطن

وإلى الأبطال الذين يذودون عن حياض البلاد . .


الهيئة العامة
السورية للكتاب

البَابُ الرَّابِعُ

السياسة والحرب في بلاد الشام

من النكبة إلى الاستنزاف


الهيئة العامة
السورية للكتاب
Abu Abdo Al Bagl

الفصل الأول

حرب عام (١٩٤٨م)

أولاً: المرحلة الأولى :

هي الحرب التي بدأت بدخول قوات عربية تابعة لمصر وسورية والأردن والعراق ولبنان والسعودية واليمن أرض فلسطين، بهدف إعاقة قيام الكيان الإسرائيلي فوق أرض فلسطين العربية، وذلك في **١٥أيار (مايو) ١٩٤٨**م، وانتهت بعقد اتفاقيات فردية للهدنة مع الكيان الإسرائيلي. وقد تخللت هذه الحرب هدنتان عرفتا باسم (الهدنة الأولى والهدنة الثانية).

وتميزت هذه الحرب على الرغم من ضراوة الأعمال القتالية في بعض صفحاتها بهيمنة الطابع السياسي على مسيرة الأعمال القتالية. وقد وقف في هذا الصراع إلى جانب الجيوش العربية، قوات من المتطوعين وقوات غير نظامية مثل جيش الإنقاذ وجيش الجهاد المقدس (انظر جيش الإنقاذ وجيش الجهاد المقدس)، علاوة على دعم المواطنين الفلسطينيين العرب، وذلك في مجابهة المنظمات الصهيونية الإرهابية التي تحولت إلى جيش نظامي مدعم بوحدات محلية.

أ - الوضع السياسي الذي أدى إلى الحرب:

في ٢٨ نيسان (أبريل) ١٩٤٧، عقدت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة جلسة لمناقشة طلب بريطانيا الموجه إلى الأمين العام للأمم المتحدة

والذي تعلن فيه تخليها عن الانتداب. وتم تأليف لجنة دولية للتحقيق وضعت تقريرها بعد أربعة أشهر وفيه توصياتها وهي[١]:

أولاً- **ضرورة إنهاء الانتداب على فلسطين ومنحها الاستقلال في أعقاب فترة انتقال قصيرة تكون السلطة أو السلطات المحلية فيها مسؤولة أمام الأمم المتحدة ويكون النظام الأساسي ودستور الدولة، أو الدولتين، قائمان على أسس ديمقراطية تمثيلية تحترم فيها مبادئ حقوق الإنسان، وحقوق الأقليات، ويحافظ فيها على وحدة اقتصادية لجميع أجزاء فلسطين.**

ثانياً- إبقاء الصفة الدينية لجميع الأماكن المقدسة.

ثالثاً- اعتماد الوسائل السلمية فقط لإقرار أي حل واستبعاد القوة والتهديد.

رابعاً - تقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية.

وقد اختلف الأعضاء في مدى العلاقة بين هاتين الدولتين فقدمت اللجنة مشروعين للدولتين المقترحتين في فلسطين، عُرف الأول بمشروع الأكثرية، وعرف الثاني بمشروع الأقلية. وكان مشروع الأكثرية يقضي بتقسيم فلسطين **إلى ثلاث مناطق:**

آ - **المنطقة العربية: وتتألف من الجليل الغربي، ومنطقة نابلس الجبلية والسهل الساحلي الممتد من أسدود حتى الحدود المصرية، بما في ذلك منطقة الخليل وجبل القدس وغور الأردن الجنوبي وتبلغ مساحة هذه المنطقة اثني عشر ألف كيلو متر مربع يقطنها ٦٦١ ألف نسمة منهم ١١ ألف يهودي و ٦٥٠ ألف عربي، ويملك اليهود فيها مئة كيلو متر مربع فقط، بينما يملك العرب الباقي.**

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر - الطبعة الأولى - بيروت عام ١٩٧٧م - الجزء الأول - ص٦٥١.

ب – المنطقة اليهودية: وتتألف من الجليل الشرقي، ومرج بن عامر، والقسم الأكبر من السهل الساحلي ومنطقة بئر السبع والنقب وتبلغ مساحة هذه المنطقة التي تعتبر أخصب أراضي فلسطين ١٤٢٠٠ كم٢، ويقطنها ٩٩٠ ألف نسمة منهم ٥٣٠ ألف يهودي و٤٦٠ ألف عربي، ويملك العرب ثلثي مجموع مساحة أراضي هذه المنطقة وعقاراتها. وأوصت الأكثرية بإنشاء دولتين مستقلتين في هاتين المنطقتين بعد مرحلة انتقال حددت بسنتين تتولى بريطانيا خلالهما إدارة فلسطين تحت إشراف الأمم المتحدة. كما أوصت بضرورة قبول ١٥٠ ألف مهاجر يهودي للدولة اليهودية خلال فترة الانتقال، وإذا زادت هذه الفترة يسمح بإدخال ٦٠ ألف يهودي في كل سنة، وأوصت كذلك بإنشاء اتحاد اقتصادي وجمركي في المرافق العامة بين الدولتين.

ج – الأماكن المقدسة وتشمل مدينة القدس ومنطقتها وتوضع تحت نظام الوصاية الدولية، ويعين مجلس الوصاية للأمم المتحدة حاكماً لهذه المنطقة من غير العرب واليهود، وكان يقطنها ١٥٠ ألف عربي و١٠٠ ألف يهودي. أما مشروع الأقلية **فقد أكد على أن تكون الحكومتان العربية واليهودية** مستقلتين استقلالاً ذاتياً، وتتألف منهما دولة اتحادية باسم دولة فلسطين، يتولى إدارة الشؤون السياسية والاقتصادية والعسكرية فيها مجلس اتحادي يتولى انتخاب رئيس دولة واحد، ويشرع دستوراً واحداً، ويقرر رعوية فلسطينية واحدة ويعالج شؤون الهجرة اليهودية إلى المنطقة اليهودية فقط، على أن تكون في نطاق قدرة البلاد على الاستيعاب. وهكذا اتفقت الأقلية والأكثرية على تقسيم فلسطين وعلى إنشاء دولة إسرائيل. وكان اختلافهما فقط في تحديد العلاقة بين الدولتين فالأكثرية أرادته تقسيماً يتوافق ورغبة بريطانيا ومشاريعها القديمة، بينما أرادته الأقلية تقسيماً ضمن دولة

فلسطينية اتحادية. وقد أوصى الفريقان ببقاء الإدارة البريطانية خلال الفترة الانتقالية لتتولى،تحت إشراف الأمم المتحدة، إدخال المهاجرين اليهود.

واستقبل اليهود قرار الأكثرية بالارتياح ولو أنهم تظاهروا بالمعارضة الشكلية لعدم شمول دولتهم كامل فلسطين، وكذلك فعلت الولايات المتحدة، وراحت بالاشتراك مع الصهيونية تعد العدة لإنجاح المشروع في الأمم المتحدة. أما بريطانيا فقد تظاهرت بالصمت والحياد، وإن كانت الدوائر الأميركية والصهيونية قد أشاعت آنذاك بأنها تريد ضم منطقة النقب إلى شرقي الأردن لضمان أهدافها الإستراتيجية. وأثار قرار اللجنة بشقيه ثائرة العرب ومخاوفهم، فعقدت الاجتماعات الرسمية والشعبية في فلسطين وفي كل بلد عربي، واتخذت عدة مقررات وإجراءات لمجابهة تقسيم فلسطين. وبعد أن قدمت اللجنة تقريرها، عقدت الأمم المتحدة **في ٢٣ أيلول، (سبتمبر) ١٩٤٧**م، جلسة خاصة لدراسة التقرير. وقررت الهيئة العامة إحالة تقرير اللجنة على هيئة خاصة ألفتها لهذا الغرض، وتمثلت فيها كل الدول الأعضاء، وسمح لمندوب فلسطيني عربي وآخر يهودي بطرح وجهات نظرهما أمامها. وقدمت هذه الهيئة الثانية مشروعاً يتلخص بإنشاء حكومة مركزية واحدة تتولى مرحلياً إدارة عموم فلسطين، على أن يتم الجلاء الإنكليزي عن البلاد خلال سنة واحدة، وهو لا يبدأ إلا بعد قيام هذه الحكومة. وفي خلال هذه الفترة توقف الهجرة اليهودية بصورة كاملة وتبقي قوانين الأراضي سارية المفعول على أن تعالج مشكلة اليهود بمقتضى اتفاقيات دولية وبعد ذلك تجري الحكومة المؤقتة انتخابات عامة لجمعية تأسيسية تضع دستوراً ديمقراطياً يضمن وحدة فلسطين واستقلالها، ويتمتع جميع رعاياها عبره بالحقوق والواجبات.

طرح هذا المشروع على التصويت في ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧م، وسقط بالأكثرية (وكانت الدول العربية قد اعتمدت هذا المشروع

وأيدته). وفي **٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧م**، عرض مشروع الأكثرية ففاز بأكثرية الأصوات. وفي ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) طرح مشروع التقسيم للاقتراع فقبل بأغلبية ٣٣صوتاً وعارضه ١٣صوتاً. وجاء قرار التقسيم صدمة عنيفة للعرب فقد وجدوا أنفسهم فجأة وحيدين في المعركة دون حلفاء، بعد أن اتفقت دول العالم على تقسيم فلسطين وقيام إسرائيل[١]، فأعلنوا بطلان القرار لمخالفته ميثاق المنظمة، وهددوا بمقاومتة بالقوة. وكان عرب فلسطين أسرع من غيرهم في مقاومة القرار، فهاجموا القوات الإنكليزية واليهودية على حد سواء في جميع أنحاء فلسطين، واشتبكوا في مصادمات ومعارك دامية مع المستعمرين والغزاة، على الرغم من ضعف تنظيمهم وبدائية تسليحهم.

وعمت المظاهرات جميع أنحاء العالم العربي. وفي غمرة الهياج والانتظار، دعت الجامعة العربية إلى اجتماع يعقد في القاهرة يوم **٨ كانون الأول (ديسمبر)** ١٩٤٨م، حضره رؤساء وزارات الدول العربية، وأعلن في ختام الاجتماع بيان جاء فيه: إن الحكومات العربية لا تقر قرار الأمم المتحدة، وتعتبر التقسيم باطلاً من أساسه،وهي تقف إلى جانب استقلال فلسطين وسيادتها، وستتخذ من التدابير الحاسمة ما هو كفيل بإحباط مشروع التقسيم وخوض المعركة من أجل ذلك.كان هناك، وقبل الوصول إلى هذا القرار، اجتماع قد عقد في صوفر (لبنان) **في ١٦ أيلول (سبتمبر)** ١٩٤٧م، تقرر فيه تقديم أقصى ما يمكن من الدعم العاجل لأهل فلسطين من سلاح ومال ورجال في حالة تقرير التقسيم كما كان قد تقرر في مؤتمر **عاليه (لبنان) في ١٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٧**م تقديم ما لا يقل عن عشرة آلاف بندقية مع ما تحتاج إليه من ذخيرة إلى أهل فلسطين، وتأليف لجنة عسكرية لإعداد وتنظيم

---

(١) جيهان الطاهري وأهرون بريغمان، العرب والكيان الصهيوني (حرب الخمسين عاماً)، ترجمة هشام حداد، إصدار مركز الدراسات العسكرية، دمشق، ط١ عام ٢٠٠٠م، ص٢٢.

الدفاع عن عروبة فلسطين. فكان كل ما أضافه مجلس الجامعة العربية على قراراته السابقة هو تقدير عدد الرجال الذين يجب إرسالهم إلى فلسطين بثلاثة آلاف متطوع، تتولى لجنة الجامعة العربية العسكرية توزيعهم على جبهات فلسطين[١].

خلال هذه الفترة من الصراع السياسي، أكملت القوة اليهودية في فلسطين استعداداتها لتنفيذ المخططات الصهيونية، واستطاعت تكوين عدة منظمات عسكرية هي: الهاغاناه (٨٠ ألفاً)، الأرغون (١٥٠٠ - ١٦٠٠ مقاتل)، شتيرن (١٥٠٠ - ٢٠٠٠ مقاتل)، البالماخ (٣٥٠٠ مقاتل). وكانت هذه المنظمات المختلفة متفقة في أساليب عملها على تحويل المدن والمستوطنات إلى قلاع قوية من الناحية الدفاعية، وإحاطة العمل في المستوطنات بنطاق من السرية المطلقة، وجعلها تحقق الاكتفاء الذاتي في التسلح والمواد التموينية للدفاع عن نفسها لمدة طويلة.

وبفضل هذا التنظيم، وبدعم من سلطات الانتداب، أمكن تطوير التسلح عند الصهاينة وأمكن إقامة مصانع لإنتاج رشاشات (ستن) البريطانية، ومدافع الهاون عيار ٢ و ٣ بوصة وذخائرها، وقاذفات اللهب الخفيفة، ومدافع بيات المضادة للدروع، واستطاعت هذه المصانع أن تنتج حتى عشية الحرب العربية الإسرائيلية **الأولى (١٩٤٨م)** ١٠٠ رشاش خفيف يومياً (ارتفعت بعد نيسان **(إبريل)** ١٩٤٨م إلى ٢٠٠ رشاش يومياً، و٤٠٠ ألف طلقة عيار ٢٣مم للرشاشات (شهرياً)، و١٥٠ ألف قنبلة يدوية ميلز، و٣٠ ألف قذيفة هاون ٣بوصة، ومقابل هذه القوة الصهيونية وقف جيش الجهاز المقدس من ٨-١٠ آلاف وجيش الإنقاذ من ٣-٤ آلاف مقاتل وقوات المتطوعين المصريين (قوات النمر التي بلغت سرية مشاة)، ومجموعات المناضلين

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٥٢.

الفلسطينيين الثابتين في القرى والمدن، كما تقرر أن ترابط قوات من جيوش الدول العربية على حدود فلسطين دون دخولها، والاكتفاء بدعم الفلسطينيين ومساعدة المجاهدين عند الضرورة بالذخائر والضباط وبعض العناصر الفنية حتى يتم جلاء البريطانيين عن البلاد.

ولقد وقع بعد إعلان قرار التقسيم في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧م حوادث وصدامات دامية اشتركت فيها المنظمات الصهيونية من جهة، والقوات غير النظامية العربية من جهة أخرى (انظر جيش الجهاد المقدس، وجيش الإنقاذ، وقوات النمر، والهاغاناه وشتيرن، والأرغون، وبالماخ). وكان البريطانيون يتظاهرون خلال المصادمات بالوقوف على الحياد ويدعمون عملياً المنظمات الإرهابية الصهيونية ويزودونها بالسلاح والذخائر. **وفي ١٩ آذار (مارس) ١٩٤٨**م عقد مجلس الأمن جلسة استمع فيها إلى قرار لجنة التقسيم، وجاء فيه «استحالة العمل وسط القوة والعنف»، وذكر أن السبيل الوحيد أمام هيئة الأمم المتحدة لمعالجة قضية فلسطين هو «إرسال جيش دولي لتنفيذ التقسيم بالقوة أو إهماله نهائياً». وأمام هذا الموقف ونتيجة لمقاومة العرب المتصاعدة، قامت أكثر الدول حماسة لمشروع التقسيم بالتخلي عن مشروعها، وأعلن المندوب الأمريكي سحب حكومته لتأييدها لقرار التقسيم، واقترح وضع فلسطين تحت الوصاية، وإعادة القضية للأمم المتحدة، ودعوة الطرفين إلى هدنة في فلسطين. وعقدت الجامعة العربية اجتماعاً في **نيسان (إبريل) ١٩٤٨م** قررت فيه رفض اقتراح وضع فلسطين تحت الوصاية الدولية، وجاء في قرارها الذي أبلغ إلى الأمم المتحدة «أن الوصاية الدولية نظام مؤقت سيزيد اليهود خلاله قوة، ويعطيهم وقتاً لتأمين تفوق لهم على تفوق العرب الحاضر». واشترطت الجامعة العربية أيضاً **لقبول الهدنة في فلسطين الشروط التالية:**

١- حل الهاغاناه،

٢- **وقف الهجرة إلى فلسطين،**

٣- **تجريد اليهود من السلاح.**

وفي الوقت نفسه رفضت الوكالة اليهودية نظام الوصاية الدولية، لأن قرار التقسيم أصبح وثيقة دولية. واشترطت لقبول الهدنة أن لا يكون في إقرارها ما يحول دون قيام الدولة اليهودية. وأمام هذا الموقف اتخذ مجلس الأمن في شهر آذار (مارس) القرار التالي:

١- **إعادة القضية للجمعية العامة** لإعادة النظر فيها على ضوء التطورات الجديدة.

٢- **دعوة العرب واليهود إلى عقد هدنة في فلسطين** وتعيين قناصر أميركا وبلجيكا وفرنسا في القدس للإشراف على تنفيذ اقتراح الهدنة.

٣- **دعوة الجمعية العمومية إلى دورة استثنائية خاصة تعقد في ١٦ نيسان (إبريل) ١٩٤٨م** للنظر مجدداً في قضية فلسطين» ولقد فشلت لجنة الهدنة في مهمتها وأبرقت إلى مجلس الأمن بإعلان عجزها عن أداء المهمة الموكلة إليها. وخلال هذه الفترة كانت بريطانيا تتابع تنفيذ سياستها لإقامة الكيان عملياً وعلى الرغم من نداء مجلس الأمن بإعادة قضية فلسطين للجمعية العمومية من أجل بحثها مجدداً، وعلى الرغم أيضاً من نداء المجلس الموجه إليها في ٧ **نيسان (إبريل) ١٩٤٨م** للبقاء في فلسطين كدولة منتدبة تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة حتى يتم الوصول إلى حل جديد للمشكلة، وعلى الرغم من المجازر التي اجتاحت جميع أنحاء فلسطين في أعقاب فشل جهود لجنة الهدنة الثلاثية، فقد أصرت بريطانيا على تنفيذ قرارها القاضي بالانسحاب نهائياً من فلسطين بتاريخ أقصاه يوم **١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨م.**

وكانت بريطانيا واثقة من نجاحها في إقرار التقسيم في النهاية، حتى بعد قرار مجلس الأمن الأخير، وحتى بعد تغير موقف بعض الدول من قرار

التقسيم وانقلابها عليه. ولكنها كانت تشك بقدرتها وقدرة الأمم المتحدة على تنفيذ التقسيم مع وجود المقاومة العربية العنيدة والمتصاعدة. ولذلك، ومن أجل التغلب على العقبات، وضعت بريطانيا مخططاً جديداً يتخلص في تمكين العصابات اليهودية من الاستيلاء على أكبر عدد من القواعد والمواقع والمعسكرات البريطانية في فلسطين أثناء وجودها وبدعم منها، وتأمين الوسائل الضرورية لإرغام العرب على الجلاء عن المناطق التي رأت بريطانيا أنها ضرورية لقيام الدولة اليهودية ولتحقيق سلامتها، وانتزاع قيادة الكفاح العربي من الشعب الفلسطيني ومن هيئاته الوطنية ونقله إلى قيادة يمكن لبريطانيا توجيهها والهيمنة عليها وعلى تصرفاتها وتنفيذاً لهذا المخطط بدأت بريطانيا انسحابها **خلال الفترة بين ١٩شباط (فبراير) ١٩٤٧م و١٥أيار (مايو) ١٩٤٨م .**

ولم تتم عملية الانسحاب من المناطق العربية واليهودية بوقت واحد، وإنما بدأت بالجلاء عن المناطق اليهودية، فجلت أول ما جلت عن منطقة تل أبيب ثم عن المدن والقرى التي يقطنها اليهود[١]. وكانت تسلم سلطات الإدارة في هذه المناطق إلى الوكالة اليهودية، كما تسلمها أو تتخلى لها عن المعسكرات والمطارات ومستودعات الذخيرة التي كانت تحتل الأهمية الأولى في فلسطين خلال تلك الفترة. وبذلك هيأت بريطانيا لليهود فرصة تشكيل أداة إدارية وعسكرية قبل ستة أشهر على الأقل من انسحابها الكامل عن فلسطين، وأصبحت هذه الإدارة تسيطر فعلاً على عدد من المعسكرات الحربية البريطانية والمطارات والقلاع والمراكز مع جميع ما في هذه الأماكن من تجهيزات ومعدات وأسلحة وذخائر. أما في المناطق العربية فقد ظلت جميع القوات البريطانية حتى آخر أيـام الموعد المحدد وهي تمارس جميع

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة، إصدرا دار الجيل + الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، الطبعة الثانية ٢٠٠١مم الجزء الثالث، ص ١٧٦٤-١٧٦٥.

صلاحياتها ضد الشعب العربي الفلسطيني، وضد استعداداته العسكرية للدفاع عن نفسه ضد الهجمات المنظمة التي أخذ الصهاينة بشنها ضد العرب، وقاومت إدخال الأسلحة إلى المناطق العربية كما قاومت دخول المتطوعين من البلاد العربية إلى فلسطين.

وحدثت خلال هذه الفترة، وتحت حماية الانتداب البريطاني مجموعة من المذابح الإرهابية كان لها دور كبير في تفتيت الروح المعنوية للمقاومة، وإثارة الرأي العام العربي مما دفع الحكومات العربية إلى اتخاذ قرارها **في ١٢ نيسان (أبريل) ١٩٤٨**م بدخول الجيوش العربية فلسطين لتحريرها. وبدأ العمل لحشد القوات على الجبهات الرئيسية بحيث أصبح ميزان القوى كالتالي مصر ١٠٠٠٠ جندي على جبهة سيناء مقابل ٦٥٠٠ صهيوني، القدس والممر ٧٥٠٠ عراقي وأردني مقابل قوة مماثلة من الصهاينة، في الشمال ٣٠٠٠ مقاتل سوري وألف لبناني و ٢٠٠٠ من جيش الانقاذ مقابل ٥٠٠٠ صهيوني وهذا يشير إلى توفر تعادل في ميزان القوى من الناحية البشرية.وعلاوة على ذلك فإنه لم تكن هناك مخططات لتنسيق عمل القوات العربية في حين كانت قيادة القوات الصهيونية موحدة.

ب - توضع القوات العربية والقوات الصهيونية وأهدافها:

وعلى هذا فقد حدد لكل جيش عربي هدف يصل إليه في وقت معين على أن تصدر الأوامر بعد ذلك حسب الموقف. وكانت مخططات القوات وأهدافها عشية ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ كالتالي:

أولاً – الجيش المصري. ويتم حشده على الحدود في منطقة العريش بهدف الاستيلاء على غزة، وتكلف البحرية المصرية بواجب مراقبة السواحل الفلسطينية وفرض حصار عليها بالتعاون مع القوات الجوية التي تضطلع بواجب دعم القوات الأرضية أثناء عملياتها(١).

---

(١) العميد بهيج بحليس، موسوعة أحداث القرن العشرين، بيروت، دار نوبليس، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٤م، ج٦، ص٤٦.

ثانياً – الجيش الأردني. ويعمل على دعم قواته المراقبة في جسر الشيخ ياسين لتأمين الدفاع عنه، ويدفع قواته لاحتلال نابلس بقوة لواء مشاة واحتلال رام الله بقوة لواء ميكانيكي مع الاحتفاظ بقوة لواء ميكانيكي كاحتياط في منطقة خان الأحمر.

ثالثاً – الجيش العراقي. وتم حشده في المنطقة بين إربد والحدود بمهمة التقدم على محور إربد – جسر المجامع وتطهير المنطقة من المستعمرات الصهيونية واحتلال رأس جسر عبر الأردن في منطقة جسر المجامع.

رابعاً – الجيش السوري. وحدد له واجب التقدم على محور الحمة – سمخ وإنشاء رأس جيش عبر نهر الأردن. وكانت سورية أكثر البلاد العربية تحمساً للقضية الفلسطينية، وبالتالي لاجتياح فلسطين وتحريرها، وطرد اليهود منها، إنما جيشها كان قليل العدد والعدَّة وهكذا، وفي اليوم التالي لمغادرة آخر جندي انكليزي فلسطين، دخلت القوات إلى التوقف، لفقدان الذخيرة منها، وبعد انتهاء فترة الهدنة الأولى، تمكن الصهاينة من احتلال الجليل، ومن طرد السوريين منه، ومما يجدر ذكره، إن المعارك الضارية التي جرت على مرتفع يدعى «تل العزيزيات» استبسلت خلالها القوات السورية في الدفاع عن هذا المرتفع[١].

خامساً – الجيش اللبناني. ويحتشد في رأس الناقورة بهدف الاستيلاء على منطقة نهاريا وتطهير المنطقة الكائنة بين الحدود والمستعمرات الصهيونية الموجودة فيها. **وبالمقابل، كان الصهاينة قد أكملوا تنظيمهم وتسليحهم، فتكون لديهم عشرة ألوية إقليمية، تم توزيعها على النحو التالي[٢]:**

---

(١) العميد بهيج بحليس، موسوعة أحداث القرن العشرين، بيروت، إصدار دار نوبليس، ط١ عام ٢٠٠٤م، الجزء السادس، ص٤٥.

(٢) الموسوعة العسكرية – إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٥٤.

آ- **في الشمال**، ثلاثة ألوية وهي: (يفتاح) أحد أولية البالماخ، وكان هو وكل المستعمرات في المنطقة تحت قيادة «ييغال آلون» وبعد ذلك تحت قيادة «هولاه كوهين»، ولواء (غولاني) وهو اللواء الأول من ألوية (الهاغاناه) الذي يقوده «موشي مونتاج» ونائبه « جولان»، ويسيطر على طبريا ووادي الأردن، ثم اللواء الثاني للهاغاناه بقيادة «موشي كارميل» الذي أصبح فيما بعد قائداً للجبهة الشمالية.

ب- **في الوسط**، قوة لوائين هما:لواء الكسندروني (ثالث لواء من ألوية الهاغاناه) بقيادة «دان ايفن» الذي يسيطر على جبهة (ناتاليا) ولواء كيرياتي، (رابع ألوية الهاغاناه) بقيادة «ميخائيل بن جال» الذي كان يسيطر على (تل أبيب) والمنطقة المحيطة بها.

ج- **في الجنوب**، قوة لوائين وهما: لواء جفعاتي (اللواء الخامس للهاغاناه) بقيادة «شيمون أفيدان» «ويسيطر على جبهة (راحابوت - أسدود) ولواء النقب (هاليجف) التابع للبالماخ بقيادة «ناحوم ساريح» ويسيطر على أقصى الجنوب.

د - **منطقة القدس** وفيها ثلاثة ألوية: لواء عتسيوني بقيادة «دافيدشالتيل» في منطقة القدس، ولواء (هاري ايل) في ممر القدس، واللواء السابع التابع للهاغاناه والذي شكل للهجوم على (اللطرون). وأسندت قيادته إلى «شالوم شامير».

هنا من الضروري الإشارة إلى نقطتين هامتين: أولاهما تتعلق بالعوامل التي أثرت على الموقف العسكري، ومنها تحديد موعد بدء العمليات الحربية مسبقاً بجلاء القوات البريطانية يوم **١٥أيار (مايو) ١٩٤٨**م، مما أعاق كل أثر للمباغتة. وكانت الجيوش العربية ذاتها تعاني من مشكلات عديدة، إذ كان بعضها خاضعاً للاستعمار. فقادة الجيش الأردني من البريطانيين، وجيشا مصر والعراق خاضعان لبنود معاهدتين تقيدان تحركاتهما. وكان الجيش

السوري والجيش اللبناني حديثي التكوين وضعيفين في عددهما وتسليحهما. وكان الجيش السعودي والجيش الأردني ضعيفين في عددهما وتسليحهما أيضاً. وكان الاستعمار البريطاني يتحكم بموارد التسلح. **والنقطة الثانية** هي المقررات التي أعلنتها الجامعة العربية في ١٢ **نيسان (إبريل) ١٩٤٨**م وفيها:

١- **اعتبار الجيوش العربية الوسيلة الوحيدة الصالحة** لحماية عرب فلسطين وإنقاذ عروبتها.

٢- **حل جميع المنظمات العسكرية الشعبية** في فلسطين وإيقاف نشاطها وإبعادها عن ميدان المعركة.

٣- **عزل جميع الأحزاب والهيئات السياسية الفلسطينية** عن مباشرة معالجة قضية فلسطين أو الاشتراك في العمليات العسكرية وترك معالجة القضية كاملة للجامعة العربية أو الجيوش العربية.

٤- **وضع خطة عسكرية مشتركة** لجميع تحركات الجيوش العربية في فلسطين، وتكوين هيئة قيادة عامة واختيار القائد الأعلى للجيش الأردني رئيساً لهذه الهيئة.

٥- **إعلان حالة الطوارئ** والأحكام العرفية في البلاد العربية بغية حماية المجهود الحربي ومؤخرة الجيوش الزاحفة إلى فلسطين، ووضع التشريعات القاسية لضرب الحركات الوطنية تحت شعار مكافحة النشاط الهدام وجواسيس الصهيونية، وبذلك استطاعت بريطانيا إحكام قبضتها على تحرك القوات والسيطرة على الموقف والقضاء على كل معارضة.

دخلت الجيوش العربية أرض فلسطين مع منتصف ليل ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨م، وكانتسذ تطورات الأعمال القتالية على الجبهات - على الرّغم من نقاط الضعف كلها - تسير بصورة جيدة.

جـ - المرحلة الأولى١٥/٥ - ١٩٤٨/٦/١١:

١- الجبهة المصرية: كانت بداية العمليات على الجبهة المصرية الهجوم على مستعمرة الدنجور التي تقع على مرتفع يهيمن على طريق رفح – غزة، والتي تبعد مسافة ٥ كم تقريباً شرق الطريق. وقد هدفت القوات المصرية من احتلالها، حماية محور إمدادها وتقدمها. وتم تدمير المستعمرة بنيران المدفعية بينما كانت القوات الرئيسية من مشاة ومدفعية ومدرعات تتقدم في اتجاه غزة، وقامت قوات خفيفة بمحاصرة المستعمرة. وفي مساء يوم ١٥ دخلت القوات المصرية مدينة غزة. وفي فجر يوم ١٦ أيار (مايو). تابعت القوات تقدمها فاصطدمت بمستعمرة (كفار ديروم) الواقعة إلى الجنوب من غزة وعلى بعد ١٦كم تقريباً. فتم تركيز نيران المدفعية عليها وخصصت قوات المتطوعين لحصارها وتابعت القوات عملها حيث أخذت المدفعية بالتعامل مع مستعمرات العدو الموجودة أمام غزة وهي (بيرى وبيرون أسحق، واللاسلكي). وفي اليوم ذاته قامت القوات الجوية المصرية بقصف مستعمرة الدنجور ومطار بتاح تكفا، وميناء تل أبيب. في يوم ١٧أيار (مايو).

صدرت الأوامر إلى قوات المتطوعين – بقيادة المقدم أحمد عبد العزيز – بالتقدم إلى بئر السبع عن طريق غزة – بئر السبع. فقامت بالتنفيذ واصطدمت بمقاومة شديدة في بركة العمارة، ولكنها تمكنت من التغلب عليها ونجحت في اقتحام المواقع الدفاعية المحيطة بالمدينة ودخلتها بعد ظهر **يوم ١٩ أيار (مايو)**. وفي الوقت ذاته، تقدمت القوات المصرية شرقي بلدة رفح واحتلت العوجه ومنطقة العسلوج بقوات صغيرة، ثم احتلت بئر السبع، بعد أن سيطرت عليها قوات المتطوعين، واتصلت القوات المصرية شمالاً في بلدة الخليل وتابعت القوات المصرية بعد ذلك تقدمها على المحور الساحلي حيث اصطدمت بمستعمرة دير سنيد (ياد مردخاي) التي تهيمن على طريق الساحل

بين غزة والمجدل، وتم تنظيم الهجوم ضد دير سنيد بقوة الكتيبة الأولى للمشاة وبطاريتي مدفعية عيار ٢٥ رطل وسرية مصفحات وعدد من الطائرات. **وفي يوم ١٩ أيار (مايو) ١٩٤٨م**، بدأت الكتيبة الأولى هجومها ونجحت في احتلال موقع (فيلبوكس) القائم إلى جنوب المستعمرة والمهيمن عليها. ولكن عندما حاول جنود المشاة اختراق النقطة ذاتها، صدوا عنها بعد تكبيدهم خسائر فادحة. ونتيجة لهذا الفشل أعادت القيادة المصرية تنظيم قواتها، وزجت في المعركة الكتيبة الأولى والثانية مشاة، وكتيبة مدفعية، وسرية مصفحات ودبابة. وقد لقي الهجوم فشلاً أولياً، فأعيد تنظيمه ثانية. وعند الوصول إلى إنهاك المقاومة ليلاً، قرر القائد متابعة المعركة وأمكن في النهاية السيطرة على المستعمرة ورفع العلم المصري فوقها **يوم ٢٤ أيار (مايو) ١٩٤٨**م.

في الوقت الذي كانت فيه **الكتيبة الثانية** تخوض معركتها ضد دير سنيد، كلفت الكتيبة الأولى مشاة بالتقدم إلى المجدل، في **يوم ٢٢ أيار (مايو)**. واستطاعت الكتيبة أن تسلك طريقاً جانبية، وأن تصل إلى المستعمرة وتحتلها دون مقاومه. **وفي يوم ٢٤ أيار (مايو)** تم احتلال مدينة عراق سويدان. وبذلك سيطرت القوات المصرية على الطريق المؤدية إلى المستعمرات اليهودية الجنوبية. ويعتبر هذا أول عمل قامت به القوة المصرية لعزل المستعمرات الموجودة في النقب. وكانت الخطوة التالية هي احتلال أسدود، وقد تم تنظيم الهجوم ضدها بهدف تخفيف الضغط عن الجيش الأردني الذي كان يجابه هجمات قوية على محور باب الواد – اللطرون. **وفي يوم ٢٩ أيار (مايو)** تحرك اللواء الثاني (وكان يضم الكتائب الأولى والثانية والتاسعة) في اتجاه أسدود، على أن تبقى الكتيبة الأولى في المجدل. ووصلت القوات الساتره أسدود صباح **يوم ٢٩ أيار (مايو)**، واحتلت مواقع دفاعية شمالي البلدة بحوالي ٤ كيلو مترات، ووصلت المقدمة ظهر اليوم ذاته بعد أن عمل المهندسون على إزالة الألغام المزروعة على محاور الاقتراب.

وعندما وصلت الكتيبة الثانية إلى ارتفاع مستعمرة نيتسانيم فتحت عليها نيران الرشاشات واشتبكت معها بعض الوقت، ثم استمرت الكتيبة في التقدم حتى دخلت أسدود دون مقاومة. وفي اليوم التالي هاجمت طائرتان إسرائيليتان المصريين ونجحت المدفعية المصرية في إسقاط إحداهما من طراز مسر شميت. وفي **يومي ٢٩ و ٣٠ أيار (مايو)** فتحت المدفعية المصرية نيرانها على مستعمراتي نجبا وبيرون. إسحاق، كما هاجمت القوات الجوية المصرية المستعمرات الجنوبية ومستعمرة رحابوت ودوروت للحد من نشاطها وقصفت ميناء تل أبيب وفي **يوم ٣٠ أيار (مايو)** قامت القوات الإسرائيلية بهجوم مضاد على المواقع المصرية في أسدود، غير أن هجومها صُد ببسالة، فركن العدو إلى الانسحاب تاركاً خلفه عدداً كبيراً من القتلى. ثم قامت القوات الإسرائيلية بهجوم مضاد ثان على أسدود في اليوم الأول من حزيران (يونيو)، غير أنه رد على أعقابه متكبداً خسائر فادحة. **وفي ٢حزيران (يونيو)** ١٩٤٨م، طلبت قيادة الجيش المصري من قواتها في فلسطين احتلال خط المجدل – الفالوجا – بيت جبرين – الخليل، وخط أسدود – قسطينه بهدف فصل المستعمرات الجنوبية في النقب عن منطقة شمال فلسطين، وإرغام هذه المستعمرات على الاستسلام بعد منع الإمدادات عنها من الشمال. فصدرت الأوامر إلى الكتيبة الأولى بالتقدم شرقاً لاحتلال الفالوجا وبيت جبرين. وبذلك اندفعت القوات شرقاً لمسافة أربعين كيلو متر من المجدل ونجحت في احتلال المواقع المحددة لها قبل أن تتمكن القوات الإسرائيلية من الوصول إليها. كما قامت بعض الوحدات بعد ذلك باحتلال دير نحاس وترقوميه بعد أن طردت العدو منها، ثم تابعت تقدمها في اتجاه الخليل لتأمين الاتصال بين المجدل والخليل.

في يوم ٣ حزيران (يونيو) قامت القاذفات المصرية بشن غارة على مستعمرات ريشون ليزيون وجان بافين ومطار تل أبيب ومحطة توليد الكهرباء فيها، كما استمرت القوات الجوية في معاونة الجيش الأردني في

الجبهة التي كان يعمل فيها. ومن الواضح هنا أن القيادة المصرية قد غيرت اتجاهها فعوضاً عن التوجيه شمالاً حتى تل أبيب تركز الجهد الرئيسي نحو الشرق على محور المجدل – عراق سويدان – الفالوجا – بيت جبرين، وذلك بسبب خضوع القيادة المصرية لعدد من العوامل منها الضغوط الدولية لإيقاف القتال، مما حمل هذه القيادة على الإسراع في اكتساب أكبر عدد من المواقع، ومنها أيضاً الرغبة في تحقيق الاتصال بين القوات المصرية النظامية وقوة الفدائيين بقيادة أحمد عبد العزيز التي كانت تتلقى تموينها حتى الآن عن طريق محور طويل وصعب يمتد من العوجة حتى بيت لحم عبر بئر السبع، وثالثها الرغبة في دعم عراق سويدان التي كانت تحتل مواقع هامة تلتقي عندها الطرق التي تربط النقب مع شمال فلسطين. وكانت نتيجة المرحلة الأولى على الجبهة المصرية أن نجح المصريون في إرغام العدو على الخروج تماماً من جنوب فلسطين. وكانت العمليات الأخيرة لهذه المرحلة هي عمليات نيتسانيم ونجبا[1].

كانت مستعمرة نيتسانيم نقطة ارتكاز تنطلق منها القوات الإسرائيلية للهجوم على القوات المصرية في أسدود، مما يجعل استمرار احتلال العدو لهذه المستعمرة مصدر تهديد دائم وخطراً كبيراً على القوات المصرية.

وضعت خطة الهجوم للاستيلاء على نيتسانيم بحيث يتم تنفيذها على مرحلتين، يتم في الأولى تقدم المشاة المدعمة بالدبابات الخفيفة لاحتلال الجانب الأيمن من المستعمرة. وفي المرحلة الثانية يتم التقدم من الجانب الأيسر للمستعمرة واحتلال باقي أجزائها.

وفي صباح يوم ٧حزيران (يونيو) ١٩٤٨ تقدمت الدبابات مقتربة من الجانب الأيمن للمستعمرة واشتبكت مع الإسرائيليين بالنيران حتى تمكنت من

---

(١) الموسوعة العسكرية – إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٥٦.

إسكات جميع مواقع الأسلحة، ثم تقدم المشاة خلف الدبابات وقاموا بفتح ثغرات في الأسلاك الشائكة المحيطة بالمستعمرة واحتلوا مواقع الأسلحة وأرغموا العدو على الانسحاب إلى الجهة اليسرى من المستعمرة، وتبع ذلك قيام المشاة والدبابات بسحق المقاومة في الجهة اليسرى. وحوالي الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر اليوم ذاته، تم الاستيلاء على المستعمرة بعد أن تكبد الإسرائيليون خسائر جسيمة، وأمكن أسر ١٢٠ جندياً. وبالاستيلاء على مستعمرة (نيتسانيم) تم تأمين القوات المصرية الموجودة بأسدود من العزل عن باقي القوات. وقام العدو بعد ذلك بثلاث محاولات لاسترجاع المستعمرة في يومي **٩ و١٠ وليل ٩-١٠ حزيران (يونيو)** وانتهت جميع المحاولات بالفشل وتكبد العدو خسائر فادحة.

وكانت المعركة الضارية الثانية هي معركة (نجبا) حيث كانت هناك مستعمرة إسرائيلية بالقرب من مدينة المجدل على جانب طريق المجدل – بيت جبرين – القدس. وكانت هذه المستعمرة تهدد التحركات المصرية. وعلاوة على ذلك فقد كانت عملية تأمين أجنحة القوات المصرية في المجدل وخط المواصلات في أسدود وفتح الطريق أمام كل تحرك من المجدل شرقاً في اتجاه بيت جبرين والقدس للاتصال بالجيش الأردني، كل ذلك يفرض بالضرورة احتلال مستعمرة نجبا.

في أول حزيران (يونيو) ١٩٤٨. صدرت الأوامر إلى كتيبة مشاة، ومعها كتيبة دبابات خفيفة (لوكست)، وفصيلة من المناضلين العرب، وبطاريتي مدفعية ميدان، وبطارية مدفعية مضادة للطائرات بالهجوم على مستعمرة نجبا. وبدأت المدفعية بقصف المستعمرة من منطقة المجدل. **وفي يوم ٢ حزيران (يونيو)** تابعت المدفعية تركيز نيرانها بشدة على المستعمرة، وتقدمت الموجة الأولى للهجوم، وفتح المناضلون ثغرة في سياج الأسلاك الشائكة ولكنها. لم تكن كافية، فقامت إحدى الدبابات بفتح ثغرة ثانية تقدمت منها داخل المستعمرة وتبعتها باقي الدبابات حيث اشتبكت مع المعاقل ودمرت

بعضها. وتمكنت عناصر المشاة الأمامية من احتلال موقع أسلحة واحدة ولم تتمكن باقي الفصيلة من متابعة الدبابات لشدة النيران. وفي الفجر تقدمت الموجة الثانية وأحكمت إغلاق الثغرة، وكن واجبها استغلال نجاح الموجة الأولى واحتلال القطاع الأيمن من المستعمرة. ونظراً لاستخدام العدو للمدافع المضادة للمدرعات (بيات) فإنَّ تلك الموجة لم تتمكن من دخول المستعمرة.

وفي العاشرة صباحاً صدرت الأوامر بالانسحاب بعد أن وصلت معلومات تفيد بأن الإسرائيليين يحشدون قوات كبيرة للقيام بهجوم مضاد على الجانب الأيمن. وبدأ العدو بفتح النار من مدافع الهاون على الدبابات، فانسحبت القوات المشتركة في العملية تحت ستار نيران الدبابات، ثم انسحبت هذه تحت ستارة دخانية. وتمت عملية الانسحاب في الثانية والنصف بعد الظهر، وعادت كل القوة إلى المجدل.

خلال هذه العمليات كانت قوات أحمد عبد العزيز (الفدائيون) قد وصلت إلى جنوبي القدس بحوالي سبعة كيلومترات، واحتلت بيت لحم واستطاعت في يوم ٢٤ أيار (مايو) ١٩٤٨ تحقيق الاتصال مع القوات الأردنية.

٢- الجبهة الأردنية: بدأت المعارك بين العدو والمناضلين العرب في القدس الجديدة يوم ١٥ أيار (مايو). وحوصر اليهود في الحي اليهودي من القدس القديمة، في حين أنهم استولوا على مواقع الجيش البريطاني (مركز البوليس والسجن المركزي والبنك ومختلف الأبنية الرسمية في المسكوبية). وفي يوم ١٧ /٥/ ١٩٤٨ وصلت طلائع القوات الأردنية (الفيلق العربي) إلى القدس واحتلت شارع المصرارة خارج السور[١]، كما تقدمت إلى باب الخليل. وفي يوم ٥/١٨ تتابع وصول القوات الأردنية ومعها المصفحات

---

(١) مجموعة من المؤلفين الروس، الحروب العربية الإسرائيلية، ترجمة العميد صبحي الجابي، إصدار دمشق ١٩٧٥، ص ٣٩.

التي تمركزت في حي الشيخ جراح مقابل كنيسة (نوتردام). وظل الحي اليهودي يدافع ضد الهجمات الأردنية حتى استسلم وأسر الجيش الأردني الرجال من اليهود، بينما سلم الشيوخ والنساء والأطفال إلى قيادة الهاغاناه يوم ٢٨ أيار (مايو) ١٩٤٨.

وفي ٤ حزيران (يونيو) هاجم العدو حي الشيخ جراح واستمر الهجوم **حتى ٩ حزيران (يونيو)**، ولكن هذا الهجوم انتهى بالفشل.وفي الشمال، أخلى الإسرائيليون مستعمرة عطروت يوم **١٦أيار (مايو)** بينما احتل جيش الانقاذ مستعمرة نبي يعقوب على طريق رام الله، ثم اتجهت القوات الإسرائيلية لفتح طريق تل أبيب – القدس، وفك الحصار عن الأحياء اليهودية في القدس الجديدة. **وفي ٢٦أيار (مايو)** هاجم العدو اللطرون فصدته القوات الأردنية، واستمرت هذه المحاولات حتى **٣٠ أيار (مايو)**، حيث استولى الإسرائيليون على باب الواد. وفي ٦حزيران (يونيو) حولوا اتجاههم نحو فتح طريق جديد يتجنب اللطرون ويمتد من باب الواد إلى دير محيش ويسمى (طريق بورما). وفي **يوم ٩ حزيران (يونيو)** كرر الإسرائيليون هجومهم على القدس وعلى حي الشيخ جراح لفك الحصار عن جبل المكبر، ولكن هذا الهجوم مني بالفشل.

٣ – الجبهة السورية: قام الجيش السوري بالهجوم المتفق عليه في الوقت المحدد من ١٥ أيار (مايو) وزج قوة لواء واحد في سمخ على الضفة الجنوبية لبحيرة طبريا، وتقدم نحو ١٠ كيلو مترات ووصل إلى دغانيا وتوقف لأن قواته كانت لا تسمح بالتقدم بين المستعمرات. وبينما كانت الطائرات السورية تضرب المستعمرات القائمة في وادي الأردن تساندها الطائرات العراقية، كانت الطائرات المعادية تقصف قرية حارب السورية ومعسكر الجيش السوري في تل الأقصر وحشوده في الحمة وفي ضواحي أم قيس. واستخدم الجيش السوري في اليوم الذي احتل فيه سمخ

١٥ مصفحة و ١٠ دبابات وحاملة برن، واقتصر في هجومه على الدبابات تساندها المدافع من بعيد، بينما كانت المشاة من جهات الكرنتينا وعند مفترق الطريق جنوب سمخ. وفي الساعة السادسة من صباح ١٨ أيار (مايو) بدأ الإسرائيليون انسحابهم من المدينة تاركين عدداً من القتلى بينهم ٣من القادة أحدهم قائد الحامية والثاني قائد النجدة. وكانت المدفعية السورية تدمر التحصينات وتقصف محاور تقدم قوات الدعم الإسرائيلية إلى سمخ، مثل: محور سمخ – دغانيا، ومحور سمخ إلى مستعمرات فيكيم ومنها إلى مسعده وشعار هاغولان. وهذا ما جعل الانسحاب من سمخ صعباً تكبد العدو خلاله خسائر فادحة. وعندما سقطت سمخ بيد السوريين رحلت العائلات الإسرائيلية عن المستعمرات القائمة للدفاع عن المستعمرات. واستمر الصراع بعد ذلك، واستخدم الإسرائيليون مدافع الهاون على نطاق واسع، وتمكنوا من تدمير إحدى المصفحات السورية التي كانت تتقدم نحو دغانيا بمحاذاة شاطئ بحيرة طبريا، كما دمروا مصفحة أخرى عندما وصلت إلى أبواب المستعمرة، وأحرقوا ثالثة بعد أن نجح رجالها في الوصول إلى قلب دغانيا. وطرأ عطل على مصفحتين وقعت إحداهما بيد العدو، الأمر الذي جعل السوريين يبطؤون في تقدمهم بالمشاة ، ولكنهم تابعوا قصف المستعمرة بالمدفعية والرشاشات الثقيلة التي يضعونها على سطح عمارة البوليس في سمخ، فكان الإسرائيليون يردون عليها بمدافع الهاون ٣ بوصة.

٤- العمليات في قطاع الجيش العراقي: (القطاع الأوسط): في يوم ١٥ أيار (مايو) هاجم لواء عراقي مستعمرة (جيشر) وتوقف أمامها، وانسحب الرتل الأول العراقي في يوم ٢٠ أيار (مايو) من جسر المجامع إلى السامرة. وأحضر قوات دعم جديدة من العراق. وفي ٢٨ أيار (مايو) هاجم الإسرائيليون بقوة لوائي مشاة من العفولة، وفي ٢حزيران (يونيو) قام الجيش العراقي بهجوم مباغت على العدو، وأوقع في صفوفهم خسائر فادحة غير أن الأوامر صدرت إلى القوات العراقية بعدم استثمار الظفر والمطاردة.

وبالفعل تم التوقف في انتظار موعد الهدنة الأولى، وتقدمت قوات من المناضلين الفلسطينيين واستردت القرى العربية غرب منطقة جنين، وبقي الوضع على حاله حتى انتهاء الهدنة حيث عاود المناضلون الهجوم على العدو وانضمت إليهم القوات العراقية، واستولت على المواقع الإسرائيلية في منطقة جنين الغربية(١).

إن العرض السابق يظهر أن الجيوش العربية نجحت خلال الأيام الأولى من الحرب في السيطرة على أقسام كبرى من فلسطين، فكانت الخطوط الأمامية المصرية تصل شمالاً حتى مدينة بيت لحم ومستعمرة تلبيوت في ضواحي القدس الجنوبية، وإلى الغرب حتى حدود منطقة يافا الجنوبية. وسيطر الجيش المصري سيطرة تامة على منطقة النقب الجنوبي وخليج العقبة بأكمله وحتى أطراف البحر الأحمر الشمالية. وسيطر الجيش السوري وجيش الإنقاذ على الجليل بأكمله حتى جنوب بحيرة طبريا، ما عدا بعض المستعمرات في الجليل الشرقي. وكان الجيش اللبناني يقف غير بعيد عن عكا. وكانت خطوط جيش الإنقاذ الأمامية تمتد إلى جنوب قرى مدينة الناصرة. وسيطر الجيش العراقي على قلب فلسطين وأحدق بتل أبيب، وكانت خطوطه الأمامية من الشمال إلى ما وراء مدينة جنين ومن الغرب إلى بيارات طولكرم وقليلية على بعد ثمانية أميال من ساحل البحر المتوسط. واحتل الجيش الأردني غور الأردن الجنوبي ومنطقة القدس والقدس القديمة ومنطقة رام الله واللد والرملة حتى التقى بالجيش العراقي في الشمال وبالجيش المصري في الجنوب والغرب.

وكان من السهل على الجيوش العربية احتلال المناطق القليلة الباقية من أرض فلسطين والتي احتلها الإسرائيليون أثناء وجود القوات البريطانية،

---

(١) الموسوعة العسكرية – إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص ٦٥٧.

ولاسيما أنهم لم يقوموا خلال هذه الفترة بتنظيم مقاومة جديه وفق خطة إستراتيجية واضحة بسبب قناعتهم بعدم جدية المعركة من ناحية، وبسبب اعتقادهم الثابت بنجاح معركتهم السياسية المدعومة من بريطانيا وأميركا بصورة خاصة. ولهذا كان موقفهم سلبياً، وتمثل بالدفاع في المستعمرات وراء التحصينات، وحتى هذه المقاومة لم تكن منظمة في إطار نظام دفاعي موحد، مما ساعد الجيوش العربية على اجتياح المناطق المحددة لها بسرعة. ولكن سرعان ما توقفت اندفاعة الجيوش العربية، وفي الواقع فقد توقف الجيشان الأردني والعراقي منذ أيام القتال الأولى عند حدود المواقع المحددة لهما ودون تجاوزها إلى المنطقة المخصصة للصهاينة في قرار التقسيم وتردد الجيش الأردني كثيراً قبل أن يستجيب للنداءات العربية في مدينة القدس التي اعتبرها قرار التقسيم دولية. واستغل العدو هذا الاعتبار، وابتعاد الجيوش العربية عنها في أولى مراحل القتال، فأخذ في احتلالها شارعاً بعد شارع، وحياً بعد حي، مع تضييق الخناق على آخر الأحياء العربية التي تجمعت فيها قوى المجاهدين الفلسطينيين. وعندما اضطرت الحكومة الأردنية، تحت ضغط اعتبارات مختلفة، لنجدة العرب فيها، اكتفت باحتلال المدينة القديمة فقط، على الرغم من سيطرتها على منطقة القدس بكاملها، وعلى الرغم من اندفاع الجيش الأردني لاحتلالها وقدرته التامة على ذلك وحماسته الكبيرة لتنفيذ هذا الواجب. وكذلك فقد توقف الجيش اللبناني، ولم يحقق أي تقدم يذكر بسبب اصطدامه بسلسلة من تحصينات خط إيدن القوي على الحدود السورية الفلسطينية، والذي سلمه الإنكليز إلى الصهاينة قبل جلائهم.

د - الهدنة الأولى (٦/١١ - ٧/٩/ ١٩٤٨):

خلال مرحلة القتال الأولى، وفي غمرة الذهول من تصرفات بعض الجيوش العربية، وتوقف بعضها الآخر واتخاذه موقف الدفاع دون سبب واضح، وجد قادة العدو أنفسهم في موقف العزلة بعد أن سيطرت الجيوش

العربية على جميع أنحاء فلسطين، فاستنجد هؤلاء القادة بأميركا التي أعلنت «بأن الحالة في فلسطين تهدد السلم وتنذر بالخطر»، وأسرعت إلى مجلس الأمن مطالبة إياه بالتدخل السريع والحاسم لإيقاف القتال ولو بالقوة وتطبيق العقوبات. وكذلك أسرعت بريطانيا، وعملت على اتخاذ إجراءات مزدوجة ضد العرب وضد تدخلهم العسكري في فلسطين، فمن جهة راحت تنذر الدول العربية بوقف القتال فوراً وتهددها إن هي استمرت في عملياتها العسكرية، ومن جهة أخرى فقد لجأت إلى مجلس الأمن مطالبة بتدخله، واحتياطاً لكل موقف مضاد من حليفاتها العربية تحت تأثير ضغط الدول العربية الأخرى وشعوبها، أكملت إجراءاتها بإبلاغ الدول العربية المرتبطة معها بمعاهدات أنها ستوقف فوراً تزويدها بالسلاح والعتاد إن لم تستجب لنداء وقف القتال.

وكان مجلس الأمن قد قرر منذ ٢٢ أيار (مايو) ١٩٤٨، بناء على اقتراح بريطاني، توجيه نداء القتال في فلسطين خلال ٣٦ ساعة تبدأ منتصف ليل اليوم نفسه. وقد رفض العرب هذا النداء بمذكرة وجهها أمين الجامعة العربية إلى مجلس الأمن، فاستمرت أميركا ومعها بريطانيا في ممارسة الضغوط على مجلس الأمن وعلى الدول العربية مع الاستمرار بالتهديد، مما دفع مجلس الأمن إلى توجيه الدعوة لإيقاف القتال لمدة أربعة أسابيع وفق مشروع بريطاني يتضمن وعداً بعدم إرسال متطوعين أو أسلحة أو أعتدة إلى فلسطين خلال هذه الفترة، وإنذار المخالف بتطبيق العقوبات العسكرية والاقتصادية ضده.

في الثاني من حزيران (يونيو) ١٩٤٨، أبلغت الجامعة العربية مجلس الأمن عن موافقة الدول العربية على قراره، مع أملها بأن يتمكن الوسيط الدولي الكونت برنادوت الذي عينه المجلس منذ **١٤أيار (مايو) ١٩٤٨**، ولجنة الهدنة التي عينها قبل ذلك في **٢٢ نيسان (إبريل) ١٩٤٨**، من إيجاد حل عادل لقضية فلسطين. وكان الإسرائيليون قد وافقوا على نداء الهدنة فور صدوره، مع التأكيد على رفض كل حل يتعارض مع واقع دولتهم الجديدة.

وفي صباح ١١ **حزيران (يونيو)** توقف القتال في فلسطين لمدة أربعة أسابيع (وهو التوقف الذي عرف باسم الهدنة الأولى).

لم يكن لدى إسرائيل خلال المرحلة الأولى من الحرب أكثر من ١١ طائرة للتدريب والرياضة من نوع «تايغر»، ولهذه فقد ركزت جهدها للإفادة من فترة الهدنة لشراء الطائرات المقاتلة، وطلب الدعم من الطيارين اليهود في جيوش العالم للالتحاق بإسرائيل. ونجحت القيادة الإسرائيلية في عقد صفقة مع تشيكوسلوفاكيا لشراء طائرات «سبيتفاير» و«مسر شميت»، ووصل إلى إسرائيل **٢٠ طائرة، علاوة على ٢٠ طائرة** تم نقلها على شكل قطع غيار. ونجح المندُوبون السريون وعملاء إسرائيل في شراء **٣ قلاع طائرة من طراز (ب – ١٧)** من أميركا وهي قلاع مجهزة بحوالي ١٠ – ١١ مدفعاً، علاوة على قدرتها على إلقاء ٤ أطنان من القنابل.

وفي مجال التسلح للقوات الأرضية حصلت إسرائيل على أسلحة من تشيكوسلوفاكيا وهي ١٠ آلاف بندقية، و٤٥٠ مدفعاً رشاشاً، و٦ مدافع عيار ٦٥مم، ومجموعة مدفعية ٧٥ مم. وقد عملت إسرائيل على استنفار جميع إمكاناتها وتعبئة جميع مواردها البشرية للحرب. ومقابل ذلك حاولت بعض الدول العربية – سورية خاصة – الحصول على الأسلحة، واستطاعت عقد صفقة مع تشيكوسلوفاكيا بقيمة **١١ مليون دولار لشراء ٨ آلاف بندقية وعشرة ملايين طلقة وكمية من القنابل اليدوية** ومختلف أنواع الذخائر. وأحيطت هذه الصفقة بمجموعة من المؤامرات انتهت بنقل الأسلحة في مياه جزر الدوديكانيز إلى سفن إسرائيلية وإغراق الباخرة الإيطالية (جيرو) التي كانت تنقل الأسلحة.

إثر هذه التدابير تطور موقف إسرائيل، وأصبح بإمكانها الانتقال من مرحلة الدفاع الثابت إلى الهجوم خلال المرحلة الثانية من الصراع. ولقد حاولت القوات العربية تطوير موقفها – وبصورة خاصة القوات المصرية – فتقدمت قيادة القوات المصرية، في أعقاب الموافقة على الهدنة الأولى،

بمذكرة إلى رئاسة الجيش تطلب فيها رفع القوة إلى فرقة مشاة كاملة ومجموعة لواء مشاة مستقل، مع زيادة حجم القوات المدرعة لتكوين مجموعة مدرعة كاملة، ودعم الموقف الإداري بجميع عناصره. وعملت قيادة الجيش على تلبية بعض المتطلبات، فأرسلت كتيبة مشاة وكتيبة مدافع رشاشة من كتائب الاحتياط وسرايا مهندسين، وأكملت بقية أسلحة الدعم للفرقة بحيث أصبحت القوات المصرية بعد فترة قصيرة تضم فرقة مشاة كاملة مع أسلحة الدعم والوحدات الإدارية الضرورية للفرقة. وقد حددت واجبات القوات المصرية خلال فترة الهدنة بتأمين خط المواصلات وتطهير المستعمرات المشرفة عليها ثم العمل بعد ذلك بحيث تصبح القوات المصرية مستعدة للتقدم نحو جنوب تل أبيب، في نفس الوقت الذي تكون فيه بقية الجيوش العربية مستعدة لإجراء مثل هذا التقدم من جانبها[١].

ولم تلتزم القيادة **الإسرائيلية بمقررات هيئة مجلس الأمن**، واستغل الإسرائيليون فترة الهدنة الأولى لتحسين موقفهم الحربي وإعادة تنظيم قواتهم مما مكنهم من مجابهة الجيوش العربية في المرحلة الثانية من الحرب بكفاءة. وفي هذا المجال قام الإسرائيليون باحتلال الخط الدفاعي المواجه للخط الذي وصلت إليه القوات المصرية، مع تأمين تموين المستعمرات الجنوبية والمواقع المعزولة إما بالطائرات أو بأرتال العربات، والتسلل عبر الخط المصري بين المجدل والخليل، مع الحصول أحياناً على تصريح بذلك من لجنة الهدنة. واتخذت إسرائيل التدابير الضرورية لفتح ثغرة في الخط المصري المجدل – الخليل عند استئناف القتال لإعادة الاتصال مع المستعمرات الجنوبية والاستعداد لتطهير طريق القدس – بئر السبع – العسلوج. وقامت باستطلاع المواقع المصرية وذلك عن طريق أرتال التموين أو الطائرات بحجة إرسال

---

(١) الموسوعة العسكرية – إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٥٩.

تموين للمستعمرات الجنوبية. وتحقيقاً لهذه الغاية. قام الإسرائيليون في يوم **١١ حزيران (يونيو)** – وهو نفس يوم إعلان الهدنة – بالهجوم على بلدة العسلوج، ولم تكن فيها قوات عسكرية مصرية كبيرة، واحتلوا البلدة فعلاً، واستغلوا تعليمات وقف القتال للاحتفاظ بموقعهم فيها. وتقدمت قوات إسرائيلية عسكرية أخرى فاحتلت قرية الجسير شمال الفالوجا، وبلدة عبديس شمال بيت عفة، والتبة ٦٩ (تبة الخيش) عند تقاطع الطرق بجوار (عراق سويدان)، وبلدة جوليس على تقاطع الطريق الشرقي وطريق (المجدل – قسطينه) وطردت أهالي هذه البلاد منها، وجهزت بذلك خطاً دفاعياً في مواجهة الخط المصري، وأخذت تنظم تحصيناتها ومواقعها. وفي **١٤ حزيران (يونيو)** احتلت بعض المصفحات الإسرائيلية بلدة كوكبا بعد أن طردت الأهالي منها وذلك استعداداً لفتح الطريق جوليس – كوكبا – الحليقات عند استئناف القتال. وفي الوقت ذاته كانت تكرر الاشتباكات بالنيران بين القوات الإسرائيلية والقوات العربية على مختلف الجبهات، وكان هدف هذه الاشتباكات تغطية أعمال دوريات الاستطلاع الإسرائيلية ، ورفع الروح المعنوية لأفراد المستوطنات. **وفي نهاية شهر حزيران (يونيو)** أخلى الإنكليز ميناء حيفا. مع أنهم كانوا قد أعلنوا أن انسحابهم النهائي منه سيكون في شهر آب (أغسطس). ولكنهم انسحبوا منه أثناء الهدنة، ومكّنوا الإسرائيليين من الاستيلاء عليه.

وعلى الرغم من تعهدات مجلس الأمن ودوله الكبرى بحظر إرسال الأسلحة والمتطوعين إلى أي من الطرفين خلال فترة الهدنة، فقد بادر الإسرائيليون إلى جلب المتطوعين ونقلهم إلى فلسطين، في حين وقفت كل الدول الكبرى في وجه كل محاولة عربية للحصول على السلاح. وطبقت معظم دول العالم بتأثير من بريطانيا وأمريكا، قرار حظر إرسال الأسلحة إلى البلدان العربية بكل دقة، حتى إن الأسلحة التي كان من المقرر إرسالها لبعض الدول العربية من بريطانيا وفق نصوص المعاهدات والاتفاقات، أوقف إرسالها وحجزت في الموانئ البريطانية. وخلال هذه الفترة كان الوسيط

الدولي الكونت برنادوت يمارس دور الوساطة ويضع مقترحاته للعرب واليهود مشترطاً قبولها من الطرفين لتكون أساساً عملياً للتسوية النهائية (انظر برنادوت). وقد رفض العرب واليهود على السواء هذه المقترحات والتوصيات. فرفضها العرب لأنهم رأوا فيها إصراراً على تقسيم فلسطين وعلى استمرار الهجرة اليهودية إليها، الأمر الذي عارضوه دائماً وثاروه ضده وحاربوه مطالبين باستقلال فلسطين وقيام حكومة واحدة على أسس ديمقراطية صحيحة. ورفضها اليهود لأنهم رأوا فيها حداً لأطماعهم ومخططاتهم التوسعية، ولأنها غيرت في شكل دولتهم كما حددوها وأرادوها في مرحلتها الأولى، فقد شعروا بعد وقوف دول الاستعمار إلى جانبعم علناً في فترة الحرب وخلال مدة الهدنة ما شجعهم على تكوين قناعة بالفوز وتحقيق مطالبهم كلها خلال هذه المرحلة. وحاول اليهود تمديد فترة الهدنة ثلاثين يوماً، ولكن محاولتهم فشلت. وانتهى الأمر إلى تجدد الصراع.

ثانياً - المرحلة الثانية (٧/٩ - ١٩٤٨/٧/١٨):

أ – الجبهة المصرية:

بدأت العمليات على الجبهة المصرية في المرحلة الثانية بقيام المصريين، في ٧تموز (يوليو) ١٩٤٨، بمحاولة احتلال بيت دوراس الواقعة جنوب شرق أسدود، وكان يوجد حولها تجمعات للعدو في منطقة الصوافير الغربية والصوافير الشرقية. واستطاعت قوات الهجوم اقتحام المستوطنة. ولكن حدث خطأً في إطلاق الشهب المتفق عليها فانسحبت القوة المهاجمة وعاود العدو احتلالها.

وفي يوم ٨ – ٩ تموز (يوليو) دفعت سرية سعودية لاحتلال المرتفعات المحيطة ببلدتي كوكبا والحليقات. ثم قامت كتيبة المشاة الثانية بهجوم على بلدة كوكبا ومعها سرية دبابات وبعض السيارات المدرعة وحققت

قوات الهجوم مباغتة تامة، ونجح المصريون بالاستيلاء على البلدة وتطهيرها **في الساعة السابعة من صباح يوم ٩ تموز.** ثم تابع قائد كتيبة الهجوم تطوير عمليته، وأسرع لاحتلال الحليقات. وبعد قتال مرير استمر ساعتين تقريباً انسحبت القوة المعادية. **وفي يوم ٩ تموز** تابع المصريون هجومهم للاستيلاء على كفر ديرون الواقعة على جانب طريق رفح ـــ غزة أمام بلدة دير البلح. وفي الساعة الثانية من بعد ظهر يوم ٩ تموز (يوليو)، احتلت كتيبة المشاة الثالثة قواعد الهجوم ومعها جماعتا مدافع هاون ٣بوصة، وجماعتا مدافع ٦ رطل، وجماعة اقتحام، وجماعتا مدافع رشاشة متوسطة، وفصيلة مدافع مضادة للدبابات عيار ٦رطل، ووحدة مدفعية ميدان خفيف ٣,٧ بوصة، ومدفعان بوفرز ٤٠ مم. كما اشترك مع هذه القوة ٨٢ من المتطوعين. وبدأ الهجوم ليلاً وأمكن الانتهاء من عملية الاستيلاء على المستعمرة **وتطهيرها في يوم ١٠ تموز (يوليو).**

وقد أجريت محاولات لاحتلال بيت عفه وعبديس نجبا، وتكبد المصريون خسائر فادحة، ولكن الإسرائيليين أفادوا من تحصين مواقعهم ودعمها، ففشلت محاولات الهجوم، ولم تنجح سوى محاولة الاستيلاء على بيت عفه. وقامت القوات الإسرائيلية بتنظيم هجوم قوي لاستعادة بيت عفه في **ظهر يوم ١٤ تموز (يوليو)** ولكن هذه الهجوم أحبط بقوة، وأعادوا محاولتهم في ليل ١٥تموز (يوليو)، وفشلت هذه المحاولة أيضاً. فأعادوا تنظيم قواتهم وطلبوا دعماً جديداً. وفي **يوم ١٧تموز (يوليو)**، تعرضت القوات المصرية للقصف المركز والشديد طوال النهار. وقبل منتصف الليل بقليل قام الإسرائيليون بهجومهم مستخدمين قاذفات اللهب الخفيفة للمرة الأولى. وسقطت بعض المواقع. ولكن القوات المصرية أعادت سد الثغرة، فقام العدو بهجوم جديد أمكن إحباطه.وانتهت المعركة في فجر **يوم ١٨ تمز (يوليو)**، بأسر أربعة وقتل ٥٦ مقاتلاً صهيونياً، وغنم ٥٥ بندقية، وأربعة مدافع بيات، وقاذفتي لهب، واثني عشر مدفعاً رشاشاً، وكمية كبيرة من القنابل اليدوية.كما

استمرت القوات المصرية بحصار مستعمرة الدنجور، وحاولت الاستيلاء على مستعمرة بيرون إسحاق، ولكن القوات انسحبت بعد أن وصلها التهديد بهجوم مضاد للقوات الإسرائيلية.كما جرت محاولة احتلال مستعمرة العسلوج في ١٧ تموز (يوليو»، ولكن المحاولة توقفت عند حدود السيطرة على المستعمرة بالنيران من التلال المجاورة. وقد حاولت القوات الإسرائيلية الاستيلاء على الفالوجا في **مساء يوم ١٧ تموز (يوليو)، ١٩٤٨**، بيد أن محاولتها فشلت أمام عناد القوات المصرية ومقاومتها الضارية، ولكن القوات الإسرائيلية نجحت في الوصول إلى كراتيا واحتلالها.

ب – الجبهة الأردنية:

بدأت هذه المرحلة باستيلاء الإسرائيليين على اللد والرملة. وكانت القوات العربية المدافعة عن اللد لا تزيد عن ٧٥ مقاتلاً من جيش الجهاد المقدس، و ٦٥٠ مقاتلاً من مجاهدي القرى المجاورة، و٤٠ جندياً من الجيش العربي الأردني، في حين حشد الإسرائيليون قوة ٥٠٠٠ مقاتل، أكثرهم من وحدات الصاعقة (البالماخ) مزودين بأحدث الأسلحة١، وكانت كل وحداتهم متحركة مما زاد من مرونتها ونجاح مناوراتها لعزل المدينة بعد تطويقها. واستمرت المعركة يومين خسر فيها العرب ١٣٠٠ قتيل، استشهد منهم ٨٠٠ في ساعات القتال الأولى علاوة على ٤٢٦ شهيداً قتل أكثرهم في المساجد ودخل الإسرائيليون اللد مساء ١١ تموز (يوليو) وفي يوم ١٣ تموز أرغم الإسرائيليون بقية السكان العرب على الهجرة. وكان فيها أكثر من ٥٠ ألفاً.

---

(١) جيهان الطاهري وأهرون بريغمان، العرب والكيان الصهيوني (حرب الخمسين عاماً)، ترجمة هشام حداد، إصدار مركز الدراسات العسكرية، دمشق، ط١ عام ٢٠٠٠م، ص٣٩.

(٢) الموسوعة العسكرية – إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٦٠.

وبعد سقوط اللد بساعتين بدأت معركة الرملة، وكانت بها سرية من الجيش العربي الأردني، ولكن هذه السرية غادرت الرملة مساء ١١ **تموز (يوليو)** كما غادرها المجاهدون في منتصف الليل، ودارت رحى المعركة بين ٥٠٠ جندي مشاة إسرائيلي مع ٤عربات تحمل رشاشات (برن) وبين فصيلة فقط من الجيش العربي الأردني. كانت تحتل عمارة البوليس يدعمها ٥٠ مناضلاً. وقد فشل الهجوم الإسرائيلي الأول نتيجة للمقاومة العربية العنيفة، وترك المهاجمون عرباتهم المدرعة وجرحاهم فوق أرض المعركة. وفي ١٢ **تموز (يوليو)** تقدمت نجدات كبيرة من الإسرائيليين فطوقت الرملة، وانسحبت بقية القوة الأردنية ودخل العدو الرملة **صباح ١٢ تموز (يوليو)** وطرد معظم سكانها العرب. وكانت عملية تسليم اللد والرملة عاملاً حاسماً في مسيرة الأعمال القتالية للمرحلة الثانية من الحرب. فالمدينتان لا تبعدان عن تل أبيب أكثر من خمسة عشر كيلو متراً، وتشكلان موقعاً استراتيجياً هاماً. ولقد أهمل غلوب باشا، القائد الإنكليزي للقوات الأردنية، عن عمد تحصينهما وحشد القوات الكافية فيهما. وكان من نتائج سقوط المدينتين كشف ميمنة الجيش المصري وتهديدها بطريق غير مباشر. وعلاوة على ذلك، فقد حصل العدو على محور مضمون للاتصال مع القدس مع الاستيلاء على قاعدة جوية هامة (قاعدة اللد). وكان لسقوط المدينتين بالإضافة إلى ذلك أثر نفسي تمثل في إحباط الروح المعنوية للمقاتلين العرب على الجبهات جميعها.

جـ - الهدنة الثانية (١٩٤٨/٧/١٨ حتى توقف العمليات الحربية على الجبهة المصرية في ١٩٤٩/١/٧):

في هذه الفترة كان الصراع السياسي مستمراً وتقدمت أمريكا بمشروع هدنة ثانية، وفرضتها على اعتبار أن الوضع في الشرق الأوسط يشكل خطراً على السلم. ووجهت إنذاراً بفرض العقوبات الاقتصادية على من

ينتهك الهدنة. ووافقت الجامعة العربية على الهدنة الثانية التي بدأت في ١٨ **تموز (يوليو) ١٩٤٨**. لكن القيادة الإسرائيلية لم تحافظ على شروط الهدنة وقامت بخرقها، فنظمت هجوماً على الفالوجا في ٢٧ - ٢٨ **تموز (يوليو) ١٩٤٨**. وفشل هذا الهجوم أيضاً. ونظمت القيادة الإسرائيلية هجوماً للاستيلاء على عراق المنشية في **ليل ٢٧ تموز (يوليو)** وكان نصيبه الفشل. فأخذت في وضع مخطط جديد من أجل فتح الطريق إلى الجنوب (النقب) وقامت بتنفيذ (عملية الضربات العشر) و(عملية عين) في الجنوب كما نظمت عملية ضد جيش الإنقاذ في الشمال (الجليل الأعلى) عرفت باسم عملية (حيرام).

ثالثاً - العمليات الإسرائيلية بعد الهدنة الثانية:

أ - عملية الضربات العشر Ten Blagues:

قامت إسرائيل بعد الهدنة الثانية بمجموعة عمليات على الجبهة المصرية أدت إلى احتلال النقب والوصول إلى إيلات على خليج العقبة.

كان الهدف من هذه العملية فتح الطريق إلى النقب. وتحديد مواقع انتشار القوات المصرية واستثمار نقاط الضعف في تنظيماتها الدفاعية حتى أقصى الحدود وعزلها عن موارد إمدادها وقطع طرق انسحابها وضرب المراكز الإدارية. وقد استطاعت عملية الضربات العشر تحقيق هذه الأهداف كلها وتم تنفيذها في الفترة **بين ١٥ - ٢١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٨**.

عند ابتداء الهدنة الثانية، في ١٩٤٨/٧/١٨، كانت القوات المصرية لا تزال مسيطرة على مواقعها في الجنوب مشكلة حاجزاً بين المستعمرات الجنوبية في النقب وبين المستعمرات في شمال فلسطين. وذلك عن طريق فرض سيطرتها على محاور التحرك الساحلية إلى الشمال من إسدود وإمساكها بمحور العوجا والعسلوج وبيت لحم ومحور مجدل - بيت جبرين. ووضعت القيادة الإسرائيلية مخططها للقيام بهجمات مباغتة، مع توجيه

هجمات مباشرة ضد كل نقطة تحتلها القوات المصرية. وفي **١٥ تشرين الأول (أكتوبر)** قامت القوة الجوية الإسرائيلية بضرب مطار العريش وبعض الأهداف الأخرى مثل: غزة، بيت حانون، المجدل، الفالوجا، مع تركيز الضربات ضد القوات الجوية المصرية لوضعها خارج المعركة والحد من فاعليتها. وبذلك أصبحت محاور إمداد القوات المصرية مهددة.

كما أصبحت حركة القوات مقيدة وأمكن بذلك عزل قوات مصرية كبيرة وحرمانها من الاشتراك في المعركة. وفي الوقت ذاته انطلقت قوات إسرائيلية للسيطرة على التلال التي لم يتم يحتلها المصريون في منطقة بيت جبرين، وفي صباح **يوم** ١٠/١٦ وعلى الرغم من عدم حدوث اشتباك قوي مع القوات المصرية، فإن محاور تحرك القوات المصرية أصبحت مقطوعة في الشمال ومهددة في الغرب، ثم انطلقت القوات المدرعة والميكانيكية الإسرائيلية نحو عراق المنشية والتل القديم، ودارت المعركة مع المدفعية، واستطاع المصريون تدمير عدد من الدبابات فاضطرت المشاة الإسرائيلية إلى الانسحاب. واستمر الصراع بعد ذلك حول الدفاعات المصرية عند التلال المختلفة. وفي ليل ١٦ – ١٧ استطاع الإسرائيليون اقتحام بعض المواقع والاشتباك مع المصريين بقتال عنيف والاشتباك بالأيدي وفي صراع جسم لجسم وأمكن للإسرائيليين في النهاية السيطرة على المرتفع ١١٣ مع عدد من المرتفعات الأخرى. وخلال هجوم هذه الليلة كانت قوات إسرائيلية أخرى تهاجم التلال جنوب غرب القدس لتدمير الجناح الأيمن المصري. وفي **يوم ١٠/١٧ قام المصريون بهجوم** مضاد قوي وحاسم بهدف إعادة الاتصال بين المجدل ومنطقة الفالوجه، واستطاع الإسرائيليون مقاومة الهجوم المصري وإحباطه بفضل تفوقهم في التسلح. وخلال اليومين التاليين، وبينما كانت القوات المصرية تعزز مواقعها عند عراق سويدان وحتى عراق المنشية، وهي المنطقة التي عرفت باسم جيب الفالوجة، كانت القوات الإسرائيلية قد نجحت في احتلال الحليقات في ليل **١٩ –٢٠ تشرين**، وأصبح بإمكان القوات

الإسرائيلية التدفق نحو الجنوب الذي بقي معزولاً عن الشمال منذ **كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٧م**.

وحشدت إسرائيل في هذه المنطقة قوة لواء للمحافظة على الاتصال بين النقب وشمال إسرائيل. أمام هذا الموقف اضطرت القوات المصرية إلى إخلاء منطقة المجدل بعد أن أصبحت محاورها مهددة. وتابعت القوات الإسرائيلية هجماتها لتضييق الحصار على المصريين واقتطاع أجزاء جديدة والسيطرة على بيت لحم. وعندما سقطت عراق سويدان في قبضة القوات الإسرائيلية **يوم تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨م** كان جيب المقاومة المصرية قد فقد في الواقع أقوى نقطة يمكنه الاستناد إليها.

ب – عملية عين Ayin:

أصبحت أوضاع القوات المصرية بعد تدهور الموقف تعتمد على التنظيم دفاعياً. بحيث يستند الجناح الأيسر على الطريق الساحلي بعد غزة، في حين يستند الجناح الأيمن إلى طريق العوجه – الخليل حتى بئر العسلوح جنوب غرب بئر السبع. وكانت أجنحة القوات المصرية تلتقي عند محور طريق رفح - العوجه. والذي يمر جزئياً في الحدود المصرية، ويتفرع عنه بعد ذلك وإلى مسافة جنوبي الطريق الذي يصل العريش بأبي عجيله. وعلاوة على ذلك فقد كانت هناك القوات المعزولة في جيب الفالوجة، وعلى الرغم من أن موقف القوات المصرية لم يعد يسمح بممارسة أعمال هجومية، إلا أن قوات الجيش المصري بقيت محافظة على مواقع جيدة.

وقد وضعت إسرائيل مخططها للهجوم على القوات المصرية بطريقة تشابه مخطط **هجوم اللنبي** (١٩١٧)، وتتخلص في دفع القوات المصرية من الجنوب، والضغط عليها، مع توجيه الضربة القوية إليها من الشمال، مع تجميد أكبر قوة مصرية في القطاع الغربي، ثم العمل على تدمير الجناح الأيمن المصري أو إرغامه على الانسحاب، وفي **يوم ٢٢ كانون الأول**

(ديسمبر) ١٩٤٨ قامت القوات الجوية الإسرائيلية بهجمات مركزة على المواقع المصرية في رفح وغزة وخان يونس، ثم فتحت النيران لتدمير المدفعية المصرية على امتداد الجبهة. وفي الليلة ذاتها احتلت القوات الإسرائيلية المرتفعات التي لا تبعد أكثر من ثمانية أميال جنوبي غزة، مهددة بقطع محور طريق رفح – غزة، فقامت القيادة المصرية بتنظيم هجوم مضاد قوي مع تعزيز مواقعها في مواجهة القوات الإسرائيلية التي أخذت تهدد منطقة رفح – غزة. وعلى الرغم من نجاح المصريين في طرد القوات الإسرائيلية من المرتفع ٨٦، بعد قتال ضار، إلا أن هذه العملية كانت خداعية بحيث استطاع الهجوم الإسرائيلي من القطاع الشرقي تحقيق المباغتة التامة واضطرت القوات المصرية التراجع عن طريق بئر السبع - العوجة، وإخلاء العوجة ذاتها واستخدمت القوات الإسرائيلية طريقاً رومانياً قديماً يصل إلى ما وراء العوجة، وبذلك أمكن لها تحقيق المباغتة العملياتية. وبهذه الطريقة أصبحت لدى القيادة الإسرائيلية الورقة السياسية التي تستطيع أن تساوم بها لابتزاز مواقف تدعم من مكانة إسرائيل فوق الأرض العربية المحتلة، وأصبح بإمكانها التصرف بحرية للوصول إلى خليج العقبة وأيلات.

جـ – عملية احتلال الجليل أو عملية حيرام:

بعد انسحاب جيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي إلى الجليل الأعلى انتشر على شكل مستطيل يحتل جبهة طولها ١٥ كم وعمقها ١٠ كم، وعندما اشتدت هجمات القوات الإسرائيلية على القوات المصرية، قرر القاوقجي القيام بعملية هجوم على المنارة (فوق وادي الحولة، وعلى ارتفاع ٢٥٠٠ قدم عن سطح البحر). ولكن إسرائيل طبقت أسلوب العمل على الخطوط الداخلية، ووضعت خطتها على أساس عزل جيش الإنقاذ عن قاعدة تموينية في لبنان، والقيام بهجمات خداعية على قوات القاوقجي لمنع التعاون فيما بينها، وتوجيه ضربة رئيسية إلى أحد الألوية والانتقال بعد ذلك إلى الألوية الأخرى. وفي

ليل ٢٨ تشرين الأول (أكتوبر) بدأت العملية التي يطلق عليها الإسرائيليون اسم عملية حيرام، وعلى الرغم من المقاومة الضارية والقتال العنيد فقد نجحت القوات الإسرائيلية في احتلال الجليل الأعلى، وإخراج جيش الإنقاذ من فلسطين[١].

كان الموقف على الجبهات العربية سيئاً نتيجة لتمزق الجبهات. وبدأت معها ظهور مشكلة اللاجئين العرب. فقد قدر عدد المهاجرين بسبعمئة ألف، تجاوز منهم ٢٥٠ألف حدود فلسطين، وتشرد الباقون في المدن والقرى التي كانت لا تزال آمنة.

خلال هذه الفترة، كانت الجهود الدولية تبذل لإيقاف الصراع على الجبهة المصرية. وفي يوم **٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٨**، أصدرت القيادات أوامرها بإيقاف إطلاق النيران لجميع القوات اعتباراً من ظهر اليوم نفسه، ولكن القوات الإسرائيلية لم تلتزم أيضاً بهذا القرار فعملت ثلاث قطع بحرية إسرائيلية على إغراق السفينة المصرية (فاروق) **يوم ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٨**، ولمّا يمض على إيقاف إطلاق النار أكثر من ساعات قليلة. كما قامت بعملية حيرام ضد جيش الإنقاذ المذكورة آنفاً. وبالإضافة إلى هذه العملية، فقد قام الإسرائيليون بعد وقف القتال – في الفترة الواقعة بين **تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨ وكانون الثاني (يناير) ١٩٤٩** – بعملية اتجهت من بئر السبع لاحتلال النقب والوصول إلى خليج العقبة، بغية فتح منفذ حيوي على البحر الأحمر، وانتهت العملية بالوصول إلى قرية أم الرشراش المصرية، التي غدت فيما بعد ميناء «إيلات».

وكان الكونت برنادوت خلال القتال الذي دار بعد بدء الهدنة الثانية يتابع بذل جهوده ومساعيه لوضع حل يقبل به الطرفان أساساً للتسوية.

---

(١) الموسوعة العسكرية – إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٦٣.

وعندما تأكد استحالة قبول العرب لأي حل ينطوي على تقسيم فلسطين، واستحالة موافقة اليهود على أي اقتراح لا يعترف بدولتهم في فلسطين، أعد مقترحات جديدة فيها تقرير مفصل من مدينة القدس في يوم **١٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٨**. ولكن لم تمض سوى ساعات على إرسال تقريره حتى اغتاله اليهود بحجة محاباته للعرب. وعندما نشر تقريره يوم **٢٠ أيلول (سبتمبر)** اتضح أنه اقتراح تنفيذ تقسيم فلسطين إلى دولتين إحداهما عربية والأخرى يهودية يجري تحديدهما وفق قرار الأمم المتحدة مع عدد من التعديلات (انظر برنادوت). واستمر الصراع السياسي بعد ذلك حتى انتهى الأمر بعقد اتفاقيات هدنة مؤقتة في (رودس)، (انظر رودس «اتفاقيات»).

كانت عمليات المرحلة الأولى من الحرب العربية – الإسرائيلية الأولى ناجحة. وعلى الرغم من جميع المعوقات والظروف غير المتكافئة فقد حارب فيها العرب هجومياً، في حين قاتل اليهود دفاعياً. وتميزت المرحلة الثانية بوقوف العرب دفاعياً وانتقال اليهود للعمل هجومياً على الخطوط الداخلية، والانتقال من جبهة إلى جبهة بحرية تامة مع ترك ستارة وقائية على الجبهات التي يتم الدفاع عنها. وقد ركزت القوات الإسرائيلية ضرباتها ضد الجيش المصري، واستطاعت حصاره في الفالوجا (انظر الفالوجا)، واستطاعت تنفيذ مناوراتها بنجاح نتيجة لتشكيلها قوة لوائين مدرعين ولواء مشاة محمولة. وخاضت القوات العربية خلال هذه المرحلة معارك ضارية. ولكن القيود التي فرضتها القيادات السياسية أعاقت مسيرة الأعمال القتالية، كما أن النقص في التسلح والإمداد بالذخائر كان لهما الدور الحاسم في إعاقة الأعمال القتالية. وفي جميع الأحوال، فقد هيمن الطابع السياسي على الصراع العربي الإسرائيلي الأول، بحيث طغت النتائج السياسية للصراع على دور الأعمال القتالية وحجبتها بصورة شبه تامة.

ولقد كان من نتيجة هذه الحرب ضياع جزء من فلسطين تفوق مساحته القسم المخصص لإنشاء الدولة اليهودية في قرار التقسيم. وترسيخ

أقدام إسرائيل في قلب الوطن العربي. وتحولها إلى قاعدة استعمارية أعاقت تطور العالم العربي ووحدته، وجعلت الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط قلقاً وقابلاً للانفجار. وأدت هزيمة الأنظمة والجيوش العربية في هذه الحرب إلى تصاعد النقمة الجماهيرية، واندلاع الثورات والانقلابات للإطاحة بأسباب الهزيمة كمدخل للتحرير.

الفَصْلُ الثَّانِي

عدوان حزيران حرب عام (١٩٦٧)م

خرجت مصر من حرب ١٩٥٦ منتصرة سياسياً، وتمثل انتصارها في اضطرار بريطانيا وفرنسا إلى الانسحاب من بور سعيد دون أن يحققا غرضهما الرئيسي من الحرب وهو إلغاء تأميم قناة السويس، واضطرار إسرائيل إلى انسحاب من شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة دون أن تحقق أية نتيجة سياسية من وراء عدوانها، باستثناء ضمان الولايات المتحدة لها حرية الملاحة في خليج العقبة، عن طريق وجود قوات الطوارئ الدولية في «شرم الشيخ» و«رأس نصراني» عند مضائق تيران بعد انسحاب القوات الإسرائيلية منها في **العام ١٩٥٧**.

كانت هذه المرة هي المرة الأولى التي لا تحقق فيها الحرب نتيجة حاسمة للطرف المنتصر عسكرياً. ويرجع ذلك إلى وجود ظرف دولي جديد متمثل في توازن القوى بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة، أصبح من الممكن له أن يؤثر في نتائج الحروب المحلية التي تخوضها دول صغرى يعتدى عليها من دول أقوى منها، متى استمرت إرادة الصمود السياسي لدى الدولة الصغرى المعتدى عليها على الرّغم من خسارتها للجولة العسكرية. واستطاعت القيادة السياسية المصرية، ممثلة في زعامة الرئيس جمال عبد الناصر، أن توظف هذه النتيجة السياسية الباهرة في خدمة أهدافها القومية التحررية في المنطقة العربية بصفة خاصة وفي العالم الثالث بصفة عامة.

وبهذا أصبحت نتائج حرب السويس **١٩٥٦** نقطة تحول كبرى في نضال الشعوب ضد السيطرة الاستعمارية.

أولاً - العوامل غير المباشرة للحرب:

كانت أبرز النتائج غير المباشرة لحرب ١٩٥٦ في المنطقة العربية تصاعد المد الثوري الوطني ضد الإمبريالية الذي صاحبه تزايد في الشعور القومي العربي، وأدى ذلك إلى قيام الوحدة المصرية – السورية (١٩٥٨) ونجاح ثورة العراق في ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨، وانتصار الثورة الجزائرية (١٩٦٢)، والثورة في اليمن في العام نفسه، ومن ثم احتدمت التناقضات بين حركة التحرر الوطني العربي، التي كانت مصر تمثل قيادتها الفكرية، وبين الإمبريالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة، بالإضافة إلى إسرائيل التي أصبحت تشعر بتزايد الخطر على جوهر كيانها وأطماعها الصهيونية التوسعية إزاء تنامي قوة حركة التحرر الوطني العربي.

وفي الوقت نفسه كانت القوة العسكرية المصرية والسورية تتزايد كمّاً ونوعاً، ففي **العام ١٩٦٠** تقريباً كان قد تم إعادة تسليح وتنظيم وتدريب الجيش المصري وفقاً للنمط السوفياتي، وأثبت في تشكيله الجديد كفاءة واضحة حين تحركت منه قوة مؤلفة من فرقتي مشاة وفرقة مدرعة **خلال شهر شباط (فبراير) ١٩٦٠** إلى سيناء لدعم سورية (التي كانت وقتئذ جزءاً من الجمهورية العربية المتحدة) أثناء معركة «التوافيق» الواقعة قرب بحيرة «طبريا».

وكان لا بد لإسرائيل أن تسعى بسرعة لضرب هذه القوة العسكرية العربية المتعاظمة والتي باتت تهدد قوتها العسكرية، وخاصة وأن الشعب الفلسطيني بدأ يمارس دوره النضالي منذ بداية **عام ١٩٦٥** من خلال منظماته الثورية، وممارسة دوره السياسي من خلال منظمة التحرير التي تشكلت في أيلول (سبتمبر) **١٩٦٤**، وبدأت في تنظيم جيش التحرير الفلسطيني.

وبقدر ما كانت هذه القوة العسكرية والسياسية العربية تثير قلق إسرائيل، فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية منزعجة للغاية من الوجود العسكري والسياسي المصري في اليمن الذي بدا مهدداً لمصالحها البترولية والاستراتيجية في المنطقة، وذلك من التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية داخل مصر التي بدأت تتخذ مساراً غير رأسمالي منذ **العام ١٩٦١**، والتي صاحبها توثيق العلاقات مع الاتحاد السوفييتي والكتلة الاشتراكية بصفة عامة في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية. ولما فشلت الجهود الأمريكية المبذولة من أجل إجبار النظام المصري على التخلي عن سياسته العربية والداخلية عن طريق الضغوط الاقتصادية (قطع المعونات والقمح الخ)، والاستنزاف العسكري غير المباشر في اليمن، قررت الولايات المتحدة في بداية **١٩٦٧م** «ضرورة إسقاط عبد الناصر في مصر وعزل مصر عن بقية العالم العربي» كما قال الدبلوماسي الأمريكي «دافيد نيس»، الذي كان يعمل وقتئذ في السفارة الأمريكية في القاهرة، وذلك في محاضرة له ألقاها بجامعة «كولورادو» في نيسان (إبريل) **١٩٦٧م**، بعد أن استقال من وظيفته احتجاجاً على السياسة الأمريكية المذكورة. ولهذا قامت أجهزة وكالة المخابرات المركزية الأميركية بدراسة خطة الهجوم الإسرائيلي المعدة من قبل بخطوطها العامة، واختبرتها في العقل الإلكتروني «الكومبيوتر» على ضوء تقديرات ميزان القوى وتقارير قياس القدرات القتالية الفعلية، وذلك خلال شهر كانون الثاني (يناير) **١٩٦٧م**.

وهكذا تلاقت مصلحة كل من الولايات المتحدة وإسرائيل في اجتذاب مصر إلى حرب مدبرة يتم فيها تدمير جيشها وإسقاط نظامها السياسي، ومن ثم تحطيم الجيش السوري أيضاً والاستيلاء على الجولان واحتلال الضفة الغربية لنهر الأردن التي تشكل نتوءاً خطيراً داخل الأرض المحتلة في فلسطين منذ **العام ١٩٤٨**. وبدأ التخطيط الدقيق لاستدراج مصر إلى هذه الحرب في توقيت لا يناسبها، خاصة وأن قواتها كانت منشغلة بحرب اليمن.

وكانت بداية تنفيذ المخطط الإسرائيلي – الأمريكي في أوائل نيسان (إبريل) **١٩٦٧م**، حين بدأت إسرائيل سلسلة من الانتهاكات لاتفاقية الهدنة مع سورية، وذلك بتوسيع المناطق الزراعية التابعة لها في المنطقة المنزوعة السلاح شرقي بحيرة طبريا، على حساب الأراضي التي يملكها المزارعون السوريون. وأدى الرد السوري **في** ٧ **نيسان (إبريل)** على هذا الانتهاك المعتمد إلى نشوب قتال بالمدفعية والطيران أسفر عن إسقاط (٦) طائرات ميغ (٢١) سورية. ثم بدأت إثر ذلك سلسلة من التهديدات الإسرائيلية لسورية. وتمت في الوقت نفسه بعض التحركات العسكرية قرب الحدود السورية توحي بأن هناك حشوداً ضخمة، مع إنكار وجود مثل هذه الحشود لمراقبي الهدنة التابعين للأمم المتحدة.

ولما كانت مصر تربطها بسورية معاهدة دفاع مشترك، عقدت في **١٩٦٦/١١/٤**، فقد كان من الطبيعي أن تتضامن مصر مع سورية في مواجهة التهديدات الإسرائيلية الصريحة لها بالحرب، والتي جسدتها معركة **١٩٦٧/٤/٧م** الجوية، خاصة وأن إسرائيل تعمدت استفزاز قيادتها السياسية في صميم شعورها بمسؤوليتها القومية عندما كررت التهديدات العسكرية لسورية، وأوضحت أن مصر لن تستطيع التدخل لصالح سورية لأنها ضعيفة نتيجة تورطها في اليمن. كما تلقت القيادة السياسية **المصرية يوم ١٣أيار (مايو)** معلومات من الاتحاد السوفييتي تفيد بوجود حشود إسرائيلية قوية عند الحدود السورية قدرت بنحو ١١ – ١٣ لواء، ولذلك أعلنت حالة الاستعداد القصوى داخل القوات المسلحة في الساعة ١٤,٣٠ **من بعد ظهر يوم ١٤ أيار (مايو)**، وبدأت عملية تحريك واسعة النطاق لقوات القيادة الشرقية الموجودة في منطقة القناة نحو سيناء وكذلك قوات الاحتياطي الاستراتيجي قرب القاهرة، التي تعمدت أن تكون تحركاتها بصورة بالغة العلنية كإعلان بأن مصر ستخوض الحرب إذا ما نفذت إسرائيل تهديداتها ضد سورية. وهكذا بدأ استدراج مصر وسورية إلى **حرب ١٩٦٧م**، التي كانت القيادة

العسكرية الإسرائيلية تستعد لها بجدية كاملة منذ اضطرارها إلى سحب قواتها من سيناء وقطاع غزة في **العام ١٩٥٧** دون أن تحقق أي هدف سياسي جوهري من وراء مغامرتها العسكرية المشتركة مع بريطانيا وفرنسا. وهكذا كان تصرف إسرائيل في خطوطه العريضة مخططاً ومدروساً، على حين كانت ردود أفعال مصر غير مدروسة أو مخطط لها بدقة. وإن كانت نابعة من موقف قومي مبدئي.

ثانياً - الأحداث السابقة للحرب:

بدأت القيادة العسكرية المصرية تحرك قواتها الرئيسية عبر شوارع القاهرة **يوم ١٥/٥/١٩٦٧م**، عقب عودة الفريق محمد فوزي رئيس الأركان من زيارته السريعة إلى دمشق في اليوم السابق لتنسيق الخطط والمواقف العسكرية مع القيادة السورية. **وفي يوم ١٦/٥** أرسلت القيادة المصرية رسالة إلى الجنرال «ريكي» قائد قوات الطوارئ الدولية (وكانت تضم وقتئذ (٩٧٨) جندياً هندياً و(٨٠٠) كندي و(٥٨٠) يوغسلافياً و(٥٢٨) سويدياً و(٤٣٢) برازيلياً و(٧٢) نرويجياً و(٣) دنماركيين) تطلب منه فيها تجميع قواته في قطاع غزة وإخلاء مواقعه في «الكونتلا» و«الصبحة» و«شرم الشيخ» لتتجنب وقوع خسائر بها إذا ما نشب القتال. ورفض «ريكي» الاستجابة لهذا الطلب نظراً لأنه يتلقى أوامره من السكرتير العام للأمم المتحدة[1]. وفي الليلة نفسها دفعت إسرائيل بقوة مؤلفة من وحدة دبابات و٣ كتائب مشاة ميكانيكية إلى مقابل قطاع غزة إثر إذاعة نبأ الرسالة المصرية. **وفي ١٨/٥** أرسل «يوثانت»، سكرتير الأمم المتحدة، إلى إسرائيل يسألها إذا كانت تقبل وجود

---

(١) جيهان الطاهري وأهرون بريغمان، العرب والكيان الصهيوني (حرب الخمسين عاماً)، ترجمة هشام حداد، إصدار مركز الدراسات العسكرية، دمشق، ط١ عام ٢٠٠٠م، ص٧٨.

قوات الطوارئ الدولية على الجانب الذي تسيطر عليه من الحدود، إلا أنها رفضت اقتراحه هذا. وإثر ذلك أمر «يوثانت» الجنرال «ريكي» بتجميع قواته في قطاع غزة. **وفي يوم ٥/١٩** انسحبت قوات الطوارئ الدولية من «رأس نصارني» إلى «شرم الشيخ» حيث بقيت هناك حتى **يوم ٥/٢٣** ثم انسحبت نهائياً من المنطقة[١].

وفي يوم ٥/١٩ أيضاً وصلت إلى «شرم الشيخ» وحدة من المظليين المصريين لتحل محل القوات الدولية. وفي يوم ٥/٢٠ زار المشير عبد الحكيم عامر شبه جزيرة سيناء وتفقد المراكز السابقة لقوات الطوارئ على الحدود، وفي اليوم نفسه تمت المرحلة الأولى من التعبئة العامة في إسرائيل، وشرعت القيادة المصرية في استدعاء قوات الاحتياط. وفي **يوم ٥/٢١** قدر عدد القوات المصرية في سيناء بنحو ٨٠ ألف جندي مقابل ٣٠ ألف جندي إسرائيلي في صحراء النقب والمنطقة المواجهة لقطاع غزة. **وفي ٥/٢٣** أعلن الرئيس «جمال عبد الناصر» إغلاق مضائق تيران في وجه الملاحة الإسرائيلية. وفي **٥/٢٤** وصلت مصر وحدات عسكرية كويتية وجزائرية وسودانية وأعلنت الأردن أنها استكملت تعبئة قواتها وأن قوات سعودية ستصل إليها لدعمها. وفي اليوم نفسه وصل «يوثانت» إلى القاهرة وأجرى مباحثات مع الرئيس عبد الناصر لتخفيف حدة التوتر في المنطقة، وقد أخبره عبد الناصر أنه لن يكون البادئ بالحرب وأن على إسرائيل أن تنفذ شروط اتفاقية الهدنة المعقودة في **العام ١٩٤٩** وتخلي المناطق المنزوعة السلاح المتفق عليها وفقاً لهذه الاتفاقية مثل «العوجة»، وأن تنفذ القرارات الدولية المتعلقة بمشكلة اللاجئين الفلسطينيين. وأعلن رئيس وزراء إسرائيل «ليفي أشكول» في اليوم نفسه أن إغلاق المضائق يعتبر عملاً عدوانياً ضد إسرائيل.

---

(١) جيهان الطاهري وأهرون بريغمان، العرب والكيان الصهيوني (حرب الخمسين عاماً)، ترجمة هشام حداد، إصدار مركز الدراسات العسكرية، دمشق، ط١ عام ٢٠٠٠م، ص٧٦.

وفي ٥/٢٥ اجتمع وزير الخارجية الإسرائيلي «ابا إيبان» بالرئيس الأمريكي «جونسون» الذي أرسل في اليوم نفسه رسالة إلى الرئيس «عبد الناصر» يطلب منه فيها عدم البدء بالقتال وضبط النفس حتى لا تعرقل مساعي الولايات المتحدة لتحقيق السلام في المنطقة، كما أرسل في الوقت نفسه رسالة إلى الاتحاد السوفييتي يعرض عليه فيها الاشتراك مع الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا في تشكيل قوة بحرية مشتركة لرفع الحصار عن مضائق تيران. ولكن الاتحاد السوفييتي رفض هـذا العرض وأرسل «كوسيغين»، رئيس الوزراء السوفييتي، برقية إلى الرئيس عبد الناصر يحذره فيها من نوايا الولايات المتحدة المذكورة. وفي اليوم نفسه سافر وزير الحربية المصري «شمس بدران» إلى موسكو لإجراء محادثات حول الموقف في المنطقة، وطلب أسلحة ومعدات جديدة ، وغادر «يوثانت» القاهرة دون التوصل إلى أمر محدد بشأن الأزمة. **وفي فجر يوم ٥/٢٦** أبلغ السفير السوفييتي في القاهرة الرئيس «عبد الناصر» رسالة من القادة السوفييت يطلبون فيها منه ألا يبدأ عمليات حربية ضد إسرائيل، كما أرسلوا رسالة إلى «ليفي أشكول» في إسرائيل بنفس المعنى. والواقع أن الرئيس عبد الناصر كان مستقراً على قرار عدم بدء الحرب بحكم أنه كان يعتقد أن إظهار نوايا مصر الجدية بالتدخل العسكري ضد إسرائيل في حالة عدوانها على سورية كفيل بردعها، كما أنه قصد من وراء تحركه العسكري في سيناء إنهاء آخر **أثر من آثار حرب ١٩٥٦**، وهو استعادة سيطرة مصر الكاملة على مضائق تيران وعلى المنطقة المنزوعة السلاح على طول الحدود الفلسطينية البالغ عرضها نحو ١٠ كلم. وقد أكد ليوثانت، **في يوم ٥/٢٤**، أنه لن يبدأ حرباً ضد إسرائيل.

وكانت الإستراتيجية المصرية (والسورية أيضاً) في مواجهة إسرائيل إستراتيجية دفاعية في الأساس، استمراراً لما كان متبعاً بالفعل **منذ انتهاء حرب ١٩٤٨** من قبل دول المواجهة العربية كلها، من حيث محاولة تجميد

الأمر الواقع الإسرائيلية والحيلولة دون مزيد من التوسعات الإقليمية له، نظراً لأن الظروف الدولية وأوضاع موازين القوى العسكرية المحلية لم تكن تسمح للدول العربية بغير ذلك. والواقع أن مصر قررت تلقي الضربة الأولى وامتصاصها والانتقال بعد ذلك إلى الهجوم لتحقيق مكاسب محدودة، تتمثل في احتلال المناطق التي استولت عليها إسرائيل **بعد هدنة ١٩٤٧**. ولقد انعكست هذه الإستراتيجية على توزيع القوات المصرية في سيناء عشية بدء القتال.

وفي ٥/٣٠ طار الملك «حسين» إلى القاهرة ووقع مع الرئيس «عبد الناصر» معاهدة دفاع مشترك ووضع قواته المسلحة تحت قيادة الفريق «عبد المنعم رياض»، الذي وصل إلى عمان بعد ذلك **يوم ٦/١** لتولي مهام قيادته الجديدة، والتي كان من المفروض أن تلحق بها القوات العراقية التي ستصل إلى الأردن. وفي اليوم نفسه قبل «ليفي أشكول» ضغوط المؤسسة العسكرية الإسرائيلية عليه وعين الجنرال «موشى ديان» وزيراً للدفاع، وكان هذا نذيراً واضحاً بقرب بدء الحرب من جانب إسرائيل. ولذلك عقد الرئيس «عبد الناصر» اجتماعاً موسعاً مع كبار القادة **العسكريين يوم ٦/٢** وقال فيه أن احتمال الحرب أصبح مؤكداً بنسبة ١٠٠% وأنه يتوقع هجوماً جوياً إسرائيلياً مفاجئاً على القواعد الجوية، كما فعل السلاح الجوي البريطاني عام ١٩٥٦، وقال أن ذلك الهجوم قد يقع يوم **٤ أو ٥ حزيران (يونيو)** على الأكثر. إلا أن الفريق أول «محمد صدقي محمود»، قائد السلاح الجوي المصري، الذي كان حاضراً الاجتماع لم يأخذ توقعات الرئيس مأخذ الجد، ولم يبلغ قيادة الدفاع الجوي أو قادة القواعد والتشكيلات الجوية بأي تحذير من مثل هذا الهجوم المحتمل.

ثالثاً - ميزان القوى العسكرية عشية بدء الحرب:

كانت القوات المصرية المسلحة تقدر قبيل **حرب ١٩٦٧م** بنحو ١٩٠ ألف رجل، منهم نحو ١٦٠ ألف جندي في القوات البرية، لديهم نحو ١٠٠٠

دبابة من أنواع «ستالين ٣» و«ت ٣٤» و«ت ٥٤» و«ت ٥٥»، فضلاً عن نحو ٣٠ دبابة «سنتوريون» و٢٠ «أم أكس – ١٣» وبعض الدبابات البرمائية الخفيفة «ب ت – ٧٦»، وحوالي ١٥٠ مدفعاً ذاتي الحركة «س يو – ١٠٠» و«س يو – ١٥٢»، ونحو ١١٦٠ ناقلة جنود مدرعة من أنواع «ب ت ر – ٤٠» و«ب ت ر – ١٥٢» و«ب ت ر – ٥٠ ب»، بالإضافة لنحو ١٠٠٠ مدفع من عيار ١٢٢ مم و١٣٠ مم وقواذف متعددة البسطانات لصواريخ «كاتيوشا» ذات عيارات مختلفة، ومئات من المدافع المضادة للدبابات عيار ٥٧ مم و٨٥ مم و١٠٠ مم و١٠٧ مم عديم الارتداد و٨٢ مم عديم الارتداد، وصواريخ «سنابر» الموجهة ضد الدبابات، وهاونات ثقيلة عيار ١٢٠مم و١٦٠ مم، ومئات من المدافع المضادة للطائرات عيار ٣٧ مم و٥٧ مم و٨٥ مم و١٠٠ مم فضلاً عن نحو ١٢٠ صاروخ «سام ٢». أما القوات الجوية المصرية فكان لديها نحو ١٢٠ مقاتلة «ميغ ٢١» و٤٠ «ميغ ١٩» و١٨٠ «ميغ ١٧ و ١٥»، و٢٠ مقاتلة قاذفة «سوخوي ٧» و٣٠ قاذفة قنابل متوسطة «ت يو – ١٦» و٤٠ قاذفة قنابل خفيفة «اليوشين ٢٨»، فضلاً عن نحو ٦٠ طائرة هيلكوبتير «مى ٢» و«مى ٤» و«مى ٦»، ونحو ٩٠ طائرة نقل «اليوشين ١٤» و«انيتنوف – ١٢»[(١)].

وكانت القوات البحرية المصرية تضم ٦ مدمرات (٤ منها سوفييتية من طراز «سكوري» و٢ بريطانيتان) و١٢ غواصة (سوفييتية الصنع) و١٨ زورق صواريخ (سوفييتية الصنع «كومار» و«أوسا») و١٢ زورق مضاد للغواصات (سوفييتية الصنع) و٤٣ زورق طوبيد (سوفييتية الصنع ويوغسلافية). وكانت القوات السورية المسلحة تألف من نحو ٧٠ ألف جندي (فضلاً عن ٤٠ ألفاً آخرين من الاحتياطي) وتضم القوات البرية نحو ٦٠ ألف جندي من

---

(١) الموسوعة العسكرية – إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٧٣.

هذه القوات، ولديها نحو ٥٥٠ دبابة ونحو ٥٠٠ ناقلة جنود مدرعة (وكلها أنواع سوفييتية) بالإضافة لعدة مئات من قطع المدفعية بمختلف أنواعها (ميدانية وم/د وم/ط وكلها سوفييتية الصنع). أما القوات الجوية السورية فكانت تضم نحو ١٢٠ طائرة حربية منها حوالي ٢٠ «ميغ ٢١» و٢٠ «ميغ ١٩» و٦٠«ميغ ١٧» و٦ قاذفات «اليوشين ٢٨» وعدد قليل من طائرات الهيلوكبتر والنقل والتدريب. أما القوة البحرية السورية فكانت تضم ٤ زوارق صواريخ «كومار» و ٣ زوارق طوربيد وكاسحتي الغام وبعض زوارق الحراسة الساحلية. وكان الأردن يملك نحو ٥٦ ألف جندي لديهم ١٧٦دبابة «باتون» ونحو ٧٠دبابة «سنتوريون» وحوالي ٢٥٠ ناقلة جنود مدرعة ونحو ١٥٠ مدفعاً من عيار ٢٥ رطل و١٥٥ مم، وقوة جوية تضم ٢٢ طائرة مقاتلة من طراز «هوكر هنتر» و ٦طائرات نقل و٣ طائرات هيكوبتر.

وفي المقابل كان الجيش الإسرائيلي يضم نحو ٢٦٠ ألف جندي (عند استكمال التعبئة العامة) لديهم عدداً يتراوح بين ١٢٠٠ و ١٤٠٠ دبابة من أنواع «سنتوريون» و«باتون م - ٤٨» و«أم أكس - ١٣» و«سوبر شيرمان»، وعدة من ناقلات الجنود المدرعة «م - ٢» و«م - ٣»، فضلاً عن عدة مئات من المدافع المختلفة الأنواع من عيار ٢٥ رطل و١٠٥مم و١٥٥مم الميدانية والهاوتزر والهاونات الثقيلة ١٢٠مم و١٦٠مم، و٥٧مم و١٧رطل و١٠٦ عديمة الارتداد و٩٠مم وكلها مضادة للدبابات، و٢٠مم و٣٠مم و٤٠مم المضادة للطائرات، فضلاً عن نحو ٥٠صاروخ أرض - جو من طراز «هوك». أما القوات الجوية الإسرائيلية فكانت تضم نحو ٩٢ طائرة «ميراج ٣سي» و٢٤«سوبر ميستير» و٥٠«ميستير ٤» و٢٥«فوتور ٢» و٤٨ «أوراغان» و٦٠«فوغا ماجستير»ن أي ما مجموعه نحو ٣٠٠طائرة حربية فضلاً عن نحو ٤٠ طائرة نقل و٢٥ طائرة هلكوبتر. وكانت البحرية الإسرائيلية تتألف من ٣ مدمرات وفرقاطة مضادة للغواصات وغواصتين وسفينتي حراسة ساحليتين و١٢ زورق طوربيد.

استنتاجات وعبر:

ولقد كانت القدرات التقنية والتكتيكية لأسلحة الطرفين، سواء في الدبابات أم في الطائرات، متقاربة ومتوازنة في جملتها، ولا تحقق لأي منهما بالنسبة للآخر تفوقاً تقنياً مطلقاً، وإنما كان الأمر يتوقف في نهاية الأمر على كفاءة استخدام هذه الأسلحة والمعدات على المستوى التكتيكي والعملياتي وضمن خطة إستراتيجية ملائمة، ووفقاً لمدى ارتفاع مستوى التدريب والقيادة والخدمات الإدارية والفنية المتاحة لكل طرف. وباختصار نستطيع القول إنَّ جوهر التفوق العسكري الإسرائيلي في حرب ١٩٦٧م لم يكن كامناً في حجم ونوعية السلاح، وإنما كان مرتكزاً في الأساس في عنصر المقدرة التنظيمية والقيادية التي استطاعت أن توظف عناصر القوة البشرية والوضع الجغرافي – الاستراتيجي والقوة المادية والعسكرية والقيم المعنوية ضمن إستراتيجية هجومية، تعتمد على: المفاجأة وحرب الحركة الخاطفة، وتستفيد من حشد قواها في الماكن والزمان الذي يحقق لها تفوقاً كمياً في كل معركة على حدة في معظم الحالات.

رابعاً - الحرب على الجبهة المصرية:

أ – توزيع القوات المصرية: قبل ١٤أيار (مايو) ١٩٦٧م كانت القوات المصرية في سيناء وقطاع غزة تتألف من الفرقة ٢٠ الفلسطينية (في قطاع غزة) وفرقة المشاة الثانية المصرية موزعة على طول الحدود المصرية – الفلسطينية. وعقب حشد القوات الضخمة في سيناء أصبحت القوات المصرية على النحو التالي:

أولاً – الفرقة ٢٠ الفلسطينية (التابعة لجيش التحرير الفلسطيني) وكانت تتألف من لوائي مشاة وفوج مغاوير (صاعقة) تدعمها بعض بطاريات المدفعية عيار ٢٥رطل والمدافع ٥٧ مم م/د ونحو كتيبة دبابات «شيرمان».

ثانياً – فرقة المشاة السابعة في قطاع «رفح – العريش» وتتألف من ٤ألوية مشاة (لواءان في رفح ولواء في ممر خروبة ولواء في بير الحفن)

وفوج مدرع يضم نحو ١٠٠ دبابة «ت ٣٤» و«ستالين ٣» ومدافع «س يو ١٠٠» موزع بين «رفح» و «الشيخ زويد»، ولواء المدفعية المتمركز أساساً في «رفح»[١].

ثالثاً - فرقة المشاة الثانية في قطاع «أبو عجيلة - القسيمة» وتتألف من لوائي مشاة «أحدهما في أبوعجيلة والثاني في القسيمة) ولوائي مدفعية، وكانت بمثابة خط دفاعي ثان على المحور الأوسط.

رابعاً - فرقة المشاة الثالثة في قطاع (جيل لبنى - بير الحسنة)، على المحور الأوسط وكانت بمثابة خط دفاعي ثانٍ على المحور الأوسط.

خامساً - فرقة المشاة السادسة في قطاع «الكونتلا - الثمد - نخل»، على المحور الجنوبي، وتتألف من ٤ألوية مشاة محمولة وفوج مدرع ولواء مدفعية، وكانت تسيطر على الاقتراب المؤدية إلى جنوب صحراء النقب وميناء «إيلات» وتحمي طريق الاقتراب من «السويس» عبر «ممر متلا».

سادساً - وإلى الشمال الغربي من الفرقة السادسة كانت توجد مجموعة مدرعة تعرف بمجموعة «الشاذلي» المدرعة، وتتألف من لواء مدرع ولواء مغاوير ميكانيكي ولواء مدفعية، وهي معدة للهجوم، بالتعاون مع وحدات من الفرقة السادسة لقطع طريق «بئر السبع - إيلات».

سابعاً - الفرقة المدرعة الرابعة في قطاع «بير جفجافة - بير تماده»، وتتألف من لوائين مدرعين ولواء مشاة محمول ولواء مدفعية، وتشكل خط دفاع ثالث في العمق العملياتي قرب ممرى «جفجافة» و «الجدي» وتعد أيضاً كاحتياطي استراتيجي. كما كان يوجد لواء «مغاوير» في «رمانه» و«بالوظه» على المحور الشمالي، ولواء مشاة آخر في «جبل الطور» على الساحل الشرقي لخليج السويس، فضلاً عن قوة أخرى مؤلفة من كتيبتي مشاة

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٧٤.

في «شرم الشيخ» حلتا محل وحدة المظليين التي أمنت الموقع عند بدء إخلاء قوات الطوارئ الدولية.

ويبلغ العدد الإجمالي لهذه القوات نحو ٩٠ ألف جندي لديهم حوالي ٩٥٠ دبابة ومدفع ذاتي الحركة وقانص للدبابات ونحو ١٠٠٠مدفع، فضلاً عن نحو ١٠٠٠ ناقلة جنود مدرعة. إلا أن أكثر من ثلث هؤلاء الجنود كانوا من قوات الاحتياط التي استدعيت على عجل ولم يعاد تدريبها بصورة مرضية، ثم جرى دمجها داخل التشكيلات العاملة الأصلية في عديد من الفرق، مما أدى إلى إضعاف القدرة القتالية لهذه الفرق إلى حد كبير، كما أن عديداً من قادة التشكيلات نقلوا إليها أو عينوا عليها قبيل نشوب القتال بوقت قصير، مما جعلهم لا يعرفون حقيقة مستوى تشكيلاتهم القتالي ولا يعرفهم رجالهم في الوقت نفسه.

وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك نسبة لا تقل عن ٢٠% من مجموع الدبابات والقانصات غير صالحة للقتال عند بدء الهجوم الإسرائيلي، وكذلك حوالي ٢٥٠ ناقلة جنود مدرعة، ونحو ٢٥% من المدافع، وذلك بسبب الأعطال الميكانيكية والفنية الناتجة عن كثرة الحركة وطول المسافات التي قطعتها الوحدات خلال الفترة السابقة لنشوب القتال، ولنقص قطع الغيار المترتب على اضطراب نظام الإمداد والتموين والشؤون الإدارية بصفة عامة نتيجة لسرعة وفجائية حشد القوات. وعموماً كان عديد من التشكيلات يعاني من نقص الوقود المؤزن والذخيرة واضطراب نظام الاتصالات والمواصلات نتيجة لسرعة التحرك، وكثرة تنقلات التشكيلات من مكان إلى آخر نتيجة للتعديلات العديدة التي كانت القيادة العامة تدخلها على الخطة الموضوعة. فمثلاً كانت مجموعة «الشاذلي» المدرعة موجودة قبل بدء الحرب بأيام قليلة في منطقة «الشيخ زويد» كقوة ضاربة احتياطية في عمق دفاعات الفرقة السابعة في رفح لتستخدم في الهجوم المعاكس بالقطاع الشمالي، ثم نقلت إلى الجنوب بالقرب من «الكونتلا» لشن هجوم معاكس يقطع طريق «بئر السبع –

إيلات»، ولذلك كانت معظم دباباتها وآلياتها مرهقة، وبعضها معطل عند نشوب القتال. كما أدت كثرة التنقلات إلى عدم توفر الوقت أو الاهتمام الكافيين من قبل قادة وضباط التشكيلات لدراسة طبيعية الأرض التي يقيمون فيها وإحكام الرقابة والسيطرة على الأجنحة وإجادة إعداد الاستحكامات اللازمة. هذا فضلاً عن سريان شعور كبير لديهم بأن العملية كلها ليست أكثر من مظاهر عسكرية ذات أهداف سياسية فحسب.

ويعكس توزيع القوات المصرية على النحو المذكور آنفاً اضطراباً وعدم وضوح في الخطة الإستراتيجية العامة، التي كان من المفترض فيها تحقيق القدرة على امتصاص الضربة الأولى وتقليل نتائجها إلى أقصى حد مستطاع، ثم الانتقال إلى هجوم مضاد فعال يزيل أية آثار للضربة الإسرائيلية الأولى، ويلحق خسائر كبيرة بالمهاجمين كافية لردعهم عن مواصلة العدوان والتوسع، والقبول بحدود ونتائج **حرب ١٩٤٨** على أقل تقدير. ذلك لأن الخط الدفاعي الأول كان محتشداً بقوات كبيرة نسبياً لاتملك وسائل هجومية كافية فمهمتها الأساسية هي الدفاع، ولا تستطيع في الوقت نفسه حماية أجنحتها المهددة بالالتفاف بكفاءة وسرعة، خاصة وإنها ليست لديها احتياطات مدرعة قوية في عمق دفاعاتها قادرة على الحركة السريعة المضادة لحركات الالتفاف، هذا فضلاً عن أن مواقعها الدفاعية المتقدمة لم تكن قوية بدرجة كافية للصمود في وجه هجمات المدرعات والمدفعية والطيران المكثفة (خاصة في «رفح» و«خان يونس» و«الكونتلا»)، كما أنها كانت متباعدة عن بعضها بدرجة كبيرة تسهل على العدو تحقيق اختراق بالمدرعات إلى العمق العملياتي، وقطع خطوط مواصلاتها وتطويق وتدمير كل موقع على حدة، دون أن يستطيع الموقع الآخر مساندته. وذلك مثلما كان حال مواقع الفرقة السابعة في «رفح» التي يفصلها نحو ٥٠ كلم عن موقع الفرقة الثانية في «أم قطف» و«أبو عجيلة» التي كانت شبه معزولة عن مواقع النصف الثاني من الفرقة في «القسيمة»، حيث كانت توجد قيادة الفرقة نفسها.

بالإضافة إلى أن القسم الرئيسي من القوات المدرعة، الذي كان موزعاً على مجموعة «الشاذلي» والفرقة المدرعة الرابعة، كان متحشداً في الواقع بعيداً للغاية عن القطاع الرئيسي للعمليات التي حشدت فيه القوات الإسرائيلية الأساسية في المنطقة الممتدة بين «أبو عجيلة» و«رفح»، ومن ثم كان تحريك هذه المدرعات لتشن هجمات مضادة فعالة يتطلب وقتاً طويلاً نسبياً، ويفترض وجود حماية جوية قوية. وكان الاعتماد على قوة فرقة المشاة الميكانيكية الثالثة في «جبل لبنى» و«بير الحسنة» وحدها في التصدي للاختراق المتوقع من جانب مدرعات ثلاث مجموعات ألوية إسرائيلية (مجموعات «تال» و«يوفه» و«**شارون**») في القطاعين الشمالي والأوسط البالغ عددها نحو ٧٠٠دبابة، لا يشكل حلاً ملائماً لمشكلة نقص القوى المدرعة في هذا القطاع، نظراً لعدم وجود أي تكافؤ في قوى الطرفين في هذه الحالة. والأرجح أن توزيع القوات المصرية على النحو الذي تم به لم يكن يستند إلى توفر معلومات دقيقة عن حشود العدو، والتي كانت تعكس الضرورة نواياه الهجومية، والاتجاهات الرئيسية المتوقعة، التي لم تكن في المحور الجنوبي على الإطلاق.

وكان حشد لواء مدرع مع «الشاذلي» شمال غرب «الكونتلا»، ولواء مدرع آخر مع الفرقة السادسة في «الكونتلا» و«التمد» للقيام بضربة ثانوية تعزل «إيلات» عن «بئر السبع»، وفي الوقت الذي تدور فيه رحى المعركة الرئيسية في الشمال وتتواجد فيه الفرقة المدرعة الرابعة بعيداً عنها في «بير جفجافة» و«بير تماده»، تخطيطاً لا يخدم الدفاع لامتصاص الضربة الإسرائيلية الأولى، ولا يحقق أية إمكانية عملية فعالة لتوجيه ضربة مضادة مؤثرة. ذلك لأن القيادة الإسرائيلية كانت تستطيع تجاهل مثل هذه الضربة الثانوية التي ستتم على أقصى جناحها الجنوبي، حتى لو أدت جدلاً إلى تطويق إيلات، وتمضي قدماً في الضغط بقوة على مواقع «رفح» و«أبو عجيلة» لتفتح المحورين الشمالي والأوسط على مصراعيهما بسرعة، وقبل

أن تتدخل قوات الفرقة المدرعة الرابعة، لتزحف في اقتراب غير مباشر ضد قوات المحور الجنوبي، وتقطع طرق مواصلاتها عند مدخلي ممري «الجدي» و«متلا»، بعد تدمير الفرقة المدرعة الرابعة عند «بير جفجافة» و«بير تماده».

ب - إجراءات الخداع الإسرائيلية: اتخذت القيادة الإسرائيلية عدة إجراءات قبيل شن هجومها المفاجئ يوم٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧م. وكان أهم هذه الإجراءات:

أولاً - دعوة الاحتياط بصورة تدريجية سرية خلال الأسابيع الثلاثة قبل بداية الحرب.

ثانياً - منح الإجازات إلى الجنود قبل الحرب بأيام قليلة ودعوة الصحفيين الأجانب لمشاهدة هؤلاء الجنود وهم يستحمون على شواطئ البحر.

ثالثاً - وقف الاستطلاع الجوي قبل الحرب بخمسة أيام.

رابعاً - إرسال تشكيلات قوية من الطائرات قبل الحرب باتجاه خليج العقبة وجنوب سيناء لحمل المصريين على الاعتقاد بأن الهجوم سيتم من ذلك الاتجاه.

خامساً - التركيز في الإذاعات ووسائل الإعلام الإسرائيلية على لجوء إسرائيل إلى المحافل الدولية، وهيئة الأمم المتحدة والقوة البحرية التي أذيع عن تشكيلها لفتح مضائق تيران من قبل أميركا وإنكلترا، وفاء لالتزاماتها بتأمين الملاحة الإسرائيلية.

سادساً - إتقان أعمال الإخفاء والتمويه للقوات والتشكيلات في مواقع الهجوم. وبذلك استطاعت إسرائيل تحقيق المباغتة والإمساك بالمبادأة[(١)].

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٧٥.

ج – العمليات الجوية على الجبهة المصرية: بدأت القوات الجوية الإسرائيلية في الساعة ٨,٤٥ (بتوقيت القاهرة) من صباح يوم الإثنين ٥حزيران (يونيو) ١٩٦٧م هجومها على القواعد الجوية لجمهورية مصر العربية. وفي الساعة ٩,٠٠ أعلنت إذاعة إسرائيل أنها أصبحت في حالة حرب مع مصر. وكانت خطة الهجوم الإسرائيلية تحمل الاسم الرمزي (حركة الحمام) أما اصطلاح بداية الهجوم الجوي فهو الاسم الرمزي (كولومب). وبموجب خطة (حركة الحمام) أطلقت إسرائيل جميع طائراتها المقاتلة ضد القواعد الجوية والطائرات المصرية بحيث لم تحتفظ إلا باثنتي عشرة طائرة (ثماني طائرات وأربع كمظلة لحماية سماء إسرائيل، وأربع طائرات على الأرض لمجابهة الطوارئ). وقد شمل الهجوم الإسرائيلي ٩مطارات رئيسية هي (العريش، جبل لبنى، بير جفجافة، بير تماده – وكلها في سيناء، وكذلك أبو صوير، وكبريت وفايد ومطار غرب القاهرة وبني سويف وكلها غرب القناة). وخصص لمهاجمة كل مطار رف مؤلف من أربع طائرات كانت تطير بأزواج. وقد أقلعت هذه الطائرات من عدة مطارات تقع جوار تل أبيب وفي أوقات متباينة ليتسنى لها الوصول إلى أهدافها في وقت واحد. وشن الطيران الإسرائيلي هجومه الجوي على المطارات المصرية بموجات متعاقبة بين كل موجة وأخرى عشرُ دقائق. فبينما كانت طائرات الموجة الأولى تهاجم أهدافها كانت الموجة الثانية في طريقها إلى أهدافها، والموجة الثالثة قد بدأت في الإقلاع وهكذا[١]... وقد استمرت موجات طائرات إسرائيل في الهجوم على المطارات المصرية دون انقطاع من الساعة ٨,٤٥ حتى الساعة ١١,٣٥.

---

(١) جيهان الطاهري وأهرون بريغمان، العرب والكيان الصهيوني (حرب الخمسين عاماً)، ترجمة هشام حداد، إصدار مركز الدراسات العسكرية، دمشق، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٠م، ص١٠٣.

وحلقت الطائرات المغيرة على ارتفاع منخفض جداً بلغ أحياناً ثلاثين قدماً فوق مستوى البحر أو الأرض (عشرة أمتار تقريباً)، وذلك حتى تبقى تحت مستوى رصد أجهزة الرادار العربية، (وغير العربية أيضاً. فقد كانت محطات الرادار الأمريكية والروسية والبريطانية في شرق البحر الأبيض المتوسط وكلها كانت تعمل بيقظة تامة ورصد مستمر وبأقصى فاعلية). كان لجمهورية مصر العربية في شبه جزيرة سيناء وحدها ست عشرة محطة رادار. لكن إسرائيل لم تهاجم جميع هذه المحطات في بداية الأمر، بل هاجمت اثنتين منها فقط وهما محطة الحسنة وطلعة البدن. وخصصت القيادة الجوية الإسرائيلية لكل رف من طائراتها فترة سبع دقائق للبقاء فوق الهدف، وهي تكفي لثلاث أو أربع جولات هجومية، إحداها لقصف المدرج بالقنابل واثنتين أو ثلاث لتخريب الطائرات المصرية بنيران المدافع أو لتدمير ملاجئ الطائرات ومراكز السيطرة والمرافق الأخرى بالصواريخ. وخصص لكل رف ثلاث دقائق احتياطية، بهدف التعويض عن أخطاء الملاحة أو القيام بجولة إضافية فوق الهدف عند الحاجة.

وكانت الطائرات تقصف مدارج المطارات أولاً لتمنع الطائرات المصرية من الطيران، ثم تصلي الطائرات الجاثمة على الأرض بنيران مدافعها. وكانت الطائرات الإسرائيلية جميعها تقترب نحو أهدافها عن طريق البحر الأبيض المتوسط، فكانت تتجه بعد إقلاعها نحو الغرب محاذية ساحل سيناء وعلى بعد خمسين كيلو متر منه تقريباً. وتم استخدام ستة زوارق بحرية لتوجيه الطائرات. وكانت هذه الزوارق قد أخذت مواقعها المحددة لها في عرض البحر منذ صباح يوم **(٥) حزيران (يونيو).** فإذا كانت أهداف الطائرات الإسرائيلية مطارات سيناء، استدارت الطائرات جنوباً قرب العريش لمهاجمتها، أما إذا كانت أهدافها مطارات القناة أو دلتا النيل فإنها تستدير فوق منطقة بور سعيد أو مصب النيل وتتجه نحو الجنوب لمهاجمتها. وكانت التعليمات قد صدرت إلى طياري الموجة الأولى بالصمت اللاسلكي وبالعودة

إلى قواعدهم في حالة اكتشاف هجومهم قبل أوانه، نظراً لأن نجاح العملية بكاملها يعتمد على تحقيق المباغتة. وأعطيت لطياري هذه الموجة الأوامر بالعودة لمجرد سماع كلمة السر (محكري حاكوم) أي ليقف كل في محله.

وقد استخدمت القوات الجوية الإسرائيلية في تدميرها للمطارات العربية نوعاً جديداً من القنابل لم يستخدم من قبل «Concrete Dibber Bomb» المصممة بصورة خاصة لتدمير مهابط الطائرات والتحصينات البيتونية. وزعمت إسرائيل أنها هي التي صممت هذه القنابل، ولكن الواقع أنها قنابل فرنسية الصنع صممتها شركة (ماترا) لتسليح طائرات الميراج والفوتور، وتزن القنبلة ٣٦٥ رطلاً، وتطلقها الطائرة من ارتفاع ٢٠٠ قدم، وهي تطير بسرعة تقل عن ستمئة ميل. وتمتاز في أنها تحتوي على صاروخ مرجع (Booster) ينطلق تلقائياً فور إطلاق الطائرة للقنبلة فوق المدرج، فيكون له تأثير معاكس يحول دون اندفاع القنبلة باتجاه محرك سير الطائرة ويساعد على هبوطها رأسياً على المدرج، وقبل أن تصل هذه القنبلة إلى الأرض ينطلق منها صاروخ ثان فيزودها بقوة اندفاعية تقرب من سرعة الصوت وهو الأمر الذي يساعد على اختراق أرض المدرج المصنوع من البيتون المسلح إلى مسافة تقرب من أربعة أمتار ونصف. وبعد اختراقها المدرج تنفجر بوساطة صمامة توقيت، ويمكن تنظيم الصمامة بحيث تنفجر آنياً أو بعد وقت معين وهو الأمر الذي يزيد في صعوبة تصليح المدرج.

وقد ساعد هذا النوع من القنابل الطيارين الإسرائيليين على قذف قنابلهم من ارتفاع منخفض جداً دون التعرض لخطر الإصابة بشظايا القنابل عند انفجارها. ولم تستخدم هذه القنابل إلا في الهجوم على المطارات التسعة سابقة الذكر.

أما في الهجوم على المطارات الأخرى فقد استخدمت الطائرات الإسرائيلية القنابل العادية، وكان المطار الوحيد الذي لم يقصف العدو مدرجه

هو مطار العريش. وقد أبقاه العدو سالماً حتى يستطيع استخدامه كقاعدة تموين متقدمة وكمطار لهبوط طائراته. وقد بدأت القوات الإسرائيلية في استخدام مطار العريش بفاعلية اعتباراً من مساء يوم ٦ حزيران (يونيو). وتميز هجوم الطائرات الإسرائيلية بالتنظيم الجيد في دقة توقيتاته، وبما أن **ساعة (س) لبدء الهجوم هي (٨,٤٥)**، ونظراً لأن رحلة الذهاب بين المطارات (الأهداف) وبين قواعد الانطلاق تتطلب (٢٢)دقيقة طيران، فقد بدأ إقلاع الموجة الأولى في الساعة (٨,٢٣)، وبدأ الهجوم (٨,٤٥)، وانتهى الساعة (٨,٥٢)، لتصل إلى قاعدتها الساعة (٩,١٢) (نظراً لأن رحلة العودة تستغرق مدة أقل من رحلة الذهاب)، حيث تبدأ مرحلة تفتيش الطائرات وتزويدها بالوقود والعتاد والأوكسجين وأفلام الطائرات للتصوير وتحميل القنابل. وتدعي المصادر الإسرائيلية أن جماعات الصيانة الإسرائيلية استطاعت إنجاز ذلك كله خلال فترة سبع دقائق ونصف في حين أن هذه العملية تتطلب في بقية جيوش العالم فترة نصف ساعة.

وقد استمرت القوات الجوية الإسرائيلية الأولى مدة ثمانين دقيقة دون توقف (أي حتى الساعة ١٠,٠٥) ثم بعد فترة عشر دقائق بدأت الضربة الجوية الثانية على المطارات نفسها واستمرت نحو ثمانين دقيقة أخرى، أي حتى الساعة (١١,٤٥). كما هاجمت الطائرات الإسرائيلية عند الظهر مطار أنشاص وبلبيس، وفي الساعة (١٢,١٥) مطار الغردقة على ساحل البحر الأحمر، وفي الساعة (١٢,٣٠) مطار الأقصر في صعيد مصر. وأخيراً انتهت عمليات الهجوم كلها في الساعة (١٢,٣٠).

وفي ساعات بعد الظهر هاجمت الطائرات الإسرائيلية مطار القاهرة الدولي ومطار رأس باناياس بالبحر الأحمر. وكانت خسائر القوات الجوية المصرية حتى نهاية اليوم الثاني (٢٦٤) طائرة قتال و(٣٢) طائرة نقل و(٩) طائرات هليكوبتر. وكانت الخسائر حتى نهاية الحرب (٣٣٨) طائرة، يقابل

ذلك في الجانب الإسرائيلي (١٩) طائرة قتال و(١١) طائرة نقل: وبذلك يمكن القول أن سلاح الجو الإسرائيلي استطاع وضع سلاح الجو المصري خارج المعركة منذ الساعات الأولى لبداية القتال بخسارة تكاد لا تذكر، بفضل المباغتة والمحافظة على المبادأة، وبفضل التنظيم الجيد لعمليات الهجوم ولأعمال الصيانة والتموين. ومقابل ذلك كان الإهمال واللامبالاة وضعف الاستعدادات في الجانب المصري من الأسباب التي ساعدت على نجاح المباغتة. كما كانت المعلومات الدقيقة التي توفرت للقيادة الإسرائيلية عن القواعد الجوية المصرية وعن قادة هذا السلاح عاملاً حاسماً في تحقيق المباغتة.

ويظهر ذلك بصورة واضحة من خلال تحديد ساعة الهجوم (س). ففي هذه الساعة تكون القوات الجوية في حالة شبه عدم استعداد، لأن القوة الجوية المصرية اعتادت أن تكون في أوج يقظتها وفاعليتها قبل هذه الساعة من كل يوم، ولقد افترض العدو بأن القيادة الجوية المصرية تخصص عدة رفوف من طائرات الميغ (٢١) في وضع الانتظار عند نهاية المدرج وهي جاهزة للإقلاع بعد إنذار خمس دقائق اعتباراً من فجر كل يوم. كما افترض بأن الطيران المصري يدفع دورية أو دوريتين من طائرات ميغ (٢١) لتحلق في الجو في ذلك الوقت أيضاً لأنه أكثر أوقات النهار احتمالاً للهجوم الجوي. وقد قدر العدو أن درجة الاستعداد هذه لا يمكن أن تستمر طويلاً، فإن لم يقع هجوم جوي خلال ساعتين أو ثلاث ساعات بعد الفجر فمن المحتمل أن تخفف القيادة الجوية المصرية تدابير الاستعداد، وتغلق بعض محطات الرادار العربية أجهزتها، ومن ثم تبدأ القوة الجوية المصرية في تخفيف تدابير اليقظة نسبياً اعتباراً من الساعة ٨,٣٠ صباحا[١].

---

(١) مجموعة من المؤلفين الروس، الحروب العربية – الإسرائيلية، ترجمة العميد صبحي الجابي، إصدار دمشق ١٩٧٥، ص ١٧٤-١٧٥.

د - خطة الهجوم البري الإسرائيلي في الجبهة المصرية: وضعت القيادة العسكرية الإسرائيلية خطتها العامة للعمليات البرية في سيناء وقطاع غزة على أساس أنها لن تبدأ إلا بعد عودة طائرات الموجة الأولى من الهجوم الجوي المفاجئ على المطارات المصرية، والتأكد المبدئي من نجاح الضربة الجوية.

وقد قامت الخطة العامة للعمليات البرية على أساس توجيه الضربة الرئيسية في المحور الشمالي، وخرق الدفاعات في «أم قطف» و«أبو عجيلة»، لفتح طريق المحور الأوسط، وتأمين الجناح الجنوبي للهجوم الرئيسي في الشمال، الذي سيتخذ شعبتي تقدم، واحدة أساسية على محور «خان يونس – رفح – العريش» والأخرى ثانوية عبر وادي «الحريضين» الواقع إلى الجنوب من «رفح» بنحو ٢٠كلم في اتجاه «بير الحفن» للالتفاف حول «العريش» من الجنوب أو حول «أبو عجيلة» من الشمال. وبعد أن تخترق المواقع الأمامية على الحدود، أو ما نستطيع أن نسميه الخط الدفاعي الأول، التي تتحكم في مداخل الطريقين الأساسيين في شمال ووسط سيناء المؤديين إلى «القنطرة» و«الإسماعيلية» يتم الاندفاع بسرعة ودون مرحلة توقف مؤقتة لإعادة التجميع والتنظيم نحو الممرات الأربعة المتحكمة في طرق المواصلات. وبقفل الممرات تعزل بقية القوات المصرية التي لم يجر تحطيمها خلال معارك المرحلة الأولى، ويجري تدميرها أو إجبارها على الاستسلام أثناء محاولتها الانسحاب عبر الممرات نحو القناة، خاصة عبر ممري «الجدي» و«متلا».

أما الاستيلاء على «شرم الشيخ» وفتح الملاحة في «مضائق تيران»، الذي كان المبرر والذريعة الأصلية لنشوب الحرب، فقد ترك أمرهما لعملية تكميلية صغيرة تقوم بها قوة من مشاة البحرية والمظليين بعد الانتهاء من العمليات الرئيسية في شمال ووسط «سيناء» ولكن اتخذت عدة تدابير لإشعار

القيادة المصرية أن «شرم الشيخ» ستكون لها الأولوية في العمليات التعرضية وذلك عن طريق مضاعفة نسبة طلعات الاستطلاع الجوي فوقها بالنسبة للطلعات فوق «قطاع غزة»، وبوساطة إعطاء انطباع مبالغ فيه عن قوة الحشد المدرع على المحور الجنوبي عند «الكونتلا»، حيث حشد هناك في الحقيقة لواء مدرع واحد معزز بقوة إضافية (في مواجهة القوة المدرعة التي يقودها الشاذلي وفرقة المشاة السادسة) إلا أنه جرى حشد لواء آخر من الدبابات الهيكلية على مقربة منه وبطريقة تمويه لم تراع فيها الدقة الكاملة حتى يبدو واضحاً في الصور الجوية لطائرات الاستطلاع المصرية[١].

وتركت مهمة الاستيلاء على قطاع غزة لعملية تكميلية أخرى تقوم بها قوة خاصة من المشاة والمظليين تعززهم كتيبة دبابات «أم أكس – ١٣» وبعض دبابات «شيرمان» القديمة طراز «م – ٣» غير المعدلة، بعد أن يتم اقتحام دفاعات «خان يونس – رفح» في الضربة الرئيسية الأولى بالقطاع الشمالي.

وحشدت القيادة الإسرائيلية الجزء الرئيسي من قوات جيشها تجاه الجبهة المصرية لتنفيذ هذا المخطط (الذي ستسبقه ضربة الطيران المفاجئة) والذي ضم (٧) ألوية مدرعة و(٣ – ٤) كتائب دبابات مستقلة، وذلك من جملة ١١لواء مدرع كانت لدى سلاح المدرعات الإسرائيلي وقتئذ، و(٣ – ٤) ألوية مشاة ميكانيكية ولواء مظلي ميكانيكي، وذلك من جملة (١٠) ألوية مشاة صف أول و(٣) ألوية مظليين كان لدى الجيش الإسرائيلي عشية الحرب. هذا فضلاً عن ما يوازي قوة ٦ألوية مدفعية (بخلاف المدفعية ذاتية الحركة الموجودة مع الألوية المدرعة) من جملة حوالي (١٢) لواء مدفعية كانت لدى الجيش الإسرائيلي وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك (٣) ألوية مشاة صف ثان

---

(١) الموسوعة العسكرية – إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٧٨.

تقوم بمهام الدفاع عن مستعمرات الجنوب وحماية طرف المواصلات عن جملة (١٤) لواء مشاة صف ثان (من القوات الاحتياطية) كان موجوداً عند إتمام التعبئة العامة.

هـ - توزيع القوات الإسرائيلية على الجبهة المصرية ومهامها:

وبلغت جملة هذه القوات نحو (٦٥) ألف جندي لديهم حوالي (٩٠٠) دبابة. وأخضعت هذه القوات لقائد المنطقة الجنوبية العميد «يشعيا هو جافيش»، الذي قام بتوزيع قواته في شكل (٣) مجموعات قتالية لها قوة الفرقة ويطلق عليها بالعبرية اسم «Ugda»، وهي تشكيلات متباينة الحجم والتشكيل وفقاً لطبيعة مهمة كل مجموعة، وكانت كل منها ذات إكتفاء ذاتي من وحدات المهندسين والخدمات الطبية والإشارات ووحدات الشؤون الإدارية (التي كانت تضم شاحنات تحمل إمداد وتموين يكفي للقوات المقاتلة مدة ثلاث أيام بخلاف الكميات المخزونة في القاعدة الإدارية للمجموعة). وقد سميت كل مجموعة من المجموعات الثلاث باسم قائدها كما هي عادة الجيش الإسرائيلي، وكانت مشكلة على النحو التالي:

أولاً - مجموعة «تال»: وكانت مؤلفة من أفضل ألوية الجيش الإسرائيلي، وتضم: اللوائين المدرعين السابع والثالث، ولواء مظليين ميكانيكي (باستثناء كتيبة»، ولواء مشاة ميكانيكي، وتدعمها كتائب مدفعية وكتيبة مهندسين، فضلاً عن كتيبة دبابات مستقلة لدعم وحدات المظليين الميكانيكية، وكتيبة دبابات أخرى لدعم لواء المشاة الذي سيهاجم قطاع غزة، وتقدر قوة مجموعة «تال» بنحو (٣٠٠) دبابة و(١٠٠) عربة مدرعة نصف مجنزرة ونحو (٦٠) مدفعاً.

وكانت مهمة هذه المجموعة خلال المرحلة الأولى من العمليات (وهي مرحلة اختراق خط الدفاع الأول عند الحدود) خرق دفاعات كل من الفرقة الفلسطينية العشرين في «خان يونس» والفرقة المصرية السابعة في «رفح»،

ثم الاندفاع بعد ذلك، لتحقيق أهداف المرحلة الثانية، نحو العمق العملياتي للفرقة في «العريش» من خلال اختراق مواقع «الشيخ زويد» و«ممر خروبة» التي تشكل امتداداً في العمق للفرقة المصرية السابعة، وذلك كجزء من أهداف المرحلة الثانية من العمليات، وهي اختراق خط الدفاع الثاني بسرعة قبل أن تتوفر الفرصة والوقت الكافي للقيادة المصرية كي تعيد توزيع قواتها فيه وتدفع إليه باحتياطياتها المدرعة والميكانيكية بعد أن تفيق من أثر الضربة الأولى. وبعد ذلك كان على قوة «تال» أن تنقسم إلى قسمين: أحدهما ثانوي يواصل الزحف على المحور الشمالي صوب «رمانه» و«القنطرة»، والآخر رئيسي يزحف جنوباً نحو «بير الحفن» ثم «جبل لبنى» ليشارك مجموعة «يوفه» في تدمير الفرقة الثالثة، ثم يزحف على المحور الأوسط تجاه «بير جفجافة» ليدمر الفرقة المدرعة الرابعة، وبذلك ينهي مهام المرحلة الثالثة، ويواصل الزحف بعد ذلك نحو القناة في مواجهة الإسماعيلية.

ثانياً - مجموعة «شارون»: وكانت مؤلفة من لواء مدرع، ولواء مشاة، وكتيبة مظليين (هي الكتيبة الثالثة من اللواء المظلي الموجود ضمن قوات جافيش)، ومجموعة خاصة تضم كتيبة دبابات ووحدة استطلاع ووحدة مشاة ميكانيكية، و(٦) كتائب مدفعية، ووحدات مهندسين اقتحام. وتقدر قوة «شارون» بنحو ٢٠٠ دبابة و١٠٠ عربة مدرعة نصف مجنزرة و١٠٠ مدفع.

وكانت مهمة هذه القوة خلال المرحلة الأولى من العمليات هي اختراق دفاعات «أم قطف - أبو عجيلة» التي تدافع عنها فرقة المشاة الثانية بحوالي نصف قوتها، وفي الوقت نفسه يجري تثبيت النصف الآخر من الفرقة في دفاعات «القسيمة» بوساطة لواء مدرع مستقل، إلى أن تنهي مجموعة «**شارون**» مهمة المرحلة الأولى وتقوم بعد ذلك في المرحلة الثانية، بمهاجمة دفاعات «القسيمة» من الشمال الغربي. وبعد تصفية هذه الدفاعات تندفع الوحدات المدرعة والميكانيكية من هذه القوة بسرعة نحو «نخل» على المحور الجنوبي لتقيم كميناً هناك لقوات «مجموعة الشاذلي» وفرقة المشاة

السادسة أثناء انسحابها المتوقع نحو «ممر متلا»، وبهذا تتم هذه القوة مهامها في المرحلة الثالثة من العمليات، ثم تشارك بعد ذلك في عمليات المطاردة الأخيرة نحو قناة السويس عبر ممري «متلا» و«الجدي» مع قوات مجموعة «يوفه»، وبذلك ينتهي دورها في المرحلة الرابعة والأخيرة من العمليات في سيناء.

ثالثاً – مجموعة «يوفه»: وكانت مؤلفة من لوائين مدرعين فقط، بدون وحدات مشاة أو مدفعية مقطورة (كان بكل لواء كتيبة من المشاة الميكانيكية ومدفعية ذاتية الحركة، ومعظمها من النوع الفرنسي عيار ١٠٥مم المحمل على هيكل دبابة «أم أكس – ١٣»). ولقد حشد لواء من هذه المجموعة في المنطقة الواقعة بين «رفح» و«أبو عجيلة» على مسافة نحو ٣٠كيلو متر إلى الجنوب من مواقع «رفح» الدفاعية للقيام بزحف عبر وادي «الحريضين»، الذي كان عبارة عن مجرى ماء جاف ممتد بين كثبان الرمال غير الصالحة لسير الآليات، الممتدة من جنوب «رفح» حتى «أبو عجيلة»، وذلك لمهاجمة الموقع الدفاعي المصري في «بير الحفن»، في بداية المرحلة الثانية من العمليات التي تعقب اختراق مواقع «رفح» و«أبو عجيلة»، وصد الهجمات المعاكسة التي قد تحاول فرقة المشاة الثالثة القيام بها من منطقة «جبل لبنى» ضد قوات «تال» من الجنوب أو قوات «شارون» من الغرب. وكانت القيادة الإسرائيلية أثناء احتلالها سيناء عام ١٩٥٦ قد أرسلت جماعة استطلاع لدراسة طبيعة أرض هذا الوادي وتأكدت من إمكانية اجتيازه بعربات نصف مجنزرة بشيء من الصعوبة[١].

أما اللواء المدرع الثاني التابع لمجموعة «يوفه» فقد حشد في مؤخرة «مجموعة **شارون**» وتقرر أن يبقى هناك حتى يتم اختراق دفاعات «أم قطف

---

(١) الموسوعة العسكرية – إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٧٩.

– أبو عجيلة»، ثم يندفع عبر هذه القوات، ويلتقي باللواء الأول الزاحف من اتجاه «بير الحفن» عند «جبل لبنى» ليستكملا تصفية الفرقة الثالثة، أي الخط الدفاعي الثاني، ثم يزحفا صوب «بير الحسنة» ليتقدما من هناك نحو «بير تمادا» و«ممر متلا» للمشاركة في تصفية الفرقة المدرعة الرابعة والقوات المنسحبة عبر «ممر متلا»، وبذلك ينهيان مهام المرحلة الثالثة من العمليات، وتزحف القوة بعد ذلك عبر ممري «الجدي» و«متلا» نحو قناة السويس في قطاعها الجنوبي، وبذلك ينهيان مهام المرحلة الرابعة والأخيرة من العمليات. وقدرت «مجموعة يوفه» هذه بنحو ٢٠٠ دبابة، و١٠٠ عربة مدرعة نصف مجنزرة.

وبالإضافة إلى هذه المجموعات الرئيسية الثلاث التي ستركز ضرباتها الأولى على المحورين الشمالي والأوسط، ثم تطوق المحور الجنوبي بمناورة اقتراب غير مباشر تستهدف القضاء على القوة الرئيسية المصرية هناك عن طريق قطع خطوط مواصلاتها وغلق طرق انسحابها، كان هناك لواء مدرع مستقل حشد أمام «القسيمة». وكانت مهمته المناورة دون التورط في قتال فعلي، وذلك لتثبيت قوات النصف الثاني من فرقة المشاة الثانية أثناء الهجوم على النصف الأول من الفرقة في «أبو عجيلة». كما كان هناك لواء مستقل مدعم حشد أمام «الكونتلا» لمشاغلة قوة «الشاذلي» المدرعة وفرقة المشاة السادسة الموجودة هناك إلى أن تصل قوات «**شارون**» إلى مؤخرتها عند «نخل»، ثم يقوم بمطاردة هذه القوات أثناء انسحابها عبر طريق «الكونتلا – التمد – نخل». وحشدت كتيبة مشاة معززة ببعض الوحدات الصغيرة الأخرى من «إيلات» لحمايتها أثناء العمليات الهجومية التي تجري بعيداً عنها. كما حشد لواء مشاة وكتيبة مظليين وكتيبة دبابات «أم أكس – ١٣» ووحدات مدفعية في مواجهة «قطاع غزة» (بخلاف قوات الدفاع المحلي الموجودة داخل المستعمرات الاثنتي عشرة القائمة هناك)، وذلك لمهاجمته خلال المرحلة الثانية من العمليات عقب اختراق دفاعات «خان يونس» بوساطة قوات مجموعة «تال».

و – سير العمليات الحربية:

سير العمليات بالقطاع الشمالي: اخترقت مجموعة ألوية «تال» المحور الشمالي في «خان يونس» و«رفح» وفقاً للخطة الموضوعة تقريباً (انظر رفح، معركة). ثم قامت كتيبة مدرعة من اللواء السابع المدرع (كانت تضم ١٧دبابة «سنتوريون» و٢ «باتون») بالتقدم من منطقة «الشيخ زويد» نحو «ممر خروبة»، حيث كان يوجد لواء مشاة مصري من قوات الاحتياطي، واقتحمت الممر في حوالي الساعة ٢,٣٠ من بعد ظهر يوم ٦/٥ وهي تسير على الطريق المعبد بالأسفلت بأقصى سرعة وتطلق دباباتها النار على المواقع الدفاعية. وقد وصلت بالفعل إلى مشارف «العريش» في حوالي الرابعة والنصف، وتوقفت بعيداً عنها نظراً لأنها كانت في حاجة إلى إمداد بالذخيرة والوقود وإصلاح الإعطاب التي لحقت بها، على حين أن المدافعين عن الممر أعادوا إغلاق الطريق مرة أخرى وعزلوا الكتيبة المذكورة عن بقية وحدات اللواء، التي توقفت على مقربة من مدخله الشرقي. وبعد ساعتين من اقتحام الكتيبة المدرعة المذكورة لممر خروبه وصل «غونين»، قائد اللواء المدرع السابع، إلى مقربة من الممر وأمر كتيبة دبابات «الباتون» التابعة له، والتي سبق لها أن اقتحمت دفاعات القطاع الشمالي في «رفح»، بمهاجمة دفاعات الممر من جهة اليسار أثناء مشاغلتها بالنيران من المواجهة، إلا أن الهجوم فشل ودمرت بعض الدبابات بنيران المدافع م/د وتعطلت بعضها بوساطة الألغام وقتل قائد الكتيبة وجرح ثلاثة قادة سرايا.

وبعد تمهيد مركز من نيران المدفعية وطائرات «فوغا ماجستر» اندفعت سرية دبابات «باتون» أخرى (كانت تقاتل في القطاع الجنوبي لدفاع رفح) بأقصى سرعة على الطريق وسط الممر وهي تطلق النار بغزارة، ثم توقفت بعض دباباتها على يسار الطريق داخل الممر بنحو ٢كلم، وأخذت

تطلق النار على مواقع المدافع المصرية من الخلف، ثم تابعت المسير مع بقية السرية إلى خارج الممر والتحقت بكتيبة «السنتوريون». وعندما وصلت السرية المذكورة إلى خارج الممر لم يكن لديها سوى ٧ دبابات كلها مصابة إصابات مختلفة. وإثر ذلك حاول «غونين» اجتياز الممر مع مجموعته القيادية وبعض الدبابات على أن تتبعه أرتال الإمداد والتموين، إلا أنه اضطر إلى التراجع لموقعه السابق بعد أن أطلق عليه المدافعون نيراناً حامية بعد أن أعادوا تنظيم أنفسهم للمرة الثانية. وقد حاول «تال» أن يدفع باللواء المدرع الآخر الذي لديه للزحف عبر الكثبان الرملية جنوب الممر إلا أنَّ نعومة الرمال حالت دون ذلك. وفي نهاية الأمر نظم «غونين» هجوماً تم في منتصف الليل بوساطة كتيبة المشاة الميكانيكية التابعة له تساندها المدفعية برمي تمهيدي وقنابل مضيئة، وبعد قتال عنيف استمر (٤) ساعات أمكن للقوة الإسرائيلية أن تطهر المواقع الدفاعية في «ممر خروبة»، وبقيت فيها لضمان عدم إغلاقه مرة أخرى. وبدأت أرتال التموين تجتاز الممر وتصل إلى الدبابات المعزولة في غرب الممر عند مشارف «العريش».

وفي حوالي الساعة السابعة من صباح يوم ٦/٦ استولت الدبابات المذكورة على مطار العريش بعد معركة قصيرة مع بعض الدبابات والمدافع م/ط الموجودة حوله. وهكذا أمكن لمجموعة ألوية «تال» أن تصل إلى عمق نحو ٦٠كلم خلال نحو ٢٤ ساعة فقط، وانفتح لها طريق التقدم على المحور الشمالي نحو «رمانه» و«بالوظه» و«القنطرة شرق»، وأيضاً نحو المحور الأوسط عبر الطريق العرضي الممتد من العريش إلى كل من «أبو عجيلة» و«جبل لبنى»، ولكن ذلك كان يتطلب اختراق دفاعات «بير الحفن» التي كانت تشتبك معها من الجنوب وقتئذ وحدات من اللواء المدرع التابع لمجموعة ألوية «يوفه» الذي زحف عبر وادي «الحريضين» خلال اليوم السابق وقطع الطريق المذكور واعترض تقدم وحدات فرقة المشاة الميكانيكية

الثالثة من «جبل النبي» إلى «العريش». وهذا وقد تم احتلال قطاع غزة خلال هذه الأثناء بعد قتال عنيف في «خان يونس» وقصف مدفعي في غزة.

عمليات مجموعة «يوفه»: حشد العميد «أبراهام يوفه» فرقته في منطقة العوجة بالقرب من فرقة «شارون»، ووضع خطته على أساس قيام أحد لوائيه بالاقتراب عبر «وادي الحريضين» الواقع إلى الشمال من «أم قطف» و«أبو عجيلة» وسط بحر الرمال الممتد حتى الساحل الشمالي عند «العريش» و«ممر خروبة»، وهو عبارة عن مجرى جاف ممتد بين كثبان الرمال وغير صالح لسير الآليات بحشود كبيرة، وغير صالح لسير الدبابات وفقاً لتقديرات القيادة المصرية، ولذلك لم يكن هناك سوى مفرزة استطلاع مصرية صغيرة في سيارات تابعة لسلاح الحدود عند مدخل الوادي، وسرية مشاة تدعمها بعض المدافع المضادة للدبابات عند نهاية الوادي قرب طريق «أبو عجيلة – العريش»، وكان على هذا اللواء المدرع أن يشاغل موقع «بير الحفن» من الجنوب إلى أن تهاجمه قوات «تال» من الشمال، ويصد في الوقت نفسه زحف أية قوات من الفرقة المصرية الثالثة تتقدم من ناحية «جبل لبنى»، وذلك إلى أن تتم فرقة شارون اختراق موقع «أم قطف – أبو عجيلة»، فيقوم اللواء المدرع الآخر باجتياز طريق «العوجة – أبو عجيلة» ليلتقي باللواء الأول ويكملان معاً مهمة تدمير الفرقة الثالثة ثم يتقدمان جنوباً نحو «بير تمادا».

وقد بدأ اللواء الأول زحفه عبر الحدود من منطقة العوجة في العاشرة (التاسعة بتوقيت إسرائيل من صباح يوم ٥ حزيران (يونيو)، وتقدم على الطريق الممتد من العوجة إلى رفح، ثم انحرف غرباً داخل وادي الحريضين، فانسحبت مفرزة الاستطلاع المصرية مسرعة، ولكن اللواء واجه صعوبة جديدة في السير داخل الوادي، وقد اشتبكت طلائع اللواء مع سرية المشاة المصرية التي كانت ترابط عند مخرج وادي الحريضين على مسافة نحو

١٦كلم من طريق «العريش – أبو عجيلة» في حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر. وبعد تبادل قصير للنيران انسحبت السرية المصرية، ولم تستطع المدرعات الإسرائيلية مواصلة التقدم فوراً نظراً لصعوبة اجتياز الرمال الناعمة في المنطقة، ولذلك لم تصل طلائع اللواء المدرع المذكور الذي كان يقوده العقيد «إيسكا» إلى الطريق إلا في حوالي السادسة مساء، أي بعد (٩) ساعات من بدء تقدمه عند الحدود، وقطع خلالها (٥٠) كلم فقط.

وكانت النقطة التي قطع اللواء المدرع الإسرائيلي فيها طريق «العريش – أبو عجيلة» تبعد نحو ١,٥ كلم عن تقاطع «بير الحفن»، حيث يلتقي طريق «العريش ــ أبو عجيلة» بالطريق المؤدي إلى «جبل لبنى». وقد تعرضت إحدى كتائب اللواء، وكانت تضم ٢٤ دبابة سنتوريون، لنيران مدفعية موقع «بير الحفن» وهي في طريقها لقطع الطريق المؤدي إلى «جبل لبنى» لاعتراض تقدم أية قوات من فرقة المشاة المصرية الثالثة، واشتبكت الكتيبة هناك مع موقع رادار مصري مقام فوق تل، وتدافع عنه سرية مشاة مدعمة ببعض المدافع المضادة للطائرات، وتمكنت من احتلاله بعد معركة عنيفة استمرت نحو ثلاثة أرباع الساعة، ثم اتخذت لنفسها موقعاً على طريق جبل لبنى وهي تناور لتجانب قذائف مدفعية موقع «بير الحفن» التي كانت تبعد نحو ٢٧٠٠متر. وعند هبوط الظلام توقف القصف المدفعي المصري، وتقدمت كتيبة الدبابات الثانية ولحقت بالأولى تتبعها بقية وحدات اللواء من المشاة الميكانيكية والمدفعية ذاتية الحركة.

ونظراً للصعوبات التي كانت مجموعة «شارون» تواجهها في «أبو عجيلة»، فقد طلب من «يوفه» أن يرسل كتيبة دبابات لتعاون كتيبة «السنتوريون» التي التفت إلى مؤخرة «أبو عجيلة»، وتحركت كتيبة من لواء «أيسكا» نحو «أبو عجيلة» في الساعة الثانية عشرة مساء. وبعد ذلك بقليل لاحت على الطريق القادم من «جبل لبنى» أنوار قافلة طويلة من الدبابات والعربات المدرعة المصرية، فأطلقت عليها كتيبة الدبابات الإسرائيلية الكامنة

قرب الطريق النار وأصابت بعض دباباتها مستخدمة أضواءها الكاشفة التي سرعان ما اجتذبت إليها نيران الدبابات المصرية.

ودار اشتباك بالنيران طوال الليل بين الدبابات الإسرائيلية والمصرية، التي فوجئت بوجود الإسرائيليين في هذا المكان، ولذلك ترددت القوة المصرية في مهاجمة الكتيبة المدرعة الإسرائيلية لأنها كانت تجهل حقيقة قوتها، واستدعى قائد اللواء المدرع الإسرائيلي كتيبته الثانية المتوجهة إلى «أبو عجيلة» خشية قيام المدرعات المصرية بهجوم عند الفجر، خاصة وأنه كان يعتقد أنها تتألف من لوائين مدرعين تابعين لفرقة المدرعة الرابعة، إلا أنه عندما بدأ ضوء النهار بكشف مواقع القوة المصرية اتضح أنها تتألف من نحو ٦٥ دبابة تسع منها تشتعل فيها النيران (الأرجح أنها كانت المجموعة المدرعة التابعة لفرقة المشاة الثالثة)، ومع ضوء النهار بدأت مدفعية موقع «بير الحفن» قصفها مرة أخرى ضد الدبابات الإسرائيلية، كما تجدد الاشتباك بين الدبابات المصرية والإسرائيلية، إلا أن موقع «بير الحفن» اضطر بعد ذلك لوقف الرمي المدفعي بسبب الهجوم عليه من الشمال بوساطة اللواء المدرع السابع التابع لمجموعة «تال» الذي استولى على «العريش» عند الفجر، ثم استنجد «إيسكا»، قائد اللواء المدرع الإسرائيلي المشتبك مع مدرعات الفرقة المصرية الثالثة بالطيران لتدمير المدرعات المصرية، وقد ظهرت طائرات «الميستير» في سماء المعركة حوالي الساعة السادسة صباحاً ولكن المدافع المضادة للطائرات الموجودة مع المدرعات المصرية أتاحت لها دفاعاً جوياً جيداً، واستطاعت أن تسقط طائرة «ميستير».

وفي حوالي الحادية عشرة صباحاً، انسحبت القوة المصرية نحو مواقعها الأصلية في «جبل لبنى»، دون أن تحاول القوة الإسرائيلية مطاردتها لأنها كانت بحاجة إلى التزود بالوقود، وفي هذا الوقت كان اللواء المدرع السابع التابع لمجموعة «تال» قد اقتحم دفاعات «بير الحفن» وانضم إلى لواء «إيسكا» عند مفرق طرق «جبل لبنى – أبو عجيلة» عند الظهر تقريباً، وفي

حوالي الساعة الخامسة من بعد الظهر وصل اللواءان المدرعان إلى مشارف منطقة «جبل لبنى» حيث اصطدما بمقاومة عنيفة من مجموعة مدرعة تضم دبابات «ت ٥٤، ٥٥» وقانصات «س يو ١٠٠» محتمية داخل حفر لا تظهر سوى مدافعها وقد أوقعت هذه المجموعة عدة خسائر بالدبابات الإسرائيلية وأجبرتها على التراجع بعيداً عن مرمى نيرانيها.

وبقيت المدرعات الإسرائيلية طوال ليلة ٥ - ٦ متوقفة عن التقدم، وتزودت بالوقود خلال الليل وكانت الدبابات المصرية تطلق عليها النار من حيث لآخر. وبعد ظهر اليوم الثاني للقتال **(٦/٦/١٩٦٧م)** علمت القيادة الإسرائيلية بصدور أمر الانسحاب العام الصادر من القيادة المصرية العليا، ودفعها ذلك إلى الإسراع بدفع ألويتها المدرعة والميكانيكية على محاور سيناء، خاصة المحور الأوسط والطرق المؤدية منه إلى المحور الجنوبي لتغلق ممري «الجدي» و«متلا» في وجه القوات المنسحبة على المحور المذكور.

مرحلة المطاردة على المحورين الأوسط والشمالي: قبل أن تصل معلومات قرار الانسحاب المصري العام إلى القيادة الإسرائيلية، كانت القوة الإسرائيلية لمجموعة «تال» لا تزال موجودة في «العريش» (باستثناء اللواء المدرع السابع الذي كان متوقفاً في منطقة جبل لبنى) ولديها أوامر بالبقاء هناك إلى أن يتضح موقف معركة «القدس» على الجبهة الأردنية التي كانت تثير بعض القلق لدى القيادة العليا الإسرائيلية، ولكن بمجرد علم القيادة المذكورة بقرار الانسحاب المصري أصدرت أوامرها لمجموعة «تال» بأن تركز قواها لتزحف بسرعة على المحور الأوسط بهدف احتلال «بير جفجافة» للحيلولة دون إمكان إقامة خط دفاعي مصري أخير في سيناء هناك وفي الممرات الموازية لها جنوباً («الجدي» و«متلا») وأن تدفع قوة ثانية على المحور الشمالي بهدف الوصول إلى «القنطرة» شرق. وقد تشكلت القوة المذكورة من وحدة الاستطلاع الخاصة باللواء المدرع السابع

وسرية دبابات خفيفة و(٦) مدافع ذاتية الحركة. وقد تحركت هذه القوات من «العريش» في حوالي الساعة الحادية عشرة والنصف من مساء يوم ٥/٦.

وعند الفجر قام اللواء المدرع السابع واللواء المدرع الآخر التابع لمجموعة «يوفه» بمهاجمة الموقع الدفاعي المصري عند «جبل لبنى» في حركة كماشة حول الجناحين، بعد أن قدم لهما الطيران دعماً قريباً مكثفاً، مما اضطر المدرعات المصرية إلى الانسحاب غرباً. وإثر ذلك اتجه لواء مجموعة «يوفه» نحو الجنوب الغربي للاستيلاء على «بيرالحسنة»، على حين تقدم اللواء المدرع السابع على المحور الأوسط قاصداً مطار «بير الحمة» الذي يبعد نحو ٣٢كلم إلى الغرب من «جبل لبنى» والذي كانت تدافع عنه قوة من فرقة المشاة الثالثة تدعمها بعض الدبابات «ت – ٣٤» وقانصات الدبابات «س يو – ١٠٠»، وعدد من المدافع، وقبل أن تشتبك مع القوة المذكورة طلب قائد اللواء دعماً جوياً قريباً ترتب عليه تسهيل اقتحام الدبابات للمطار بعد معركة استغرقت نصف ساعة انسحبت بعدها القوة المصرية. وواصلت المدرعات الإسرائيلية بعد ذلك تقدمها على المحور الأوسط نحو «بير روض سالم» التي تبعد نحو ٤٠كلم إلى الغرب من «بير الحمة»، واستولت عليها بعد اشتباك قصير مع بعض الدبابات المصرية «ت – ٥٥»، وإثر ذلك تلقت المدرعات الإسرائيلية هناك وقود أو ذخيرة أسقطت إليها بالمظلات لتواصل تقدمها السريع دون انتظار لقوافل سيارات الإمداد والتموين[1].

وفي هذه الأثناء لحق بقيادة المجموعة «جبل لبنى» اللواء المدرع الآخر التابع لمجموعة «تال»، والذي كان متورطاً في الكثبان الرملية إلى الجنوب من ممر خروبة، فأصدر«تال» له أمراً بمتابعة التقدم نحو«بير

---

(١) الموسوعة العسكرية – إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٨١.

جفجافة»، على حين يقوم اللواء المدرع السابع بالتزود بالوقود ثم يزحف وراءه ليستكمل تطهير المواقع الدفاعية التي لم تصف مقاومتها.

واشتبك اللواء المدرع الإسرائيلي الزاحف نحو «بير جفجافة» بموقع رادار كان مقاماً على تل شمال الطريق قرب مطار بير جفجافة في الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر **(يوم ١٩٦٧/٦/٧م)**، ثم بدأت كتيبة مدرعة منه بالالتفاف حول المواقع المصرية من الشمال، على حين بقيت كتيبة مدرعة ثانية تهاجمها من المواجهة شمال الطريق، وفي هذه الأثناء هاجمت طائرات «الميغ» المصرية الدبابات الإسرائيلية وألحقت بها بعض الخسائر، وكذلك ألحقت بها الدبابات المصرية عدة خسائر أخرى، وقد تصدت طائرات «سوبر ميستير» إسرائيلية للطائرات المصرية ولكنها فشلت في ذلك وسقطت منها واحدة في خلال الاشتباك مع الطائرات المصرية. وفي حوالي الساعة ٦مساء اليوم نفسه كانت هناك قوة مدرعة وميكانيكية مصرية كبيرة من الفرقة المدرعة المصرية الرابعة تتقدم من منطقة «بيرتماده» نحو الطريق الأوسط في طريقها للانسحاب إلى الإسماعيلية، متجنبة المرور بمفرق الطرق عند «بير جفجافة» الذي كانت تشرف عليه نيران كتيبة دبابات «أم أكس ١٣»، ولذلك أمر «تال» عناصر اللواء المدرع السابع الموجودة معه بمهاجمة القوة المصرية المذكورة من جناحها الشرقي، وإثر ذلك تقدمت هذه العناصر المؤلفة من كتيبة دبابات «باتون» وسرية من «السنتوريون» للقيام بهذا الهجوم، ولكن معظم القوة المصرية كانت قد وصلت إلى الطريق الأوسط والأرض القريبة منه قبل أن تبدأ الدبابات الإسرائيلية في إطلاق النار، ودارت معركة دبابات عنيفة بين الطرفين استمرت ساعتين حتى حل الظلام، وكانت نتيجة المعركة متعادلة إذ تكبدت المدرعات الإسرائيلية خسائر مماثلة تقريباً للخسائر المصرية لتي بلغت ١٢دبابة «ت – ٥٥» و١٢عربة مدرعة ناقلة جنود مصفحة، كما تدخل الطيران المصري أيضاً خلال هذه المعركة، وعند

الغسق شنت المدرعات المصرية هجوماً معاكساً أجبر كتيبة «الباتون» على الانسحاب والإفساح في مجال حركة الآليات والمدرعات المصرية القادمة من «بير تمادا».

وفي حوالي الساعة الرابعة صباحاً تعرضت كتيبة دبابات «أم أكس – ١١» المرابطة على مقربة من مفرق طرق «بير جفجافة – بير تمادا» لهجوم مدرع معاكس قامت به قوة من الدبابات «ت – ٥٥» (المزودة بأجهزة رؤية ليلية)، أسفر عن تدمير ٧دبابات و٤عربات نصف مجنزرة وقتل عدد كبير من جنودها، وعلى إثر ذلك انسحبت الكتيبة الإسرائيلية المدرعة بسرعة لمسافة ٣ كيلو مترات تقريباً. ولحقت بها بعض دبابات كتيبة «سوبر شيرمان» لمساعدتها في وقف الهجوم المصري، ولكن الدبابات المصرية لم تواصل هجومها، وتوقفت في مواقعها لصد الهجوم الإسرائيلي. وكانت هذه المواقع تشكل سلسلة من المراكز الدفاعية الميدانية المعدة بسرعة التي تمتد على جانبي الطريق قرب «بير جفجافة» لعمق نحو ٧ كلم، وتدعمها نحو ١٠٠دبابة. وقبل الفجر بقليل تسللت كتيبة «أم أكس – ١٣» إلى مقربة من موقعها القديم مرة أخرى، وتهيأ اللواء المدرع السابع للهجوم بعد أن تزود بالوقود، كما كانت كتيبة «السوبر شيرمان» تقف قريباً من مفرق «الطرق». وفي الساعات الأولى من **النهار** **(٦/٨)** نشب قتال عنيف بين المدرعات الإسرائيلية المهاجمة والمدرعات المصرية المدافعة، وكانت دبابات «الباتون» خلال هذا الهجوم تلتف إلى مؤخرة المواقع المصرية عبر الكثبان الرملية التي كانت القيادة المصرية تعتقد أنها غير صالحة لسير الدبابات.

وقد تم الهجوم على كل موقع على حدة، وكانت تدعمه دائماً الهجمات الجوية القريبة المركزة، وكانت المقاومة عنيفة بصورة جعلت اللواء المدرع السابع يتقدم ٥ كلم خلال ٦ساعات، وعند الغسق انهار التنظيم الدفاعي المصري وتدفقت الدبابات والمركبات منسحبة بسرعة نحو الإسماعيلية وهي

تتعرض لقصف جوي عنيف كثر فيه النابالم. وفي الوقت نفسه كان اللواء المدرع الآخر يطهر المواقع الدفاعية الموجودة في مطار ومعسكر «بير جفجافة».

وبدأ إثر ذلك سباق الدبابات الإسرائيلية نحو قناة السويس، ولم تصادف هذه الدبابات مقاومة جدية إلا عند نقطة تبعد نحو ٣كلم من القناة حيث كانت توجد سرية مشاة و٤دبابات تدافع عن تقاطع طرق استطاعت أن توقف الدبابات الإسرائيلية بعض الوقت. وعند الفجر كانت قوات «تال» تواجه الإسماعيلية، واتصلت وحدات الاستطلاع التابعة له بالقوة الزاحفة على المحور الشمالي والتي وصلت إلى القنطرة شرق في العاشرة من صباح يوم الخامس للحرب **(٩/٦/١٩٦٧م)**. ولم تواجه القوة الزاحفة على المحور الشمالي أية مقاومة فعالة لأن القوات المصرية كانت تنسحب بسرعة ومن دون نظام، ولذلك وصلت القوة المذكورة إلى «رمانة» عند غروب اليوم الثالث بعد أن تعرضت لهجوم جوي مصري، وهناك تزودت بالوقود الذي ألقي إليها بالمظلات من طائرة النقل.

وفي الثامنة من صباح اليوم التالي اشتبكت القوة مع قوة من جنود الصاعقة تدعمهم ٢٠ دبابة «ت - ٥٥» ولكنها استطاعت أن تواصل تقدمها مرة أخرى بعد انسحاب القوة المصرية، ثم واجهت مقاومة عنيفة من موقع دفاعي آخر يبعد نحو ١٩كلم عن «القنطرة شرق». فاضطرت إلى التوقف حتى وصلت إليها تعزيزات ضمت كتيبة مظليين ميكانيكية وسرية دبابات «باتون»، وقامت «الباتون» بهجوم على الموقع المصري الذي سمح لها بالدخول وسط دفاعاته ثم أغلق عليها الطريق مطلقاً عليها صواريخ «سنابر» المضادة للدبابات مصيباً العديد منها، وحاولت وحدات الاستطلاع اختراق حلقة الحصار إلا أنها اضطرت للتراجع بسرعة سبب شدة خسائر في الرجال وعربات الجيب، كما حاولت سرية دبابات «أم أكس - ١٣» الالتفاف حول الموقع الدفاعي وتورطت داخل الكثبان الرملية وتعطلت عن الحركة. وهاجمت الطائرات المصرية القوة

الإسرائيلية وألحقت بها بعض الخسائر التي خففت منها سرعة تدخل الطيران الإسرائيلي وسيطرته على سماء المعركة.

وفي حوالي الساعة ١٢,٣٠ حاولت كتيبة المظليين اقتحام الموقع الدفاعي المصري تحت حماية دعم جوي مركز، إلا أنها فشلت وردت على أعقابها ومعها قائدها جريحاً، وإثر ذلك ركز الطيران الإسرائيلية هجماته على الموقع المصري مدمراً دباباته واحدة تلو الأخرى في سلسلة من الغارات حتى الساعة السابعة الرابعة بعد الظهر، حيث قام المظليون بهجوم آخر واحتلوا الموقع بعد انسحاب القوة المصرية منه، وأمضت القوة الإسرائيلية ساعتين بعد ذلك في انتشال الدبابات والمركبات من الكثبان الرملية ثم واصلت التقدم نحو «القنطرة»، حيث أصبحت على مسافة ٦كلم تقريباً منها حوالي السادسة مساء، وهناك هوجمت بوساطة قوة مصرية صغيرة مؤلفة من مظليين محمولين في عربات مدرعة تدعمهم بعض الدبابات، ودارت معركة استمرت نحو ساعة حتى الغسق ثم انسحبت القوة المصرية، ودخلت القوة الإسرائيلية مدينة القنطرة شرق في حوالي الساعة التاسعة مساء فوجدتها خالية. وإثر ذلك زحفت القوة جنوباً، بعد أن تركت سريتين من المظليين وسرية «باتون»، واقتربت خلال الليل من جسر «الفردان» الذي يمر فوقه خط سكة الحديد المؤدي إلى «العريش» و«رفح»، وهناك اصطدمت بموقع دفاعي مصري كان يحمي طريق الاقتراب من الجسر ليمكن القوات المنسحبة من عبور القناة، وتوقفت القوة تراقب الموقع طوال الليل ثم هاجمته عند الفجر بعد أن أمنت دعماً جوياً قريباً، ووصلت إلى مواجهة الجسر الذي كان قد فتح وسط القناة بوساطة المصريين بعد انسحابهم، وهناك تعرضت لنيران المدفعية والصواريخ المضادة للدبابات من الضفة الغربية لقناة السويس (وكذلك كان الحال في القنطرة شرق) إلى أن التقت بقوة «تال» في التاسعة من صباح **يوم ١٩٦٧/٦/٩م**[(١)].

---

(١) الموسوعة العسكرية – إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٨٢.

عملية مجموعة «شارون»: استطاعت مجموعة ألوية «شارون» اقتحام دفاعات «أم قطف» واحتلال «أبوعجيلة»، وعزل قوات «القسيمة» خلال هذه المعركة، وفقاً للمخطط الموضوع، باستثناء أن فاعلية المظليين الذين أنزلوا بطائرات الهليكوبتر قرب مواقع المدفعية المصرية لتدمير أكبر عدد ممكن منها كانت أقل مما كان متوقعاً لها عند التخطيط للعملية. وقد انتهت معركة «أبو عجيلة» بصورة رئيسية في الساعة التاسعة من صباح يوم ٦/٦ (انظر أبو عجيلة، معركة). وعقب انتهاء المعركة الرئيسية تقدم اللواء المدرع ومعه «شارون» إلى الجنوب تجاه «القسيمة» مخلفاً وراءه لواء المشاة والمدفعية لاستكمال تطهير المواقع المصرية في «أم قطف» و«أم شيحان» و«المعسكر»، إلا أن «شارون» أمضى ليلة ٦ - ٧حزيران (يونيو) في موقع إلى الجنوب من «أم قطف»، ولم يحاول مهاجمة حامية «القسيمة» من المؤخرة (كانت تضم النصف الآخر من فرقة المشاة الثانية ومؤلفة من لواء المشاة ومجموعة مدرعة ولواء مدفعية).

وعند الفجر تحرك اللواء المدرع الذي كان محتشداً في مواجهة دفاعات «القسيمة» من جهة الشرق على مقربة من جبلي «الصبحة» لتثبيت حاميتها أثناء معركة أبو عجيلة، وتقدم عبر الحدود تسبقه هجمات جوية مركزة على مواقع «القسيمة» التي لم ترد على الغارات الجوية المتكررة بطلقة واحدة،نظراً لأن قواتها كانت قد انسحبت خلال الليل (تنفيذاً لأمر الانسحاب العام الصادر من القيادة العليا المصرية في اليوم السابق) بعد أن دفنت في الرمال ١٢دبابة «ستالين - ٣» و٣٠دبابة «ت - ٣٤» وعدداً من المدافع والعربات الأخرى حتى لا تلفت ضجة محركاتها انتباه العدو لعملية الانسحاب المفاجئ الجارية (لم تعثر القوات الإسرائيلية على هذا العتاد إلا بعد عدة أسابيع عندما كشفت الريح بعض الرمال التي كانت تغطيه). وقد تقدمت وحدات اللواء المدرع المذكور، في شكل كماشة تزحف بحذر وسط حقول الألغام نحو «القسيمة» التي تبعد نحو ١٦ كلم من الحدود، والتقى طرفا

الكماشة عند البلدة المذكورة حوالي الساعة العاشرة صباحاً **يوم ٦/٧** لتجد أنها قد أطبقت على مواقع خالية تماماً من القوات.

وإثر ذلك واصل لواء «شارون» تقدمه نحو «نخل» بهدف تطويق مجموعة «الشاذلي» المدرعة، متخذاً أثناء سيره شكل ثلاثة أرتال متوازية. وفي خلال الليل واصل اللواء المدرع تقدمه مضيئاً أنوار الدبابات والآليات، واصطدم بنيران موقع دفاعي لأحد ألوية فرقة المشاة السادسة عند جبل «كريم» على بعد نحو ٣٢كلم إلى الشمال الشرقي من «نخل»، فأصيبت بعض الآليات كما تورطت أخرى داخل حقل ألغام، وقرر «**شارون**» الانتظار في مكانه حتى بزوغ ضوء النهار. وفي هذه الليلة كانت آخر عناصر مجموعة الشاذلي قد أتمت انسحابها غرباً نحو «بير تمادا» دون أن يشعر بها لواء «**شارون**».

وفي فجر يوم ٦/٨ وجد «شارون» الموقع المصري خالياً تقريباً من القوات التي انسحبت خلال الليل نحو «ممر متلا» تاركة وراءها بعض الدبابات، فواصل تقدمه دون قتال نحو «نخل».

وفي هذه الأثناء كان آخر ألوية فرقة المشاة السادسة قد انسحب من «الكونتلا» خلال الليل.وعند الفجر تابع اللواء المدرع الإسرائيلي الذي كان يقف إلى الشرق منها لحماية الالتفاف حول «إيلات» في حركة الانسحاب هذه، تسانده الطائرات الإسرائيلية التي أخذت تهاجم آليات اللواء المصري المنسحب بصورة متواصلة. وفي الساعة الثالثة من بعد الظهر وصل اللواء الإسرائيلي الزاحف من «الكونتلا» إلى «التمد»، ووجد بعض المواقع الدفاعية المصرية هناك، فطلب دعماً جوياً قريباً، ثم واصل تقدمه بعد انسحاب العناصر المصرية من هذه المواقع. وفي ذلك الوقت كان «**شارون**» قد دفع كتيبة دبابات «سوبر شيرمان» إلى الشرق من «نخل» لتقطع الطريق هناك، ثم هاجم بكتيبة دبابات «سنتوريون» وكتيبة المشاة الميكانيكية جناح اللواء

المصري المنسحب من «التمد» عند «نخل»، حيث دارت معركة استمرت نحو ساعة حسمتها الطائرات الإسرائيلية، ولكن أعمال تطهير بعض جيوب المقاومة استمرت بمعاونة الطائرات طوال ساعات بعض الظهر، وفي السادسة مساء أرسل «**شارون**» كتيبة دبابات السنتوريون نحو «ممر متلا»، وعند الغسق لحقت بها قوات اللواء الزاحف من «التمد».

أما مجموعة «يوفه» فقد تحرك لواؤها المدرع، الذي شارك اللواء المدرع السابع في معركة جبل لبنى، نحو «بير حسنة» في حوالي الساعة التاسعة من **صباح يوم ١٩٦٧/٦/٧م**، ولم يصادف في زحفه أية مقاومة تقريباً. واختلطت الدبابات الإسرائيلية في عديد من المرات بالمركبات والدبابات المصرية المنسحبة بسرعة نحو «بير تمادا»، وكان يجري تبادل إطلاق نار فوضوي بين الطرفين المهاجم والمنسحب، يؤدي في معظم الحالات إلى اتجاه الدبابات المصرية نحو الصحراء المفتوحة على جانبي الطريق. وفي حوالي الساعة ١٣,٠٠ ظهراً وصل اللواء المدرع المذكور إلى «بير الحسنة» واحتلها بعد مقاومة قصيرة، والتقى هناك إثر ذلك مباشر باللواء المدرع الثاني التابع للمجموعة، والذي كان قد زحف عبر قوات «**شارون**» إثر احتلالها لموقف «أم قطف». وواصل اللواء الأول زحفه نحو «بير تمادا» في حوالي الساعة الثانية بعد الظهر ومعه نحو ٢٠ دبابة فقط، نظراً لأن بقية دبابات اللوائين كانت نافذة الوقود، ولم تصادف الدبابات مقاومة في «بير تمادا»، وعثرت هناك على مستودع وقود مهجور فتزودت بالوقود وواصلت تقدمها بسرعة نحو «ممر متلا» الذي وصلته حوالي الساعة السادسة مساء، حيث لم تجد هناك عند «نصب باركر» أي مواقع دفاعية مصرية. وكانت القوة الإسرائيلية التي وصلت إلى النصب المذكور قد تقلصت، نتيجة لنقص الوقود، إلى ٩ دبابات فقط، أربع منها تقطرها الدبابات الأخرى نظراً لنفاذ وقودها.

وفي السادسة والنصف مساء وصل رتل مصري آخر من الفرقة المصرية السادسة من اتجاه «نخل» فأطلقت عليه الدبابات الإسرائيلية النار، إلا أنها لم تصب من آلياته نظراً لبعد المسافة، ولذلك واصل الرتل انسحابه داخل الممر، ولكنه تعرض في اللحظات الأخيرة من النهار لقصف جوي مركز استخدم فيه النابالم والصواريخ والقنابل شديدة الانفجار. وقامت بعض دبابات اللواء المدرع الإسرائيلي بدفع بعض الآليات والدبابات المصرية المهجورة إلى مدخل الممر لتضييق طريق المرور، وأتمت عملها هذا حوالي الثامنة مساء.

وفي خلال الليل وصلت بعض الدبابات الإسرائيلية الأخرى، التي تزودت بالوقود من معسكر مصري صغير مهجور يبعد نحو ٢٢ كلم، إلى الشمال من «متلا». وأدى نقص الوقود وقلة عدد الدبابات العاملة لدى مجموعة «يوفه» في هذه الليلة إلى عدم إغلاق «ممر الجدي» القريب من «بير تمادا» ونجاح كثير من الآليات المصرية في الانسحاب عبره نحو قناة السويس.

وفي فجر يوم ٦/٨ كان أحد لوائي مجموعة «يوفه» قد أتم تجمعه عند المدخل الشرقي لممر متلا، على حين كان اللواء الآخر محتشداً عند «بير تمادا» قرب المدخل الشرقي للمر الجدي. وقد تلقى «يوفه» معلومات من القيادة الجنوبية تفيد أن هناك هجوماً مضاداً مصرياً يجري غرب ممر متلا، فقام بدفع كتيبة سنتوريون (باستثناء سرية تركها عند المدخل الشرقي للممر لحراسة مؤخرته)، وعبر الممر بأقصى سرعة ممكنة وسط حطام الآليات المصرية التي دمرتها الطائرات حتى وصل إلى المدخل الغربي للممر تأهباً لصد الهجوم المصري. ولكن الهجوم المنتظر لم يحدث، نظراً لأن الهجمات الجوية الإسرائيلية أدت إلى تدمير معظم آليات القوة المصرية في الأرض المكشوفة الواقعة بين القناة ومدخل ممر متلا الغربي.

وفي الوقت نفسه وصلت كتيبة «السنتوريون» التابعة لمجموعة «شارون» وحلت محل السرية التابعة ليوفه عند المدخل الشرقي للممر، على حين كانت الكتيبة الثانية من لواء «يوفه» تزحف نحو «رأس سدر» عبر الطريق المتفرع جنوب «ممر متلا» لتدعم سرية مظليين هبطت بالهيليكوبتر هناك حيث واجهت مقاومة مصرية عنيفة استمرت لعدة ساعات. وفي حوالي الساعة ١٣,٣٠ تمكنت كتيبة الدبابات •وكانت سنتوريون أيضاً) أن تحتل «رأس سدر» ووقع في الأسر حوالي ١٠٠ جندي مصري من المشاة الذين ثبتوا أمام المظليين منذ الفجر.

وفي الوقت نفسه تقدم اللواء الثاني التابع ليوفه عبر ممر الجدي عند الظهر، حيث اشتبك في قتال عنيف مع نحو ٣٠دبابة مصرية «ت٥٤، ٥٥» استطاعت أن توقفه عن التقدم، خاصة وأن بعض الطائرات المصرية ساندتها خلال المعركة، ولم تستطع الدبابات الإسرائيلية الوصول إلى المدخل الغربي للمر إلا عند الغسق بعد أن تدخل الطيران الإسرائيلي وأبعد الطائرات المصرية ودمر العديد من الدبابات. وفي الساعة الثالثة والنصف بعد منتصف ليلة ٨ – ٦/٩، وصلت بعض دبابات «يوفه» إلى القناة في ثلاث نقاط تحسباً لصدور قرار وقف إطلاق النار من مجلس الأمن، حتى تثبت وجودها عند القناة وفي مواجهة مدينة السويس مباشرة. وقد قدرت خسائر القوات المصرية في الأفراد بنحو ١٠آلاف جندي قتلوا أو فقدوا بالإضافة لنحو ١٥٠٠ ضابط و٤٠طياراً، كما فقد نحو ٨٠% من أعتدة الجيش المصري، من بينها نحو ٨٠٠ دبابة وقانص، وحوالي ٤٥٠ مدفعاً ونحو ١٠ آلاف مركبة من مختلف الأنواع[١]. وتقول المصادر الإسرائيلية إنَّ خسائرها في سيناء بلغت ٢٧٥ قتيلاً و٨٠٠ جريحاً و٣ طيارين وقعوا في الأسر فضلاً عن تدمير ٦١ دبابة.

---

(١) جيهان الطاهري وأهرون بريغمان، العرب والكيان الصهيوني (حرب الخمسين عاماً)، ترجمة هشام حداد، إصدار مركز الدراسات العسكرية، دمشق، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٠م، ص١٠٦.

خامساً - الحرب على الجبهة الشرقية:

آ – توزيع القوات الأردنية المسلحة :

كانت القوات الأردنية الموجودة في الضفة الغربية من نهر الأردن تتألف من ٦ألوية مشاة ولوائين مدرعين. وكان توزيعها في صباح يوم **٥حزيران (يونيو) ١٩٦٧م** على النحو التالي:

١– لواء المشاة ٢٥ مع كتيبة دبابات «م٤٧» في منطقة جنين.

٢– لواء مشاة «الأميرة عالية» في منطقة نابلس وطولكرم وقلقيلية.

٣– لواء مشاة «اللواء الهاشمي» في منطقة رام الله.

٤– لواء مشاة «علي بن أبي طالب» في منطقة القدس.

٥– لواء مشاة «حطين» في منطقة الخليل.

٦– لواء المشاة ٢٧ بين أريحا والقدس.

٧– اللواء المدرع ٦٠في منطقة «الخان الأحمر» غرب أريحا.

٨– اللواء المدرع ٤في منطقة جسر دامية.

كما كان هناك لواء مشاة آخر في الضفة الشرقية موزعاً بين عمان والعقبة، ولواء الحرس الملكي في عمان.

وبالإضافة إلى القوات الأردنية، فقد كان على الجبهة الشرقية قوات عربية (عراقية ومصرية وسعودية وسورية). وكانت القوة العراقية عبارة عن لواء مشاة ميكانيكي متمركز في «المفرق» ثم توجه إلى جسر دامية بعد ظهر يوم ٥ حزيران (يونيو). وكانت القوة المصرية تضم كتيبتي صاعقة (مغاوير) وصلتا إلى مطار عمان **يوم ٣ حزيران (يونيو)** ألحقت إحداهما بلواء المشاة ٢٥ في جنين، وألحقت الثانية باللواء الهاشمي في منطقة رام الله أما القوة السعودية فكانت تضم لواء مشاة غير كامل، وصلت طلائعه يوم

٦حزيران (يونيو) إلى المدورة وبقي هناك دون أن يشترك في الحرب، ولقد وصل لواء مدرع سوري (اللواء المدرع ١٧) إلى الأراضي الأردنية مساء يوم ٧ حزيران (يونيو) ولم يشترك في القتال الذي دار على الجبهة الأردنية[١].

وكان كل من اللوائين المدرعين الأردنيين يتألف من كتيبتي دبابات، في كل منهما نحو ٤٠دبابة، وكتيبة مشاة ميكانيكية والوحدات المساعدة الأخرى وتقدر قوة المدرعات الأردنية بنحو ٢٠٠ دبابة معظمها من طراز «باتون» «م-٤٧» و«م - ٤٨» بالإضافة لعدد من دبابات «السنتوريون»، ونحو ٢٥٠ ناقلة جنود مدرعة معظمها من طراز«م - ١١٣» الأمريكية، كما كان لدى الجيش الأردني نحو ٢٠٠ مدفع ميدان معظمها عيار ٢٥ رطل بريطاني، وبعض المدافع الأمريكية. أما المدافع المضادة للدبابات فكانت من عيار ١٧ رطل بريطاني و١٠٦ مم عديمة الارتداد.

وأدى امتداد الجبهة الأردنية (نحو ٦٥٠ كلم) إلى ضعف كثافة القوات الأردنية الموزعة دفاعياً على طول المواجهة، وبالتالي سهل على القوات الإسرائيلية التي أخذت المبادرة الهجومية أن تحشد قواها الرئيسية على محاور تقدم معينة، فتحققت لها نسبة تفوق محلية عالية للغاية، وبالقياس إلى النسبة العامة للتفوق بين إجمالي القوات الأردنية المقاتلة في الضفة الغربية والقوات الإسرائيلية المعدة للهجوم على الجبهة الأردنية، والتي بلغت في جملتها ٣ألوية مدرعة وكتيبة دبابات مستقلة على الأقل، و٤ألوية مشاة، ولواء مظلي ميكانيكي، بالإضافة لوحدات الناحال والدفاع الإقليمي. أي أن النسبة العامة لعلاقات القوى بين الطرفين كانت متساوية تقريباً في وحدات المشاة (٦ ألوية أردنية مقابل ٥ ألوية إسرائيلية) وفي المدرعات كانت الوحدات

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٨٤.

الإسرائيلية متفوقة بنسبة ٣: ٢تقريباً، أما في المدفعية فإن العلاقة بين القوة غير معروفة بدقة، نظراً لعدم توفر معلومات كافية عن وحدات المدفعية الإسرائيلية التي استخدمت في الجبهة الأردنية. وفي مجال الطيران كان التفوق مطلقاً للجانب الإسرائيلي، خاصة بعد أن دمرت جميع طائرات السلاح الجوي الأردني (٣٢ طائرة هوكر هنتر) في مطاري «عمان» و«المفرق» **ظهر يوم ٥ حزيران (يونيو»**، بعد أن قامت بعضها بعدة غارات على المطارات الإسرائيلية ناتانيا وبتاح تكفا وسكرين)، ودمرت ٤ طائرات نقل على الأرض في حوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً.

وقد أدت بعثرة الألوية الأردنية على طول الجبهة وافتقاد قيادة الجيش الأردني إلى أية خطة هجومية ضد إسرائيل، (على الرّغم من وجود نتوءات من أرض الضفة الغربية تشكل نقاط انطلاق هجومية ممتازة من الناحية الجغرافية (مثل نتوء قلقيلية الذي يبعد عن شاطئ البحر المتوسط بنحو ١٥ كلم فقط ويقع في وسط المنطقة الحيوية من الأرض المحتلة)، إلى ضعف الدفاع الأردني في كل مكان تقريباً، خاصة وأن الأردنيين لم يعدو مسبقاً موانع هندسية وحقول ألغام كثيفة على المحاور الرئيسية للتقدم الإسرائيلي المحتمل، والتي كانت تجتاز عديداً من نقاط الاختناق بين التلال والجبال المنتشرة في الضفة الغربية. وساعد عدم وجود أي تنظيم للمقاومة الشعبية الفلسطينية على تسهيل الزحف الإسرائيلي عبر هذه المحاور (على خلاف الحال في قطاع غزة) والاستيلاء على مدن وقرى المنطقة.

ب – خطة الهجوم الإسرائيلي على الضفة الغربية:

قامت الخطة الإسرائيلية في احتلال الضفة الغربية ومدينة القدس القديمة على أساس توجيه ضربة رئيسية إلى شمال القدس للسيطرة على سلسلة التلال الحيوية الموجودة هناك، والتي تسهل عملية تطويق المدينة

والإشراف على طرق المواصلات التي تربطها بالأردن، كماتفتح طريق التقدم شمالاً نحو نابلس عبر محور «رام الله». واتخذت هذه الضربة شكل شعب ثلاث للتقدم، واحدة من منطقة «الشيخ عبد العزيز» نحو «النبي صموئيل». وثانية تتجه نحو تل الرادار ثم تزحف شرقاً نحو «النبي صموئيل» أيضاً حيث تلتقي بالشعبة الأولى ويزحفان معاً شرقاً إلى «بيت حنينا» ليقطعا طريق «القدس – رام الله» ويتوزعا إلى قوتين: واحدة تتجه جنوباً نحو جبل سكوبس شمال القدس مباشرة والأخرى تتجه شمالاً نحو «رام الله». أما الشعبة الثالثة للضربة المذكورة فقد حددت لانطلاقها منطقة «اللطرون»، ثم تزحف شرقاً نحو «رام الله» حيث تلتقي هناك بالقوة الزاحفة من «بيت حنينا». ومن «رام الله» تتجه قوة شمالاً نحو نابلس، وتتجه قوة أخرى إلى الجنوب الشرقي نحو «أريحا» الواقعة بين «القدس» ونهر الأردن. وفي الوقت نفسه كان على قوة إسرائيلية أن تطوق القدس من الجنوب بعد الاستيلاء على قرية «صور باهر»، ثم تقتحم المدينة من جهة الشرق[1].

وقد أسندت هذه المهام القتالية إلى قيادة الجبهة الوسطى التي شكلت مجموعة قتالية ضمت لواء مدرعاً ولواء مظلياً (كان من المفروض أن يحتل العريش بعملية إنزال جوي ثم ألغيت العملية نظراً لسرعة استيلاء قوات تال عليها) و٣ألوية مشاة، وخضعت هذه المجموعة لقيادة قائد المنطقة الوسطى العميد «ناركيس». وقد عهد ناركيس للواء المدرع بقيادة «يوري بن آري» (القائد السابق للواء السابع المدرع الذي استدعي من الاحتياط عشية الحرب) باحتلال «تل الرادار» و«الشيخ عبد العزيز» وقطع طريق «القدس – رام الله»، على أن يقوم اللواء المظلي ولواء مشاة آخر من مجندي القدس الجديدة،

---

(١) مجموعة من الباحثين الروس، الحروب العربية – الإسرائيلية، ترجمة العميد صبحي الجابي، إصدار دمشق ١٩٧٥، ص ٢٠٥-٢٠٧.

بتنفيذ المهام القتالية حول المدينة وداخلها بالتعاون مع اللواء المدرع وكتيبة دبابات «شيرمان» مساندة للواء المشاة. أما منطقة «اللطرون» فقد عهد بها إلى لواء المشاة ميكانيكي. وفي القطاع الشمالي من الضفة الغربية، حيث توجد مدن «نابلس» و«جنين» و«طولكرم» وبلدة «قلقيلية»، فقد عهدت القيادة الإسرائيلية إلى مجموعة العنيد «العادبيليد» بمهام القضاء على القوات الأردنية الرئيسية الموجودة هناك، واحتلال هذا القطاع، والوصول إلى نهر الأردن. وكانت هذه المجموعة تتألف من لوائين مدرعين تابعين للقيادة الشمالية أصلاً، ولوائي مشاة: أحدهما من القيادة الشمالية أيضاً والآخر من القيادة الوسطى، فضلاً عن كتيبة دبابات مستقلة ووحدات مساندة أخرى تضم: كتيبة استطلاع مدرعة، و٣ كتائب مدفعية، وكتيبة هندسة، و٨ كتائب ناحال، و٣ حاميات دفاع إقليمي.

ووضعت الخطة الإسرائيلية على أساس توجيه ضربتين أساسيتين بلوائي المدرعات غرب جنين وشرقها، على أن تتقدم الأولى من الشمالي الغربي لجنين نحو قرية «اليامون»، ثم تتجة شرقاً حتى تقطع طريق «جنين – نابلس» وتهاجم جنين من الجنوب عبر سهل عرابه، ويقود الثانية اللواء المدرع الثاني الذي يتقدم من شمال جنين على طريق «عفولة»، ثم يتجه شرقاً إلى قرية «دير أبو ضعيف» ثم جنوباً إلى قرية «جلقموس» و«تلفيت» ثم قرية «الزبابدة» حيث يقطع طريق«طوباس – قباطيا – جنين». وهناك يتجه رتل آخر جنوباً نحو «طوباس» و«نابلس»، وفي الوقت نفسه يزحف لواء مشاة ميكانيكي نحو «جنين» مباشرة عن طريق «حيفا». كما خطط لتوجيه ضربة ثالثة إلى الغرب من «جنين» بوساطة كتيبة دبابات وقوة من المشاة الميكانيكية من اتجاه «سيلة الحارثة» و«يعبد» بهدف قطع طريق «جنين – نابلس» عند «عرابه» ثم التقدم جنوباً نحو «سيلة الظهر» ثم مهاجمة «نابلس» من الغرب، وبذلك يتم تطويق تابلس من الشمال بوساطة المدرعات الزاحفة

من «طوباس» ومن الجنوب بوساطة قوة مدرعة من لواء «بن آرى» تزحف من «رام الله» ومن الغرب كما سبقت الإشارة.

وكانت جميع الضربات الثلاث المذكورة تقع في قطاع لواء المشاة الأردني ٢٥ الذي كانت تعززه سريتا دبابات باتون من الكتيبة المدرعة ١٢.

ولقد خطط العدو أيضاً لتوجيه ضربتين ثانويتين بوساطة لواء مشاة (من المنطقة الوسطى) ضد «قلقيلية» و«طولكروم»، تعززهما سريتا دبابات شيرمان، أي في قطاع لواء «الأميرة عالية» ثم تزحف الوحدات المهاجمة على هذين المحورين نحو نابلس أيضاً كما خطط بالإضافة إلى ذلك هجوماً مخادعاً تقوم به وحدة مشاة من اتجاه «بيسان» قرب نهر الأردن في اتجاه جسر «دامية».

جـــ - معارك الجبهة الشرقية:

١ - معركة القدس: هاجم العدو مدينة القدس في ٦/٥ (انظر القدس، معارك). وفي الوقت الذي كانت به معركة القدس محتدمة،كان لواء مشاة إسرائيلي تدعمه وحدة من دبابات «شيرمان» يهاجم ممر باب الواد الضيق ومركز شرطة اللطرون المحصن، ولقد تم الاستيلاء عليهما في صباح اليوم التالي، ٦ حزيران (يونيو)، وبعد ظهر اليوم نفسه، تقدمت وحدة استطلاع اللواء جنوباً على طريق رام الله، واستولت على مطار القدس (مطار قلنديا)، على حين اشتركت بقية وحدات اللواء مع كتيبي دبابات من اللواء المدرع الذي يقوده «بن آرى» مساء اليوم نفسه في معركة القدس[١].

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٨٦.

٢ – معركة جنين: كانت وحدات لواء المشاة ٢٥ الأردني موزعة شمالي جنين لتحمي طرق الاقتراب منها، خاصة محور عفولة الواقع إلى الشمال الشرقي والذي يمر عبر أرض سهلية، وتعززها سريتا دبابات باتون «م – ٤٧» تابعة لكتيبة الدبابات ١٢ وزعتا على محاور التقدم الثلاثة: محور «حيفا – جنين»، ومحور «عين السهلة – يعبد»، ومحور «زرعين – جنين». وقد فتحت المدفعية والدبابات الأردنية النار على الأهداف الإسرائيلية المواجهة لها، ومنها مطار «رامات دافيد» الواقع إلى الغرب من جنين، منذ الساعة العاشرة من صباح ٥حزيران (يونيو) لمدة ساعتين تقريباً. وفي الخامسة مساء بدأ اللواء المدرع الإسرائيلي التابع لمجموعة «بيليد» هجومه على قطاع جنين من الشمال الغربي نحو قرية اليامون بوساطة كتيبة دبابات «شيرمان» وكتيبة مشاة ميكانيكية (تنقصها سرية) ووحدة استطلاع. وفي الوقت نفسه كانت كتيبة دبابات أخرى ومعها سرية مشاة ميكانيكية (أي بقية اللواء المدرع) تهاجم من اتجاه «سيلة الحارثة» نحو قرية «يعبد» إلى الغرب من جنين، كما كان الهجوم المخادع الذي قامت به وحدة مشاة إسرائيلية من اتجاه «بيسان» نحو «جسر دامية» قد بدأ في حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر وحقق تقدماً على الضفة الغربية لنهر الأردن بلغ نحو ١٦كلم حتى حلول الظلام.وتوقفت القوة الإسرائيلية عن مواصلة التقدم بعد أن تبادلت بعض الطلقات مع وحدة أردنية صغيرة كانت تحرس حدود هذه المنطقة.

وقد وصلت المدرعات الإسرائيلية التي هاجمت قرية اليافون بعد حلول الظلام إلى طريق، جنين – نابلس، وأخذت تتقدم نحو جنين من الجنوب عبر سهل عرابه بعد أن واجهت مقاومة أردنية محدودة، ثم توقفت لإعادة التنظيم. أما القوة المدرعة الإسرائيلية الأخرى التي تقدمت نحو قرية يعبد فقد واجهت مقاومة من قوة أردنية صغيرة قاتلت بشدة حتى تم اجتياحها عملياً، ثم توقفت على بُعد ٦ كلم من القرية عند حلول الظلام. وكانت المدفعية

والطائرات الإسرائيلية تقدم في جميع هذه العمليات الهجومية الإسرائيلية دعماً قوياً بالنيران للمدرعات المهاجمة.

وفي حوالي الساعة الثالثة من بعد منتصف ليلة ٥ – ٦ حزيران (يونيو) بدأت كتيبة الدبابات الإسرائيلية التي تدعمها غالبية كتيبة المشاة الميكانيكية التابعة للواء المدرع،والتي سبق لها أن توقفت في سهل عرابه، هجومها نحو جنين، إلا أنها اصطدمت بمواقع دفاعية أردنية بها نحو كتيبة مشاة، و١٥ دبابة «باتون م ٤٧» كانت مختفية داخل أشجار الزيتون، ففشل الهجوم، ودمرت بعض الدبابات والآليات الإسرائيلية. وشنت المدرعات الإسرائيلية هجوماً ثانياً إلا أنه فشل أيضاً، وبدأت الدبابات الإسرائيلية تنسحب عند بزوغ الفجر، فقامت الدبابات الأردنية بمطاردتها إلا أنها تعرضت لقصف جوي معادٍ، وتكبدت خسائر شديدة تمثلت في إصابة ٨دبابات. وبعد ذلك عاودت المدرعات الإسرائيلية ومشاتها الميكانيكية الهجوم وأمكن صدها عدة مرات بنيران المدافع المضادة للدبابات، إلا أنها استطاعت اختراق الدفاعات الأردنية في حوالي الساعة السابعة من **صباح ٦ حزيران (يونيو)**، وأخذت تهاجم جنين نفسها، حيث دارت بعض معارك الشوارع خاصة عند مركز الشرطة المحصن، استمرت حتى السابعة والنصف صباحاً، وسقطت جنين إثر ذلك في أيدي القوات الإسرائيلية التي هاجمت المدينة من الشمال أيضاً عند الفجر عبر طريق حيفا بلواء مشاة ميكانيكي وكانت جميع الدبابات الأردنية التابعة للكتيبة المدرعة ١٢ قد دمرت عند سقوط المدينة.

٣ – معارك اللواء المدرع الأردني ٤٠: كان هذا اللواء يتكون من كتيبتي الدبابات الثانية والرابعة (لديهما معاً حوالي ٩٠دبابة «باتون م – ٤٨»).

وكتيبة المشاة الميكانيكية الأولى (محمولة على عربات مدرعة م – ١١٣) وكتيبة المدافع ذاتية الحركة الثامنة. وكان اللواء المدرع المذكور

محتشداً عند بدء القتال في منطقة جسر دامية. وقد أمره الفريق عبد المنعم رياض ظهر يوم ٥ حزيران (يونيو) بالتوجه نحو أريحا لكي يحل محل اللواء المدرع الأردني ٦٠ الذي أُمر بالزحف إلى «الخليل» لمواجهة احتمال وقوع هجوم مدرع إسرائيلي من منطقة «بئر السبع»، أو الاشتراك في هجوم مضاد نحوها للالتقاء بمجموعة الشاذلي المدرعة حال قيامها بهجومها عبر الكونتلا نحو «بئر السبع» لتطويق «ايلات». ولقد رأى الفريق رياض أنه من الضروري أن يحل محل اللواء المدرع ٤٠ في جسر دامية اللواء الميكانيكي الثامن العراقي الذي كان قد وصل إلى منطقة المفرق قرب الحدود الأردنية – العراقية. وقد وصل اللواء المدرع ٤٠ إلى «أريحا» وأراد مواصلة التقدم خلال الليل نحو منطقة «الخان الأحمر» إلا أن طيران العدو هاجمه أثناء تحركه، وعدل اللواء عن مواصلة تقدمه بعد تلقيه أمراً جديداً بالتحرك إلى قطاع «جنين» لصد هجوم العدو هناك في الساعة الثامنة من مساء **يوم ٥ حزيران (يونيو)**. وبدأ اللواء في التحرك من «أريحا» في حوالي الساعة التاسعة والنصف من مساء اليوم نفسه، وقد انقسم إلى رتلين: الرتل الأول ويتألف من الكتيبة المدرعة الرابعة ومعها قيادة اللواء وغالبية كتيبة المشاة الميكانيكية الأولى وبطاريتا مدفعية ذاتية الحركة، فقد تقدم على طريق «طوباس – جنين» في اتجاه مفترق قباطيا. أما الرتل الثاني، ويتألف من الكتيبة المدرعة الثانية وسرية مشاة ميكانيكية وبطارية مدفعية ذاتية الحركة، فقد تقدم على طريق «نابلس – دير شرف» في اتجاه مفترق «عرابة». وعند وصول الرتل المدرع المتقدم على طريق «طوباس – جنين» إلى قرية «الزبابدة»، انقسم إلى قوتين: ضمت القوى الأولى سريتي دبابات وسرية مشاة ميكانيكية. ولقد واصلت هذه القوة تقدمها حتى مفترق «قباطيا»، وضمت القوة الثانية سرية دبابات وسريتي مشاة ميكانيكية وبطاريتي مدفعية ذاتية الحركة ولقد بقيت هذه القوة في منطقة قرية «الزبابدة» لصد هجوم اللواء المدرع الإسرائيلي الآخر المتقدم نحو قريتي «جلقموس و«تلفيت».

٤ - معركة قباطيا: وصلت سريتا دبابات الكتيبة الرابعة ومعها سرية مشاة ميكانيكية إلى مفترق «قباطيا» في حوالي الساعة ٤,٣٠ من صباح ٦٧/٦/٦، وهاجمت سرية دبابات إسرائيلية كانت هناك وأنزلت بها خسائر فادحة اضطرتها للانسحاب نحو جنين، وفي حوالي ٧,٣٠ من الصباح المذكور، كانت المدرعات الأردنية قد استكملت سيطرتها على المفترق، ولكنها توقفت عن مواصلة التقدم نظراً لحاجاتها إلى إعادة التزود بالوقود والذخيرة، ولذلك أخذ قائد الكتيبة يرسل دباباته إلى المؤخرة القريبة واحدة تلو الأخرى لا تمام هذه المهمة، الأمر الذي أتاح لقائد اللواء المدرع الإسرائيلي في «جنين» أن يحشد قواته ويتقدم بها نحو مفترق «قباطيا» لمهاجمة القوة الأردنية.

وفي حوالي الحادية عشرة من صباح اليوم نفسه تقدمت الدبابات الإسرائيلية نحو مفترق «قباطيا» فتراجعت الدبابات الأردنية أمامها وانتشرت في الحقول والتلال الواقعة في جنوب سهل عرابه، وتبعتها الدبابات والآليات الإسرائيلية حيث وقعت في كمين من نيران «الباتون» الأردنية، نتج عنه تدمير وإصابة نحو ٣٠ مركبة مدرعة إسرائيلية، من بينها ١٧ دبابة «شيرمان». وإثر ذلك شنت المدرعات الإسرائيلية هجوماً آخر لتتمكن من سحب آلياتها المعطلة وجرحاها، ولكن الهجوم الثاني فشل أيضاً، ولذلك قامت الطائرات الإسرائيلية بشن غارتين بعد ظهر اليوم نفسه لتمكين رجال المدرعات من سحب آلياتهم المصابة، وعند حلول الظلام كان الموقف التكتيكي سيئاً بالنسبة للإسرائيليين الذين كانوا منتشرين في الوادي على حين كانت المدرعات الأردنية لا تزال مسيطرة على المفترق والوادي من التلال المشرفة عليه، وتوقف القتال خلال الليل. **وفي الوقت نفسه كان اللواء المدرع الإسرائيلي الثاني (ضمن مجموعة بيليد)** قد اخترق الحدود عند فجر **يوم ٦٧/٦/٦** إلى الغرب من جبل «جلبوع»، وقد اصطدم بموقع دفاعي

أردني مجهز ببعض المدافع المضادة للدبابات قرب قرية «أبو ضعيف»،حيث أصيبت بعض الدبابات الإسرائيلية في محاولة اقتحامها الأولى الفاشلة، ثم وجهت نيران المدفعية والطيران إلى الموقع المذكور على حين هاجمته الدبابات من الجناح ونجحت في اختراقه. وفي حوالي الساعة ١٠,١٥ من صباح اليوم نفسه كان اللواء المدرع الإسرائيلي قد استولى على قريتي «جلقموس» و«تلفيت» ثم تقدم نحو قريتي «الكفير» و«الزبابدة»، وفي «الكفير» اشتبك في معركة عنيفة مع السرية المدرعة الثالثة الأردنية التابعة للكتيبة الرابعة والتي تركت لحماية مؤخراتها في قرية «الزبابدة». وقد أسفر الاشتباك عن إصابة ٣ دبابات سنتوريون إسرائيلية، وتراجع الباقي إلى الخلف بعض الشيء، واستمر تبادل إطلاق النار بين الدبابات الأردنية المحتمية في مواقع جيدة الإعداد، والدبابات الإسرائيلية المكشوفة، حتى حلول الظلام، دون أن يحرز اللواء المدرع الإسرائيلي أي تقدم جديد[1].

انسحاب اللواء المدرع ٤٠: ولكن قائد اللواء المدرع ٤٠ الأردني بات يشعر بحرج موقفه في «قباطيا» من جراء تهديد اللواء المدرع الإسرائيلي الآخر لقرية «الزبابدة» التي سيترتب على سقوطها قطع خط انسحاب بقية الكتيبة المدرعة الرابعة. ولذلك قرر الانسحاب من «قباطيا»، وبدأت الكتيبة تنفيذ أوامر الانسحاب في الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر يوم ٦/٦، بعد أن كانت قد فقدت عشر دبابات نتيجة القصف الجوي المعادي، بالإضافة للدبابات الأربع التي كانت قد فقدتها خلال قتال الدبابات، وعندما وصلت إلى قرية «الزبابدة» أصيبت دبابتان أخريتان، ثم شاركت في القتال الدائر عند «الكفير» بالتعاون مع سرية الدبابات الثالثة التابعة لها والتي كانت لا تزال توقف تقدم اللواء المدرع الإسرائيلي الثاني، حيث ركّز

---

(١) الموسوعة العسكرية – إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٨٨.

الطيران الإسرائيلي ضرباته طوال ساعات المساء وخلال الليل أيضاً، ونتج عن ذلك تدمير ٥ دبابات أخرى و ٦ ناقلات من كتيبة المشاة الميكانيكية، كما دمر عدد من شاحنات الوقود والذخيرة وهي في طريقها لإمداد اللواء المدرع بحاجاته، ولذلك أصبح لدى كل دبابة خلال ليلة ٦-٧ عدد قليل من القنابل لا يتجاوز ٦ قنابل بالمدفع الرئيسي وقليل من ذخيرة الرشاشات، ولذلك سحبت القوة المدرعة الأردنية المتبقية إلى «سد عقابة» خلال ليلة ٦-٧، وقد واصلت بقايا سريتي الدبابات التي كانت أصلاً في «قباطيا» انسحابها حتى وصلت إلى الصفة الشرقية لنهر الأردن. وكان فيها ٨ دبابات فقط، أما السرية المدرعة الثالثة وبقايا سرية المشاة الميكانيكية التي كانت تقاتل أصلاً في «الكفير»، فقد توقفت في «سد عقابة» لعرقلة تقدم المدرعات الإسرائيلية التي هاجمتها هناك في الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة ٦-٧، ولكنها لم تنجح في اختراق مواقعها، ولذلك قامت المدفعية الإسرائيلية بقصف المواقع الأردنية المذكورة في الساعة الرابعة من صباح ٦/٧. واستمر القصف لمدة ١٥ دقيقة، وأعقبه عند طلوع الضوء قصف جوي، وفي الساعة الرابعة وخمس وأربعين دقيقة بدأت المدرعات الإسرائيلية هجومها. ولكنها لم تواجه أية مقاومة نظراً لانسحاب المدرعات الأردنية المتبقية إلى الصفة الشرقية عبر جسر دامية. وعلى إثر ذلك أعادت المدرعات الإسرائيلية تنظيم صفوفها وتقدمت نحو «طوباس»، ثم اتجهت سريتا دبابات منها نحو جسر دامية فبلغته في الساعة العاشرة من صباح ٧ حزيران (يونيو)».

وفي الوقت نفسه كانت وحدات أخرى من المشاة الإسرائيلية تعززها وحدات من دبابات «الشيرمان» قد استولت على كل من قلقيلية وطولكرم، خلال المعارك الرئيسية التي كان اللواء المدرع ٤٠ منشغلاً بها عند جنين ونابلس، ولقد جوبه الإسرائيليون خلال احتلال المدينتين بمقاومة أردنية محدودة ومقاومة فلسطينية عنيفة أبدتها قوة صغيرة من رجال المقاومة

الشعبية في «طولكرم» على الرّغم من انسحاب الحامية الأردنية من البلدة قبل اقتحام الإسرائيليين لها بعدة ساعات.

٥ – معركة «عرابة»: وصلت الكتيبة المدرعة الثانية الأردنية ومعها سرية مشاة ميكانيكية، وبطارية مدفعية ذاتية الحركة، إلى مفترق «عرابة» في حوالي الساعة السادسة من صباح يوم ٦/٦/٦٧، وسيطرت فوراً على المفترق، متخذة لنفسها مواقع دفاعية حوله، بحيث كانت هناك سرية دبابات قرب المفترق، وسرية أخرى قرب سهل عرابة والسرية الثالثة أبقيت كاحتياطي على مفترق «صانور» على مسافة ٨ كم إلى الجنوب من مفترق «عرابة»، وكانت مهمتها مواجهة احتمال وقوع هجوم إسرائيلي من اتجاه «سهل صانور» أو من اتجاه «عرابة» نو خط «قباطيا». وفي هذه الأثناء كان الرتل المدرع الإسرائيلي الزاحف نحو قرية «يعبد» قد استولى عليها فجر يوم ٦/٦ بعد قتال عنيف مع قوة أردنية من المشاة كانت تحمي التل ٣٣٤ المشرف على القرية انتهى في حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة ٥-٦، ثم تقدم نحو طريق نابلس – جنين حيث اصطدم مع سرية الدبابات «باتون» الأردنية قرب مفترق «عرابة». وحاولت المدرعات الإسرائيلية عبر ثلاث هجمات أن تخترق الدفاع الأردني إلا أنها صدت عن التقدم في كل مرة، وأصيب عديد من معدات العدو من بينها ٣ دبابات «شيرمان»، مما اضطر الرتل المدرع الإسرائيلي إلى التوقف عن التقدم بقية اليوم وطوال ليلة ٦-٧، ولم تخسر الكتيبة المدرعة الثانية خلال قتال يوم ٦/٦ المذكور سوى ٤ دبابات. إلا أن صدور أمر الانسحاب العام وبدء تنفيذه بالنسبة للكتيبة المدرعة الرابعة عند «قباطيا» في الساعة الثالثة والنصف بعد ظهر يوم ٦/٦ أدى إلى صدور أمر من قيادة اللواء المدرع ٤٠ إلى قائد الكتيبة المدرعة الثانية بالانسحاب هو الآخر من مفترق «عرابة» إلى قرية «سيلة الظهر»[١].

---

(١) مجموعة من الباحثين السوفييت، الحروب العربية – الإسرائيلية، ترجمة العميد صبحي الجابي، إصدار دمشق ١٩٧٥، ص ٢٣١.

وفي الساعة الثامنة من مساء يوم ٦/٦ أتمت الكتيبة انسحابها واحتلت مواقع جديدة عند القرية المذكورة. وفي حوالي الساعة الثامنة من صباح يوم ٦/٧ اشتبكت إحدى سرايا الكتيبة بالرتل المدرع الإسرائيلي المتقدم من «عرابه»، ودمرت دبابتين إسرائيليتين وأجبرت الباقي على التوقف.

ثم صدر أمر جديد للكتيبة بالانسحاب إلى المشارف الغربية لمدينة «نابلس»، ووصلت غالبية الكتيبة إلى قرية «دير شرف» في حوالي الساعة التاسعة والنصف من الصباح نفسه، بعد أن فقدت ٦ دبابات نتيجة للهجمات الجوية الإسرائيلية التي تعرضت لها خلال الانسحاب. وفي قرية «دير شرف» أبقت الكتيبة سرية واحدة كحرس مؤخرة وواصلت انسحابها نحو «نابلس» حيث اصطدمت فجأة مع قوة من الدبابات الإسرائيلية كانت قد دخلت المدينة من الجهة الشرقية (جزء من اللواء المدرع الذي كان يهاجم الكفير والزبابدة نجح في الوصول إلى نابلس من الشرق بعد انسحاب الكتيبة المدرعة الرابعة) وفقدت ٥ دبابات نتيجة لذلك الاشتباك المفاجئ، كما أصيب عدد آخر من الدبابات الأردنية في كرم الزيتون غربي نابلس بوساطة طيران العدو، وهنا شعر قائد الكتيبة بخطورة موقفه، فحاول الاندفاع عبر أحد مداخل المدينة، إلا أن دبابته أصيبت إصابة مباشرة وقتل جميع من كانوا فيها، وإثر ذلك تولى نائبه القيادة واستمر في الاشتباك مع طيران العدو ومدرعاته المهاجمة من الشمال والجنوب حتى الساعة الخامسة من مساء اليوم نفسه، ثم أمر رجاله بتدمير الدبابات بوساطة القنابل اليدوية، بعد أن نفذت الذخيرة والوقود، ثم الانسحاب سيراً على الأقدام عبر المرتفعات نحو الضفة الشرقية للأردن. ويبدو أن عمليات التخريب المطلوبة للدبابات لم تكن ناجحة بالقدر الكافي، إذ عثرت القوات الإسرائيلية على ١٥ دبابة «باتون» أردنية سليمة في الممر الجبلي الضيق عربي نابلس، فضلاً عن ٢٣ دبابة أخرى وجدت معطلة قرب قرية «سبسطيه».

٦ - تحركات اللواء المدرع ٦٠: تعرض اللواء المدرع ٦٠ الأردني لقصف الطائرات الإسرائيلية أثناء الزحف من «أريحا» إلى «الخليل» تنفيذاً لأوامر الفريق عبد المنعم رياض الأولى، وكذلك خلال انسحابه مرة أخرى إلى «أريحا» عندما فهمت القيادة الأردنية حقيقة ثقل الهجوم الإسرائيلي في الضفة الغربية، وتركزه قرب «جنين» في الشمال، وقد حاولت قوة إسرائيلية تابعة لمجموعة «ناركيس» في منطقة القدس (كانت تضم كتيبة مشاة وسرية دبابات «شيرمان») أن تقطع طريق «بيت لحم - القدس» قرب قرية «صور باهر» فجر يوم ٦ حزيران (يونيو)، وأن تحول دون انسحاب بقيةاللواء المدرع (٦٠)، ولكنها فشلت في تحقيق هدفها، واستطاعت وحدات اللواء الأردني المذكور أن تصل إلى«أريحا» مرة أخرى، حيث اشتبكت بعد ظهر يوم ٧ حزيران (يونيو) مع وحدة الاستطلاع التي تقدمت زحف كتيبتي دبابات إسرائيلية تابعتين للواء المدرع الذي اشترك في معركة القدس واستولى على رام الله، أي لواء العقيد «بن أرى».

وقد انتشرت الدبابات الإسرائيلية فور إطلاق الدبابات الأردنية النار على وحدة الاستطلاع المقتربة من «أريحا»، وقام الطيران الإسرائيلي على الفور بتقديم الدعم القريب بنيرانه، ثم التفت الدبابات الإسرائيلية حول «أريحا» بحركة كماشة، واندفعت وحدة دبابات منها إلى داخل المدينة وهي تطلق نيران مدافعها بعد أن انسحبت مدرعات اللواء المدرع الأردني ٦٠ إلى الضفة الشرقية، وهكذا سقطت «أريحا» بيد القوات الإسرائيلية في حوالي الساعة السابعة والنصف من مساء يوم ٧ حزيران (يونيو).

لقد كانت سيطرة الطيران الإسرائيلي على الأجواء بشكل مطلق، وعدم امتلاك المدرعات الأردنية لأسلحة متطورة مضادة للطائرات ومضادة للدبابات، هما السببان الرئيسيان لاندحار المدرعات الأردنية أمام المدرعات

والقوات الإسرائيلية التي حققت في الضفة الغربية انتصارات لا تستحقها، ولا يسمح بها ميزان القوى البري، وقدرت الخسائر في الجانب الأردني بنحو ٦٠٩٤ قتيلاً ومفقوداً و ٧٩٢ جريحاً و ٤٦٣ أسيراً، فضلاً عن نحو ١٥٠ دبابة «باتون» و ٢٥ دبابة «سنتوريون» وحوالي ١٥٠ مدفعاً. أما الإسرائيليون فيقولون إنهم خسروا على الجبهة الأردنية ٣٠٢ قتيلاً و ١٤٥٣ جريحاً فضلاً عن تدمير أو إعطاب نحو ١٠٠ دبابة. هذا وقد فقدت كتيبتا المغاوير (الصاعقة) المصريتان في عمليتهما اللتين جرتا في عمق الأراضي المحتلة بالقرب من مطار «اللد» ومن مدينة «الرملة» نحو ٤٠ قتيلاً و ٤٠ أسيراً من مجموع قوتهما البالغ عددها ٢٤٠ جندياً[١].

سادساً - الحرب على الجبهة السورية:

آ – توزيع القوات السورية المسلحة:

كان للقيادة السورية عشية بدء القتال خمسة ألوية مشاة، ولواءا مشاة ميكانيكيان، ولواءان مدرعان، جرى توزيعها على النحو التالي:

لواء المشاة ٨٠ في القطاع الأوسط، ولواء المشاة ١٩ في القطاع الجنوبي، ولواء المشاة ١٢٣ في منطقة مسعدة في عمق القطاع الشمالي، ولواء المشاة ٩٠ شمالي القنيطرة، ولواء المشاة ٣٢ (ميكانيكي على الأرجح) جنوبي القنيطرة في منطقة البطمية، واللواء المدرع ٧٠ غربي القنيطرة على المحور الأوسط. وكان اللواء المدرع ١٧، واللواء المشاة الميكانيكي ٢٥ في الاحتياطي العام شرقي القنيطرة.

---

(١) الموسوعة العسكرية – إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٨٩.

وكان لدى كل لواء مشاة كتيبة من دبابات «ت ٣٤» وقانصات الدبابات «س يو - ١٠٠»، كما كانت هناك نحو ٣٠ دبابة من دبابات «الفهد» الألمانية القديمة موزعة في مواقع ثابتة (معظمها في القطاع الشمالي) كمدافع مضادة للدبابات، وبلغت جملة المدرعات السورية في الجولان نحو ٢٦٠ دبابة وقانصاً، وجملة المدفعية المساندة للقوات نحو ٢٦٥ مدفعاً من عيار ١٢٢ مم، و١٥٢ مم، و ١٣٠ مم، ونحو ١٠٠ مدفع مضاد للطائرات. وكانت هذه القوات، خاصة الموجودة منها في الخط الدفاعي الأمامي، موزعة داخل مواقع محصنة، تضم خنادق ومنعات للرمي وملاجئ تحت الأرض مشيدة بالإسمنت المسلح، ومراكز قيادة محمية تماماً ضد قصف الطائرات والمدفعية والقصف الكيماوي، وتحيط بالمواقع أسلاك شائكة وحقول ألغام وموانع أخرى ضد الدبابات.

ولم تكن كثافة القوات في الخط الأمامي كافية لتحقيق سيطرة قوية على طول الخط، إذ كان كل لواء من الألوية الثلاثة المسند إليها دفاعات هذا الخط موزعاً على مواجهة عرضها نحو ٢٠ كم في المتوسط نظراً لأنها تقوم بالدفاع على جبهة جبلية عريضة. وتركزت الدفاعات الرئيسية على المحور الأوسط الذي اعتبر أكثر المحاور أهمية نظراً لسهولة اختراقه نسبياً بالمدرعات.

وكانت القيادة السورية تعتمد، فيما يبدو، على توجيه هجمات مضادة بوساطة ألوية المشاة الأربعة الموجودة في العمق العملياتي، ولوائي المدرعات المدعمين لها، الأمر الذي يفترض تحقق درجة معينة من السيطرة الجوية السورية على هضبة الجولان، التي يتعذر بدونها شن مثل هذه الهجمات المضادة خلال ساعات النهار.

ب - الخطة الإسرائيلية للهجوم:

عند بدء الحرب في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧م لم يكن لدى قيادة المنطقة الشمالية، التي كان يتولاها العميد «دافيد العازر»، سوى لواء مشاة

واحد (هو لواء غولاني)، ولواء مدرع واحد بقيادة العقيد «إبراهام مندلر». وعقب انتهاء العمليات الحربية في الجبهة الأردنية دفعت الألوية المدرعة الثلاثة التي كانت مشتركة في القتال هناك إلى الجبهة السورية،كما نقل إليها لواء المظليين الذي اشترك في معركة القدس ولواء مشاة آخر ووحدات أخرى، بحيث أصبح لدى القيادة الشمالية عشية بدء الهجوم على الجولان يوم ١٩٦٧/٦/٩م ما جملته ٤ ألوية مدرعة وكتيبة دبابات «باتون» مستقلة، ولواء مظليين وكتيبة مظليين مستقلة،و ٣ ألوية مشاة، (أحدها ميكانيكي وهو لواء غولاني) وكتائب ومدفعية وهندسة ونقل الخ، تضم جميعاً نحو ٣٠ ألف جندي، وحوالي ٢٥٠ دبابة (وذلك نتيجة للخسائر المختلفة التي نتجت خلال معارك الجبهة الأردنية). ووضعت خطة الهجوم الإسرائيلي على أساس اختراق الدفاعات السورية بضربة رئيسية في القطاع الشمالي من الجولان، حيث الأرض أكثر وعورة من القطاع الأوسط، ومن ثم فإن الاختراق هناك أقل توقعاً من جانب السوريين. وكانت القوة المكلفة بتنفيذ هذه الضربة تضم كل من اللواء المدرع الذي يقوده العقيد «مندلر»، ولواء «غولاني» ويساندهما في الاحتياطي لواء مدرع آخر (وهو اللواء الذي احتل جنين) بقيادة العقيد «موشى». ولقد وضعت خطة الهجوم المذكور على النحو التالي:

أ – **يقوم الجزء الرئيسي من لواء «مندلر»** المدرع بخرق الدفاعات السورية عند موقع البحيرات، ثم يندفع عبر مواقع «غور العسكر» و«نعموش» نحو «زعورة» لمهاجمة موقع «القلع» من الشمال، على حين تشاغله قوة أخرى من اللواء نفسه من اتجاه موقع «سراديب» الواقع إلى الشمال الغربي منه. وبعد الاستيلاء على «القلع» يتقدم اللواء المدرع جنوباً إلى «واسط» ومن هناك يزحف غرباً للاستيلاء على «القنيطرة».

ب – وفي الوقت نفسه يقوم لواء «غولاني» بتأمين الجناح الشمالي لهجوم اللواء المدرع بوساطة احتلال موقعي «تل الفخار» و «العزيزيات»،

وتطهير منطقة «بانياس»، وتدعمه في عملياته هذه سريتا دبابات «شيرمان» من اللواء المدرع المذكور.

ولتثبيت الجهود السورية وتحويل انتباهها عن اتجاه الهجوم الرئيسي قررت القيادة الإسرائيلية توجيه بعض الهجمات الثانوية على المحور الأوسط تجاه مواقع «راوية» و «تل هلال» و «عشمورة» و «الدرباشية» و«جليبينة» بوساطة وحدات مختلطة من لواء مشاة وفوج مظليين ولواء مدرع. أما في الجنوب، فقد خطط لتوجيه ضربة رئيسية أخرى، يتم تنفيذها بعد بدء الهجوم في القطاع الشمالي، وتقوم بها قوة تضم لواء مدرعاً ولواء مشاة محمول، وفوج مظليين منقول بطائرات هليكوبتر يتم إنزاله في العمق العملياتي على المحور الجنوبي في كل من«فيق» و «العلا» ثم «البطمية»، وتعاون قوات هذه المجموعة قوة مدرعة من ضمن قوات المحور الأوسط تتقدم من «الدرباشية» جنوباً نحو «البطمية ». كما تتقدم قوة مدرعة أخرى من قوات المحور الأوسط من «راوية» إلى «واسط»، ثم عمليات قوات «مندلر» المدرعة الزاحفة نحو «القنيطرة» من «القلع».

جـــ - عمليات القطاع الشمالي:

بدأت القيادة الإسرائيلية هجومها البري في الجبهة السورية في **فجر يوم ٦/٩** بقصف جوي مركز على المواقع الدفاعية السورية الأمامية،وذلك بعد أن تم حسم الموقف العسكري نهائياً في الجبهتين المصرية والأردنية. وقد بقيت الجبهة السورية شبه راكدة طوال الأيام السابقة للحرب باستثناء بعض الهجمات الجوية التي قامت بها الطائرات السورية (١٢ طائرة ميغ ٢١) في الساعة ١١,٤٥ من صباح **يوم ٦/٥** على مصافي البترول في حيفا ومطار مجدو،وقد ردت الطائرات الإسرائيلية بهجوم في الساعة ١٢,١٥ من اليوم نفسه على المطارات السورية القريبة من دمشق ومن الجبهة عموماً أسفر عن تدمير نحو ٦٠ طائرة سورية من مختلف الأنواع، وانسحاب باقي الطيران

السوري إلى مطارات الشمال البعيدة عن الجبهة ومدى طيران العدو. كما قامت وحدات مشاة سورية صغيرة بشن هجمات على مستعمرات «شرياشوف» و «دان» و «دفنا» صباح **يوم ٦/٥** وأمكن صدها بسهولة. **وبعد ذلك اقتصر نشاط الجبهة السورية** على القصف المدفعي للمستعمرات الإسرائيلية التي تشرف عليها هضبة الجولان.

وابتداء من الساعة ٩,٤٠ صباحاً، ركزت الطائرات الإسرائيلية قصفها على بطاريات المدفعية والاستحكامات الموجودة في الخط الأمامي المباشر. وفي **تمام الساعة ١٠ صباحاً** بدأت وحدات لواء العقيد «**مندلر**» المدرع تقدمها عبر الحدود السورية من مستعمرة «كفر سلط» في شكل ٣ مجموعات قتال مدرعة تضم كتيبة الدبابات «**شيرمان**» رقم أ/٢١١، ومجموعة الدبابات «ب»، وكتيبة المشاة الميكانيكية التابعة للواء المدرع. وعلى الرغم من الدعم الجوي القريب للهجوم فقد تكبدت وحدة الاستطلاع ووحدة المهندسين، التي كانت تركب في ٨ جرافات **(بولدوزرات)**، خسائر شديدة نتيجة رمي مدافع الهاوتزر السورية الذي بدأت فور بدء تقدم المدرعات والعربات المدرعة الإسرائيلية، كما دمرت ٣ جرافات وقتلت العديد من جنودها وهم يشقون طريقاً للدبابات والآليات وسط حقول الألغام السورية. وأصيبت كذلك عدة سيارات جيب لجماعة الاستطلاع التي كانت تبحث عن الممر الذي تستخدمه الدوريات السورية وسط حقول الألغام، حتى يتسنى لكتيبة الدبابات أ/١١٢ الانحراف شرقاً في الوقت المناسب والتقدم مباشرة نحو «زعورة» وتحاشى الاصطدام مع موقع «سراديب» الدفاعي القوي أو التعرض لنيران مواقع «القلع» المنيعة التي تليه في العمق.

ولكن جماعة الاستطلاع المذكورة أخفقت في تحديد مكان ممر الدوريات في الوقت المناسب. وقد نجحت دبابات الكتيبة المشار إليها في التغلب على مقاومة مواقع «غور العسكر» و «نعموش» و «عقدة» الأمامية مستخدمة أسلوب الخرق بالحركة والنيران،تاركة للمشاة الميكانيكية الزاحفة

في أثرها مهام تصفية المقاومة المتبقية في المواقع المذكورة. وكان من نتيجة اقتحام الدبابات لموقع «العقدة» أن تقدمت نحو موقع «سراديب» بدلاً من أن تتجه يساراً نحو «زعورة»، وهناك تعرضت لنيران شديدة من المدافع المضادة للدبابات التي نجحت في إصابة عدد من الدبابات.

وفي حوالي الساعة الواحدة بعد الظهر اصطدمت الكتيبة بموقع «القلع» المنيع، الذي ألحقت نيران مدافعه خسائر فادحة بالكتيبة، وأصبحت قوتها تضم ٢١ دبابة فقط، وجرح قائدها وقتل نائبه وتولى قيادتها إثر ذلك قائد إحدى السرايا.

١ – معركة القلع: وفور تولي قائد السرية قيادة الكتيبة ربط سريته ببقية سرايا الكتيبة لاسلكياً واستعلم منها عن موقفها، ثم اتصل بالعقيد «البرت مندلر» قائد اللواء المدرع، وأخبره بموقف الكتيبة الحرج أمام تحصينات «القلع». وقد أمره «مندلر» بالاستمرار في مهاجمة «القلع»، على حين تولى هو قيادة بقية وحدات اللواء، واتجه يساراً نحو «زعورة» تنفيذاً لخطته الأصلية للالتفاف حول «القلع» من المؤخرة.

والقلع عبارة عن قرية صغيرة تقع على هضبة مرتفعة تسيطر على المنطقة المحيطة بها سيطرة تامة، وينحدر الطريق المؤدي من «سراديب» إلى «القلع» انحداراً شديداً ثم يرتفع فجأة ويستدير يميناً نحو القمة حيث يقل الانحدار ثم يستدير يساراً ويميناً حتى مدخل القرية. وفي وسط المنحدر شيدت القوات السورية حواجز من الإسمنت المسلح مضادة للدبابات (أسنان التنين) على مسافة نحو ١٨٠٠ متر من مرتفع «القلع»،وحول الطريق كانت تتناثر مجموعة من المنعات المبنية بالإسمنت المسلح، وعند القرية نفسها كانت توجد بعض الدبابات والمدافع م/د الموزعة بين المنازل بطريقة جيدة الإخفاء وبحيث تسيطر بالنيران على الطريق المؤدي إلى القلع وإلى الشمال من القرية كان يوجد موقعان دفاعيان بهما دبابات ومدافع م/د أحدهما يسمى

«جيب الميس» والآخر مرتفع يشبه نعل الفرس، وفي جنوب الطريق قمة أخرى منبسطة وضعت فيها مدافع م/د أيضاً[1].

وكانت الإحدى والعشرين دبابة الإسرائيلية المتبقية لدى كتيبة الدبابات أ/١١٢ موزعة على ٣ سرايا وقد عهد قائد الكتيبة إلى إحدى سرايا دباباته بمهاجمة الموقع الشمالي الشبيه بنعل الفرس بعد أن قام الطيران بقصفه، ثم قامت سريتا الدبابات الأخريتان بإطلاق قذائف دخان لتحجب رؤية المدافع السورية المضادة للدبابات الموجودة جنوبي الطريق، على حين قدمت دبابات السرية الأولى دعماً نارياً من فوق نعل الفرس لدبابات السريتين الأخريتين أثناء زحفها عبر الطريق وإطلاقها النار بمدافعها عيار ١٠٥ مم على المنعات الدفاعية برمي مستقيم من مسافات قصيرة. **وفي الوقت ذاته كانت المدفعية الإسرائيلية** تقدم دعماً بالنيران يقوم بتصحيح اتجاهه قائد كتيبة الدبابات لاسلكياً، ثم أصاب مدفع م/د دبابة القائد فعطلها وأصاب القائد نفسه بجروح خفيفة، وانقطع اتصاله اللاسلكي بالمدفعية، فاضطر لمغادرة الدبابة وانتقل إلى دبابة قائد الفصيلة، حيث أمر السرية الموجودة على المرتفع الشمالي بالنزول إلى الطريق للمشاركة في اقتحامه بعد أن تعطل ودمر العديد من دبابات السريتين الأخريتين. وعهد إلى عشر دبابات كانت لا تزال قادرة على الحركة بمواصلة الحركة، ولم تصل قرية «القلع» سوى ٣ دبابات أصيبت إحداهما في أزقة القرية بقذيفة «رب ج – ٧» في مؤخرتها واشتعلت فيها النيران. وإثر ذلك شاهد قائد الكتيبة دبابة سورية من طراز «ت ٣٤» وقانصي دبابات «س يو ١٠٠» تتقدم نحو القرية كطليعة لقوة من ٧ دبابات سورية جاءت لتعزيز «القلع». وشعر على الفور بحرج موقفه، خاصة وأنه لم يعد لديه غير دبابتين، وما زالت منازل عدة في القرية مليئة بجنود سوريين يطلقون نيران

---

(١) الموسوعة العسكرية – إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٩١.

رشاشاتهم وقذائف القواذف المضادة للدبابات، ولذلك سارع بالاتصال لاسلكياً بقائد اللواء المدرع، العقيد «زعورة» طالباً منه سرعة تقديم دعم جوي قريب وإلا تعرضت دبابتاه للفناء المؤكد، ولكن «مندلر» أخبره أنه لا تتوفر طائرات حالياً، وأن عليه أن يصمد قليلاً حتى يصل هو بمدرعاته من «زعورة» ويهاجم «القلع» من الخلف.

وظهرت الطائرات الإسرائيلية في آخر لحظات النهار وأدى ظهورها إلى رفع معنويات جنود الدبابات الاسرائيلية، وبدء انسحاب الدبابات السورية قبل أن تعثر على الدبابات الإسرائيلية المختفية داخل «القلع»، ولاحقتها الطائرات بنيرانها وكذلك دبابات «مندلر» التي وصلت من «زعورة» وهاجمت «القلع» من الخلف، وكانت الساعة قد بلغت السادسة والنصف، وهكذا أنقذت بقايا القوة الإسرائيلية المدرعة وسقطت القلع بعد دفاع عنيد أبدته حاميتها، بقيادة ضابط برتبة رائد يدعى «محمد سعيد يونس»، واستشهد مع عدد كبير من رجاله خلال المعركة، ولقد أدى إلى تدمير وتعطيل أكثر من ٤٠ دبابة إسرائيلية. ولكن بسالة هذا الموقع لم تثمر في وقف الاختراق الإسرائيلي للقطاع الشمالي، نظراً لأن سيطرة العدو الجوية حالت دون دفع المدرعات السورية الاحتياطية لشن هجمات معاكسة أو تعزيز دفاع المواقع الحصينة الأخرى مثل «زعورة» و «تل الفخار»، والتي اضطرت أن تقاتل معاركها الضارية بصورة منفصلة عن دعم بعضها لبعض ودعم القوات الاحتياطية المدرعة والميكانيكية لها، فضلاً عن انعدام المساندة الجوية، بل وضعف دعم خلال المرحلة الأولى من الخرق لخط الدفاع الأمامي، نظراً لأن الكتلة الرئيسية من المدفعية السورية استمرت خلال هذه المرحلة الحرجة من الهجوم الإسرائيلي تركز نيرانها على المستعمرات الإسرائيلية.

٢ – معركة زعورة وتل الفخار: وفي الوقت نفسه خاضت حامية «زعورة»، التي كانت تقدر بقوة كتيبة مشاة، معركة ضارية استغرقت نحو ٥ ساعات حيث هاجمتها دبابات الكتيبة المدرعة الثانية ومعها بقية اللواء

المدرع بقيادة «مندلر» نفسه. ولقد اصطدم المهاجمون بمواقع الدفاع السورية التي كانت موزعة أسفل القرية وأعلاها، وتم الهجوم تحت دعم جوي قريب فعال تماماً، لم يقابله من الجانب السوري دعم مدفعي كاف للقوات المدافعة، ولذلك أمكن للدبابات الإسرائيلية أن تستولي على «زعورة» في حوالي الساعة الرابعة مساء.

وفي هذه الأثناء كان لواء المشاة الميكانيكي «غولاني» يهاجم مواقع «تل الفخار»و«برج بابل» و«تل العزيزيات»، ابتداء من الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم نفسه، وذلك عبر الثغرة التي فتحها اللواء المدرع في خط الدفاع السوري، وأمكن لهذا اللواء الميكانيكي أن يستولي على «تل الفخار» في حوالي الساعة السادسة والنصف بعد قتال عنيف أسفر عن قتل ٣٠ جندياً إسرائيلياً وجرح ٧٠ آخرين مقابل ٦٠ قتيلاً سورية و٢٠ أسيراً، كما استولى اللواء بعد ذلك على موقعي «برج بابل»و«تل العزيزيات» بفضل هجوم مدعوم بدعم جوي قريب استخدم فيه النابالم على نطاق واسع، وقد تم الاستيلاء على «تل العزيزيات» خلال الليل، وبذلك تم تأمين الجناح الشمالي لهجوم اللواء المدرع، وفتح الطريق إلى «مسعدة»و«بانياس»، واستكمل خرق القطاع الشمالي من الجبهة السورية في «الجولان»[١].

٣ - العمليات في القطاعات الأخرى: إلى الجنوب من الثغرة التي أحدثها لواء «مندلر» المدرع بكيلومترات قليلة، فتح سلاح المهندسين الإسرائيلي خلال ساعات الصباح وجزء من ساعات بعد الظهر ممرات وسط حقوق الألغام الإسرائيلية والسورية، عبرت من خلالها بعد ذلك وحدة من دبابات «أم إكس - ١٣»، تابعة للواء المدرع الذي اشترك من قبل في معركة «الكفير» بالجبهة الأردنية، وبعض وحدات من لواء مشاة حيث

---

(١) مجموعة من الباحثين الروس، الحروب العربية - الإسرائيلية، ترجمة العميد صبحي الجابي، إصدار دمشق ١٩٧٥، ص ٢٤١

هاجمت موقعين سوريين صغيرين تحت دعم جوي كامل. واستولت على قرية «راوية»، بعد أن أصيبت ٣ دبابات إسرائيلية بنيران المدافع المضادة للدبابات، وأصبحت عاجزة عن الاستمرار في القتال، وتوقفت هذه القوة بعد ذلك عن التقدم،وكانت الساعة قد بلغت السادسة مساءً. وإلى الجنوب بنحو ٩ كيلومترات أخرى قامت سرايا أخرى من المشاة تعززها سرية من دبابات «ام اكس – ١٣» بالاستيلاء على قرية «الدرباشية» في الساعة مساء، بعد أن اجتازت ممرات في حقول الألغام إلى الشمال مباشرة من بحيرة «الحولة» المجففة مستفيدة من دعم جوي قوي. واستولت وحدات أخرى من المشاة على «تل هلال» ومواقع أخرى كانت تشرف على مستعمرة «شامير» في وادي الحولة».

وهاجمت سريتا مظليين تدعمهما سرية دبابات «شيرمان»، من اللواء المدرع المذكورة أيضاً، المواقع السورية القريبة من المحور الأوسط، واستولت خلال معركة بدأت في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل على قرية «جليبينة» كخطوة تمهيدية لفتح الطريق العام المار من جسر بنات يعقوب، وذلك في حوالي الساعة الرابعة والنصف فجراً، وكانت هذه الهجمات كلها، تشكل أعمالاً ثانوية مساعدة للاختراق الرئيسي في القطاع الشمالي، فضلاً عن كونها تهدف إلى تشتيت جهود المدافعين. وهكذا تم اختراق خط الدفاع الأول السوري في أكثر من مكان في الشمال والوسط.

عمليات يوم ١٠ حزيران (يونيو): لم تقم القوات السورية خلال ليلة ٩–١٠ حزيران (يونيو) بأي هجوم معاكس، واكتفت بقصف القوات الإسرائيلية قصفاً متقطعاً بنيران المدفعية، على الرّغم من نشاط المدفعية والطيران الإسرائيليين المضاد طوال الليل، ويرجع ذلك إلى عدم وجود عدد كاف من الدبابات «ت٥٥» المجهزة بمعدات الرؤية الليلية وانخفاض مستوى تدريب المشاة والمدفعية بالنسبةللقتال الليلي، فضلاً عن حالة

الارتباك المعنوي الذي أصاب القيادات السياسية العسكرية. وفي فجر يوم ١٠ حزيران (يونيو) واصل لواء «مندلر» المدرع تقدمه من «القلع» نحو «واسط» تحت حماية دعم جوي، واشتبك مع بعض الدبابات السورية من طراز «ت٥٤»، إلا أن القصف الجوي والهجمات على الأجنحة دفعت هذه الدبابات (وهي جزء من لواء مدرع سوري) إلى الانسحاب. واحتل اللواء المدرع الإسرائيلي إثر ذلك «واسط» ثم أعاد تنظيم صفوفه، وواصل تقدمه نحو قرية «المنصورة»، التي تبعد نحو ٨ كم إلى الشرق من «واسط»، واستولى عليها بعد اشتباك قصير. ثم واصل اللواء المدرع انطلاقه بسرعة نحو «القنيطرة»، وذلك إثر بدء حركة انسحاب عام سورية من «الجولان»، بدأت حوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً، استطاعت خلالها الألوية الأربعة الاحتياطية التي لم تشارك في القتال أن تنسحب بنظام.

وفي الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر اليوم نفسه دخلت المدرعات الإسرائيلية مدينة «القنيطرة» فوجدتها خالية من أية قوات سورية. وانتشرت معظم المدرعات الإسرائيلية شرقي المدينة لقطع الطريق المؤدي إلى «دمشق»، على حين اتجهت دورية مدرعة إلى بلدة «البطمية» على المحور الجنوبي، ووصلتها في الساعة الرابعة والنصف، حيث التقت هناك بوحدات المظليين الذين أنزلوا بطائرات الهليكوبتر على طول المحور الجنوبي. وفي الوقت نفسه كان لواء «غولاني» يدعمه لواء مدرع لم يسبق له الاشتراك في معارك اليوم السابق، قد هاجم «بانياس» واستولى عليها في الساعة العاشرة من صباح اليوم نفسه، ثم هاجم «مسعدة» واستولى عليها في ساعات بعد الظهر دون قتال، بسبب انسحاب القوات السورية منها وقيامها بنسف وتخريب الطريق المؤدي إليها، الأمر الذي أخر استيلاء القوات الإسرائيلية عليها حتى بعد الظهر لأنها اضطرت إلى استخدام المسالك الترابية الواقعة جنوبي «زعورة».

وإثر ذلك شكلت قوة ضمت كتيبة دبابات «شيمان» وسريتي مشاة ميكانيكية من لواء «غولاني» زحفت نحو «جبل الشيخ» وسيطرت على قممه الجنوبية في ساعات النهار الأخيرة.وهكذا جرى الاستيلاء على شمال «الجولان» كله حتى «النخيلة» عند الحدود اللبنانية.

وزحفت كتيبتا دبابات اللواء المدرع الذي استولى على «راوية» في اليوم السابق، بعد تمهيد جوي قوي، نحو قرية «قنّعبة» و «واسط»، حيث التقت هناك بقوة من لواء «مدلنر» المدرع، ولذلك اتجهت كتيبتا الدبابات جنوباً نحو «كفرنفاخ»، واشتبكتا أثناء ذلك التقدم بنحو ١٥ دبابة سورية بالقرب من «تل شيبان»، الأمر الذي اضطرهما للقيام بحركة التفاف لتجنب القتال بالمواجهة مع الدبابات السورية، ولذلك تم لهما الاستيلاء على «كفر نفاخ» في الساعة الثانية والنصف من بعد الظهر، حيث كانت القوات السورية قد أخلت مواقعها قبل ذلك بنحو ساعتين إثر صدور الأمر العام بالانسحاب من القيادة السورية، التي كانت قد أعلنت في الساعة ٨,٤٥ من **صباح يوم ٦/١٠** سقوط «القنيطرة».

وفي يوم ٦/١٠ التقى «دافيد اليعازر» بلواء العقيد «بن آرى» المدرع، الذي كان يشكل الاحتياطي المدرع الوحيد المتبقي بعد زج ٣ ألوية مدرعة في القتال، وذلك في منطقة «الدرباشية» ومن هناك تقدم جنوباً محو «البطمية» حيث التقى في نهاية اليوم بقوات المظليين الإسرائيليين الذي أنزلوا بطائرات الهليوكوبتر، وتقدم إثر ذلك ليحتل قرية «الرفيد» القريبة. وقد توقف القتال في «الجولان» في حوالي الساعة السادسة والنصف من مساء اليوم نفسه تنفيذاً لقرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار. ويقول الإسرائيليون إنهم دمروا وأعطبوا نحو ٧٠ دبابة سورية واستولوا على ٤٠ دبابة أخرى سليمة، وإذا صحت هذه الأرقام، فإن السوريين يكونون قد نجحوا في سحب ١٥٠ دبابة تقريباً سليمة من «الجولان» من جملة ٢٦٠ دبابة وقانصاً مدرعاً كانت

لديهم هناك عشية بدء الهجوم الإسرائيلي. وزعم الإسرائيليون أيضاً أن الخسائر السورية في الرجال بلغت نحو ١٠٠٠ قتيل و ٥٦٠ أسيراً، وذلك مقابل مقتل ١٥٢ إسرائيلياً وجرح ٣٠٦ آخرين. ولم تعلن المصادر الإسرائيلية أرقاماً نهائية عن خسائرها في المدرعات ونصف المجنزرات، إلا أنها تقدر بأكثر من ١٠٠ دبابة ونصف مجنزرة أمكن إصلاح العديد منها.

سابعاً - النتائج العامة للحرب:

أسفرت الحرب العربية – الإسرائيلية الثالثة عن عدة نتائج عسكرية وإستراتيجية كان أبرزها النتائج التالية:

آ – **حطمت القوة العسكرية الرئيسية لمصر والأردن** وجانباً هاماً من القوة العسكرية السورية، على حين أن الخسائر الإسرائيلية في الأسلحة والعتاد والأفراد كانت ضئيلة للغاية بالقياس للخسائر العربية الفادحة،وبطبيعة الحال أدى ذلك إلى اختلال ميزان القوى العسكري العربي – الإسرائيلي لدرجة خطيرة خلال العام التالي للحرب إلى حين أن أتمَّ الاتحاد السوفييتي إعادة تسليح مصر وسورية.

ب – **كان لهذه النتيجة العسكرية المادية** آثارها المعنوية السيئة في الجانب العربي، كما أنها رفعت في الوقت نفسه معنويات الشعب والجيش في إسرائيل إلى درجة كبيرة، وأوجدت ثقة مبالغ فيها في القدرة العسكرية الإسرائيلية داخل وخارج إسرائيل، بل وفي قطاعات هامة من الرأي العام العربي أيضاً.

جـ – **سيطرت إسرائيل على مساحات كبيرة من الأراضي العربية** المحتلة تفوق بكثير مساحتها الأصلية البالغ قدرها ٢٠٧٠٠ كم مربع **عشية حرب ١٩٦٧م**، إذ تبلغ مساحة شبه جزيرة سيناء ٦١١٩٨ كم مربع، ومساحة

قطاع غزة ٣٦٣ كم مربع، ومساحة الضفة الغربية ٥٨٧٨ كم مربع، ومساحة الجولان، ١١٥٠ كم مربع، وبذلك أصبحت جملة الأراضي التي تسيطر عليها إسرائيل ٨٩٣٥٩ كم مربع. وأدى ذلك إلى تحسين الوضع الجغرافي – الاستراتيجي لإسرائيل إلى درجة كبيرة، نظراً لأن هذه الأراضي أضافت عمقاً استراتيجياً أفضل بكثير مما كان متاحاً لها قبل ذلك، بحيث أصبح في مقدروها اتباع إستراتيجية دفاعية على الجبهة المصرية في **بداية حرب ١٩٧٣م** دون أن يشكل ذلك خطراً مباشراً على أمنها، كما تحسن وضعها الدفاعي كثيراً على الجبهة الشرقية بعد إزالة نتوء الضفة الغربية، الذي كان يمثل خطراً كبيراً على قلب إسرائيل في حالة تواجد قوات عسكرية عربية فعالة هناك، وتقلصت حدودها مع الأردن من ٦٥٠ كم إلى ٤٨٠ كم فقط (من بينها ٨٣,٥كم طول البحر الميت).

هذا فضلاً عن زوال الخطر العسكري السوري المباشر على مستعمرات سهلي الحولة وطبريا.

د – نتيجة لاحتلال شبه جزيرة سيناء والجولان والضفة الغربية أصبح الطيران الإسرائيلي في وضع وقدرة أفضل على مواجهة العمق العربي، خاصة بالنسبة لمصر بعد أن أصبحت له قواعد جوية متقدمة، وقلت الفترة الزمنية للإنذار بالنسبة لأجهزة الرادار العربية. وبالمقابل تحسن وضع الدفاع الجوي الإسرائيلي نتيجة ابتعاد القواعد الجوية المصرية المتقدمة مسافة لا تقل عن ٢٠٠ كم عما كانت، ولإقامة أجهزة رادار إسرائيلية متقدمة فوق الجبال والمرتفعات القائمة في سيناء والضفة الغربية والجولان، ومن ثم زادت فترة الإنذار بالهجوم الجوي العربي كثيراً عما كانت عليه من قبل.

هـ – فتحت إسرائيلي الملاحة في مضائق تيران وسيطرت على شرم الشيخ بشكل يضمن لها حماية الملاحة إلى ميناء إيلات الحيوي.

و – احتلت إسرائيل منابع النفط في سيناء وصار بوسعها تأمين حاجاتها النفطية محلياً.

ز - **وصلت إسرائيل إلى خطوط دفاعية طبيعية** منيعة (قناة السويس ونهر الأردن ومرتفعات الجولان وجبل الشيخ) بحيث صار بوسعها تطبيق المناورة على الخطوط الداخلية بكفاءة أكبر.

حـ - ربحت إسرائيل أعتدة حربية كثيرة (دبابات ومدافع وصواريخ) لم تلبث أن عدلتها وأدخلتها في الخدمة داخل قواتها المسلحة.

ط - زاد عدد العرب الخاضعين للاحتلال، وزادت مساحة الأرض المحتلة، الأمر الذي خلق ظروفاً أكثر ملاءمة لنمو الثورة الفلسطينية.

ي - حصلت إسرائيل على رهينة كبيرة (أراضٍ وسكان عرب)، وأخذت تساوم على هذه الرهينة في سبيل إخضاع الدول العربية وإجبارها على قبول السلم الإسرائيلي، الأمر الذي أعد المناخ الملائم للحرب **العربية - الإسرائيلية الرابعة (١٩٧٣م)**(١).

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٩٤.


الهيئة العامة
السورية للكتاب

الفصل الثالث

السياسة والحرب في بلاد الشام

في أعوام ١٩٦٨م-١٩٧٢م

أولاً - معركة الكرامة:

تصاعد النشاط الفدائي العربي ضد الكيان الصهيوني بشكل ملحوظ، في أعقاب حرب حزيران ١٩٦٧م وما خلفته من آثار سلبية في نفوس أبناء الأمة العربية وبخاصة في المواقع ذات التماس المباشر مع العدو الإسرائيلي. وفي إطار هذا النشاط برزت المقاومة الفلسطينية بشكل واضح، مما أثار القلق العميق في صفوف الرأي العام الإسرائيلي[١] الذي بدأ يطالب بوضع حد لهذه الأعمال التي تعرض أمنه للخطر. وقد كان لحادثة انفجار لغم زرعه الفدائيون جنوب صحراء النقب عندما مرت فوقه حافلة ركاب إسرائيلية تقل طبيباً و ٣٩ طالباً يوم ١٨/٣/١٩٦٨م، **(قتل فيها الطبيب وطالب واحد وأصيب عدد**

---

(١) دأبت أجهزة الإعلام الإسرائيلية، وبخاصة الصحافة بالتركيز على خطورة المقاومة، وما أخاف إسرائيل أن تتحول المقاومة إلى ثورة عربية شاملة حيث بدأ الكثير من الشباب العرب غير الفلسطيني بالانضمام إلى صفوفها كما أن قادة العدو يعلمون أن دولتهم قامت أساساً على مبدأ «حرب العصابات» ولذلك فهم يتخوفون من أية انتفاضة شعبية مسلحة لأنها ستكون البداية لإنهاء الكيان الصهيوني.

من الطلاب الآخرين بجراح) أثرٌ واضح في ارتفاع صوت المطالبين باتخاذ إجراءات انتقامية ضد الفدائيين الفلسطينيين الذي كان يتركز نشاطهم على الجبهة الأردنية.

قامت القوات الإسرائيلية في ١٩٦٨/٣/٢١م بشن هجوم واسع النطاق على الضفة الشرقية لنهر الأردن، في منطقة امتدت من جسر الأمير محمد (دامية) شمالاً حتى جنوبي البحر الميت. وكان هدف الهجوم كما أعلنت (إسرائيل) رسمياً القضاء على موقع الفدائيين الفلسطينيين في مخيم الكرامة الواقع على بُعد ٥ كم من جسر الملك حسين (اللنبي)، وفي مناطق أخرى إلى الجنوب من البحر الميت.

والواقع أن هذا الهجوم لم يكن مفاجئاً لمنظمة فتح ولا للقوات الفلسطينية الأخرى في المنطقة ولا القوات الأردنية، فقد شوهدت تحركات القوات الإسرائيلية قبل العملية بيومين. وأذاع ناطق باسم فتح يوم ١٩ آذار أن (إسرائيل) حشدت خلال اليومين السابقين قوات كبيرة على طول نهر الأردن. وفي اليوم نفسه أعلن مندوب الأردن في الأمم المتحدة أن (إسرائيل) تعد العدة لشن هجوم كبير على الأردن[١].

وقد رافقت هذه التحشدات تصريحات تهديدية من قبل المسؤولين الإسرائيليين فقال رئيس الحكومة أمام الكنيست «**أن الأردن لا يفعل شيئاً لوضع حد لأعمال الفدائيين التي تنطلق من أراضية، وسنضطر نحن لحماية أمننا**»، وذلك خلال كلامه على حادث انفجار لغم تحت عربة ركاب كبيرة جنوبي النقب ، وكرر وزير الدفاع ورئيس الأركان ورئيس المخابرات الإسرائيليون أقوالاً مماثلة.

---

(١) قبل أيام قليلة من معركة الكرامة، زار الجنرال (اودبول) كبير المراقبين الدوليين في الشرق الأوسط الملك حسين شخصياً، ونقل إليه تهديداً إسرائيلياً لإيقاف العمل الفدائي من الأردن، إلا أن الملك حسين أجاب الجنرال (اودبول) إن الظروف الداخلية لا تسمح له بذلك.

حشدت (إسرائيل) لتنفيذ العملية تبعاً للمصادر الأردنية أربعة ألوية (لواءين مدرعين ولواء المظليين ٣٥، ولواء المشاة ٨٠) تدعمها وحدات من المدفعية الميدانية (خمس كتائب مدفعية من عيار ١٠٥مم و ١٥٥ مم) ووحدات هندسة عسكرية، وتغطية جوية بأربعة أسراب نفاثة، بالإضافة إلى عدد من الحوامات يكفي لنقل كتيبتي مشاة مع معداتها. وقد بلغ عدد هذه القوات خمسة عشر ألف جندي.

وفي الجانب العربي كانت وحدات رصد فتح تراقب تحركات وتحشدات القوات المعادية، وتدارست قيادة فتح التدابير الواجب اتخاذها - وعلى الأخص المجابهة أو الانسحاب من المواقع المستهدفة من قبل العدو، لتأتي ضربته في الفراغ - وفقاً لمبادئ قتال الحرب الشعبية، وبعد مناقشة الموضوع بعمق قررت «الصمود الواعي» تحقيقاً للأهداف التالية:

١ - رفع معنويات الجماهير الفلسطينية والعربية بعد نكسة حزيران ١٩٦٧م.

٢ - تحطيم معنويات العدو وإنزال أكبر الخسائر في صفوفه.

٣ - تحقيق الالتحام الثوري مع الجماهير حتى يصبح الشعب قوة منيعة.

٤ - زيادة التقارب والثقة بين قوات الثورة الفلسطينية ورجال الجيش الأردني.

٥ - تنمية القوى الثورية داخل صفوف الشعب العربي.

٦ - اختبار ثقة المقاتلين بأنفسهم في معارك المواجهة المباشرة مع قوات العدو.

وجرى تقسيم قوات المقاومة إلى ثلاث مجموعات: الأولى: توزعت على عدة مراكز في الكرامة نفسها وحولها، ووزعت **الثانية** بشكل كمائن على امتداد الطرق المحتمل سلوكها من قبل العدو، وانسحبت **الثالثة** إلى المرتفعات المشرفة على المنطقة ليكون دعماً واحتياطياً.

من جهة أخرى اتخذت القيادة الأردنية استعداداتها للتصدي للعدوان الوشيك فوضعت القوات المقابلة للعدو في حالة استنفار وتعبئة انتظاراً للتطورات المتوقعة.

تحركت القوات الإسرائيلية في الساعة الخامسة والنصف من صباح ٢١ آذار ١٩٦٨م على أربعة محاور:

١ - **محور العارضة** من جسر الأمير محمد إلى مثلث المصري فطريق العارضة - السلط الرئيس.

٢ - **محور وادي شعيب** من جسر الملك حسين إلى الشونة الجنوبية فالطريق الرئيس المحاذي لوادي شعيب السلط.

٣ - **محور سويمة** من جسر الأمير عبد الله إلى غور الرامة - ناعور فعمان.

٤ - **محور الصافي** من جنوب البحر الميت إلى غور الصافي فطريق الكرك الرئيس. ولكن المعارك الرئيسية دارت فعلاً على المحاور الثلاثة الأولى.

عبرت القوات الإسرائيلية النهر تحت تغطية نيران المدفعية، ولكنها ما كادت تتقدم مسافة ٢٠٠م حتى اصطدمت بمقاومة عنيفة، أعاقت تحركها فدفعت بعناصر محمولة بالحوامات، أنزلت بعضها في غور الصافي للتمويه والتضليل، ولكن معظمها تم إنزاله في الكرامة - فتصدت لها القوات العربية وكبدتها خسائر كثيرة، مما اضطر القيادة الإسرائيلية إلى زج قواتها الجوية بكثافة كبيرة مركزة قصفها على مرابض المدفعية الأردنية ومواقع الفدائيين ومرابض الدبابات والمدافع المضادة للطائرات. وتابعت خلال ذلك الحوامات تقل عناصر إضافية والعودة بالجرحى وجثث القتلى. واستثمرت القوات المدرعة نتائج القصف الجوي والمدفعي المركز لمتابعة تقدمها فأمكنها في الساعة العاشرة تقريباً الاتصال بالقوات المنزلة جواً في الكرامة. ودارت بينها

وبين مجموعة من قوات التحرير الشعبية التابعة لجيش التحرير الفلسطيني معارك دامية بدأت البنادق والرمانات اليدوية ثم بالسلاح الأبيض. وقد خاضت القوات الأردنية أيضاً معارك عنيفة على المحاور الأخرى وأحبطت تقدم العدو ومنعته من تنفيذ مخططاته.

وفي الساعة ١٤,٠٠ كانت خسائر الإسرائيليين قد تزايدت واتضح لهم مدى الثمن الذي سيدفعونه لقاء كل تقدم – فادعوا أنهم أتموا تنفيذ المهمة المسندة إليهم وبدؤوا بالإنسحاب. وكانوا قد طلبوا وقف إطلاق النار في الساعة ١١,٣٠ بواسطة الجنرال اودبول كبير المراقبين الدوليين، ولكن رئيس الحكومة الأردنية رفض الطلب حتى انسحاب القوات الإسرائيلية بكاملها. وقد تم انسحاب آخر جندي إسرائيلي في الساعة ٢٠,٣٠. وتكبدت القوات الإسرائيلية خلال انسحابها أيضاً خسائر كبيرة، إذ تعرضت لها الكمائن التي بثتها قيادة المقاومة قبل المعركة.

وبتوجيهات من وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد قام رئيس الأركان اللواء مصطفى طلاس بإرسال العميد جبرائيل بيطار مدير إدارة الاستطلاع إلى الأردن (منطقة الكرامة) لمعرفة حاجة الجيش الأردني من الأسلحة والذخيرة حتى نؤمنها له، وفي مقر عمليات القطاع الشمالي في الجبهة الأردنية (السلط) التقى العميد بيطار بالأخوة الأردنيين ونقل إليهم رسالة القائد حافظ الأسد وشكروه على هذه المبادرة. وفي تلك اللحظات وحوالي الساعة ١٤,٠٠ وصل الملك حسين إلى مقر القيادة الأردني، وأثنى على الضباط الذين أسهموا في قيادة المعركة وتأمين الدعم المدفعي لها[١].

كان العدوان الإسرائيلي على الكرامة أول مرة تتخطى فيها القوات الإسرائيلية نهر الأردن، فقد توغلت مسافة ١٠كم على جبهة امتدت من الشمال إلى الجنوب نحو ٥٠كم، وهي أول عملية على نطاق واسع قادها

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس، مرآة حياتي، الفصل ٣٥.

رئيس الأركان الإسرائيلي الجديد آنذاك حاييم بارليف. وقد حشدت لها (إسرائيل) قوات كبيرة نسبياً أرادت منها أن تكون درساً رادعاً للفدائيين وللجيش الأردني، **وأن تحقق بوساطتها نصراً سريعاً تستغله في رفع معنويات السكان الإسرائيليين** التي بدأت تهتز تحت ضربات العمليات الفدائية في الأراضي المحتلة. ولم تكن النتائج كما كانت تتمناها (إسرائيل) فقد اعترف رئيس حكومتها أمام الكنيست يوم ٢٥ آذار أن الهجوم على الكرامة لم يحل مشكلة الإرهاب. وقال ناثان بيليد ممثل حزب المابام أن على إسرائيل أن تصوغ تكتيكها العسكري وفقاً لأساليب القتال المتبعة عند العدو والظروف السياسية المحيطة وطالب شموئيل تامير عضو الكنيست بتشكيل لجنة تحقيق برلمانية للبحث في التعقيدات السياسية الناجمة عن عملية الكرامة، وأضاف أن تخطيط العملية وتنفيذها يثيران أسئلة كثيرة تتطلب الإجابة. وقد عبر يوري افنيري عن فشل العملية بقوله: إن المفهوم التكتيكي للعملية كان خاطئاً من الأساس وإن النتائج أدت إلى نصر سيكولوجي للعدو الذي كبدنا خسائر كبيرة.

وأكثر من ذلك، فقد نظم جيش العدوان الصهيوني عشية المعركة، أوسع حشد للصحافيين ومراسلي وكالات الأنباء عند جسر اللنبي، واعداً إياهم بالانتقال إلى الضفة الشرقية من نهر الأردن لمعاينة انتصارهم.وهو أمر لم يتحقق، وأكره جنرالات العدو على الاعتذار للصحافيين وأعادوهم إلى داخل فلسطين المحتلة، بعد أن واجه العدو، ومنذ لحظات عدوانه الأولى، مقاومة شديدة، مما أربك مخططاته الميدانية، واضطره للمرة الأولى إلى طلب وقف إطلاق النار في الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم المعركة.

كانت معركة الكرامة نقطة تحول كبرى بالنسبة لحركة فتح بخاصة وباقي فصائل المقاومة الفلسطينية بعامة.وقد تجلى ذلك في سيل طلبات التطوع في المقاومة ولاسيما من قبل المثقفين وحملة الشهادات الجامعية كما

تجلى في التظاهرات الكبرى التي قوبل بها الشهداء في المدن العربية التي دُفنوا فيها، والاهتمام المتزايد من الصحافة الأجنبية بالمقاومة الفلسطينية، مما شجع بعض الشبان الأجانب على التطوع في صفوف المقاومة الفلسطينية. وقد أعطت معركة الكرامة معنى جديداً للمقاومة تجلى في التظاهرات المؤيدة للعرب والهتافات المعادية التي أطلقتها الجماهير في وجه وزير خارجية **(إسرائيل)** أبا **إيبان** أثناء جولته يوم ١٩٦٨/٥/٧م في النرويج والسويد، فقد سُمِعت ألوف الأصوات تهتف «**عاشت فتح**».

أما على الصعيد العسكري فقد كانت معركة الكرامة نوعاً من استرداد جزء من الكرامة التي فقدتها القوات المسلحة العربية في حزيران ١٩٦٧م التي لم تتح لها فرصة القتال – ففي معركة الكرامة أخفقت (إسرائيل) في تحقيق أهدافها العسكرية والإستراتيجية لرفع معنويات المستوطنين الإسرائيليين، بل ساهمت في زيادة خوفهم وانعزالهم.

قُدِّرت خسائر الإسرائيليين بحوالي ٧٠ قتيلاً وأكثر من ١٠٠ جريح و٤٠ دبابة و٢٥ عربة مجنزرة و ٢٧ آلية مختلفة، وخسر الجانب الفلسطيني ٧٠ شهيداً من فتح و ٢١ شهيداً من قوات التحرير الشعبية التابعة لجيش التحرير الفلسطيني، وأما الأردنيون فقد خسروا ٢٠ شهيداً و ٦٥ جريحاً من بينهم عدد من الضباط، و١٠ آليات مختلفة ومدفعين.

دمر الإسرائيليون عدداً كبيراً من المنازل وأخذوا معهم ١٤٧ عربياً من الفلاحين بحجة أنهم من الفدائيين.

وأخيراً لا بدَّ من الإشارة إلى أن اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع السوري آنذاك أمر العقيد غازي أبو عقل مدير إدارة التوجيه المعنوي أن يتوجه إلى «عمان» مع مجموعة من سيدات «الجمعية النسائية للرعاية الاجتماعية» يرافقهم الملحق العسكري لدى السفارة السورية العقيد «عدنان طيارة» حيث قاموا بزيارة للمستشفى المركزي في عمان لتفقد أحوال جرحى معركة الكرامة وتقديم الهدايا لهم....

وقد أبدى المسؤولون عن الخدمات الطبية والتوجيه المعنوي في الجيش الأردني شكرهم للجيش العربي السوري قادة وجنوداً، وأرسل الإخوة الجرحى بتحياتهم إلى أشقائهم في القطر العربي السوري.

وعبر الجميع عن أملهم في أن تجمعهم مع العدو معركة يخوضها جيش عربي واحد يقف وراءه شعب عربي واحد.

في قرار يستهدف تصعيد حرب الاستنزاف على الجبهتين المصرية والسورية، توالت اجتماعات مجلس الدفاع برئاسة الفريق الأسد وزير الدفاع خلال العُشر الأول من شهر حزيران لإقرار المكان والزمان والوسائل القتالية المناسبة لتطوير حرب الاستنزاف.

وبناء على أوامر وزير الدفاع قام كل من العميد أديب الأمير والعميد صباح أتاسي بتحضير إغارات قتالية على المواقع الإسرائيلية والتدريب على إغارة واحدة على الأقل على جبهة كل فرقة، وقُدمت الخطط من كل من قائدي الفرقتين وأُقرت في العاشر من حزيران، على أن تكون الإغارتان الأوليتان جاهزتين خلال أُسبوع.

قامت كل من الفرقتين الخامسة والسابعة بالتدريب على الإغارتين وتأمين عوامل نجاحهما. وقع اختيار قائد الفرقة السابعة على وحدة من المشاة المعززة لمهاجمة نقطة (نبع الصخر)، بينما ركز قائد الفرقة الخامسة العميد أديب الأمير على القيام بإغارة مدرعة، (ربما كان اختصاص العميد أديب الأمير قد أثر على قراره هذا) على النقطة القوية في تل شعاف السنديان.

دار النقاش مطولاً في مجلس الدفاع حول المحصلة النهائية للإغارة المدرعة، وهل تُعطي نتائجها الإيجابية لو أُصيبت دبابة أو مدرعة أو تُركت معطلة في الأراضي المحتلة، وحسم الفريق الأسد النقاش بقوله: اتركوا قائد الفرقة ينفذ ما هو قانع بنجاحه، ولا بأس من تنويع الإغارات بالحجم والوسائط.

استدعى قائد الفرقة الملازم الأول توفيق جلول قائد سرية دبابات من الفوج ١٢ دبابات وأعلمه بالمهمة وطلب منه استكمال تجهيز سريته حتى نسبة جاهزية ١٠٠% وعززه بسرية عربات مدرعة من اللواء ٤٥ ميكانيكي، وجرى اختيار موقع مماثل في قطاع الفرقة الخامسة للتدريب عليه.

إلى جانب ذلك أُعطيت المهمات القتالية لمدفعية اللواء ٣٣ ومدفعية الفرقة لتأمين التغطية النارية للعملية. ودققت مهام المدفعية على كامل قطاع الفرقة تحسباً لتطور المعركة.

حددت القيادة يوم ١٩ حزيران موعداً لتنفيذ العملية، ثم جرى تأجيل الموعد إلى يوم ٢٤ منه. كان لهذا التأجيل صدى سلبي على عناصر وحدة الإغارة، حيث كان الجنود في منتهى الحماس لاختراق خط العدو الدفاعي بالقوة لأول مرة في تاريخ الصراع العسكري مع العدو على مختلف الجبهات العربية.

في مساء يوم ١٩٧٠/٦/٢٣م اتصل الفريق الأسد وزير الدفاع عبر الهاتف الداخلي المباشر وطلب إلى رئيس الأركان اللواء طلاس أن استدعي الضابط المناوب في سلاح المدفعية وأُعطيه أمراً بالتوجه إلى قيادة الفرقة الخامسة ليعلم قائدها العميد الركن أديب الأمير بضرورة توجيه صبيب مدفعي قوي على مستعمرة «حبشور» المنشأة على السفح الغربي لتل الفرس، وذلك بالتزامن مع إغارة الفرقة على تل شعاف السنديان المقررة غداً.

وشرح الفريق الأسد الغاية من هذه العملية، وهي أننا قبلنا التحدي الإسرائيلي ليس فقط على مستوى احتلال الجولان عسكرياً بل يجب أن يفهموا أيضاً أن الاستيطان في الجولان لن يكون بعد اليوم نزهة، وإن صراعنا معهم على الاحتلال والاستيطان سيكون بالقدر نفسه من الأهمية.

استدعي الضابط المناوب في سلاح المدفعية وكان العقيد عبد القادر عبد القادر رئيس أركان إدارة المدفعية والصواريخ وطُلب إليه أن يتوجه

مباشرة إلى العميد الركن أديب الأمير قائد الفرقة الخامسة ويبلغه أوامر وزير الدفاع الشفهية وإننا اخترنا طريقة التبليغ المباشر كي لا نُعطي للعدو الفرصة لمعرفة نوايانا بالضربة المدفعية عبر الدخول على شبكة الاتصالات السلكية وقد يتم صدفة كشف العملية الأساسية المقررة غداً.

وكان اختيار التزامن بالضربتين هو الذي يُعطي المعنى السياسي لمقاومة الاحتلال والاستيطان في وقت واحد.

توجه العقيد الركن عبد القادر إلى قيادة الفرقة الخامسة فوصلها قبل الساعة الثانية عشرة وأبلغ العميد الركن أديب الأمير قائد الفرقة أوامر القيادة العامة مع ضرورة نقل جميع الأوامر شفهياً لضرورات السرية المطلقة.

قام الضابطان بفحص خطط الضربات المدفعية المحضرة في الفرقة مسبقاً فوجدا أنّ مستعمرة تل الفرس من بينها فأجريا بعض التعديلات بعد استدعاء رئيس مدفعية الفرقة العقيد أحمد الحراكي لزيادة كثافة الصبيب الناري على هذه المستعمرة لإفهام العدو بوضوح وتركيز أكبر الغاية السياسية من هذا القصف.

كان توقيت الإغارة والضربة المدفعية هو الساعة ١٨,٤٥ من مساء ٦/٢٤ وكان لاختيار هذا التوقيت أكثر من سبب منها حالة استرخاء الجنود المستوطنين، استبعاد توجيه ضربة كبيرة في هذا الوقت غير الملائم حيث تكون الشمس تضرب عيون جنودنا، ولكن كان هناك سبب هام آخر وهو أن مفاجأة العدو وفي هذا الوقت بالذات لا تسمح له بتحركات برية ولا بتدخل طيرانه، قبل أن تكون المهمة المزدوجة قد استنفدت غاياتها وغابت الشمس.

حسب الجدول الزمني للعملية وتنظيم التعاون كان مقدراً أن تتم العملية: الاقتحام والاستيلاء على الوثائق والأسلحة وأسر أو قتل جميع جنود العدو الذين يحتلون النقطة أو يحمونها والعودة إلى قاعدة الإنطلاق /٤٢/ دقيقة.

وقد نُفذت فعلاً بــ /٤٣/ دقيقة ومن ضمنها قطر عربة مدرعة تعطلت عند النقطة المعادية كما وزرع جنودنا العلم السوري فوق مفرق الرفيد الذي لم يكن ضمن المهمة الأصلية.

كان فرح الجنود العائدين من انتصارهم هذا لا يوصف وأكثر ما كان يثير تعليقاتهم ويضاعف بهجتهم هو مشاهدة جنود وضباط العدو وهم يهربون أمامهم كالأرانب وأكثرهم يشد لباسه الداخلي الوحيد خوفاً من كشف عورته.

أما على جبهة المستعمرة جيشور فقد أعلنت إذاعة الجيش الإسرائيلي عن وقوع مائة وخمسين مستوطناً بين قتيل وجريح.

ثانياً - الإغارة على تل شعاف السنديان في ٢٤ حزيران ١٩٧٠م:

في شهر نيسان ١٩٧٠م قررت القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة أن تُنفذ إغارة على نقطة استناد معادية في الجولان المحتلة وأمام نطاق دفاع الفرقة الخامسة ميكا بقوام سرية دبابات.

هدف العملية: اقتحام النقطة، تدمير منشآتها وتحصيناتها، قتل من فيها وجلب أسرى ونماذج من أسلحة ووثائق النقطة إن وجدت فيها.

أُسندت المهمة من قبل العميد أديب الأمير وكان قائد الفرقة الخامسة في ذلك الوقت – إلى الفوج ١٢ دبابات قائده في ذلك الحين الرائد وليد حمدون.

حددت السرية الثالثة دبابات من الكتيبة ٣٥٦ د قائدها الملازم الأول توفيق ماجد جلول وعززت السرية بــ فصيلة مشاة على ناقلات ب. ت. ر ١٥٢ – فصيلة هندسة تركب على ناقلات فصيلة المشاة. وأُلحقت السرية على اللواء ٣٣ مشاة لأنّ النقطة التي اختيرت تقع أمام قطاع دفاع هذه اللواء.

حُددت النقطة: (تل شعاف السنديان) من قبل قائد الفرقة العميد أديب الأمير إلى قائد سرية الدبابات الملازم الأول توفيق جلول بالذات بشكل شخصي وعلى الأرض.

كُلف المقدم الركن هلال رجب رئيس أركان اللواء ٣٣ مشاة بالتعاون مع الملازم أول قائد السرية بوضع خطة لتنفيذ الإغارة. واختيار نقطة مشابهة والتدريب عليها وفقاً للخطة على أن يعلم قائد الفرقة عند الجاهزية للتنفيذ.

اختيرت خربة المطوق شرق بلدة جاسم وتم التدريب عليها وأعلم قائد الفرقة عن جاهزية السرية للتنفيذ.

وُضعت الخطة كالتالي:

تُقسم السرية إلى ثلاث مجموعات: مجموعتي حماية. مجموعة اقتحام.

١ - مجموعة حماية أُولى: قوامها فصيلة دبابات بإمرة الملازم فهد سويدان تتقدم على محور كودنا - الجويزة. جورة يحيى على طريق القنيطرة الرفيد. بمهمة منع نجدة النقطة من دبابات العدو التي تتمركز في معسكر الخشنية.

٢ - مجموعة حماية ثانية: قوامها فصيلة دبابات بأُمرة المساعد أول أحمد سوادة تتقدم على محور كودنا الجويزة وتتجه إلى الجنوب (تلول الشعاف) بمهمة منع نجدة النقطة من دبابات العدو التي تتمركز في منطقة تل الفرس ومعسكر الجوخدار.

٣ - مجموعة الاقتحام: قوامها سرية الدبابات ناقص ٢ فصيلة وبقيادة قائد السرية مهمتها اقتحام النقطة وتدمير منشآتها وتحصيناتها وقتل من فيها وجلب أسرى ونماذج أسلحة ووثائق إن وُجدت في النقطة تنفيذاً لقرار القيادة.

أسلوب التنفيذ:

مع بدء تمهيد المدفعية على النقطة وعلى النقاط المجاورة، وعلى معسكرات الخشنية، وعلى تل الفرس وإعماء هذه النقاط والتأثير على الوحدات في أماكن تعسكرها.

تحركت مجموعتا الحماية رقم ١ - رقم ٢ على المحور المحدد. وفور تحركها واقترابها من نقطة الاستناد (نقطة شعاف السنديان) شرعت عناصر النقطة بالانسحاب المذعور من النقطة، وكان قبل الانطلاق بـــ ٣٠ دقيقة مجموعة من العسكريين الإسرائيليين على ظهر النقطة ومعهم خرائط يُرجح أنهم ضباط يستطلعون الحد الأمامي ويُرجح أنهم هم الذين انسحبوا بسرعة من النقطة، وعندما شاهدهم عناصر مجموعتي الحماية اندفعوا وراءهم بسرعة على الطريق العام مع الرمي من الحركة من رشاشات الدبابات، وعندها أصبحوا في حالة انهيار، وقبل قرية الجويزة ترجلوا من سيارتين ودخلوا بسرعة خلف الحيطان وداخل الأحراش المجانبة للطريق. وتابعت المجموعة تقدمها إلى المكان المحدد (جورة يحيى) وكان أمامها عربة إسرائيلية منسحبة تم قتل مجموعة من عسكرييها وسقطوا على الأرض وشوهدت السيارة تقف، وترجل عنصران لرفع أحد القتلى إلى السيارة.

أما مجموعة الانقضاض على النقطة بقيادة الملازم أول توفيق جلول. فقد دخلت إلى النقطة وإلى الساحة الداخلية بعد أن اقتلع باب النقطة الحديدي بمدفع الدبابة وتم تدمير البلوكوسات - ومحطتي رادار - ومسندي رشاشات ثقيلة وعثر فيها على أجهزة إشارة بحالة عمل والأسلحة الخفيفة للعناصر ولكن العناصر انهزموا وانسحبوا ولم نعثر على أسرى.

ــ **استغرقت العملية ٤٣ دقيقة.** اتصل قائد السرية مع قائد الفرقة وقال له أنا على الهدف تم تدمير بلوكوسين - محطة رادار - مسند رشاش أنتظر أي أوامر جديدة. وعندها تلقى أمراً بالانسحاب إلى منطقة تحشده قبل بدء العملية وانسحبت السرية تحت حماية بعضها البعض بالفصائل ووصلت إلى مكانها التي انطلقت منه كاملة بالعتاد والرجال وبمعنويات عالية جداً.

أعادت جاهزيتها وأحكمت دباباتها استعداد للأعمال القتالية المقبلة من جراء رد فعل العدو على الهزيمة التي لحقت به.

الاستنتاجات:

١ – إن كل عمل يخطط بشكل جيد ويُحضر له ويؤمن سينجح.

٢ – إن العدو إذا فوجئ وهوجم ينهزم لا محالة.

٣ – إن الجندي العربي السوري شجاع ومسلح بعقيدة وطنية يستسهل دمه في سبيلها.

٤ – كل وحدة تقاد بحزم في وقت السلم تنجح في الحرب.

القصف الجوي يوم ٦/٢٥:

لم يكن باستطاعة العدو الرد على العمليات براً بشكل مقبول، كما لم يعتد على تأخير الرد طويلاً فكان الرد بالطيران هو المنتظر.

ولأنّ العملية الأساسية أتت إليه من مصدرين رئيسيين هما الفرقة الخامسة والمدفعية بالذات فقد قرر توجيه ضربتين جويتين إلى هذين الهدفين وصعد ضربته إلى مدرسة المدفعية في قطنا وإلى الفرقة الخامسة بضرب المرابض والمقرات وبعض التجمعات الأخرى على امتداد جبهة الفرقة.

ما جرى في الفرقة الخامسة – وهي تعلم ما فعلت بالعدو – هو أن وحداتها لم تنم الليل إذ كانت مشغولة بتحضير المرابض والانتشار الواسع.

حين ظهر الطيران المعادي الساعة ١٢,٠٠ ظهر يوم ٦/٢٥ كان الجميع بانتظاره دون إنذار لأنهم تلقوا إنذاراً منذ الصباح الباكر وكانت الأوامر مشددة بعدم الظهور أو الرد إلاّ بأسلحة الدفاع الجوي على المدى المناسب.

في المزرعة على حدود حوران – جبل العرب – حيث معركة المجاهدين الشهيرة عام ١٩٢٥ كان هناك بلدوزر معطل في ورشة الهندسة وحين طال انتظار الطيران المعادي، لم يستطيع قائد الورشة أن ينتظر وربما قدر أن الإنذار الصباحي عن احتمال قصف معاد ربما كان نوعاً من الحذر لا

أكثر فاصطحب الميكانيكي ومساعداً وبدؤوا عملية الإصلاح - وحين بدأت الغارة الفعلية لم يستطيعوا الهروب فجرح ضابط صف واحد. وهذا كان فداء الفرقة الخامسة الوحيد من غارة العدو الانتقامية.

بينما كان المشهد مختلفاً كثيراً في مدرسة المدفعية بمعسكرات عدنان المالكي في قطنا. إذ فاجأهم الطيران المعادي على ارتفاعات منخفضة بست طائرات فانتوم وكانت المدرسة لم تتلق أي إنذار مسبق. واستمرت الغارة الجوية خمس دقائق بدأت بعدها عمليات إخلاء الجرحى إلى المستشفيين ٦٠٥ و ٦٠١ **وكانت الخسائر بالقوى البشرية كما يلي:**

شهداء ١٠١ - جرحى ٩٩.

إثر ذلك اقترح رئيس الاركان على وزير الدفاع الفريق الأسد حول ضرورة نقل المنشآت التعليمية في المنطقة الجنوبية إلى المناطق الوسطى والشمالية والشرقية حتى يكون الطلاب المتدربون يعيشون في جو مريح بعيد عن هاجس المعارك السورية التي تدور رحاها على الجبهة، وصادق القائد الأسد على هذا المقترح وبوشر بتنفيذه فوراً[١].

الاختراق والهجوم المعاكس:

كان من الواضح للعيان أنّ الأمور لم تأخذ مداها على جبهة الفرقة الخامسة، وأنّ العدو الإسرائيلي لا يمكن أن يكتفي بقصف جوي دون أية نتائج تذكر مقابل اختراق خطوطه والاستيلاء على إحدى نقاطه القوية يوم ٦/٢٤، لذلك استمرت الفرقة الخامسة في استعداداتها وراجعت جداول أهدافها

---

(١) تم نقل مدرسة المدفعية إلى حلب، وتم إسكانها في أحد ثكناتها العسكرية بدون أية مشاكل، كما نقلت مدرسة المشاة إلى دير الزور، ثم قرر الفريق الأسد بضرورة تعديل أمر التمركز إلى حلب لأنّ الحياة في دير الزور والكلام للعقيد الركن صلاح نعيسة، أصعب من القصف الإسرائيلي (راجع العماد طلاس، مرآة حياتي)..

وإحداثياتها وبدلت مرابضها ليلاً وأوقفت جميع التحركات والتجمعات غير الضرورية لمعركة اليوم التالي المحتملة.

تابعت القيادة اتصالاتها مع قائد الفرقة الخامسة العميد أديب الأمير وزودته بالمعلومات المتوفرة لديها عن إعادة تجمع العدو منذ الصباح الباكر.

وفي الساعة ٩,٠٠ بدأ العدو قصفه الجوي والمدفعي على مرابض المدفعية ووحدات الدفاع الجوي للفرقة ثم ركز قصفه الجوي والمدفعي على القاطع الجنوبي ما بين صيدا – عين ذكر – رسم الطلائع، واقتصر رد الفرقة الخامسة على التصدي للطيران المعادي مع قصف لبعض مرابض مدفعيته من البطاريات المناوبة. إذ كان تقدير قائد الفرقة أن هذا اليوم لابد أن يكون مكرساً للاختراق مقابل اختراق يوم ٦/٢٤. ولذلك قرر الاحتفاظ بقوته النارية للمرحلة التالية من اليوم وهي المرحلة الحاسمة.

وفي الساعة ١٣,٤٥ من يوم ١٩٧٠/٦/٢٦م اخترق رتل دبابات معاد يزيد على ٣٠ دبابة خط وقف إطلاق النار في المنطقة بين أم اللوقس وصيدا على نطاق الحيطة من قطاع دفاع الفرقة الخامسة. جرى التعامل مع الاختراق بقوى اللواء ٦١ المدافع عن القطاع بمساعدة مدفعية الفرقة. أنذر قائد الفوج ١٢ دبابات الرائد وليد حمدون بالاستعداد للقيام بالهجوم المقرر حسب الخطة القتالية المصدقة سابقاً. وأوعز قائد الفرقة للعقيد أحمد الحراكي بتحضير تمهيد مدفعي قدره ٢٥ دقيقة لصالح الهجوم المعاكس، بينما تحرك قائد الفرقة مع مجموعته القتالية المؤلفة من **رئيس فرع الاستطلاع النقيب إلياس رزق ورئيس المدفعية العقيد الحراكي وضباط عمليات لاحتلال** مرصد الفرقة في تل الجموع للإشراف المباشر بالنظر على سير المعركة وذلك تحت سمع وبصر وقصف طائرات الفانتوم التي كانت لا تتوقف عن الهدير في الجو، ثم لا تلبث أن تنقض على المرابض والمواقع القتالية.

وفي الساعة ١٦,٠٠ وبعد إيقاف تقدم العدو وتنفيذ التمهيد المدفعي انطلق الفوج ١٢ دبابات في هجومه المعاكس من الخط المقرر له، إلاّ أنه لم

يصل هذا الخط بسهولة لأنّ الطيران المعادي ركز معظم طلعاته على الفوج منذ بدء تحركه محاولاً تدميره أو إيقافه أو تأخيره....

ومع ذلك فقد استطاع الفوج الوصول في الوقت المحدد ولكن الانتشار والسيطرة لم تتما كما ينبغي، فبالرغم من أن أية إصابات مباشرة لم يحققها الطيران المعادي في الفوج، إلاّ أنّ كثافة الطلعات والقصف أفقد القادة حُسن توجيههم وسلامة انتشارهم.

واقترح العقيد أحمد الحراكي تمديد التمهيد المدفعي عشر دقائق أخرى ووافق قائد الفرقة، حتى وصل الفوج إلى خطوطه تقريباً في وضع أفضل. إلاّ أنّ وضع الارتباك الذي انتابه قبل الزج جعل اجتيازه لحقل الألغام – في طريقه لملاقاة العدو المخترق – مشكلة لم يستطع حلها وتعثر في الحقل.

قدر العميد أديب الأمير قائد الفرقة، وهو يرى من مرصده حركة الفوج المتعثر أن انتظار خروج الفوج من حقل الألغام لإتمام مهمته قد يكلفه باقي النهار، مما يعقد المعركة، ويترك احتمال بقاء العدو في بعض مواقع الفرقة على نطاق الحيطة قائماً، وهذا ما لا يمكن قبوله إطلاقاً لذلك أصدر قائد الفرقة أمره القتالي لمعالجة الموقف وهو يتألف من ثلاثة فقرات:

- **يتمركز الفوج ١٢ دبابات** حيث وهو ويشكل قاعدة إسناد نارية.

- **تتحرك كتيبة دبابات من اللواء ٦١** لتقوم بالهجوم المعاكس جبهوياً.

- **تتقدم كتيبة دبابات من اللواء ٨٨** مدرع لتعزيز الهجوم المعاكس، وكانت أصلاً قرب المرصد في تل الجموع، وصل الأمر باللاسلكي إلى قائد الفوج ١٢ الرائد وليد حمدون، وبالهاتف **للمقدم مروان جوخدار** في اللواء ٦١، وشخصياً **للعقيد عبد الله الشيخ** الذي كان قد التحق بمرصد الفرقة إلى جانب **العميد أديب الأمير قائد الفرقة** كنسق ثان احتياطي.

وتم طرد العدو حوالي الساعة ١٨,٣٠ من مساء اليوم نفسه.

ولا بد من الإشارة في هذا المجال إلى أن قائد الفرقة الخامسة العميد الركن أديب الأمير اتخذ قراراً تكتيكياً جريئاً وبعيد النظر وعلى مسؤوليته في استخدام اللواء ٨٨ مدرع، ولذلك فقد أوعز إليه بالتحرك منذ بدأ العدو عملياته البرية ظهراً ليكون جاهزاً للتدخل إذ لزم الأمر.

وعن تعثر الهجوم المعاكس للفوج ١٢، وكانت القيادة تلاحقه مطالبة بالمعلومات المتعلقة بمعركة هذا الفوج وكان اللواء يوسف شكور هو الموكل بالاتصال به ثم بنقل الصورة إلى القيادة المجتمعة، وحين سأل اللواء شكور العميد أديب الأمير عن سبب التأخر عن تنفيذ المهمة أجابه أديب أنّ كثافة الطيران عطلت السيطرة على القوات وعلى الممرات في حقل الألغام، فقال له: ما هي طلباتك لتسريع العملية أجابه العميد أديب الأمير:

- **إما أن يخرج طيراننا** ليقوم على الأقل بتشتيت التركيز الجوي المعادي على الفوج – أو السماح لي باستخدام اللواء ٨٨ مدرع.

طلب اللواء شكور مهلة وعرض الأمر علينا، فتبين أن الأمرين شبه مستحيلين في الوقت الراهن فأعاد الاتصال بالعميد قائد الفرقة، وقال له كيف تستطيع استخدام اللواء ٨٨ وهو بعيد عنك مسيرة أكثر من ساعتين بين رخم وميدان المعركة؟

أجابه العميد أديب الأمير قائد الفرقة: لقد استخدمت صلاحياتي كقائد منطقة[١] وأمرته بالتحرك وهو الآن ما بين تل الجموع وداعل وإبطع، ويستطيع التدخل إذا سمحت القيادة بذلك.

---

(١) لم يكن اللواء ٨٨ مدرع من ضمن ألوية الفرقة ولكنه كان متمركزاً في منطقة رخم شرقاً كاحتياط قيادة عامة لصالح المنطقة الجنوبية، والتي تدافع عنها أصلاً الفرقة الخامسة، ولذلك كان الروتين يفترض لاستخدام هذا اللواء استئذان القيادة العامة قبل تحريكه، لولا أن ظروف الميدان لم تكن تسمح باحترام جميع الشكليات دائماً.

يقول العماد مصطفى طلاس في مؤلفه (مرآة حياتي) وافق الفريق الأسد على خطة قائد الفرقة وأبلغت الموافقة شفهياً إلى العميد أديب قائد الفرقة وتمت العملية بنجاح، ولكن بالرغم من نجاحها قد حزنت كثيراً لاستشهاد الرائد نصر الدين حسين قائد كتيبة دبابات لأنه خدم معي في **اللواء الخامس المدرع بعد ثورة آذار المجيدة.** ولكن الحق يقال لقد دفع شهيدنا الغالي حياته ثمناً لخطئه الشخصي، فأثناء إحدى الغارات الجوية على كتيبته قفز من الدبابة إلى الأرض فأصابه صاروخ مضاد للدبابات من الصواريخ الذي تقذفها الطائرات عشوائياً، وكان الأجدر به أن يظل في دبابته وهذا يعطيه احتمالاً أكبر لحماية نفسه وقد أكدت حرب تشرين ذلك، **فمعظم أطقم الدبابات نجوا من الإصابات القاتلة** لبقائهم في دباباتهم، وهذه القاعدة يجب ألاّ تغيب أبداً عن عقول رجال دباباتنا.

بلغ حجم الخسائر في هذه المعركة الحاسمة كما يلي:

أ - لدى العدو:

– قتل وجرح ما لا يقل عن ٢٠٠ عنصر.

– تدمير ١٩ دبابة و ١١ ناقلة مدرعة وإبطال موقعي تل الفرس والرفيد.

– إسقاط طائرة وأسر طيار.

ب - خسائرنا:

– ٥٢ شهيداً بينهم ٣ ضباط و ٩ ضباط صف.

– ٢٥ جريحاً (٥ ضباط و٢٠ ضابط صف).

- خسائر العتاد:

تدمير ٨ مدافع دفاع جوي ٥٧مم و ٣ دبابات ت – ٣٤ و ٢ قانص مدرع و ٥ عربات.

ثالثاً - مأثرة الرقّاد:

في الساعة ٩,٣٠ من يوم ١٩٧٠/٦/٢٦م قام طيران العدو بشكل مفاجئ بقصف المعسكرين رقم ٤ و ٥ من معسكرات عدنان المالكي في قطنا، كما قام حتى الساعة ١٢,٠٠ بتعزيز مواقعه الأمامية في مواجهة الفرقة السابعة، بعد ذلك، بدأ بقصف المواقع الأمامية في تل الظهور ورويسة القنديل وأوفانا وتل صاحي وتل الأحمر بالمدفعية والهاون والدبابات، حيث قامت قواتنا بالرد على مصادر النيران بشكل متقطع حتى ساعة انطلاق الإغارة على نقطة استناد جسر الرقاد المعادية.

أمر الفريق الأسد وزير الدفاع في الساعة ١٥,٤٥ في ١٩٧٠/٦/٢٦م بضرورة وأهمية تخفيف الضغط على الفرقة الخامسة في القطاع الجنوبي وطلب **إلى رئيس الأركان** أن يتصل **بالعميد الركن صباح الأتاسي قائد الفرقة السابعة** لتكليف إحدى سرايا الدبابات المعززة باجتياز خط وقف إطلاق النار والإغارة على نقطة استناد جسر الرقاد.. وعلى الفور **اتصل اللواء طلاس رئيس هيئة الأركان** هاتفياً بقائد الفرقة وأعلمه بتوجيهات القائد الأسد وإن عليه أن ينفذ الإغارة بعد ساعة واحدة فقط من صدور الأمر. وقال العميد المهمة معقدة؟، فأجابه طلاس من الناحية العسكرية والعملياتية معك الحق.. ولكن أوامر وزير الدفاع واجبة التنفيذ، وعلينا جميعاً أن نتذكر ما تعلمناه في الكلية الحربية في اليوم الأول إنّ واجب الجندي أن يُنفذ الأمر أولاً ثم يعترض ثانياً إذا شاء...

فأجابه: سوف أُنفذ الأمر ولن أعترض أبداً.

- **وفي الساعة ١٦,١٥ قامت مدفعيتنا وهاوناتنا مع الدبابات والقوانص والأسلحة المضادة للدبابات في الفرقة السابعة** بالاشتباك مع مواقع العدو على كامل مواجهة الفرقة عدا قطاع اللواء ٤١ مشاة، وذلك بقصد تضليل العدو ليقوم بدفع احتياطاته بعيداً عن قطاع دفاع هذا اللواء.

وفي الوقت نفسه، تحركت سرية دبابات من اللواء ٦٨ مشاة باتجاه تل الهوى، كما تقدمت سرية دبابات من اللواء ٥٢ مشاة باتجاه نبع الصخر - الرويحينه، وذلك بعملية خداعية لصالح الإغارة المبيتة على نقطة استناد الرقاد المعادية، كما تحركت في الوقت نفسه سرية دبابات من فوج الدبابات ٧٨ إلى منطة أيوبة لدعم اللواء ٤١ مشاة إذا دعت الضرورة.

تحت ستار هذه النيران الكثيفة، وفي الساعة ١٦,٤٥ تقدمت سرية دبابات من الكتيبة ١٦٩ دبابات من اللواء ٤١ مشاة، معززة بالمشاة من مواقعها في منطقة تل الشعار على محور خان أرنبة - الرقاد. وعند وصولها إلى الحد الأمامي للصديق، قامت الدبابات والقوانص وأسلحة الرمي المباشر لمواجهة **نقطة استناد جسر الرقاد بالرمي عليها بغزارة ودقة**، ثم تابعت سرية الدبابات تحركها على يمين الطريق العام (غرباً) **وقامت باقتحام النقطة المذكورة من الناحية الشمالية** حيث توقفت الدبابات على مشارف النقطة وقامت عناصر المشاة المحمولة المعززة للسرية بتطهير النقطة، ثم انسحبت بعد ذلك عناصر الإغارة إلى المواقع الدفاعية تحت ستار كثيف من رمايات المدفعية والهاونات الصديقة إلاّ أنها تعرضت خلال تحركها وانسحابها إلى قصف شديد من الطيران المعادي مما أدى إلى تدمير الناقلة المدرعة التي كانت تحمل عناصر المشاة قرب النقطة واستشهاد عنصرين كما قام الطيران المعادي، إثر الإغارة بقصف مرابض الفوج ١٧م/ط والكتيبة ١٦٨ مدفعية من اللواء ٤١ مشاة واستمرت الاشتباكات حتى الساعة ٢٠,٠٠ حيث توقفت على كامل مواجهة الفرقة السابعة. وقد تمكنت سرية الدبابات من الانسحاب بكاملها دون خسائر تذكر.

هذه هي خلاصة عملية الرقاد كما وردت في وثائق العمليات، إلاّ أن وراء هذه العملية قصة حقيقية من قصص البطولة النادرة، سطرها ببساطة وتواضع بعض رجالنا البواسل من جنود الفرقة السابعة، ننقلها بأمانة عفوية

كما وردت على لسان القادة والجنود الذين خاضوا هذه المعركة المشرفة وزعزعوا إلى حد كبير أسطورة العدو الذي لا يُقهر كما حطموا بإيمانهم وعزيمتهم وتضحياتهم غرور العدو وتبجحاته منذ حرب حزيران من العام ١٩٦٧م.

– **بدأت هذه القصة يوم ٢٦ حزيران ١٩٧٠م، الساعة ١٦,٣٠،** عندما انطلقت السرية الثانية دبابات من الكتيبة ١٦٩ دبابات من اللواء ٤١ مشاة مع جماعة مشاة من السرية الخاصة لهذا اللواء بمهمة اقتحام موقع الرقاد المحصن وتدمير حاميته، بهدف تخفيف الضغط عن رفاق السلاح في القطاع الجنوبي.

– **انطلقت السرية الثانية دبابات بإمرة قائدها الملازم الأول عمر حميدة،** وعبرت الخندق الأول الصديق في حوالي الساعة ١٧,٠٠ باتجاه الرقاد، ترافقها ناقلة مدرعة تحمل ١١ عنصراً من السرية الخاصة للواء ٤١ مشاة وما كادت هذه السرية تعبر الخندق الأول حتى سارع العدو إلى إرسال طائرات الفانتوم لتدمير السرية قبل بلوغ هدفها.

كانت المعركة قاسية جداً بين رجالنا وطائرات العدو التي كانت تتعاقب على موجات متلاحقة وتقصف سريتنا بالصواريخ والقنابل والرشاشات. استمرت هذه المعركة الضارية حوالي الساعتين والنصف منذ انطلاق السرية وحتى عودتها سالمة إلى الخطوط الصديقة.

وهكذا تابعت دباباتنا القديمة (ت – ٣٤) تقدمها رغم كل شيء حتى بلغت الهدف. هنا فتحت نيران مدافعها ورشاشاتها على عناصر الموقع فدمرت قسماً من منشآته وتحصيناته ثم بدأ رجالنا بالترجل من الناقلة التي كانت على مسافة /٣٠٠م/ من الموقع المذكور عندئذ انفجر بينهم صاروخ معاد أصاب الناقلة وجرح ثلاثة من رجالنا بينهم الرقيب الأول رجب الساعي قائد الجماعة، **واستشهد اثنان هما المجند محمود قوسي والمجند محمد**

حبيب البيوش كما جرح **المجند محمد منيف صبوح، رامي الرشاش**، ثم ما لبث أن استشهد فيما بعد عند دخوله إلى الوحدات الصديقة عندما كان يرمي من رشاشه الخفيف على طائرة منقضة، فأصابته إصابة مباشرة.

أما الرجال الستة الآخرون، الذين تركوا قائدهم الجريح قرب الناقلة يضمد جراحه، قد قرروا متابعة تنفيذ المهمة واقتحام موقع الرقاد المحصن بعد أن قسموا أنفسهم إلى قسمين: مجموعة للاقتحام ومجموعة للحماية.

تألفت مجموعة الاقتحام من العريف فضل الله حرب قائد المجموعة والعريف المجند عصمت سلامة والعريف المجند أسعد حمادة. كما تألفت مجموعة الحماية من العريف المجند مصطفى المكيس والمجند حمدان مصطفى والمجند ناصر وهبة.

تقدمت مجموعة الاقتحام نحو مدخل الموقع المعادي، وما كادت تبلغه حتى فاجأها العدو برمايات غزيرة من رشاش ثقيل. هنا قام العريف مصطفى المكيس والمجند حمدان مصطفى رامي السلاح المضاد للدبابات (ر.ب.ج – ٧) والمجند ناصر وهبة بالرمي على الرشاش المعادي فدمره بثلاث قذائف (ر.ب.ج – ٧) وبعدة رشات من أسلحتهم الفردية. عند مدخل الحصن، أصيب قائد المجموعة **العريف فضل الله حرب**، فوقع على الأرض وأخذ يضمد جراحه طالباً من رفيقيه متابعة المهمة تحت حمايته وتغطيته.

دخل البطلان الموقع المحصن وحدهما يحملان معهما كل الحقد على الظلم والعدوان وكل الحب لشعبنا النبيل وأرضنا الطيبة. وما كاد العدو يشعر بأن جنودنا داخل الموقع، حتى انقسم إلى قسمين: قسم خرج من الملجأ محاولاً الاختفاء داخل الخنادق، وعددهم حوالي عشرة جنود، فاستقبلهم البطلان عصمت وأسعد برشات غزيرة من الأسلحة الفردية وبالقنابل اليدوية، بينما هرب من مخرج النقطة قسم آخر باتجاه **قرية الحميدية (وعددهم خمسة جنود)**، حيث تصدى لهم الملازم أول عمر حميدة بعدة قذائف من دباباته فقتلهم على الفور.

بعد أن انتهى العريف عصمت سلامة والعريف أسعد حمادة من قتل معظم جنود العدو، وكادت تنفد ذخيرتهما وقنابلهما اليدوية، عادا تحت قصف الطيران إلى الخطوط الصديقة دون أن يصابا بأي خدش «فلا نامت أعين الجبناء....».

أما العريف فضل الله حرب، الذي انتهى من تضميد جراحه وتغطية رفاقه، فقد رفض العودة قبل أن يضع ما يحمله من قنابل يدوية في طلاقة إحدى المنعات المعادية القريبة، **مدمراً من بقي فيها من رجال**. كذلك عادت مجموعة الحماية التي كان يقودها **العريف المجند مصطفى المكيس**، بسلام رغم التدخل المستمر للطيران المعادي.

وهكذا عادت جميع عناصرنا ودباباتنا عدا المجندين محمود قوسي ومحمد حبيب البوشي.

هنا تبدأ المأثرة الرائعة الجديدة لجنودنا الأبطال في البحث عن زميليهما المفقودين: فعلى الرغم من التعب والقصف الجوي، طلب رجالنا السماح لهم بالعودة ثانية للتفتيش عن زميليهما المفقودين. **ومن جديد دخل العريف عصمت سلامة والعريف أسعد حمادة والعريف مصطفى المكيس إلى الأرض المحتلة ولم يعودوا إلاّ بعد العثور على جثتي الشهيدين محمود قوسي ومحمد حبيب البوشي إلى جانب الناقلة المحترقة، فحملوهما وعادوا بهما إلى الخطوط الصديقة مقسمين على الثأر والانتقام.**

خسائر الطرفين على طول الجبهة في ذلك اليوم المشهود:

أ - العدو:

١ - مقتل ١٥ جندياً في نقطة استناد جسر الرقاد.

٢ - احتمال وقوع الخسائر التالية نتيجة اشتباكات الفرقة السابعة:

- تدمير دبابة في نقطة استناد سحيتا بمن فيها من عناصر.

- **تدمير ٣ منعات رشاش في نقطة استناد رويسة الحمراء بمن فيها من عناصر.**

- **تدمير مرصد في نقطة استناد رويسة الحمراء بمن فيه من عناصر.**

- **تدمير دبابة وناقلتين مدرعتين في جسر الرقاد.**

- **تدمير مرصد تل الشيخة.**

- **تدمير محطة رادار شمالي القحطانية.**

- **تدمير منعتين ودبابة في تل الذهب بمن فيها من عناصر.**

- **إسكات بطاريات مدفعية العدو وهاوناته** في المواقع التالية (نبع المشرفة – مرج بقعاتا – جورة أبي عبد الله – تل الشيخة – ظهرة الزبدة – ظهرة إبراهيم – ظهرة الخوين – ظهرة عساف – الحميدية – الغسانية – الريحانية).

- **إحداث تدمير كبير في مرصد جبل الشيخ** مع خسائر فادحة في معسكر الريحانية والغسانية.

- **إسقاط طائرتي ميراج وسكاي هوك** في منطقتي تل أبي الندى والقنيطرة.

ب - الصديق:

- **الشهداء: صف ضابط + ٤ أفراد.**

- **الجرحى: النقيب محي الدين توتنجي فوج (١٧م/ط) +٨ صف ضابط +٤ أفراد.**

- **المفقودون: فرد واحد.**

- **الخسائر بالعتاد: تدمير ناقلة مدرعة تحمل جهازين لاسلكيين ١١٢ و١١٣.**

أخيراً، لا بدّ، قبل انتهاء الحديث عن هذه المأثرة الرائعة، من التنويه **بدور رجال المدفعية في فوج المدفعية** والألوية الذين نجحوا في الحيلولة دون وصول احتياطات العدو إلى موقع جسر الرقاد على كافة المحاور رغم شراسة الطيران المعادي. **كما ظل رجال المدفعية المضادة يقفون كالأبطال صامدين** لحماية إخوانهم من الصنوف الأخرى رغم تعرضهم للغارات الجوية المتواصلة.

أصداء معارك الأيام الثلاثة:

أثارت أنباء الانتصارات التي حققتها قواتنا المسلحة في «معارك الأيام الثلاثة» من شهر حزيران ١٩٧٠م ضد العدو الصهيوني مشاعر التقدير والإكبار في الأوساط العربية والدولية، واحتلت الصدارة في الصحف العربية التي أجمعت على أن بطولات قواتنا المسلحة في البر والجو تعتبر تطوراً جديداً وإيجابياً ستكون له آثاره القريبة والبعيدة في منطقة الشرق العربي.

كما عبرت البرقيات العديدة، التي تلقتها قيادة القوات المسلحة العربية السورية، عن مشاعر الفخر والإعجاب والأمل الذي غمر الجماهير العربية والقوات المسلحة في أنحاء الوطن العربي كافة.

وأسهمت الصحافة في نقل أصداء هذه المعارك للشعب العربي في جميع أقطاره مشيرة إلى الأحداث القتالية الرائعة، ومُشيدة ببطولة الجيش العربي السوري وهجماته الجريئة التي كبدت خسائر فادحة في الأرواح والمعدات.

وأبرزت المعنويات العالية في تجاوز حرب المواقع في عام ١٩٦٧م وانتقلت إلى التحرك المنظم والمبادرة الواعية. ورأت في الحدث مرحلة هامة على طريق التحرير الذي يخطط له عملياً حيث كان لا بد من أعمال تعرضية، وتعامل جدي مع العدو، فحرب التحرير لا تنطلق مرة واحدة من الخنادق.

ولابد من **التنويه أخيراً** في هذا المجال بأهم البرقيات التي تلقاها **السيد الفريق حافظ الأسد**، وزير الدفاع والتي تلقاها **رئيس هيئة أركان الجيش والقوات المسلحة:**

– فقد تلقى السيد الفريق الجوي حافظ الأسد، وزير الدفاع، البرقية التالية من الماريشال أندريه غريتشكو وزير الدفاع السوفييتي آنذاك جاء فيها:

«الفريق الجوي حافظ الأسد، وزير الدفاع في الجمهورية العربية السورية المحترم:

إن القوات المسلحة السورية الباسلة قد ردّت برجولتها وبطولتها المعهودة التي تتميز بها على الغزاة الإمبرياليين رداً حاسماً في يوم ٢٦ من الشهر الجاري عندما اعتدى الإسرائيليون على القطاع الجنوبي من الجبهة، فأحبطت نواياهم وذلك بتدمير ٢٥ دبابة معادية و ٢٥٠ جندياً وضابطاً وإبطال عشر سرايا مدفعية.

ثم أردف الماريشال **غريتشكو يقول:**

«كما أن الطيارين السوريين قد أظهروا مهارتهم العالية في الطيران وجرأتهم المتناهية، وكانت أعمال قوات الدفاع الجوي ماهرة وسليمة، مما أدى إلى إسقاط ١١ طائرة معادية وتدميرها.

– **السيد الوزير:** إننا سُررنا بنجاحاتكم القتالية، وأرجوكم أن تتقبلوا تهانينا الصريحة وأتمنى للشعب السوري الباسل وقواته المسلحة حياة حافلة بالانتصارات الجديدة من أجل سحق الغزاة الإسرائيليين سحقاً نهائياً.

كما تلقى اللواء طلاس رئيس هيئة الأركان، البرقية التالية من السيد الفريق محمد أحمد صادق، رئيس أركان حرب القوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة:

«**إن البطولة والاستبسال** اللذين أبدتهما القوات المسلحة في الجمهورية العربية السورية بمهاجمة قوات العدو في الأرض المغتصبة وتدميرها لقواته قد ضاعفت من إيماننا جميعاً بحتمية النصر في المعركة المصيرية.

أرجو أن تتقبلوا خالص تحياتي وتقدير رجال القوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة إلى الأبطال في الجمهورية العربية السورية».

كما تلقى السيد الفريق وزير الدفاع سيلاً من البرقيات من مختلف المنظمات الشعبية والنقابات في المحافظات كافة، تشيد بالموقف البطولي الذي وقفه الجيش العربي السوري في مواجهة قوى الغدر والعدوان، معاهدين سيادته على الاستعداد للفداء والبذل والعطاء.



البَابُ الخَامِسُ

حرب تشرين التحريرية

عام ١٩٧٣م


الهيئة العامة
السورية للكتاب

الفَصْلُ الأَوَّل

مراحل حرب تشرين الرئيسة ويومياتها

تمهيد:

عملت إسرائيل، بعد المكاسب التي حققتها في حرب ١٩٦٧م، على تجميد الأمر الواقع أطول فترة ممكنة بهدف تأمين ضم أجزاء كبيرة من الأراضي العربية المحتلة (مثل قطاع عزة، وشرم الشيخ والشاطئ الغربي لخليج العقبة المؤدي إليها، والضفة الغربية، والقدس، والجولان) والمساومة مع مصر على بقية أجزاء سيناء المحتلة من أجل فرض «السلام الإسرائيلي» عليها، فضلاً عن أن إطالة فترة احتلال سيناء كانت توفر لها مزيداً من نهب ثرواتها الطبيعية، ولا سيما بترول آبار أبورديس وبلاعيم الخ.. التي تؤمن لها ٦٠% من حاجاتها النفطية.

ولذلك أخذت إسرائيل تساندها الولايات المتحدة الأمريكية، تماطل وتتهرب من تنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢ الصادر في ١٩٦٧/١١/٢٢م، الذي وافقت عليه هي والولايات المتحدة (كما وافقت عليه مصر والأردن) عند صدوره. وهو القرار الذي منحها ضمناً من الجانب العربي الرئيسي (مصر)،للمرة الأولى في تاريخ الصراع العربي – الإسرائيلي، ضمان حدودها ووجودها السياسي في الأراضي الفلسطينية المحتلة في **حرب ١٩٤٨**، وضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية

في المنطقة فضلاً عن تجاهله لقضية الشعب الفلسطيني المترتبة عن اغتصاب أرضه وطرده منها وتحويل القضية إلى مجرد مشكلة لاجئين تحتاج إلى تسوية عاجلة.

وعلى الرغم من تضمين القرار ٢٤٢ لهذه النقاط التي ادعت إسرائيل أنها شنت حرب عام ١٩٦٧م العدوانية من أجل تحقيقها، فقد عمدت إسرائيل إلى التهرب من تنفيذ القرار في بنده الرئيسي الذي ينص على إزالة آثار عدوان ١٩٦٧م، والذي يقضي بضرورة انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها خلال هذه الحرب، وذلك وفقاً لقاعدة «**عدم شرعية الاستيلاء على الأراضي عن طريق الحرب**» التي أوردها القرار المذكور في مقدمته. واستندت في تهربها هذا إلى تلاعب لفظي في تفسير النص الإنكليزي للقرار، مؤداه أن القرار إنما ينص على الانسحاب من «**أراضٍ**» احتلت وليس من «الأراضي» التي احتلت (كما جاء في النص الفرنسي للقرار، وهو التفسير الذي تتمسك به الدول العربية ومعها آنذاك الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية وبقية الدول المؤيدة للعرب).

وطالبت إسرائيل مصر بالدخول معها في مفاوضات مباشرة تنتهي بعقد معاهدة سلام دائم كشرط مسبق للنظر في تنفيذ القرار المذكور. وفي الوقت نفسه أخذت تعلن على لسان قادتها المختلفين وفي مناسبات متعددة عن نواياها التوسعية المتمثلة في ضم مناطق معينة إلى الأرض التي كانت تحتلها قبل حرب ١٩٦٧م،وكانت هذه المناطق تشمل: الجولان، والقدس، والضفة الغربية، وقطاع غزة، وشرم الشيخ.

وقد بلورت إسرائيل مقترحاتها البديلة لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، سواء بالنسبة إلى مصر أم إلى الدول العربية الأخرى، في مشروع تسوية سلمية عرضه وزير خارجيتها «**أبا إيبان**» في الأم المتحدة **يوم ٨/١٠/١٩٦٨م** كأساس لمباحثاتها مع الوسيط الدولي «**غونار يارينغ**»، الذي كان «**يوثانت**» السكرتير العام للأمم المتحدة قد عينه كممثل خاص له لإقامة

اتصالات مع الدول المذكورة بهذا الصدد. وتضمن المشروع الإسرائيلي ضرورة عقد اتفاقيات سلام دائم بشكل تعاقدي بين إسرائيل ودول المواجهة العربية،تحدد الحدود الآمنة لإسرائيل، وتضمن لها حرية الملاحة في الممرات المائية، وتعين حجم وتوزيع القوات العسكرية على الحدود، وضرورة أن تشمل محادثات السلام أيضاً كيفية الاستفادة المشتركة من موارد المنطقة الاقتصادية، بما يؤدي إلى جعل إسرائيل والدول العربية تشكل ما أسمته «**مجموعة شرق أوسطية**»الأمر الذي يؤمن لإسرائيل السيطرة الاقتصادية على ثروات المنطقة العربية ومواردها.

ومضت إسرائيل في تسويفها. فرفضت وساطة الدول الأربع الكبرى (الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وبريطانيا وفرنسا)، التي تقدمت بها الدول المذكورة في ١٩٦٩/٤/٨م إلى الأمم المتحدة **(أي يوثانت)** والدول العربية وإسرائيل، والمتعلقة بضرورة سرعة تنفيذ قرار مجلس الأمن **رقم ٢٤٢**، ودعم جهود «**يارينغ**». وجاء هذا الرفض على لسان «**إيبان**» يوم ١٩٦٩/٤/١٣م الذي أعلن أن تدخل الدول الكبرى شل مهمة «**يارينغ**»، وأن إسرائيل عند موقفها الذي عبر عنه بمشروعه المذكور آنفاً.

وفي هذه المرحلة من المماطلات الإسرائيلية، بدأت مصر حرب الاستنزاف يوم ١٩٦٩/٣/٨م، وذلك بهدف تحقيق قدر من الضغط العسكري على إسرائيل لفترة طويلة نسبياً تجعلها تشعر بفداحة الثمن البشري والاقتصادي الذي تدفعه في سياستها المماطلة في تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ من أجل تثبيت سياسة الأمر الواقع التي تفرضها، ودون السماح لها في الوقت نفسه باستخدام عناصر تفوقها العسكري في حرب الحركة الخاطفة المعتمدة على عمليات الطيران والمدرعات.

وقدمت الولايات المتحدة لإسرائيل مزيداً من الدعم العسكري والاقتصادي والسياسي كي تصمد في حرب الاستنزاف وتحولها إلى

استنزاف مضاد لموارد مصر العسكرية والاقتصادية والمعنوية. فكانت صفقة طائرات «**الفانتوم**» الأولى، التي ضمت **٥٠ طائرة**، والتي اتفق عليها في نهاية العام **١٩٦٨م**، وبدأت تصل إلى إسرائيل في أيلول (سبتمبر) ١٩٦٩م، العنصر الرئيسي في الدعم العسكري الإمريكي الذي مكنها من شن سلسلة غارات جوية في العمق المصري في النصف الأول من العام ١٩٧٠م.

ولكن مصر استطاعت أن تواصل عمليات حرب الاستنزاف، بفضل إرادة صمودها ومقابل تضحيات اقتصادية وبشرية كبيرة، وبفضل تزايد الدعم العسكري السوفييتي لها الذي مكنها من إقامة شبكة قوية للدفاع الجوي تستند على صواريخ «سام٣»و«سام ٢» و«سام٧»، ومقاتلات معترضة من طراز «ميغ ٢١» المطورة(وبعض طائرات «سوخوي١٥» التي كان يقودها طيارون سوفييت،كما كان يدير بطاريات صواريخ «سام٣» في بداية وصولها جنود وخبراء سوفييت وبخاصة في العمق، إلى أن تم تدريب أطقم مصرية على استخدام هذه الصواريخ)[١].

ونتيجة لذلك فقد توقفت غارات العمق الإسرائيلية، وتزايدت خسائر الطيران في غارات الجبهة بصورة كبيرة نسبياً خلال النصف الأول من شهر تموز **(يوليو) ١٩٧٠م** حتى بلغت ٨ طائرات «فانتوم» و ٦ «سكاي هوك» (اعترفت المصادر الإسرائيلية بسقوط ٥ طائرات فانتوم فقط)، **ثم توقفت غارات الجبهة أيضاً في ١٩٧٠/٧/١٩م، إلى أن تم وقف إطلاق النار بصورة فعلية في ١٩٧٠/٧/٣١م**، وبصورة رسمية في ١٩٧٠/٨/١٧م عقب إعلان موافقة مصر والأردن وإسرائيل على المشروع الأمريكي المعروف باسم «**مبادرة روجرز**»، الذي تقدمت به الولايات المتحدة إلى مصر يوم ١٩٧٠/٦/١٩م (في صورة رسالة موجهة من «**روجرز**» وزير الخارجية

---

(١) اللواء د. إبراهيم مصطفى محمود ، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، الطبعة الأولى، دمشق، ٢٠٠٨م، ص٥٨٣.

الأمريكي إلى «**محمود رياض**» وزير الخارجية المصري)، **رداً على التحذير الذي كان الرئيس جمال عبد الناصر قد وجهه إليها في خطابه يوم أول أيار (مايو) ١٩٧٠م**، بأن مصالحها في الشرق الأوسط سوف تتعرض للخطر إذا استمرت في سياستها المساندة لإسرائيل على النحو المطلق الذي تمارسه. وقد تضمنت «**مبادرة روجرز**» موافقة مصر وإسرائيل على وقف إطلاق النار لمدة محدودة (٩٠ يوماً) وتجديد مهمة الوسيط الدولي «**يارينغ**» من أجل إيجاد الخطوات التفصيلية اللازمة لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢.

إلا أن إسرائيل التي لم توافق على المبادرة الأمريكية إلا بعد أن حصلت على ضمانات باستمرار المساعدة العسكرية الأمريكية من أجل الحفاظ على «توازن القوى» في المنطقة، فعملت منذ البداية على عرقلة مباحثات «**يارينغ**» عن طريق تقديم عدد من الشكاوى إلى لجنة مراقبة الهدنة التابعة للأمم المتحدة، تتعلق بخرق مصر لاتفاقية وقف إطلاق النار عن طريق إقامة عدد من بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات في مناطق قريبة للغاية من الضفة الغربية للقناة بعد وقف إطلاق النار، وبصورة مخالفة لما اتفق عليه من ترتيبات أمنية عسكرية في الاتفاقية المذكورة، بوساطة الولايات المتحدة، التي أيدت هي الأخرى شكاوي إسرائيل في ١٩٧٠/٩/٣م، وزعمت أن صور طائرات الاستطلاع والأقمار الصناعية الأمريكية أكدت ذلك. وعلى إثر ذلك أعلنت إسرائيل في ١٩٧٠/٩/٦م تعليق مشاركتها في محادثات «**يارينغ**» إلى أن تنفذ مصر اتفاقية وقف إطلاق النار، وتسحب بطاريات الصواريخ بعيداً عن القناة.

ولم تمض عشرة أيام على ذلك، حتى بدأت معركة «أيلول» في الأردن بين السلطة الأردنية والمقاومة الفلسطينية، وانشغلت بها مصر والدول العربية الأخرى بصورة كلية. ثم **توفي الرئيس جمال عبد الناصر في ١٩٧٠/٩/٢٨م** م والصراع الأردني – الفلسطيني على أشده، وجددت فترة وقف إطلاق النار لمدة ثلاثة أشهر أخرى في ١٩٧٠/١١/٤م بقرار من

الجمعية العامة للأمم المتحدة، تضمن أيضاً ضرورة إحياء مهمة «**يارينغ**». وقد قدمت له إسرائيل في ١٩٧١/١/٨م مشروعاً جديداً للسلام **مؤلفاً من ١٤ نقطة** كان أبرز ما تضمنه هو إصرارها على اتخاذ مصر والأردن قراراً صريحاً بإنهاء النزاع كلياً بما فيه ذلك المقاطعة الاقتصادية، وعقد معاهدة سلام تحدد فيها الأراضي التي تنسحب منها القوات الإسرائيلية على ضوء الحدود الآمنة المعترف بها والمتفق عليها.

وقدمت مصر مشروعاً مضاداً في ١٩٧١/١/١٨م مؤلفاً من ٦ نقاط، تضمن ضرورة انسحاب إسرائيل إلى حدود ١٩٦٧/٦/٤م مقابل إنهاء حالة الحرب، والسماح لإسرائيل بحرية الملاحة في الممرات المائية، وضمان الاستقلال السياسي لدول المنطقة عن طريق قوات طوارئ دولية، وإقامة مناطق منزوعة السلاح على كلا طرفي الحدود. ورفضت كل من مصر وإسرائيل مشروع الطرف الآخر. وعندما حل موعد انتهاء وقف إطلاق النار للمرة الثانية في ١٩٧١/٢/٢٥م، **أعلن الرئيس المصري أنور السادات** في اليوم السابق لانتهائه تمديد وقف إطلاق النار لمدة ٣٠ يوماً، واقترح أن تقوم إسرائيل خلال هذه الفترة بسحب قواتها مسافة ما من الضفة الشرقية للقناة، كخطوة أولى نحو وضع جدول زمني من أجل انسحابها الكامل **وفقاً لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢**. وعندئذ ستقوم مصر بتنظيف القناة وجعلها صالحة للملاحة من جديد. إلاَّ أن إسرائيل رفضت هذه الشروط، وأبدت استعدادها للتفاوض على فتح القناة للملاحة كموضوع مستقل.

وعندما حل موعد انتهاء فترة الثلاثين يوماً المذكورة في ١٩٧١/٣/٧م، أعلن **الرئيس السادات** أن مصر لن تجدد وقف إطلاق النار لفترة أخرى، ولكنه أوضح أن ذلك ليس معناه بدء القتال فوراً، وإيقاف الجهود الدبلوماسية الهادفة إلى حل الأزمة[١].

---

(١) الموسوعة العسكرية – إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٩٦.

وتوالت بعد ذلك مشروعات مختلفة التسوية من جانب«**يارينغ**» ومصر وإسرائيل ورؤساء الدول الأفريقية طوال العام ١٩٧١م.وكان أبرزها مشروع طرحه **الرئيس السادات** حول تسوية جزئية كخطوة أولى نحو السلام العربي الإسرائيلي، وعرضه في حديث صحفي مع مجلة «**نيوزويك**» الأمريكية يوم ١٩٧١/٢/٤م، واقترح فيه انسحاب إسرائيل إلى خط يمتد من العريش شمالاً حتى رأس محمد جنوباً في سيناء (أي تبقى شرم الشيخ في أيدي إسرائيل مؤقتاً) مقابل أن تضمن مصر إعادة فتح قناة السويس للتجارة الدولية خلال ٦ أشهر، وتمدد وقف إطلاق النار لفترة تكفي لقيام «**يارينغ** بمهمته وفقاً للقرار ٢٤٢، وتضمن حرية الملاحة في مضائق تيران عن طريق وضع قوة طوارئ دولية في شرم الشيخ، كما أكد فيه استعداد مصر لعقد معاهدة سلام تضمن اعترافاً بالسلامة الإقليمية لكل دولة في المنطقة، بما فيها إسرائيل، إذا ما انسحبت الأخيرة من كافة المناطق العربية المحتلة في حرب ١٩٦٧م.

ولكن «غولدا مائير» ، رئيسة وزراء إسرائيل، ردت بالرفض، وعرضت مشروعاً مضاداً في حديث نشرته صحيفة «**التايمز**» البريطانية في **١٩٧١/٣/١٢م**، طالبت فيه بأن تكون سيناء منطقة مجردة من السلاح، وأن تستمر السيطرة الإسرائيلية على شرم الشيخ، وعدم عودة قطاع غزة لإشراف مصر، على أن تعتني إسرائيل باللاجئين. وأكدت «**مائير**» أن بإمكان غزة أن تصبح مرفأً أردنياً، وأن إسرائيل لن تنسحب من مرتفعات الجولان، أما الضفة الغربية فيجب إجراء مفاوضات حول خط الحدود فيها، على ألا تعبر أية قوات عربية إليها، وأن تشكل هذه الحدود عاملاً فعالاً في الربط بين العرب وإسرائيل.

ورفضت **مائير** قيام دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية، لأنها قد تشكل خطراً عسكرياً على إسرائيل.

وردت مصر على هذه المقترحات في ١٩٧١/٤/١م. فرفضت فكرة جعل سيناء منطقة منزوعة السلاح، واقترحت انسحاباً جزئياً للقوات الإسرائيلية يتيح إعادة فتح قناة السويس وعبور القوات المصرية إلى الضفة الشرقية، مع إقامة منطقة محايدة في سيناء بين الجيشين. ورفضت إسرائيل المقترحات المذكورة.

وكررت مقترحاتها السابقة، موضحة رفضها لفكرة الضمانات الدولية وقوات الطوارئ على الحدود، ومؤكدة على ضرورة ضم شرم الشيخ وقطاع غزة والجولان والقدس نهائياً إلى إسرائيل. وفي ١٩٧١/١١/٢٢م أعلنت الولايات المتحدة تعليق جهودها للوصول إلى تسوية جزئية في الشرق الأوسط تسمح بإعادة فتح قناة السويس للملاحة الدولية وذلك إثر اتهام **الرئيس السادات** لها بالمناورة في خطاب أعلن فيه أن جميع اتصالات مصر معها من أجل تحقيق التسوية السلمية قد توقفت.

وهكذا استمرت حال «اللا سلم واللا حرب» مسيطرة على المنطقة. ووصلت جهود التسوية السلمية، على الرغم من التنازلات الجوهرية التي قدمتها مصر، إلى طريق مسدود، وأصبح خيار الحرب هو الخيار المطروح أمام دول المواجهة العربية، وبالذات أمام مصر وسورية.

وفي الوقت نفسه أخذت الحركة الجماهيرية ممثلة بصورة رئيسية في تحركات الطلبة في مصر تعبر عن سخطها المتزايد من استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية، وتطالب بضرورة خوض حرب تحرير وطني ضده، وذلك ابتداء من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٧٢م.

وشهد النصف الأول من هذا العام توتراً في العلاقات المصرية - السوفييتية، بسبب خلافات بين البلدين حول نوعيات معينة من الأسلحة المطلوبة للجيش المصري. وزاد من حدة الخلافات قيام بعض ضباط القيادة العسكرية المصرية بالتشكيك في فاعلية الأسلحة السوفييتية **(كان على رأسهم**

الفريق أول محمد صادق وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة) نظراً لأنهم لم يكونوا راغبين في دخول حرب جديدة ضد إسرائيل، بدعوى عدم امتلاك القوات المصرية لأسلحة هجومية فعالة. وأدى هذا الوضع إلى تردي علاقات التعاون العسكري المصري – السوفييتي.

وبلغ التردي أقصاه في تموز (يوليو) ١٩٧٢م، حين أنهى الرئيس السادات مهمة الخبراء والمستشارين السوفييت من القوات المسلحة المصرية[١]، خاصة من كان منهم في شبكة الدفاع الجوي (حيث كانت توجد نحو ٥٠ بطارية صواريخ م/ط و ٧ مطارات للطائرات المقاتلة «ميغ ٢١» و«سوخوي ١٥» يديرها أو يشرف عليها جنود وضباط وطيارون سوفييت منذ العام ١٩٧٠م). وترتب على ذلك حدوث فتور شديد في العلاقات السياسية بين البلدين. **وفي ١٩٧٢/١٠/٢٦م عيّن الرئيس السادات الفريق أول أحمد إسماعيل علي وزيراً للحربية وقائداً عاماً للقوات المسلحة المصرية**، بعد أن نحى الفريق أول محمد صادق وعدداً من كبار معاونيه على إثر اجتماع عقده الرئيس لمجلس الأمن القومي في يوم ١٩٧٢/١٠/٢٤م، وتبين له فيه أنهم لا ينفذون بعض الإجراءات والمخططات اللازمة لإعداد القوات المسلحة لاحتمال خوض القتال ضد إسرائيل.

وإثر اجتماع عقده الرئيس السادات للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي، تم فيه بحث الموقف السياسي بالنسبة إلى جهود التسوية السلمية، والطريق المسدود الذي وصلت إليه، بدأت القيادة العسكرية المصرية تخطط لشن حرب ضد الاحتلال الإسرائيلي لسيناء، وبدأت القيادة السياسية المصرية في الوقت نفسه اتصالات مع القيادة السياسية السورية لاتخاذ موقف مشترك

---

(١) جيهان الطاهري وأهرون بريغمان، العرب والكيان الصهيوني (حرب الخمسين عاماً)، ترجمة هشام حداد، إصدار مركز الدراسات العسكرية، دمشق، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٠م، ص١٣٦.

في هذا الخصوص. **وكان من نتائج هذه الاتصالات تشكيل قيادة عسكرية مشتركة بقيادة الفريق أول أحمد إسماعيل في ١٩٧٣/١/٢٨م، ضمت مصر وسورية والأردن. وفي ١٩٧٣/٢/٢٦م قام الفريق أول أحمد إسماعيل بزيارة للاتحاد السوفييتي على رأس وفد عسكري** على مستوى عال، وأجرى محادثات مع القادة السوفييت أسفرت عن إزالة التوتر والفتور الذي كان قد أصاب العلاقات العسكرية المصرية السوفييتية في صيف ١٩٧٢م، وترتب على هذا قيام الاتحاد السوفييتي بتزويد مصر بكميات جديدة من الأسلحة والمعدات اللازمة للقوات المسلحة المصرية، ضمت **دبابات «ت ٦٢» وصواريخ «سام ٦» وطائرات «ميغ ٢١»** مطورة وجسور عائمة حديثة الخ. وإثر ذلك قامت «غولدا مائير» بزيارة للولايات المتحدة في مطلع شهر آذار (مارس من العام نفسه أسفرت عن موافقة الولايات المتحدة على تزويد إسرائيل بنحو ٤٨ طائرة «فانتوم» و٤٨ طائرة «سكاي هوك» جديدة.

وفي أواخر شهر آذار (مارس) أدلى الرئيس السادات بحديث صحفي مع «أرنو دو بوشغريف» مدير تحرير مجلة «نيوزويك» الأمريكية (نشر في عدد ١٩٧٣/٤/٩م) أوضح فيه أنه لا بديل عن المعركة لاسترداد الأرض المحتلة بعد أن استنفذت مصر جميع الوسائل الأخرى لتحقيق السلام العادل، وإن الولايات المتحدة ترتكب أكبر الأخطاء إذا اعتقدت أن العرب مشلولون تماماً، وأنها سوف تستيقظ قريباً على صدمة في المنطقة، لأنها لم تدع للعرب سبيلاً آخر. وأنه من المتعذر على إسرائيل أن تحقق انتصاراً شاملاً على العرب، وأن الأيام المقبلة ستثبت عجزها عن البقاء في حالة «اللاسلم واللاحرب»، وأن استمرار القتال شرط هام وأساسي لإجراء مباحثات السلام، ثم أوضح أنه من الممكن بعد ذلك ضمان حرية الملاحة في مضائق تيران بعد تسليم هذا الموقع للمجتمع الدولي.

ولكن الولايات المتحدة وإسرائيل لم تأخذا تهديدات الرئيس السادات مأخذ الجد، واعتبرتاها مجرد تصريحات تدخل ضمن اللعبة السياسية الهادفة

إلى الضغط عليهما من أجل البدء في تنفيذ القرار ٢٤٢، وذلك على الرغم من أن الاستخبارات الأمريكية توصلت إلى معلومات خلال شهر أيار (مايو) ١٩٧٣م تفيد احتمال نشوب حرب جديدة من جانب العرب في الخريف. ولكن المناخ النفسي العام المسيطر على القادة الإسرائيليين نتيجة انتصار ١٩٦٧م الخاطف، أشاع لديهم درجة مفرطة من الثقة بالنفس والتقليل من قدرة العرب القتالية وعدم جدية شعاراتهم السياسية.

وشل هذا الوضع النفسي القادة الإسرائيليين، ومنعهم من تقدير احتمالات تطور الموقف تقديراً واقعياً سليماً.

ومضى القادة المصريون والسوريون يعدون للحرب بجدية وسرية، فقام الرئيس حافظ الأسد بزيارة سريعة للاتحاد السوفييتي في ١٩٧٣/٥/٣م، أسفرت عن تدعيم الاتحاد السوفييتي لقدرات الدفاع الجوي السوري (صواريخ سام ٦ الخ) وتزويد الطيران السوري بمزيد من طائرات «ميغ ٢١» وبعدد من طائرات «سوخوي ٢٠»، فضلاً عن تزويد الجيش بكميات من دبابات «ت ٦٢»، وقدرت قيمة الأسلحة والعتاد السوفييتي الذي زودت به سورية خلال النصف الأول من العام ١٩٧٣م بنحو ١٨٥ مليون دولار، مقابل ٣٥ مليون دولار خلال عام ١٩٧٢م بأكمله. وقام **الفريق أول أحمد إسماعيل** بزيارة لسورية في ٧٣/٥/٩، كما زارها **الرئيس السادات** أيضاً مرتين الأولى في ٧٣/٥/١٩ والثانية في ٧٣/٥/١٢، وفي ٧٣/٦/٦ زار القاهرة **اللواء مصطفى طلاس وزير الدفاع السوري**، وفي ٢٢ آب (أغسطس) ١٩٧٣م **عقد اجتماع سري هام بين القادة العسكريين المصريين والسوريين في الإسكندرية لوضع اللمسات الأخيرة على خطط العمليات الهجومية على كلتا الجبهتين. وترك تحديد يوم الهجوم وساعته إلى**

الرئيسين السادات والأسد والفريق أول أحمد إسماعيل بصفته القائد العام للجيشين المصري والسوري.

وقد طار الفريق أول أحمد إسماعيل إلى دمشق في يوم ٧٣/١٠/٣، واتفق على بدء الهجوم على كلتا الجبهتين في الساعة الثانية من بعد ظهر ٧٣/١٠/٦ بصورة نهائية[١]. وقد تحدد الهدف الاستراتيجي العام للحرب على أساس أن يقوم الجيش المصري بعبور قناة السويس واختراق خط بارليف واحتلال شريط من الأرض على الضفة الشرقية للقناة كافٍ لصد الهجمات المضادة الإسرائيلية وتكبيدها أكبر قدر ممكن من الخسائر ولأطول فترة زمنية ممكنة، من ثم تأمين فتح القناة للملاحة بعد ذلك وإجبار إسرائيل والولايات المتحدة على البدء في تنفيذ تسوية سلمية مستندة إلى القرار **رقم ٢٤٢**، بعد إثبات فشل نظرية الأمن الإسرائيلية عسكرياً، واستحالة تثبيت «**الأمر الواقع**» المستند إلى استمرار حالة «**اللاسلم واللاحرب**». وأن يقوم الجيش السوري بالمهمة نفسها، ليسترد هضبة الجولان، كلها أو بعضها.

---

(١) جيهان الطاهري وأهرون بريغمان، العرب والكيان الصهيوني (حرب الخمسين عاماً)، ترجمة هشام حداد، إصدار مركز الدراسات العسكرية، دمشق، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٠م، ص١٤٣ السطر الأول.

أولاً - مرحلة الاقتحام:

يوم ٦/١٠/١٩٧٣م تشرين الأول (أكتوبر ١٩٧٣م)

تمر الساعات كأنها أيام في صباح العاشر من رمضان ٦/١٠/١٩٧٣م، متباطئة، فالمهام القتالية أسندت إلى جميع قادة القوى والتشكيلات، الذين قاموا بدورهم بإبلاغها إلى المستويات الأدنى، وأصبح الجيش العربي السوري كخلية من النحل تعمل بكل جد ولكن بصمت مطبق مع الحرص الكامل على تنفيذ تدابير خطة التمويه العملياتي. وبكلمة واحدة، لقد دارت رحى الحرب وأصبح من المحال وقف عجلة الزمن أو إعادة عقارب الساعة إلى الوراء.

اتصل اللواء قائد القوى الجوية والدفاع الجوي بالقيادة العامة في ضحى النهار، وأبلغها أننا نمر الآن في أصعب مرحلة من مراحل الحرب ذلك أن الطائرات التي ستشترك بالضربة الجوية الأولى تذخر الآن بالقنابل وهي في ملاجئها... ولو شعر العدو بذلك وقام بتوجيه ضربة إحباط على مطاراتنا العسكرية كافة، لأربك كل خططنا وأعاق تنفيذ أعمالنا القتالية، ولم يكن باستطاعتنا عمل أي شيء سوى التوجه إلى الله بالدعاء لكي يُعمي أبصار العدو وبصيرته عن كل استعداداتنا وتدابيرنا، حتى تحين ساعة الصفر والتي اصطلح على تسميتها بالساعة (س).

أبلغتْ القوى الجوية عن استعدادها التام لتنفيذ المهمة المسندة في الساعة ١٣,٠٠، كما أبلغ قائد سلاح **مدفعية الميدان** عن جاهزية جميع الكتائب المشتركة برمي التمهيد للعمليات الهجومية... كما أبلغ قادة فرق النسق الأول عن جاهزية مجموعات الاقتحام لاجتياز خط التحصينات الإسرائيلية في هضبة الجولان بالقوة.

كان التنسيق بين رمايات المدفعية والطيران يقضي بأن تسقط أول قنبلة على الهدف في اللحظة نفسها التي تجتاز فيها تشكيلاتنا الجوية خط

الكشف الراداري المعادي، لذلك أُعطي الأمر للطائرات بالإقلاع لتنفيذ مهامها قبل أن تعطى الإشارة الرمزية لوحدات المدفعية بفتح النيران.

أعلنت كل كتائب المدفعية جاهزيتها للتنفيذ في الساعة ١٣,٥٥ وصدرت الإشارة الرمزية الخاصة من القيادة التي تعني الموافقة على البدء حسب التوقيت المحدد.

كان ما يقارب تسعمائة مدفع ومدفع هاون تصب نيرانها على الموضع الأول المعادي **في الساعة ١٤,٠٠** وعلى جميع الأهداف الموجودة في الجولان والتي لم يخصص لها جهد جوي، كما كان **أكثر من ثمانين طائرة مقاتلة وقاذفة مقاتلة** تجتاز خط وقف إطلاق النار والحدود الدولية اللبنانية لتسقط قنابلها على مراكز توجيه الطائرات في ميرون وجبل الشيخ وتل أبو الندى وتل الفرس، وعلى تجميع الدبابات المعادي في منطقة العليقة كفر نفاخ وعلى الجسور القائمة على نهر الأردن كافةً[١].

كانت نتائج الضربة الجوية الأولى والتمهيد المدفعي مؤثرة جداً. وما أن انتقلت نيران المدفعية إلى عمق الدفاعات المعادية حتى بدأت مجموعات اقتحام فرق النسق الأول (٧، ٩، ٥) تقدمها للهجوم.

كانت الفكرة العملياتية للهجوم على الجولان ترتكز أساساً على حشد القوى والوسائط المتفوقة على العدو سواء في قطاعات الخرق أو في كل مواجهة الجبهة، مع حساب احتمال زج الاحتياطات القريبة المتحشدة غربي نهر الأردن، ثم صدم العدو بقوة على الاتجاهات كافة، وكان الهدف تدمير العدو المتحصن في الهضبة وسحقه نهائياً، فلا تقوم له قائمة. وكان اعتقاد القيادة راسخاً أننا إذا تمكنا من سحق وتدمير ٤ – ٥ ألوية مشاة ومدرعة إسرائيلية مع تعزيزاتها، فإن العدو لن يتمكن من شن هجوم معاكس واسع

---

(١) العميد الركن د . رزق إلياس ، مسيرة تحرير الجولان، إصدار دار المساعدة السورية للتأليف والترجمة والنشر، ط١، دمشق ٢٠٠٧م، ص١٤٦.

النطاق بقوى الجبهة الشمالية على سورية في حال تعثر الجبهة الغربية وتوقف زخمها القتالي.

بدأ الهجوم في الساعة الثانية من بعد ظهر يوم العاشر من رمضان ٦ تشرين الأول، أكتوبر ١٩٧٣م، وكانت السماء صافية والشمس تزحف نحو الغرب داعية قواتنا المتحفزة على قاعدة الانطلاق، إلى الهجوم.

قضت الخطة العملياتية بتوجيه ثلاث ضربات قوية بقوى فرق النسق الأول (٧، ٩، ٥) مع توجيه ضربتين مساعدتين واحدة بقوى اللواء ٥٢ مشاة والثانية بقوات **التجريدة المغربية** التي جاءت سورية قبل الحرب الرابعة بثلاثة شهور أو ما يقاربها، للمشاركة في حرب التحرير وإنقاذ مدينة القدس من الاحتلال الإسرائيلي البغيض.

العمليات يوم ٦ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣م

آ - القطاع الشمالي:

قامت الفرقة السابعة مشاة بقيادة العميد الركن عمر الأبرش، مع وسائط تعزيزها بالهجوم في الساعة (س) موجهة الضربة الرئيسة باتجاه: حلس – أوفانا – القلع مع هجوم مساند بقوى التجريدة المغربية والملحق عليها كتيبة ١٨٣ وحدات خاصة سورية من اتجاه حضر السفوح الشرقية لجبل الشيخ – مجدل شمس. خلال تمهيد مدفعي قوي استغرق /٩٠/ دقيقة شاركت فيه مجموعة مدفعية الجيش مع مجموعة مدفعية الفرقة ومدفعية القوات المهاجمة وبالرمي الدقيق على الأهداف المخططة لها بالتعاون مع الطيران السوري، ثم انتقلت لوضعية الدعم الناري أمام القوات[١].

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس، مرآة حياتي ، المجلد ٣ القسم الثاني، إصدار دار طلاس، د.ت، ص٧٠٤.

وقد تأخرت قوات النسق الأول للفرقة في عبور الخندق م / د عن التوقيت المحدد لها في الخطة العامة، بسبب مقاومة العدو العنيفة وخاصة من الدبابات ومدافع التاو التي احتلت مسبقاً مصاطب الرمي، وبسبب إجراءات فتح الثغرات في حقول الألغام وردم الخندق م / د. ولكن اللواء ٨٥ مشاة تمكن من فتح أكثر من ثغرة في قطاع هجومه وعبورها ومهاجمة خط المقاومة الرئيس المعادي في السفوح الشمالية لمدينة القنيطرة، وتل محمد المخفي، والحميدية.

أما اللواء ٦٨ مشاة فقد توقفت كتائبه على الخندق وتعثر عبوره بسبب تدمير وسائط عبوره كلها.

وخلال هذا التوقيت كانت هنالك /٤/ حوامات تجمع /٤/ مجموعات وحدات خاصة وتنزلهم على قمة جبل الشيخ من الشمال الغربي لتشتبك وتهاجم المرصد الإسرائيلي وبالتعاون مع ك ٨٢ مظلات التي تسللت من اتجاه شبعا وتنفذ مهمتها بنجاح خلال النصف ساعة الأولى من بدء الهجوم وتأسر عناصره كافة.

لقد استطاعت التجريدة المغربية مع كتيبة المظلات على اتجاه الهجوم المساند أن تصل في الساعة ١٦,٠٠ إلى جنوب غرب سحيتا ومنطقة رويسة الحمراء وتشتبك معها وتحتل منعتين منها وحاصرت باقي القوات النقطة المكورة.

أما الكتيبة ١٨٣ مغاوير الملحقة على التجريدة فقد نفذت مهمتها بنجاح ووصلت في الساعة ١٨,٠٠ إلى سهل اليعفوري على مسافة /١/ كم من قرية مجدل شمس، ثم شاركت في صد الهجوم المعاكس للواء الأول الجولاني الذي حاول استرداد مرصد جبل الشيخ وأفشلت هجومه ومهمته.

تعثر اللواء ٦٨ مشاة في عبور الخندق م/د فانخفضت وتيرة الهجوم على اتجاه الضربة الرئيسية مما اضطر قائد الفرقة إلى زج النسق الثاني

اللواء ١٢١ ميكانيكي في المعركة على الاتجاه الناجح خلف اللواء ٨٥ مشاة مستفيداً من الثغرات التي فتحت على الخندق من هذا الاتجاه حيث عبر منها واندفع حتى خط المقاومة الرئيسي مشتبكاً بالتعاون مع اللواء ٨٥ مشاة مع نقاط الاستناد المعادية على المشارف الجنوبية الشرقية لتل الشيخة وضهرة الأرانب وضهرة إبراهيم وعلى الدبابات المتخندقة في مصاطب الرمي ومع كمائن ووسائط مدفعية التاو ومع انتشار صائدي الدبابات جنود المشاة المزودين بأسلحة الـــ (ر.ب.ج) تم تدمير عدداً كبيراً من دبابات العدو.

تدخل الطيران المعادي على هذا الاتجاه ورمى القوات السورية بالقذائف المتفجرة والنابالم وبمساندة المدفعية البعيدة المدى **أثر سلباً على وتيرة الهجوم وألحق خسائر كبيرة في الدبابات وعربات (ب م ب)** التي كانت تحاصر نقاط الاستناد المعادية، واستشهد العديد من الضباط والجنود الأبطال الذي رووا بدمائهم كل شبر حرروه على هذا الاتجاه، وهنا ابتدأت تعزيزات العدو وهجماته المعاكسة التأثير المباشر على القوات السورية مما أجبرتها على التشبث بالخطوط التي وصلت إليها.

ولأهمية النجاح السريع على هذا الاتجاه بهجوم الفرقة السابعة ضمن الخطة العامة للقوات المسلحة والذي يتوقف على نجاحه نجاح الضربة الرئيسية للجيش والقوات المسلحة على الهضبة من اتجاه الجنوب، قرر قائد الفرقة زج اللواء ٧٨ دبابات لإكمال خرق الدفاع الرئيسي للعدو على هذا الاتجاه، وكان توقيت الزج في الساعة ١٨,٠٠ مع الغروب تماماً، مما استوجب على هذا اللواء أن يقاتل في شروط تكتيكية معقدة جداً: فالمنطقة محصنة ونقاط الاستناد حاكمة لاتجاه الهجوم على خط زج الفرقة، والأرض ذات تضاريس صعبة الاجتياز، والمناورة محدودة جداً والهجوم ليلاً ولكن ما يتمتع به هذا اللواء من معنويات عالية وتصميم لا يعرف التردد على مقارعة العدو وتدميره بكل ما أوتي من خبرة ودقة في تنفيذ المهام. اندفع معها هذا اللواء متخذاً من الشهادة أو النصر شعاراً وإيماناً لتحقيق المهمة وشرع في

خرق الموضع الثاني المعادي حتى وصلت سرية دبابات منه مع فجر ١١/٧ إلى الطريق العام على مفرق المنصورة. هنا **اضطر العدو أيضاً أن يقوم بهجوم معاكس بباقي اللواء السابع على ثلاث اتجاهات:**

- كتيبة دبابات من اتجاه: مسعدة – ضهرة الأرانب.
- كتيبة دبابات من اتجاه: واسط – المنصورة.
- كتيبة دبابات من اتجاه: كفر نفاخ القنيطرة والسفوح الشمالية لها.

ودارت معركة عنيفة جداً بين اللوائين واستمرت حتى صباح السابع من تشرين تداخلت فيها الدبابات من الطرفين حتى مسافات قصيرة جداً كان يصعب معها قيادة النيران، استشهد خلالها العديد من قادة السرايا والفصائل ودمِّرت العديد من دبابات الطرفين بحيث انخفضت القدرة القتالية للطرفين وكانت الخسائر شبه متساوية، وتمكن اللواء ٧٨ من التملص من المعركة لإعادة التجميع والإستعواض.

حققت الكتيبة ١٨٣ مغاوير مهمتها بنجاح تام، ووصلت في الساعة ١٨,٠٠ إلى سهل اليعفوري على مسافة ١ كم غربي قرية مجدل شمس. كما حققت الكتيبة ٨٢ مظلات مهمتها بنجاح، واستطاعت أن تستولي على المرصد المعادي في جبل الشيخ.

أما القوات المغربية التي كانت تقاتل على هذا القطاع فقد وصلت في الساعة ١٦,٠٠ إلى جنوب غربي سحيتا ومشارف رويسة أبي رميد، وقد استطاعت إحدى السرايا الالتفاف من الطرف الشمالي الغربي لنقطة استناد سحيتا، واحتلال منعتين منها، بينما حاصرت القوات الباقية النقطة المذكورة.

ب - القطاع الأوسط:

قامت فرقة المشاة التاسعة مع وسائط تعزيزها،بقيادة العقيد الركن حسن توركماني بالهجوم موجهة الضربة الرئيسة في اتجاه: كودنة –

الخشنية – الرزانية – القادرية. وقد تمكنت الكتيبة ٢٤٣ من اللواء ٣٣ مشاة من اقتحام الخندق المضاد للدبابات. أما اللواء ٥٢ مشاة، فقد عبرت منه الكتيبة ٢٢٢، وسرية من الكتيبة ١٥٩.

وقد تعرض اللواء ٥١ دبابات أثناء عبوره وتقدمه لمقاومات معادية من غرب تل شعاف السنديان والعرايس وتل فزاره، وقد اشتبك معها ودمرها، ثم تابع تقدمه حتى وصل إلى خط المشتى، تخوم السلوقية. وفي الساعة ٢٣,٠٠ أُعطيت التعليمات للواء ٤٣ دبابات بالعبور خلف اللواء ٥١ دبابات، ثم زج قواته في المعركة على يمين اللواء ٥١ دبابات. وقبل زج اللواء ٤٣ دبابات في المعركة، تحركت كتيبة منه بأمر من القيادة العامة باتجاه القنيطرة على محور الجويزة – عين زيوان – من أجل مساعدة اللواء ٥٢ مشاة في احتلال القنيطرة.

احتلت كتيبة من قوات حطين التابعة لجيش التحرير الفلسطيني تل الشعاف الكبير ومنطقة تبعد ٥٠٠ متر إلى شمال تل عباس في الساعة ٢١,٠٠، وتمكنت من تدمير دبابتين، ثم اتجهت باتجاه تل السماقات، وتوقفت على السفوح الشمالية لتل الشعاف الكبير.

جـ - القطاع الجنوبي:

قامت الفرقة الخامسة المشاة مع وسائط تعزيزها بقيادة العميد الركن علي أصلان بالهجوم بتوجيه الضربة الرئيسة في اتجاه: أم اللوقس، تل الجوخدار – أم الدنانير – القصيبة الجديدة. وضربة أخرى مساعدة باتجاه: أم اللوقس – الجرنية – العال – فيق. وقد نجحت تشكيلات الفرقة ووحداتها في اقتحام الخندق المضاد للدبابات في تمام **الساعة ١٥,٣٠** وإقامة رأس جسر في قطاع هجوم اللواء ٦١ مشاة. وقد اضطر قائد الفرقة نتيجة للخسائر في الدبابات والعربات القتالية، إلى أن يزج لوائي النسق الثاني (اللواء ١٢ دبابات

واللواء ١٣٢ مشاة) لتطوير الهجوم في عمق الأرض المحتلة. استطاع اللواء ٦١ مشاة وقسم من اللواء ١١٢، مشاة أن يتابعا تقدمهما بعد زج النسق الثاني للفرقة، وبذلك تحققت المهمة المباشرة للفرقة في **الساعة ١٨,٠٠** وخلال **ليلة ٦ـ٧ تشرين الأول** بدأت تشكيلات الفرقة بإعادة تنظيمها والتمسك بالخط المحتل والإمداد بالذخيرة والمحروقات[1].

د - معركة تل السقي وناب:

كانت الحرب الخاطفة حجر الزاوية في خطط الغزو الاستعماري الاستيطاني الصهيوني التي يرسمونها... غير أن بطولة المقاتلين العرب ورجولتهم كانتا أقوى من الحرب الخاطفة، وأقوى من الدروع الإسرائيلية... وإن معركة تل السقي وناب دليل مادي ملموس على تحطيم أسطورة الحرب الخاطفة، والقوة العسكرية الإسرائيلية التي لا تقهر...

في **الساعة ١٧,٣٠** من **يوم ٦ تشرين الأول عام ١٩٧٣م** تحرك اللواء ٣٢ مشاة ميكانيكي الذي يقوده **المقدم الركن ممدوح جعلوك** من الفرقة الخامسة مشاة باتجاه الخندق المعادي المضاد للدبابات، وأثناء عبور هذا الخندق، فتحت نقطة استناد العدو في رسم أبي رجم نيراناً قوية على قوات اللواء. وقد تم اسكاتها بقوى الكتيبة ٣٢٨.

بعد العبور، أمر قائد اللواء بأن تهاجم الكتيبة ١٩٩ على يمين الطريق العام: الرفيد العال، والكتيبة ٣٢٨ على يساره.

وفي الساعة ٢٣,٠٠ اصطدمت الكتيبة اليسارية بمقاومة كبيرة من تل السقي، وانقطع الاتصال في هذه الأثناء بقائد الكتيبة المذكورة. فما كان من قائد اللواء إلاّ أن أمر قائد المدفعية بأبطال المقاومة في تل السقي مع استخدام الإنارة... وقد نفذت المدفعية صبيباً نارياً كثيفاً.

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس، مرآة حياتي ، مصدر سابق ، ص٧٠٩.

طلب قائد اللواء من قائد الكتيبة ١٩٩ الإسراع بالتقدم، غير أن الكتيبة بعد أن تابعت التقدم، اضطرت للتوقف أمام حقل ألغام إلى يمين الطريق العام. حينئذ قرر قائد اللواء أن تتمسك الكتيبة بالخط الذي وصلته أمام **تل السقي**، وأمر في الوقت نفسه بتنفيذ رمايات مدفعيته على التل لمنعه من التأثير عليها. ومع أول ضوء من **نهار ٧ تشرين الأول** هاجمت الكتيبة ١٩٩ **تل السقي** واحتلته. حينئذٍ قرر قائد اللواء زج الكتيبة ٢٦٢ ميكانيكية من الخط: رسم هدهد – عين حديد، بمهمة احتلال البجورية خارجاً – خسفين خارجاً، ومتابعة التقدم على يمين الطريق العام.

تقدمت الكتيبة ٢٦٢ حتى وصلت إلى ارتفاع تل السقي، وتوقفت تحت تأثير نيران القواعد الصاروخية المعادية. وفي هذه الأثناء تقدم قائد اللواء إلى منطقة تل السقي، وأعطى أوامره إلى قائدة الكتيبة ١٩٩ وقائد الكتيبة ٢٦٢ بضرورة الإسراع بالتقدم والوصول بأية طريقة إلى عقدة العال – جبين، على أن تتقدم الكتيبة ٢٦٢ على يمين الطريق العام والكتيبة ١٩٩ على يساره.

قدر قائد اللواء أن حقل الألغام الظاهري لا يعدو أن يكون حقلاً مسيجاً للرعي، فما كان منه إلاّ أن اجتازه بناقلته ليكون قدوة حسنة لرجاله. وهكذا تابعت الكتيبة ٢٦٢ تقدمها خلف الدبابات، وأسرعت ملتفة حول الجانب الأيمن من مستوطنة خسفين، والتي احتلتها قرابة الساعة العاشرة.

تعرضت الكتيبة ١٩٩ للقصف الجوي المعادي بالنابالم، فأخرها ذلك عن اللحاق بالكتيبة ٢٦٢ وسبب انقطاع الاتصال بها، كما تعرض مرصد قائد اللواء للقصف بالنابالم، ولكنه ناور عدة مرات، ولم تتعرض إلا فصيلة الحراسة لبعض الخسائر، وهنا وجه قائد اللواء ضابط الاستطلاع إلى **تل السقي** للتأكد من وجود من يوجه الطيران المعادي، وفعلاً تم إلقاء القبض على موجه جوي مع جهازه اللاسلكي وضابط برتبة نقيب، اعترف أنه قائد سرية الدبابات التي قاومت في تل السقي، وعسكري آخر، واقتيد هؤلاء الأسرى الثلاثة إلى مؤخرة اللواء.

وفي الساعة العاشرة. أعلم قائد الفرقة أن اللواء ٤٧ دبابات سيزج في المعركة في **الساعة ١٣,٣٠** من الخط: البجورية خارجاً - خسفين خارجاً.

طلب قائد اللواء ١٣٢ من قائد الكتيبة ٣٢٨ متابعة التقدم، كما أمر قطعاته الأخرى بالتقدم لاحتلال الخط، ناب - كفر ألما، وذلك لضمان التمسك بمحوري العال وكفر ألما معاً.

وقرابة الساعة ١٦,٣٠ تم احتلال الخط: ناب - كفر ألما. وفي هذا الوقت أصبحت قوات اللواء ٤٧ دبابات على ارتفاع اللواء ١٣٢. وهنا فتح العدو نيراناً غزيرة على اللواء ٤٧ دبابات، فأُصيبت له أربع دبابات، وجرح أحد قادة السرايا.

أصبح وضع اللواء ٤٧ دبابات غامضاً في الساعة ١٩,٠٠، فاضطر قائد اللواء ١٣٢ إلى إصدار تعليماته بتنظيم الدفاع الدائري، والتمسك بمحوري: العال - خسفين، وجبين - كفر ألما.

بدأت وحدات اللواء ١٣٢ تأخذ أماكنها حسب تعليمات قائد اللواء. عند إشراقة أول ضوء في يوم ٨ تشرين الأول وقريباً من الساعة ٥,٣٠ أعلمت الوحدات كافة، عن احتلال الأماكن المحددة، وعن جاهزيتها.

بدأ العدو برمايات غزيرة من القواعد الصاروخية في الساعة ٦,٠٠ يوم ٨ تشرين الأول، وبدأ يحرك أرتاله على المحورين. قدرت قوة العدو على كل محور بكتيبة دبابات تعززها قواعد صاروخية. كان مرصد قائد اللواء في تل ناب، أما مقر القيادة ففي مستوطنة خسفين.

كان للمدفعية دور هام في صد هجوم العدو على المحورين، فقد تم تركيز جميع كتائب المدفعية على القوات المعادية المتقدمة، كما ركزت رمايات المدفعية على القواعد الصاروخية. وبلغت من التأثير والفعالية ما أسكتها مرات عدة.

استمرت المعركة حتى الساعة ٩,٣٠ كانت معركة ضارية، حارب فيها الرجال ببسالة وإقدام.. كانوا يوجهون الضربات إلى العدو، ويلحقون به

الخسائر في الأرواح والمعدات.. وانتشرت في أرض المعركة شظايا وحطام الدبابات المدمرة والمحترقة.

أُصيبت ناقلة قائد اللواء ١٣٢ بصاروخ تبعته عدة صواريخ. ونتجت عن ذلك إصابة **المقدم ممدوح جعلوك** قائد اللواء ١٣٢ بجراح، وكل من معه من الضباط في الناقلة المدرعة واستشهد ضابط إشارة المرصد. نقل قائد اللواء بعربة جيب، تعرضت أثناء تحركها لكمين معاد في بصة الجوخدار، ومن تحت قميص قائد اللواء اندفع الدم من جديد وهو يتلوى.. لقد أُصيب للمرة الثانية... ولكن في هذه المرة أُصيب في يده، بعد أن أُصيب في المرة الأولى في فخذه.

لقد انطبعت في أذهان جميع المقاتلين المأثرة البطولية لقائد اللواء(١) الذي نجح في قيادة قطعاته بمهارة خلال سير الأعمال القتالية، وأشعر الأعداء أنهم يواجهون مقاتلين أشداء، واثقين بأنفسهم وسلاحهم، ويغمر أعماقهم إيمان لا يحد بالنصر أو الشهادة.

الاقتحَام الرّأسي لجَبَل الشَيخ :

اتسمت معركة جبل الشيخ بأهمية عسكرية بالغة. وهي تعتبر من الأحداث الهامة في حرب تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م، وتحتل مكاناً خاصاً في تاريخ هذه الحرب. فهي أول معركة استطاعت أن تحطم الغرور الصهيوني والإدعاء الإسرائيلي، وفيها تمكنت قواتنا الخاصة من احتلال قلعة منيعة من قلاع العدو، الذي صورته الدعاية الصهيونية أنه قوة لا تقهر.. ففي هذه المعركة أمكن تدمير الوحدات المعادية في مرصد جبل الشيخ، كما أمكن أسر عدد من الإسرائيليين بأقل وسائط ممكنة في تاريخ الحروب.

---

(١) منحت القيادة العامة المقدم الركن ممدوح جعلوك الوسام الحربي من الدرجة الممتازة تقديراً لبطولته في حرب تشرين التحريرية.

إن مرصد جبل الشيخ الذي يرتفع عن سطح البحر ٢١٠٠ متر قوي جداً بطبيعته.. وهو يسيطر على كل المناطق الممتدة من سفوح جبل الشيخ الشرقية، إلى غوطة دمشق وسهول حوران. وان السير عبر المسالك المؤدية إلى المرصد أمر في غاية الصعوبة.. وكان معلوماً لدى القيادة أن العدو جعل من هذا الموقع قلعة حصينة، وجهزه بأحدث الأجهزة الالكترونية للاتصال والمراقبة والتشويش[١] وأنشأ فيه دفاعاً قوياً.

إن احتلال المرصد المعادي في قمة جبل الشيخ الذي كان حلماً جميلاً، أصبح حقيقة واقعة.

في ليلة ٦ تشرين الأول، وقبل بدء الهجوم، تمكنت مجموعة من الوحدات الخاصة من الوصول إلى محور شبعا، جبل الشيخ، حيث نصبت كميناً لقطع الطريق على القوات المعادية القادمة لنجدة المرصد أثناء مهاجمته من قبل قواتنا.

بعد ظهر ٦ تشرين الأول، ابتدأت المعركة من أجل احتلال المرصد المعادي، بعد بدء التمهيد الناري، وفي هذه الأثناء تقدمت المجموعة الأولى من الوحدات الخاصة باتجاه المرصد المعادي وكان النقيب المظلي محمد الخير يشرف على تقدم المجموعات، إذ كان من المقرر أن يتم اقتحام المرصد على شكل موجات متلاحقة، وتتكون كل موجة من مجموعة من المقاتلين يتقدمهم ضابط. أما مجموعة الدعم الناري فقد تركزت مسبقاً في المنطقة الغربية من المرصد، ومهمتها تدمير أية قوات معادية تتقدم باتجاه المرصد.

وعند وصول المجموعة الأولى إلى المرصد، اندفعت بقيادة الملازم أول جاسم الصالح نحو المدخل الخارجي، وتمكنت من تدمير الرشاش ١٢,٧

---

(١) كان في مرصد جبل الشيخ ٥٦ جهازاً اليكترونياً للمراقبة والقيادة والتوجيه والتشويش تبلغ قيمتها حوالي مائتين وخمسين مليون دولار (حسب تصريحات الأسرى الإسرائيليين).

مم، الذي فتح نيراناً غزيرة عليها. وقد أصيب الملازم أول جاسم برشقة في صدره فسقط جريحاً أمام مسند الرشاش وهو يصرخ: «اثأروا لي....» ثم سقط جريح ثانٍ، وثالث.. حينئذ تولى النقيب **محمد الخير** قيادة المجموعة الأولى، وأمر الملازم **نايف العاقل** قائد المجموعة الثانية بالاقتحام خلف المجموعة الأولى، وفي هذه الأثناء كان المجند **علي أحمد العلي** يندفع باتجاه سارية العلم الإسرائيلي المرفوع فوق المرصد، وكان يمني نفسه أن يكون أول من يمزق هذا العلم البغيض، إلاّ أن رشقة نارية حالت دون وصوله إلى العلم / فسقط شهيداً مضرجاً بدمائه تحت السارية حيث كانت عربة مدرعة معادية عليها رشاش ١٢,٧ مم.

قاوم الإسرائيليون بكل صلابة وعناد... واتخذ القتال طابع العنف الشديد، ولا سيما عندما تم إنزال رأسي بوساطة إحدى طائراتنا العمودية فوق المرصد، واندفعت عناصر الإنزال بجرأة نادرة تقاتل جنباً إلى جنب مع عناصر المجموعتين. وبإشارة من النقيب **محمد الخير** قفز المجند **عبد الإله المهندس** على العربة المدرعة من فوق السور الداخلي، وتمكن من قتل الإسرائيليين الذين كانا يفتحان النيران على عناصرنا.

لم تذهب أُمنية الشهيد **علي أحمد العلي** سدى، فقد اندفع النقيب محمد الخير باتجاه سارية العلم... وحاول أحد الإسرائيليين قتله، فبادره بقنبلة يدوية أردته قتيلاً.

وصعد النقيب الدرج المؤدي إلى سارية العلم. وعلى الرغم من النيران الإسرائيلية، أمسك بالعلم، وأخذ يلوح به بيديه وهو يردد صيحة النصر: الله أكبر... الله أكبر. ولم يكد المقاتلون يسمعون صيحة النصر، تجلجل في الموقع حتى اندفعوا كالصواريخ وهم يرددون: الله أكبر... الله أكبر، التي انطلقت من حناجرهم هادرة كالرعد القاصف، واقتحموا الموقع الحصين، كل منهم إلى الهدف المحدد له...

شاهد المجند يوسف زوزو ضابطاً إسرائيلياً يحاول قتل النقيب أثناء اندفاعه إلى سارية العلم، فأسرع كالبرق الخاطف، وهدد الضابط الإسرائيلي بقنبلة هجومية طالباً منه رمي السلاح والاستسلام، فأسقط في يده، ورفع يديه مستسلماً.

وأثناء القتال العنيف، الذي دار فوق المرصد، تم إنزال مجموعة أخرى من الوحدات الخاصة بالحوامات إلى الغرب من المرصد المعادي، وعلى بعد ثلاثة كيلومترات، حيث نصبت المجموعة كميناً على محور مجدل شمس – جبل الشيخ.

تحركت مجموعة التطهير بإمرة الملازم محمود معلا بعد نجاح عملية اقتحام المرصد، التي لم تستغرق سوى نصف ساعة، وقامت بتطهير سراديب المرصد، وقد تمكنت من أسر عدد من الإسرائيليين، الذي كانوا مختبئين في الغرف الداخلية ضمن السراديب.

قام العدو بقصف جوي ومدفعي متواصل وشديد على المرصد المحتل في صباح ٧ تشرين الأول، إلاّ أنه لم يسفر عن أية نتيجة. وتابعت المجموعات القتالية أعمالها في تنظيم الدفاع عن المرصد، وإخلاء الشهداء والجرحى، كما تابعت تطهير الممرات والسراديب الداخلية، حيث ظلت بعض الغرف مغلقة بأبوابها الحديدية التي لا ينفذ منها الرصاص.

كلفت مجموعتان بمتابعة التطهير، مجموعة بقيادة الملازم أول محمود معلا، وأخرى بقيادة الملازم وليد تامر. وقد استعانت هاتان المجموعتان بالأسرى، لا سيما الشرقيين منهم، من أجل الاهتداء إلى مداخل المرصد ومخارجه.

جرت عملية التطهير بصورة ناجحة على الرغم من بعض العناصر المعادية التي أبدت مقاومة كبيرة، واحتمت خلف الأبواب الحديدية السميكة في الغرف الداخلية. إلا أن القنابل الدخانية والقنابل اليدوية الهجومية، التي

أُلقيت عليهم من فتحات التهوية في سطح المرصد. اضطرتهم للخروج والاستسلام وهم يصرخون: أمان عرب.... أمان عرب..... هدأ النقيب محمد من روعهم وأخبرهم أنهم سوف يعاملون كأسرى.... عجبوا لهذه المعاملة، التي لم تتم في الحقيقة إلاّ عن الشهامة العربية، فالقيادة الإسرائيلية قد غرست في أذهانهم أن العرب وحوش، ولاسيما المقاتلون السوريون.

وفي صباح ٨ تشرين الأول كان مقاتلو الوحدات الخاصة في أماكنهم حول التباب المحيطة بالمرصد. وفجأة مزق الهواء أزيز حاد، ثم دوى انفجار قنبلة طائرة فزلزل الأرض... وتبع الانفجار الأول ثانٍ وثالث... وتوالت الانفجارات من طيران العدو ومدفعيته.

سمع الملازم أول أحمد الجوجو، قائد مجموعة الكمين على محور مجدل شمس – جبل الشيخ، هدير محركات وصليلاً (سلاسل دبابات ومجنزرات...) وكان الجو يتميز بالضباب الكثيف، الذي ينقشع لفترة قصيرة ثم يعود... وما إن اشرأب بعنقه من موقعه الدفاعي حتى شاهد الدبابات المعادية تتقدم على محوري مجدل شمس – جبل الشيخ وشبعاً – جبل الشيخ باتجاه المرصد.

أخبر النقيب محمدً بالأمر، فقال له: خذ حذرك... وتهيأ مع رجالك للقتال.. كانت عناصر القواذف المضادة للدبابات موزعة ما بين المرصد والكمين على مجموعات، تتألف كل مجموعة من ثلاثة مقاتلين مزودين بالرشاشات الخفيفة والمتوسطة والقنابل المضادة للدبابات. وزعت الألغام على المحورين توزيعاً ظاهرياً لإرغام الدبابات على الوقوف، وترجل العدو لإزالتها فتكون هدفاً واضحاً للنيران.

تابعت الدبابات المعادية تقدمها، وكمن المقاتلون في مواقعهم، منتظرين وصول أُولى الدبابات، وما هي إلا نصف ساعة، حتى وصلت دبابات العدو وتوقفت أمام الألغام الملقاة بطريقة واضحة على الطريق،

وترجل منها الجنود الإسرائيليون لإزالة الألغام.. وهنا انهال المقاتلون على جنود العدو ودباباته، وأخذوا يقذفونها بالقنابل المضادة للدبابات، فاشتعلت النيران فيها.

ولقد قدر عدد الدبابات المتقدمة على محور مجدل شمس – جبل الشيخ بـ ٣٥ دبابة ومجنزرة، وعلى محور شبعا – جبل الشيخ بحوالي ٤٥ دبابة ومجنزرة.

وفي هذه الأثناء بدأت المعركة، وأخذ قائد المجموعات يتلقى تقارير القتال من مجموعات الهضاب الغربية عن تسلل عناصر معادية. وكان الأمر: دمر العدو، وامنعه من التقدم.. ونشبت في منطقة الهضاب الغربية اشتباكات مباشرة بين رجالنا والإسرائيليين، استخدمت فيها الرشاشات والقنابل اليدوية والحراب...

أثناء القتال العنيف، تمكنت مجموعة معادية من التسلل من سفوح المرصد الجنوبية المقابلة لقرية حضر. إلاّ أن الملازم **يحيى نيوف** قام مع خمسة من عناصر مجموعته بالالتفاف حول السفوح الجنوبية للمرصد، بينما قام الملازم **محسن إبراهيم** بتثبيت العدو أمامه بالنيران وركز الملازم يحيى رشاشاً متوسطاً على إحدى الهضاب الغربية، وفتح النيران فجأة على العدو، وتمكن من تدميره ودحره، وقد أُصيب في هذا الاشتباك الملازم **يحيى نيوف** بطلقة من النوع المحرم دولياً (دمدم). حينئذ وضع يده على جرحه الذي ينزف بغزارة وأخذ يحث جنوده على الصمود ومتابعة القتال، مستثيراً نخوتهم وحماستهم.. فما كان من عناصره إلاّ أن انقضوا على الأعداء المنسحبين كالأسود وأجهزوا عليهم جميعهم.

وعندما تابعت بقاياً من دبابات العدو تقدمها على المحورين المذكورين، تكفلت بالقضاء عليهم المدافع المضادة للدبابات المتمركزة في الهضاب، واندفع المقاتلون يصبون سعيرهم عليها، وشتت اعصار النيران تشكيل العدو القتالي[١].

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس ، مرآة حياتي ، مصدر سابق، ص٧١٩.

من المشاهد الرائعة قيام الجندي الاحتياط عماد زغبور بمأثرة بطولية... فأثناء صد هجوم العدو المضاد، أمسك بقنبلة يدوية، وزحف باتجاه دبابة القائد المعادي، وانتظر حتى اقترب العملاق المدرع منه، وبقفزة واحدة كوثبة النمر، تسلق جسم الدبابة من أعلى، واستولى على برجها، وألقى بنفسه وبقنبلته اليدوية فيه..

وفجأة أصبحت الدبابة الرهيبة كتلة من الخردة والحديد المحترق.. وعندما تبدد الدخان، شاهد المقاتلون الدبابة مشتعلة واندفعوا بحماسة واقدام يثأرون للبطل الشهيد.. لقد استشهد **بطل الجمهورية عماد زغبور**، ولكن نور مأثرته أصبح مناراً يهتدي به رفاقه المقاتلون.

كان صمود المظليين وحماستهم مفاجأة تامة للعدو، الذي سرعان ما لجأ إلى الفرار من أرض المعركة، بعد أن خلف عشرات القتلى وراءه.. إلاّ أن المقاتلين من مغاوير الوحدات الخاصة كانوا للعدو المنسحب بالمرصاد... وقد تمكنت سرية مغاوير، كانت تعمل في منطقة مجدل شمس بإمرة قيادة القطاع الشمالي، من تدمير العناصر المعادية المنسحبة.

كان من الواضح أن لواء النصر في المعركة سيعقد على هامات المقاتلين العرب... فقد كانوا يهاجمون بجرأة ومهارة نادرتين، منزلين بالعدو خسائر فادحة في الأرواح والمعدات.

إن هزيمة مجموعة الدبابات المعادية، التي اندحرت في منطقة جبل الشيخ أصبحت مأثرة من مآثر البطولات الخارقة التي لا يرقى إليها الشك..

وقد مُنح النقيب محمد الخير والملازم أول جاسم الصالح ونايف العاقل والمجند عبد الإله المهندس وسام «بطل الجمهورية» تقديراً لما أبدوه من جرأة وشجاعة في هذه المعركة.

الموقف في نهاية اليوم الأول من الحرب:

انتهت عمليات اليوم الأول بنجاح عظيم، فقد عبرت معظم القوات الخندق المضاد للدبابات، واستولت على معظم الموضع الأول المعادي، وجرفت القوات السورية الأعداء أمامها كالمياه الطامية، الأمر الذي بلغ تأثيره النفسي والمعنوي على القيادة الإسرائيلية مبلغاً عميقاً جداً.

وقد قامت المدفعية بدور هام خلال الأعمال القتالية، وقدمت المساعدات القيمة لنجاح العبور، كما نفذت القوى الجوية المهام المسندة إليها بنجاح عظيم، فكسبت معركة الجو قبل بدء الهجوم. وأحرزت تفوقاً جوياً ملحوظاً على طول مواجهة الجبهة ومنعت الطائرات المعادية من تحقيق أهدافها. كما أسهمت وحدات الدفاع الجوي بتغطية التجمع الرئيس للجيش وأسقطت عدداً كبيراً من طائرات العدو.

تم الإنزال الجوي على مرصد جبل الشيخ المعادي في الساعة ١٥,٠٠ وتابعت معظم التشكيلات تقدمها. وحتى نهاية اليوم الأول للهجوم كانت القوات تقاتل على الخط:

الفرقة ٧ مشاة: مرصد جبل الشيخ – الصوانة – مرج الطبل – المرتفع ٩٦٤.

الفرقة ٩ مشاة: ١ كم شرق القنيطرة – القحطانية – السفوح الشمالية والجنوبية لتل شعاف السنديان.

الفرقة ٥ مشاة: السفوح الشرقية لتل القلع – السفوح الشرقية لتل الجوخدار – التخوم الشرقية للجرنية – السفوح الشمالية الغربية لتل السقي.

عمليات يوم ٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م

أصدرت القيادة العامة أوامرها إلى التشكيلات في ليلة ٦-٧ تشرين الأول بالإسراع في احتلال المرتفعات والتمسك بها، لأن العدو أخذ يدفع

احتياطه من العمق لتعزيز وحداته في النقاط المحتلة، لا سيما على المرتفعات، والتمسك برؤوس الوديان.

تابعت التشكيلات تقدمها في عمق مواقع العدو الدفاعية في أول ضوء من يوم ٧ تشرين الأول، ومن أجل استثمار نجاح تشكيلات النسق الأول وسبق العدو في دفع احتياطاته، أمرت القيادة العامة في الساعة ٨,٠٠ **بزج الفرقة الأولى دبابات** في المعركة من الخط المقرر، على أن تكون على خط الزج في الساعة ١٠,٣٠، وقد تأخرت الفرقة في الوصول إلى خط الزج بسبب وعورة الأراضي وانشغال المحاور بوحدات تشكيلات النسق الأول، فوصلت إليه قرب الساعة ١٣,٠٠. وعلى الرغم من الهجمات المعاكسة الإسرائيلية، تابعت القوات ضغطها وتقدمها، وكان الاندفاع مركزاً على القطاعين الأوسط والجنوبي.

لوحظ خلال هذا اليوم (٧ تشرين الأول) تركيز الهجمات الجوية والبرية على الجبهة العربية السورية، إذ سرعان ما ظهرت الطائرات المعادية، وبدأت تنقض على قواتنا، واشتدت رمايات المدفعية. غير أن قواتنا الجوية ووسائط دفاعنا الجوي واجهت الطيران المعادي بجرأة وشجاعة، وحققت إصابات عالية في الطائرات المعادية. ولقد شعر الإسرائيليون بأن لا سبيل إلى تحليقهم فوق القوات السورية دون عقاب.

القطاع الشمالي:

واجهت كتيبتان من اللواء ٨٥ مشاة نيراناً شديدة من دبابات العدو في تل الشيخة وضهرة الأرانب في هذا اليوم، فاضطرتا للتراجع إلى غرب الخندق المضاد للدبابات، أما الكتيبة الثالثة فقد بقيت متوقفة أمام جسر الرقاد، وتبادلت الاشتباك بالنيران مع دبابات العدو.

في الساعة ١,٠٠ يوم ٧ تشرين الأول قام العدو بتقديم احتياطه من العمق في الاتجاهات التالية:

- رتل يقدر بكتيبة دبابات من اتجاه: مسعدة - ضهرة الأرانب.

- رتل يقدر بكتيبة دبابات من اتجاه: واسط - المنصورة.

- رتل يقدر بكتيبة دبابات من اتجاه: كفر نفاخ - القنيطرة المنصورة.

وفي الساعة ١٢,١٥ احتلت الأرتال المعادية القائمة بالهجوم المعاكس الخط: ضهرة الأرانب - السفوح الجنوبية الشرقية لتل الشيخة - تل البرم - ضهرة المنصورة - ضهرة إبراهيم - شمال شرق المنصورة بـــ ١ كم وتمكن من تشكيل سد في وجه **اللواء ٧٨ دبابات**. اشتبك معها هذا اللواء بالنيران، واستطاع الصمود وإنزال الخسائر الفادحة في الوحدات المعادية المذكورة، وبعد قتال عنيف تمكن اللواء ٧٨ من التملص من المعركة بعد أن تكبد خسائر كبيرة في العتاد القتالي.

وفي الساعة ١٤,٢٥ زج لواء آخر هو اللواء ١٢١ مشاة لمهاجمة خط المقاومة الرئيسي للعدو، وتعرض لنيران الهاون والمدفعية والدبابات من تل الشيخة - ضهرة الأرانب - الثلجيات. كما قامت مجموعة الفرقة بفتح نيرانها على مصادر نيران العدو وأسكتتها.

القطاع الأوسط :

تمكن اللواء ٣٣ مشاة من إتمام اقتحام الخندق المضاد للدبابات بفضل اندفاع اللواء ٤٣ دبابات واللواء ٥١ دبابات، واشتباكهما بالمقاومات خلف تل شعاف السنديان وتل فزارة.

- **وصل اللواء ٣٣ مشاة في الساعة ١٤,٣٠ إلى الخط:** عين عيشة - السفوح الجنوبية الشرقية لتل يوسف - شمال الرمثانية. وقد أُسندت للواء مهمة تأمين زج الفرقة الأولى دبابات من الخط المحتل. وفي الساعة ١٢,٠٠ تحرك اللواء ٣٣ مشاة بأمر القيادة العامة باتجاه القنيطرة من أجل مساعدة اللواء ٥٢ مشاة على احتلالها.

عبرت الكتيبة ٢١١ من اللواء ٤٣ دبابات الثغرات في الساعة ١,٠٠، وتوجهت إلى القنيطرة بناء على أمر القيادة لمساعدة اللواء ٥٢ مشاة على احتلالها. وقد فوجئت الكتيبة عند وصولها إلى منطقة الغسانية بكمين دبابات وصواريخ مضادة للدبابات. وبعد قتال عنيف استمر ساعة دمر الجزء الأكبر من دباباتها. كما دُمّر للعدو عدد كبير من الدبابات.

تمكنت الكتيبة ٢١٢ من اللواء ٤٣ دبابات من الوصول إلى الدبورة، حيث اشتبكت في صراع بطولي مع دبابات العدو المتفوقة، ودمرت ١٥ دبابة معادية وعدداً من العربات المجنزرة. ولم يتبق من الكتيبة سوى ٣ دبابات التحقت باللواء في منطقة الخشنية.

استمر قتال اللوائين ٥١ و ٤٣ دبابات حتى الساعة ٦,٠٠ ووصلاً إلى الخط: الخشنية – تل الطلائع كما وصلت بعض الوحدات من اللواء ٥١ دبابات إلى الخط: المشتى – السلوقية، غير أنها اضطرت تحت ضغط العدو للتراجع إلى الخط: الخشنية – تل الطلائع. ولقد أعاد اللواءان تجميع قواتهما الموجودة في منطقة الخشنية وتل الطلائع، واشتبكا في قتال عنيف ضد الدبابات المعادية التي حاولت شق طريقها نحو الشرق بمعاونة المدفعية والصواريخ المضادة للدبابات، ونجحا في إيقاف دبابات العدو[١].

في القطاع الأوسط أُعطيت التعليمات إلى اللوائين ٥١ و ٤٣ دبابات واللواء ٣٣ مشاة بالتمسك بالخطين اللذين احتلاهما، وتأمين زج الفرقة الأولى دبابات.

تمكن اللواء ٥٢ مشاة من الوصول إلى المنطقة جنوب شرقي القحطانية، والتخوم الجنوبية الشرقية لبلدة القنيطرة، والاشتباك في قتال عنيف مع العدو الذي استخدم كمائن الدبابات والصواريخ المضادة للدبابات.

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس، مرآة حياتي، مصدر سابق،المجلد الثالث، القسم الثاني، ص ٧٢٤.

وقد فوجئت إحدى قطعات اللواء بهجوم م معاكس من دبابات العدو، فتراجعت إلى شرق الخندق المضاد للدبابات. إلاّ أن قائد الفرقة شدد على قائد اللواء بضرورة تدمير العدو والاقتحام ثانية، وخصص له جزءاً كبيراً من المدفعية لدعم أعماله القتالية. وفي **الساعة ١٥,٠٠** الحق اللواء بأمر القيادة العامة بالفرقة ٧ مشاة، وعزز بكتيبة دبابات، وأسندت له مهمة احتلال مدينة القنيطرة بالتعاون مع اللواء ١٢١ مشاة.

زج الفرقة الأولى دَبابات في الموقعة

تلقى قائد الفرقة الأولى دبابات العقيد الركن توفيق الجهني الأمر في الساعة ٨,٠٠ **بزج قواته على الخط:** تل يوسف – السلوقية، باتجاه: كفر نفاخ – واسط، القلع، ومهمتها تدمير قوات العدو في المنطقة: حرش عين زيوان – كفر نفاخ، ثم التقدم باتجاه: البجة – واسط – سكيك – وتطويق القوات المعادية وتدميرها بالتعاون مع قوات الفرقة ٧ مشاة.

وصلت وحدات اللواء ٩١ دبابات إلى خط الزج في الساعة ١١,١٥، أما وحدات اللوء ٧٦ دبابات، فقد فتحت نيرانها قبل خط الزج بـــ ٢ – ٢,٥ كم، وذلك لوجود مقاومات معادية في السلوقية ولفقدان قائد اللواء اتجاهه وهذا ما سبب تأخر وصوله إلى خط الزج.

تعرضت وحدات النسق الأول للفرقة الأولى دبابات لنيران غزيرة من القواعد الصاروخية والدبابات المتخندقة في البساتين، غربي تل يوسف والدلهمية والسنديانة والرزانية والسلوقية، مما اضطر ألوية النسق الأول إلى زج أنساقها الثانية قبل الأوان. وحتى الساعة ١٧,٠٠ كانت وحدات الفرقة قد وصلت إلى مشارف نهر الأردن. وهنا دار قتال شديد وعنيف، إذ اندفعت قوات مدرعة كبيرة ودخلت مع قواتنا المدرعة في معركة تصادمية. وقد أمكن تدمير أغلبها مع قتل وجرح أطقمها وإصابتهم بجروح، كما احترق عدد كبير من دبابات العدو، وتكبدت قواتنا خسائر في الرجال والعتاد، وخلال

الليل أُعطيت التعليمات للانتقال إلى الدفاع الدائري على الخط المحتل، مع الاستعداد لصد هجمات العدو المعاكسة قبل أول ضوء، وتنظيم التأمين المادي والفني والطبي[١].

لم يتمكن اللواء ٥٨ ميكانيكي من زج قواته في المعركة حتى الساعة ١٧,٠٠، على الرغم من تلقيه الأمر بذلك، بسبب مقاومة العدو والقصف الجوي المركز على أرتال هذا اللواء، مما اضطر قائد الفرقة إلى إعطائه الأمر بالانتقال إلى الدفاع على التخوم الشمالية الغربية والجنوبية الغربية لعين وردة، إذ كان قد وصل قسم من اللواء إليها بعد **الساعة ١٧,٠٠**.

القطاع الجنوبي:

استأنفت الفرقة ٥ مشاة هجومها ابتداءً من صباح ٧ تشرين الأول، ووصلت حتى الساعة ١٠,٠٠ إلى خط المهمة القتالية، وعلى هذا الخط بدأت تتعرض لنيران المدفعية المعادية والطيران الذي استخدم النابالم في قصف قطعات اللواء ١٣٢ في غارات متتالية. وفي الوقت نفسه بدأت بعض دبابات العدو المنسحبة، وبعض الدبابات القادمة من العمق، بشن هجمات جزئية متعددة ومن اتجاهات مختلفة ضد قوات الفرقة، بغية إيقافها وكسب الوقت لتقديم احتياطات من العمق، وفي هذا الموقف لم يكن باستطاعة تشكيلات الفرقة متابعة تقدمها، لما تكبدّته من خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات. وأصبحت في آن معرضة لهجوم معاكس محتمل بقوى كبيرة، فاضطر قائد الفرقة إلى أن يطلب من القيادة العامة الموافقة على زج اللواء ٤٧ دبابات في القتال لصالح معركة الفرقة، على أن تكون مهمته تطوير الهجوم في العمق واحتلال الخط: سكوفيا – فيق – خارجاً – الياقوصة، والتمسك بهذا الخط.

---

(١) العميد الدكتور رزق الياس ، مسيرة تحرير الجولان، مصدر سابق ، ص١٤٩.

أسند رئيس أركان الفرقة الخامسة في الساعة ٥,٣٠ من يوم ١٩٧٣/١٠/٧م، المهمة القتالية إلى اللواء بزجه في المعركة ابتداء من الخط: (قرية القريعة – عين جديد) والهجوم باتجاه فيق واحتلال الخط (فيق – سكوفيا) والتشبث به. وفي **الساعة ١١,٠٠ من يوم ١٩٧٣/١٠/٧م**، وصلت كتائب اللواء إلى خط الزج وبدأ اللواء هجومه بالاتجاه المذكور وكانت في النسق الأول الكتيبة الأولى إلى اليمين والكتيبة الثانية إلى اليسار. وكان هذا اللواء قد شُكل حديثاً ومعظم عناصره تجهل طبيعة الأرض في الجولان، لذلك اضطر قائد اللواء، وهو في هذا الموقف الصعب إلى أن يوزع مقر الرصد ومقر القيادة على الشكل التالي:

١ – قائد اللواء يرافق ويوجه أعمال الكتيبة اليمينية.

٢ – رئيس أركان اللواء يرافق ويوجه أعمال الكتيبة اليسارية.

أعلم رئيس أركان اللواء قريباً من الساعة ١٤,٠٠، من يوم ١٩٧٣/١٠/٧م، قائد اللواء بوجود مقاومة كبيرة أمام هجوم الكتيبة اليسارية. وبعد وقت قصير من هذا الإعلام عاد وأعلم رئيس أركان اللواء قائد اللواء بصعوبة الموقف لدى هذه الكتيبة وطلب موافقته بزج النسق الثاني للواء، لصالح هذه الكتيبة وتمت الموافقة على ذلك. وزج النسق الثاني على الخط جنوب غربي خسفين /١كم/. أما القوة المعادية المواجهة لهاتين الكتيبتين فقد قدرت بما يقارب كتيبة دبابات معززة. ولم يتمكن قائد اللواء من مشاهدة معركة هذه الكتيبة لوجود وادٍ مانعٍ يفصل بين الكتيبتين. وقد تابعت الكتيبتان هجومهما بالاتجاه المطلوب حتى دخلت بعض الدبابات قرية العال وقد أُسر رئيس أركان اللواء **الرائد علي كلثوم** في التخوم الشمالية لقرية العال بعد أن دُمرت دبابته.

ظهرت مقاومة أمام الكتيبة اليمنى في الساعة ١٤,٣٠ من يوم ١٩٧٣/١٠/٧م في قرية جرنايا وبدأت معركة الكتيبة مع هذه المقاومة، من

الخط ١,٥ كم شمال شرقي جرنايا. وكان قائد اللواء مع هذه الكتيبة يراقب ويوجه أعمالها.

وبعد معركة دامت زهاء /٤٥/ دقيقة بين الكتيبة والمقاومة المعادية التي تقدر بكتيبة دبابات معززة بقواعد صواريخ م/د، خسرت الكتيبة /١٠/ دبابات من مجموع ٢١ دبابة استطاعت الوصول إلى هذا الخط، كما ألحق بالعدو الخسائر التالية: تدمير حوالي ١٣ دبابة وقاعدتي صواريخ. عندها بدأت الدبابات الأخرى تنفذ قتالاً تراجعياً باتجاه الشمال والشمال الشرقي بإمرة رئيس أركان الكتيبة، لأن دبابة قائد اللواء ودبابة قائد الكتيبة دمرتا في هذه المعركة.

ظل قائد اللواء يجهل مصير قائد هذه الكتيبة حتى اليوم الثاني من المعركة، حين تبين بأنه جريح وفي مستشفى إزرع.

تم إعادة الاتصال بقائد الفرقة الخامسة قريباً من الساعة ١٦,٣٠ وبقي الاتصال بالكتائب الأخرى مفقوداً، وذلك نظراً لتدمير دبابة قائد اللواء الذي كان يقود شبكة اللواء من خلالها.

أمر قائد الفرقة قائد اللواء في الساعة ٧,٠٠ من يوم ١٩٧٣/١٠/٨م بالتقدم بالدبابات المتبقية لديه إلى مكان اللواء ١٣٢. وتم تنفيذ ذلك بعد أن أخذ قائد اللواء إحدى هذه الدبابات ليقود منها المجموعة. وحين وصول هذه المجموعة إلى **قرية (ناب)**، أي مكان اللواء ١٣٢، كان قد وصل هجوم العدو إلى هذا المكان. عندئذ نشر قائد اللواء هذه المجموعة مع /٣/ دبابات من اللواء ٤٧ بإمرة قائد الكتيبة الثالثة (التي وجدها في تلك المنطقة). ثم خاضت هذه المجموعة بالتعاون مع عدة دبابات من اللواء ١٣٢ ومدافع م/د من عيار ١٠٦مم تابعة لاحتياط م/د الفرقة الخامسة معركة دامت زهاء /٦٠/ دقيقة دُمر للعدو فيها /٤/ دبابات سنتوريون وقاعدتا صواريخ. وحتى **الساعة ١٠,٣٠**، احتل اللواء ٦١ مشاة الخط: تل البازوك – تل المنطار.

واحتل اللواء ١١٢ مشاة نقطتي استناد تل القلع والرفيد بجزء من القوى وتابع التقدم بالجزء الباقي، كما احتل بقوى كتيبة الخط: الفرج – أم الدنانير. أما تل الفرس، فقد تم تحريره بواسطة **قوات حطين** المنزلة بالطائرات العمودية (الهليوكبتر) في الساعة ١٧,٠٠، ولذا فقد احتل اللواء بجزء من قواته سفوحه الجنوبية والشرقية، وقام بفتح مرصد في التل.

تمكن اللواء ١٢ دبابات من تدمير كل المقاومات التي اعترضته حتى الساعة ١,٠٠ من يوم ٧ تشرين الأول وكان أبرزها هجمة معاكسة بقوى سرية دبابات معززة في منطقة صير الحوار، واحتل الخط – رسوم القطار – أم الدنانير وقضى على جميع محاولات العدو لاسترجاعه. وفي **الساعة ٥,٣٠** استأنف اللواء هجومه وتعرض على مسافة ٢ كم من قرية المشتى، لضربة معاكسة قوامها حتى ٥٠ دبابة تعززها الصواريخ وتدعمها نيران المدفعية والطيران، فاحتل خطأ مناسباً وقام بصدها من الثبات، وقد نجح بتدمير ١٥ دبابة و٤ عربات صاروخية، وأسر ١١ إسرائيلياً منهم ضابط برتبة نقيب، وتمكن من أسر طيارين. وقد احتلت الكتيبة ٣٥٥ من اللواء الخط: المشرفة – رسم الرمليات. وفي **الساعة ٨,٤٠**، وصلت الكتيبة ٢٠٣ إلى منطقة اليعربية، مع ثلاث سرايا دبابات معادية. وقد تمكنت حتى **الساعة ١٤,٠٠** من تدمير ١٩ دبابة منها، ولاذت الدبابات المتبقية بالفرار، إلاّ أن الصواريخ الكثيفة المضادة للدبابات أحدثت إصابات مباشرة في دباباتها، وبعد ساعتين من القتال لم يبق لدى الكتيبة سوى دبابتين وناقلة جنود.

وحتى **الساعة ١٠,٠٠** احتلت الكتيبة ٢٦٢ من اللواء ١٣٢ مشاة مستعمرة خسفين. ثم تابع قائد اللواء ١٣٢ مشاة التقدم بالوحدات الموجودة لديه واحتل حتى **الساعة ١٦,٣٠** الخط: ناب – كفر ألما.

معركة كفر نَفَاخ

إن معركة الدبابات، التي حمي وطيسها في منطقة كفر نفاخ، هي معركة كبيرة في تاريخ الحرب الرابعة. كانت بسالة المقاتلين وولاؤهم لوطنهم، أقوى بكثير من الهجوم التصادمي لدبابات العدو.

ففي الساعة ٨,١٥ من صباح ٧ تشرين الأول أُعطيت الأوامر للواء ٩١ المدرع الذي يعمل في قوام الفرقة المدرعة الأولى بالتحرك وتنفيذ الضربة المعاكسة من الخط: تل يوسف – عين وردة باتجاه ١,٥ كم إلى غرب تل أبي خنزير – و ١ كم غرب البجة – واسط.

وفي الساعة المحددة، بدأ اللواء بتنفيذ المهمة المسندة إليه، ولم يمض وقت طويل حتى بدأ اللواء معركته التصادمية، إذ وقع تحت تأثير نيران الدبابات والصواريخ المضادة للدبابات المعادية من اتجاه غرب تل يوسف والدلهمية والسنديانة. ولم يكن من السهل التقدم في هذه الظروف الصعبة بسبب القذائف المنهمرة التي كانت تتساقط على القوات من جميع الاتجاهات.

وعلى الرغم من كل ذلك، تابع اللواء ٩١ المدرع الهجوم بعد أن تمكن من تدمير القسم الأكبر من الدبابات المعادية، وأرغم البقية على الانسحاب باتجاه الشمال الغربي. وعندما وصل اللواء ٩١ المدرع إلى ارتفاع الدلهمية تعرض لهجوم معاكس بقوة كتيبة. وفجأة أخذت تظهر ومضات من خلف التباب والمنحدرات ولم يكن هناك أي شك أنها قواعد صاروخية جيدة الإخفاء، تطلق الصواريخ على دباباتنا وفتحت النيران بسرعة، واشتبكت دباباتنا مع الدبابات المعادية في قتال عنيف انتهى بتدميرها جميعاً وأحبط الهجوم المعاكس المعادي. وعلى الأثر تابع اللواء ٩١ مدرع الهجوم، وعندما وصل إلى الخط: شمال غربي تل أبي خنزير، ١كم شرقي كفر نفاخ، تعرض لنيران الدبابات والقواعد الصاروخية التي انتشرت على تخوم كفر نفاخ الشرقية، ولنيران الدبابات والمجنزرات المتقدمة من القنيطرة باتجاه كفر نفاخ على محور الطريق العام. وهنا نشب قتال ضار، وغطت سحب الدخان السماء واتحدت مئات الانفجارات وأصوات الطلقات في هدير مضطرب وكانت أرض المعركة مغطاة بالدبابات المدمرة والمشتعلة. وقد استمر القتال، باستماتة وضراوة. من **الساعة ١٤,٣٠ حتى الساعة ١٥,٣٠** على مسافات

تتراوح بين ١٠٠ – ١٠٠٠ متر، دُمر للعدو في هذه المعركة أكثر من ٣٠ دبابة وقاعدة صاروخية.

زج العدو بقوى جديدة من الدبابات في المعركة... غير أن قواتنا لم تتح للعدو أن يأخذها على حين غرة، وكانت دباباتنا مستعدة لصده، إذا أن قائد اللواء زج نسقه الثاني على الطريق العام: القنيطرة – كفر نفاخ بغية تطوير الهجوم والإسراع في تحقيق مهمة اللواء. وفي **الساعة ١٦,٤٥** تعرض اللواء من جديد لنيران القواعد الصاروخية الموجودة في سفوح تل أبي الندى الغربية. وقد طبق اللواء مع هذه القواعد رمي تركيز السرايا فأسكتها، ثم تابع التقدم[١].

لم تنجح الهجمات المدرعة الإسرائيلية المعاكسة في إيقاف تقدم اللواء. وعلى الرغم من هذا، فقد توالت هجماته. وكان العدو، في كل مرة، مضطراً إلى التراجع، مخلفاً وراءه الدبابات المشتعلة والمدمرة وأعمدة الدخان المتصاعدة فوق أرض المعركة من هنا وهناك.

تلقى قائد اللواء أمراً بمتابعة التقدم باتجاه ١,٥ كم غربي تل أبي خنزير ٥٠٠ متر غربي قرية البجة. وهنا أُعلم قائد اللواء عن تحركات دبابات من شمال تل يوسف باتجاه شمال تل أبي خنزير – البجة، فطلب من عناصر المشاة رفع أعلام التعارف والتقدم باتجاه هذه الدبابات، ظناً منها أنها دبابات صديقة. فتحت هذه الدبابات نيراناً شديدة على دباباتنا. حينئذ قال قائد اللواء: «على ما يبدو، إن هذا الصديق خلبي....» وقد قدرت قوة هذا العدو بلواء مدرع. واصطدم الإسفين الفولاذي للقوات المدرعة الإسرائيلية بدروع ٩١ دبابات.

اضطرت قوات اللواء تحت ضغط العدو، نيران المدفعية والصواريخ المضادة للدبابات أن تتراجع إلى الخلف، ولاسيما أن العدو أخذ يزج من

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس ، مرآة حياتي ، مصدر سابق ، مجلد ٣ ، ص٧٣١.

العمق باحتياطات جديدة. وعند حلول الظلام انتقل اللواء للدفاع عن الخط: شمال الدلهمية – السنديانة بما تبقى لديه من الدبابات. لم تحدث مع العدو أية اشتباكات في الليل، ولكن كانت هناك طلقات إفرادية، ورمايات مدفعية غير مؤثرة، وشهب وقنابل مضيئة.

معركة الخِشنِيّة

كانت الصورة صباح ٧ تشرين الأول تبعث على الارتياح، فقد نجحت قواتنا، بعد ضربة مفاجئة، في عبور الخندق المضاد للدبابات، واختراق المواقع الدفاعية المعادية... وما لبثت هذه القوات أن دعمت نجاحها بالتقدم بسرعة في الاتجاهات المحددة... كانت الضربة الرئيسة موجهة باتجاه الخشنية – كفر نفاخ.

خاض اللواء ٥١ و ٤٣ دبابات، ابتداء من بعد ظهر ٦ تشرين الأول وحتى الساعة ٦,٠٠ من صباح اليوم التالي، معارك ضارية ضد العدو، الذي كان يجهد في محاولات يائسة للضغط على بقايا الدبابات المتمسكة بالخط: الخشنية – تل الطلائع. وقد صدت قوى اللوائين ٥١ و٤٣ دبابات تلك المحاولات كافة، بفضل بطولة الجنود ورجولة الضباط وصف الضباط ومهارتهم.

كان كل مقاتل يعلم خطورة الموقف، ويعرف واجبه بوضوح تام. ولقد أدى انضمام بقايا اللواء ٥١ دبابات إلى بقايا اللواء ٤٣ دبابات إلى رفع الروح المعنوية للمقاتلين.

دلت الهجمات المتتالية بمجموعات صغيرة من الدبابات على أن قوات العدو في هذه المنطقة لا تقتصر على هذه المجموعات، بل أن هناك قوى أكبر حجماً.

كان دفاع اللوائين، بحكم الضرورة، يحمل طابع الدفاع الخطي. ولم يكن هناك نسق ثان، ولم يكن لديهما احتياط. أبلغ قائد اللواء ٤٣ دبابات **قائد**

الفرقة التاسعة المشاة بذلك كله، وتمكن مع قائد اللواء ٥١ دبابات، بما بذله الضباط من جهود، وخلال المعارك ذاتها من أن ينظما في فترة وجيزة مقاومة قوية ضد العدو، ومنعه من متابعة التقدم باتجاه الشرق. وسرعان ما ظهر لدى قائدي اللوائين تشكيل جديد من بقايا لوائيهما، كان بمثابة قوة كبرى لهما.

ومنذ صباح ٨ تشرين الأول، ظهرت الطائرات المعادية في الأفق، وبدأت تنقض على قواتنا المدرعة. واشتدت رمايات المدفعية والقواعد الصاروخية. وشرع الإسرائيليون يقذفون، دونما انقطاع، بقوى جديدة.

حمي وطيس المعركة من جديد، واستمر القتال إلى ما بعد غروب الشمس وساد الظلام وظهرت نيران ضخمة مشتعلة في الأمام... وكانت في الغالب الدبابات والمجنزرات التي دمرتها نيران دباباتنا ومدفعيتنا.

التحق النقيب توفيق جلول في مساء ٨ تشرين الأول بدباباته الست عشرة، من اللواء ١٢ دبابات، وقرر المقدم وليد حمدون والمقدم عدنان بدر الحسن، قائدا اللوائين ٥١ و ٤٣ دبابات، وضع دبابات النقيب جلول كاحتياط غربي الطريق العام: الرفيد – القنيطرة، لتدمير مجموعات العدو المدرعة، التي قد تتسلل من خلال الرمثانية، وأم الدنانير لتطويق بقايا اللوائين.

أربك نشاط قواتنا وفعاليتها طوال يوم ٨ تشرين الأول القيادة الإسرائيلية. فقد واجهت هنا مقاومة لم تكن تنتظرها. ورأت أن رجال الدبابات السوريين لا يكتفون بصد الهجوم بل ويهاجمون كذلك وإن لم تكن الهجمات ناجحة دائماً. ولا غرو بأن مقاتلي اللوائين عانوا أوقات حرجة وقاسية في امتحان النار. وكانت تشحذ قواهم إرادة القتال. وعلى هذا الأساس الوطيد استطاعوا أن ينجحوا في تدمير دبابات العدو وإيقاف هجومه.

استأنف العدو هجومه المدرع منذ أول ضوء ٩ تشرين الأول وحانت لحظة الاصطدام وتقدم الإسرائيليون بمجموعات مدرعة من اتجاهات

مختلفة، من قرى المشتى والتنورية وضهرة الجوبة وأم الدنانير.. وفي كل مرة كان العدو يتراجع مخلفاً وراءه عدداً كبيراً من الدبابات المحترقة. وهكذا أُصيب العدو بضربة قوية أوقفت هجومه.

تقدمت كتيبة دبابات معادية عند الساعة ١٥,٣٠ من يوم ٩ تشرين الأول من اتجاه الفرج - الفحام، وكتيبة أخرى من اتجاه قرية المشتى. حينئذ ناور قائد اللواء ٤٣ دبابات بثلاث دبابات من غرب الخشنية، حيث احتلت خطاً أمام رسم الخزعل، من أجل دعم دبابات النقيب توفيق جلول / الذي سبق أن تلقى أمراً باحتلال الخط: تل الطلائع - ١ كم شمال الفحام، والتمسك به. وقامت كتيبة مدفعية اللواء من مرابضها في ضهرة الشعاف باتخاذ مواضع جديدة لفتح النيران بالرمي المباشر على الدبابات المعادية المتقدمة على محور الفحام - تل الطلائع...

استمر القتال، وغطت سحب الدخان السماء فخبا ضوء الشمس. واتحدت مئات الانفجارات وأصوات الطلقات في هدير مضطرب. وتغطت أرض المعركة بالدبابات المدمرة والمشتعلة.

واصلت دبابات العدو هجومها، واستطاعت مجموعة أن تتسلل إلى الطريق العام: الرفيد، القنيطرة، كما أخذ العدو يضغط على قواتنا التي تحتل الخط: الخشنية - تل الطلائع. وبدأ القتال عن قرب، واختلط كل شيء في أزيز وهدير شاملين... وتصاعدت أعمدة الدخان فوق الدبابات المشتعلة هنا وهناك في أرض المعركة.

ولم يمر وقت طويل حتى وقعت دباباتنا تحت تأثير النيران والصواريخ المضادة للدبابات... ووقعت خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات... ودارت معركة ضارية بين دباباتنا ودبابات العدو.. وفي المساء أمر قائد الفرقة التاسعة المشاة **العقيد الركن حسن توركماني** باحتلال خط على السفوح الغربية لتل العرايس بما تبقى من الدبابات.

توالت هجمات العدو في صباح ١٠ تشرين الأول تصاحبها نيران المدفعية والصواريخ، غير أن دباباتنا الباقية كانت للعدو بالمرصاد، فتصدت لهجماته بالنيران، وأخذ رجالنا يصبون سعيرهم. واختفت ساحة المعركة بين سحب الدخان والغبار. وفي الوقت نفسه كانت المقاتلات والقاذفات السورية توجه ضرباتها إلى احتياطات العدو وأنساقه الثانية.

معركة الدبُّورَة

إن اصطدام الدبابات الذي استعر لهيبه في منطقة الدبورة يعد مأثرة بطولية في تاريخ الحرب الرابعة. ففي الساعات الأولى من صباح ٧ تشرين الأول اقتحمت الكتيبة ٢١٢ من اللواء ٤٣ دبابات الخندق المعادي المضاد للدبابات، واندفعت اندفاعاً مفاجئاً وسريعاً في الاتجاه المحدد لها: تل فزارة – الرمثانية – السنديانية – العليقة – الدبورة، بقيادة الرائد **حمدان محفوض.** وعلى الرغم من المقاومات المعادية التي فتحت نيرانها على الكتيبة في أثناء تقدمها، فقد تمكنت من القضاء عليها بسرعة، ونجحت في الوصول إلى قرية الدبورة. وهنا دارت معركة دموية طاحنة بين دباباتنا ودبابات العدو التي انطلقت من مناطق تحشدها في وادي الجليبينة ووادي الفاجر، وهاجمت الكتيبة من المشارف الجنوبية والشمالية لقرية الدبورة، والتحمت الدبابات السورية بالدبابات الإسرائيلية، وبدأ القتال عن قرب، واختلط كل شيء في أعاصير من النيران، وتناثرت هنا وهناك كتل الدبابات الهامدة أو الدبابات التي كانت النيران ما تزال مشتعلة بها.

اضطر العدو، تحت ضغط دباباتنا إلى التراجع مؤقتاً، مخلفاً وراءه الدبابات المشتعلة أو المدمرة وكانت أعمدة الدخان تتصاعد فوق الدبابات المتناثرة هنا وهناك... وبعدها بوقت قصير، بدأت نيران المدفعية والصواريخ المعادية تنهال على دباباتنا. وأخذ الموقف الذي كان في صالح الكتيبة ٢١٢ دبابات يتحول فجأة لصالح العدو، عندما زج العدو بقوى مدرعة جديدة.

كانت المعركة في ذروة احتدامها عندما لم يتبق من دباباتنا إلاّ العدد القليل، ونفد الجزء الأكبر من الذخيرة.. وكانت مفاجأة مذهلة للمعتدين الإسرائيليين أن تبلغ أعمال الدبابات السورية هذا المستوى، فقد أبدى رجالها من الصمود والبطولة ما برهن عملياً للقوات الإسرائيلية أنها ستواجه قتالاً مريراً وقاسياً(١).

قاتلت الكتيبة حتى آخر طلقة.. وقرب المساء لم تستطع الدبابات القليلة – وقد نفدت ذخيرتها – أن تتابع إطلاق النيران، فاندفعت نحو دبابات العدو والتحمت بها جسماً بجسم، وعندما لم يبق في دبابة قائد الكتيبة إلاّ سدين جريح، أخذ القائد بندقية، وقفز من الدبابة إلى الأرض وهو يطلق النيران صارخاً: « الله أكبر....» وسقط البطل شهيداً، مضرجاً بدماء العزة والكرامة..

لقد قاتلت الكتيبة ٢١٢ دبابات، طوال نهار كامل، وأوقعت خسائر كبيرة في أرواح ومعدات العدو، وكان الصراع البطولي النادر الذي خاضته دليلاً ساطعاً على صمود المقاتل العربي واستبساله. وتقديراً لأعمال هذه الكتيبة البطولية، منح قائدها **الرائد حمدان محفوض** وسام بطل الجمهورية.

معركة المشتى - اليَعربيَّة -

تمكنت قطعات اللواء ١٢ دبابات من عبور الخندق المعادي المضاد للدبابات في مساء ٦ تشرين الأول ١٩٧٣م، وتابعت التقدم باتجاه: الجوخدار – أم الدنانير.

وقد اعترضت تقدمها مقاومات العدو القوية في السفوح الشرقية والجنوبية لتل الجوخدار وتل الفرس. ولم يمض وقت طويل حتى شن الإسرائيليون هجمة معاكسة بقوة سريتي دبابات من اتجاه كريز الوادي. وفجأة أمطرت كتيبتا النسق الأول القوات المعادية القائمة بالهجوم المعاكس

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس ، مرآة حياتي ، ج٣، مصدر سابق ، ص٧٣٧.

بالنيران، واستطاعتا أن تحبطا الهجوم المعاكس، وأن تتابعا التقدم. وفي الساعة ٢٠,٤٥ من يوم ٦ تشرين الأول، وصل اللواء إلى الخط: صير مقام الخيشومي - البغالة، حيث تلقى أمراً باحتلال الخط: رسوم القطار - أم الدنانير.

احتل اللواء الخط المحدد في الساعة ١,٠٠ من يوم ٧ تشرين الأول، بعد أن دارت معركة صعبة مع المقاومات المعادية التي واجهها، وبعد أن دمر هجوماً معاكساً ثانياً للعدو، اشتركت فيه سرية دبابات في منطقة صير الحوار. استخدم العدو في قتاله نيران القاعدة الصاروخية في المنطقة جنوب شرقي الفرج، و القاعدة الصاروخية في المنطقة غرب تل الفرس وإلى يمين المعسكر المعادي، ولقد حاول العدو منع قوات اللواء من التثبت على الخط: رسوم القطار - أم الدنانير، فقام في الساعة ٤,٣٠ من يوم ٧ تشرين الأول بهجوم اشتركت فيه الدبابات والقواعد الصاروخية المحمولة، غير أنه مني بالفشل واضطر للتراجع. وفي الساعة ٥,٣٠. تابع اللواء الهجوم في الاتجاه المحدد.

تابعت الكتيبة ٣٥٦ تقدمها بالاتجاه المحدد حتى تجاوزت قرية المشتى إلى مسافة ٢ كم فتعرضت لهجوم معاكس معاد اشتركت فيه ٢٠-٢٥ دبابة وقواعد صاروخية محمولة، ونيران الطيران والمدفعية. اشتبكت الكتيبة مع العدو من الثبات على الخط: غرب الجسر الأبيض - المشيرفة واستطاعت أن تدمر ١٤ - ١٥ دبابة و ٤ عربات صاروخية، وأن تأسر أحد عشر إسرائيلياً، بينهم ضابط برتبة نقيب، كما أسر جنود المشاة الملحقون بالكتيبة اثنين من الطيارين. ثم تابعت التقدم واحتلت صباح ٨ تشرين الأول الخط: خارجاً الجسر الأبيض - داخلاً المشيرفة.

تابعت الكتيبة ٣٥٥ التقدم بالاتجاه المحدد، مدمرة المقاومات المعادية، التي كانت تظهر في اتجاهها. وفي الساعة ٩,٣٠ من يوم ٧ تشرين الأول وصلت إلى منطقة الطبية **حتى الساعة** ١٠,٣٠ لم تستطع

الكتيبة أن تتابع التقدم لوعورة المسالك، ولتعذر تجاوز المنطقة. وفي هذه الأثناء قرر قائد اللواء عودة الكتيبة إلى ضهرة الجوبة لمساعدة الكتيبة ٣٥٦ في القضاء على الهجوم المعاكس، والتمسك حتى **صباح ٨ تشرين الأول** بالخط: المشيرفة – الرمانة. وقد استطاعت الكتيبة ٣٥٥ أن تدمر ٨ دبابات معادية و ٤ عربات صاروخية[(١)].

تقدمت الكتيبة ٢٠٣ خلف النسق الأول. وعندما توقفت الكتيبة ٣٥٦ لصد الهجوم المعاكس المعادي، قرر قائد اللواء بغية تطوير الهجوم، زج الكتيبة في المعركة. وبعد تدمير المقاومات المعادية أمامها، وصلت في الساعة ٨,٤٠. من **يوم ٧ تشرين الأول** إلى منطقة اليعربية. وهنا اشتبكت في معركة عنيفة مع العدو الذي دفع إلى هذه المنطقة دبابات من نوع ت – ٥٤ و ت ٥٥ وسنتوريون وقد قدر قوام العدو بكتيبة، وقد تمكنت الكتيبة ٢٠٣ حتى **الساعة ١٤,٠٠ من يوم ٧ تشرين الأول** من تدمير ١٩ دبابة معادية.

مَعركَة تلّ الفَرَس

انطلقت الطائرات العمودية من قواعدها تحمل مجموعات الإنزال الجوي من قوات حطين لتبدأ عملية تحرير تل الفرس عند الساعة ١٥,٠٠ بعد ظهر ٧ تشرين الأول.

كان العدو قد أقام فوق التل موقعاً دفاعياً على سفوحه الشديدة الانحدار وبنى فيه مرصداً حصيناً، له أهميته الكبيرة بالنسبة لـــ «إسرائيل». يتألف الملجأ الرئيس من ثلاثة طوابق. وهو أشبه بقلعة من الصخور السوداء أقامه العدو عقب عدوان حزيران عام ١٩٦٧م. وفي داخل المرصد ثلاثة محركات ديزل لتوليد الطاقة الكهربائية، وثلاث نظارات مزدوجة للرصد بعيد المدى، كما توجد ثلاث فتحات خاصة بالرصد، تسد في أثناء الأعمال القتالية بقطع حديدية سميكة، في منتصف كل قطعة فتحة خاصة للرصد في حالات

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس ، مرآة حياتي ، ج٣، مصدر سابق ، ص٧٣٩.

القتال. يبلغ طول التل ٢٠٠ – ٢٥٠ م. وعرضه ١٠٠ – ١٥٠ م. جدران المرصد سميكة لا تؤثر فيها رمايات الطيران والمدفعية، وفوقها مجموعات من الطبقات، والطبقة عبارة عن كتلة من الأحجار السوداء. يستطيع العدو أن يرصد أية تحركات على مسافات بعيدة، وهو مزود بالأجهزة اللاسلكية للاتصال بالقيادة وإبلاغها بسرعة عن أي تحرك مضاد. كما يحوي المرصد أجهزة قيادة وتوجيه للطائرات وكذلك أجهزة تشويش اليكتروني.

انطلقت الطائرات العمودية في اتجاه تل الفرس.. أبواب الحوامات مفتوحة.. المقاتلون ينتظرون لحظة الصدام مع العدو... قائد مجموعات الانزال، النقيب **مصطفى محمد أبو دبوسة، يقول لهم:** «اليوم يومنا يا رجال... ونحن رجال جيش التحرير.. أريد منكم عملاً بطولياً لنثبت وجودنا... تحيا فلسطين.... تحيا سورية... تحيا الأمة العربية ».. وظل القائد طيلة فترة الطيران يلهب فيهم الحماسة والثأر لإخوانهم الأبطال، الذين استشهدوا في معارك الكفاح المسلح و التحرير.

اقتربت الطائرات العمودية من تل الفرس... إنها الآن فوق التل.. العدو يفتح نيرانه عليها.. يرد المقاتلون على النيران بالمثل.. ويوجه قائد الطائرة العمودية الأمامية رشقة من الصواريخ إلى مصادر النيران المعادية. كان العدو يوجه نيرانه إلى غرفة قيادة الحوامة وبابها.. وعندما تابع العدو الرمي، رد قائد الحوامة برشقة أُخرى من الصواريخ.. وفي هذه الأثناء **جرح النقيب مصطفى** في ساقه اليسرى، إلاّ أنه لم يعلم بذلك سوى المساعد **توفيق يعقوبي**، الذي كان يجلس إلى جانبه، وما أن طلب قائد الطائرة الاستعداد للهبوط حتى قفز على الفور المجند **محمد الدربي**، الذي كان عند باب الطائرة، وتبعه قائد المجموعات، ثم بقية المقاتلين..

تمت عملية الإنزال على الجانب الشمالي الشرقي لتل الفرس.. ودخل المقاتلون في معركة دموية مع مقاومات العدو، وبعد أن طوقت المجموعات التل، هجم المحاربون هجمة رجل واحد.. وفي هذه اللحظة فقط انطلقت مع

النيران صيحة «الله أكبر» الغاضبة، وهم يطلقون النار من رشاشاتهم ويقذفون القنابل اليدوية على الإسرائيليين الغاصبين.. وما هي إلا ساعة من القتال، حتى تم **تحرير تل الفرس**.. وأعطى قائد المجموعات أمراً بتنظيم الدفاع الدائري حول التل.

كانت الضربات التي وجهتها قوة الإنزال من قوات حطين أقوى من رمايات الطيران والمدفعية ولم يكن العدو يتوقع إنزالاً بالطائرات العمودية.. ولقد أحدث الإنزال المفاجئ ارتباكاً أشاع الموت والذعر في صفوف العدو..

ومضى الليل وأطل صباح يوم جديد.. وفي الساعة ٦,٠٠ من يوم ٨ تشرين الأول تقدمت سرية مشاة من الجيش العربي السوري باتجاه تل الفرس. وعند **الساعة** ٧,٠٠، وصلت عربة استطلاع، وأقامت مرصداً على التل لتأمين الاتصال بالقوات الصديقة..

وهكذا قاتل رجال حطين، الذين يجيش في قلوبهم الحقد الدفين على العدو، والرغبة الصادقة في الالتحام بها وجهاً لوجه،.. قاتلوا بعنف مظهرين عدم اكتراثهم بالموت.. وحتى أن النقيب مصطفى، قائد قوة الإنزال، الذي جرح في بداية العملية، لم يلق السلاح بل ظل يواصل القتال حتى تم اقتحام التل واحتلاله. وتقديراً من القيادة فقد منح هذا الضابط الشجاع وسام الشرف العسكري من درجة (فارس).

الموقف في نهاية يوم القتال:

حتى نهاية يوم ٧ تشرين الأول، وصلت القوات إلى الخط:

الفرقة ٧ مشاة: مزار أبي ذر الغفاري – ٥٠٠ م شرق تل الشيخة – ضهرة إبراهيم.

الفرقة ٩ مشاة: ٥٠٠ م شرق الخشنية – القحطانية – عين عيشة – الرمثانية – رؤوس الوديان المؤدية إلى بحيرة طبريا.

الفرقة ٥ مشاة: المشيرفة – النخيلة – تل البازوك – ١,٥ كم شمال خسفين – المنطار. رؤوس الوديان المؤدية إلى بحيرة طبريا.

الفرقة ١ دبابات: ١,٥ كم شمال وغرب تل أبي خنزير – ١ كم شمال غرب السنديانة – الرزانية.

عَمَليّات ٨ - ١٠ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٧٣م

كانت نتائج اليومين الأوليين من الحرب قاسية على العدو الإسرائيلي الذي ناء بها وأوشكت قواه المعنوية على الانهيار. فقد تكبدت قواته المسلحة خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، وبخاصة في الدبابات و الطائرات، وخيم شبح الخطر المميت فوق قوى الاحتلال، وأصبحت القيادة الإسرائيلية في وضع لا تحسد عليه، كما أصبح واضحاً أن «إسرائيل» عاجزة عن حماية نفسها فكيف تكون قادرة على حماية المصالح الأمريكية في المنطقة.

كذلك رأى العالم أن القوات العربية السورية تملك إمكانات وطاقات كبيرة، كما اقتنع المجتمع الدولي بقوة المقاتلين العرب وقدرتهم على استخدام الأسلحة المتطورة.. كل ذلك أثبتته المعارك الطاحنة التي دارت على مرتفعات الجولان.

لقد قاتل قسم كبير من وحداتنا وتشكيلاتنا ببطولة وشجاعة نادرتين، وكانت تأتي في المرتبة الأول مهمة تدمير احتياطات العدو المدرعة المتقدمة من العمق، وهذا ما يعد موضوع حياة أو موت بالنسبة للعدو الإسرائيلي. وقد قام بهذه المهمة بكل جدارة سلاح الطيران وسلاح المدفعية عاملين بتضافر وتناسق، وصبًّا على رأس العدو المتقدم من الغرب الحمم النارية. فما تكاد قوات العدو تظهر أو يتم اكتشافها حتى ينقض عليها الطيران السوري. وعندما كانت أرتال العدو تصل إلى المدى المجدي للمدفعية، كانت هذه تصب عليه حممها حسب مديات الرمي، أن سلاح المدفعية السورية قام بدور مشرف في حرب تشرين التحريرية، هذه حقيقة يعرفها العدو قبل الصديق.

القطاع الشمالي:

قامت الفرقة السابعة مشاة في الساعة ٢٠,٠٠ من يوم ٨ تشرين الأول، مع وسائط تعزيزها، بهجوم صامت ليلي، بدون دبابات، وهدفها ومهمتها تدمير العدو المقابل، والوصول إلى الخط: عرضانية مسعدة – المنصورة، على أن تحتل بجزء من قواتها مدينة القنيطرة يعاونها اللواء ٥٢ مشاة.

وفي الساعة ٢١,٠٠ بدأ العدو بإضاءة ساحة المعركة، وبفتح نيران المدفعية والهاون على القوات المهاجمة. وقد ردت مدفعيتنا على مصادر النيران المعادية برمايات كثيفة. وتابعت قواتنا تقدمها نحو أهدافها تحت تأثير نيران المدفعية والهاونات المعادية. وعند **الساعة ٣,٠٠ من يوم ٩ تشرين الأول**، تمكن **اللواء ٦٨ مشاة** من احتلال سفوح تل وردة الغربية، وتل الجعيفري، والسفوح الشمالية الغربية لتل الشيخة، وتمكن **اللواء ٨٥ مشاة** من احتلال سفوح تل الشيخة الغربية وظهرة الأرانب، والقطرانة، **واحتل اللواء /١٢١/** مشاة ضهرة شمس الدين والسطح، ووصل نسقه الثاني إلى بير سيف. أما **اللواء ٥٢** مشاة فقد تمكنت إحدى كتائبه من الدخول إلى مدينة القنيطرة واشتبكت في قتال عنيف بالعدو المدافع، وخاضت كتيبة أخرى القتال على الخط: التخوم الجنوبية الشرقية لمدينة القنيطرة – القحطانية، ووصل النسق الثاني من اللواء إلى أرض عين الكرش.

قام العدو بتركيز نيران المدفعية والهاون والدبابات على قوات الفرقة ابتداءً من فجر يوم ٩ تشرين الأول، بالإضافة إلى القصف الجوي. وفي الساعة ٤,٠٠ تلقت الفرقة مهمة تطوير الهجوم الليلي مع أول ضوء يوم ٩ تشرين الأول على محور القنيطرة – جسر بنات يعقوب، بقوة **اللواء** ٨١ دبابات وتشكيلات الفرقة، ومهمتها تدمير القوات المعادية المقابلة والوصول إلى الخط: القلع – واسط – الدليوة – تل أبي خنزير، ثم متابعة الهجوم باتجاه

الحدود الدولية. وفي الساعة ٨,٤٥ من يوم ٩ تشرين الأول عبر اللواء ٨١ دبابات الخندق المضاد للدبابات، ووصل إلى خط الزج في الساعة ٩,٠٠.

وفي الساعة ١٠,٣٥ شوهدت أرتال معادية تتقدم من الاتجاهات التالية:

- رتل يقدر بكتيبة دبابات من اتجاه بقعاتا – ضهرة الأرانب.
- رتل يقدر بكتيبتي دبابات من اتجاه واسط – تل البرم.
- رتل يقدر بكتيبة دبابات من اتجاه المويسه – المنصورة – تل محمد المخفي.

وانتشرت على الخط: السفوح الجنوبية لضهرة الأرانب – ضَهْرة خليف – السفوح الشرقية لتل البرم – تل محمد المخفي. وبدأت الدبابات المعادية بفتح نيران غزيرة على وحدات اللواء التي كانت تصد هجوم العدو المعاكس.

خاضت القوات معارك ضارية، في مواجهة العدو الذي كان ضغطه ما يفتأ يزداد، وكان الاصطدام شديداً وعنيفاً.. وشرع الإسرائيليون يقذفون، دونما انقطاع، بقوى جديدة، بالإضافة إلى التركيز الجوي على الجبهة السورية.

ووقعت قواتنا تحت تأثير النيران والصواريخ المضادة للدبابات.. ولم يكن من السهل التقدم بسبب القذائف المنهمرة.. وبعد ذلك بوقت قصير، بدأت مدفعيتنا بقصف مركز على العدو، واختفت ساحة المعركة تحت سحابة من النيران والدخان.

اضطر اللواء ٨١ دبابات تحت ضغط العدو، الذي كان مستمراً في زج قوى جديدة، إلى الانسحاب، كما انسحبت قطعات الفرقة إلى مواقعها الدفاعية على حدود خط وقف إطلاق النار. وقريباً من **الساعة ٦,٠٠ من يوم ١٠ تشرين الأول**، بدأ العدو بقصف المواقع الدفاعية بالمدفعية، مركزاً قصفه على منطقة خان أرينبه ومنطقة تل الظهور، فردت مدفعية الفرقة السابعة على

مرابض المدفعية المعادية وأسكتتها، وعند **الساعة ١٠,٠٠**، استأنف العدو رماياته على المنطقتين المذكورتين ذاتهما، بمعدلات كثيفة واستمر على ذلك حتى آخر ضوء من النهار وقامت مدفعية الفرقة بالرد على مصادر النيران المعادية المكتشفة، كما قامت بالرمي على مجموعة من العسكريين في رويسة الحمراء، تقوم بالاستطلاع، ويعتقد أنهم ضباط. وقام الطيران المعادي بعدة طلعات وقصف مرصد جبل الشيخ المحرر والمرتفع ١٤٨٠ وتل الظهور ومناطق مرابض المدفعية. وقد اشتبكت وسائط دفاعنا الجوي به وأسقطت له عدة طائرات.

قام الطيران المعادي بقصف مواقع القوات المغربية في الساعة ٨,٤٠ يوم ١٠ تشرين الأول مركزاً على الكشة والمرتفع ١٤٨٠ وضهرة الحدب.

تقدم رتل مدرع معاد يقدر بكتيبة دبابات في الساعة ١١,١٥ من اتجاه مسعدة – سحيتا وفتحت مدفعية **القوات المغربية** النيران عليه. وعند **الساعة ١١,٤٠** انتشرت سرية دبابات وسرية مشاة محمولة على مجنزرات أمام سحيتا وبدأت بفتح النيران على **القوات المغربية**، التي ردت على النيران بالمثل، وأوقفت القوات المعادية على هذا الخط، وقريباً من الساعة ١٣,١٠، دفع العدو مجموعة من دباباته إلى مشارف جباتا، مما هدد الجانب الأيسر **للقوات المغربية**، كما تعرضت وحدات المشاة المغربية، المتمركزة في المرتفع ١٤٨٠ وضهرة الحدب والتلال غير المسماة ومنطقة مرج الجاموس، لقصف جوي ومدفعي شديدين. وقد اشتبكت **القوات المغربية** بالقوات المعادية، ثم انسحبت إلى مزرعة بيت جن.

القطاع الأوسط:

تلقى العقيد الركن حسن توركماني قائد الفرقة التاسعة المشاة التعليمات بالحاق اللواء ٥٢ مشاة بالفرقة السابعة المشاة من أجل احتلال مدينة القنيطرة بالتعاون مع اللواء ١٢١ مشاة.

وقد تمكن **اللواء ٣٣ مشاة** من صد عدة هجمات مدرعة معادية، وتمسك من **الساعة ١٥,٠٠ من يوم ٧ تشرين الأول** وحتى **الساعة ١٠,٠٠ يوم ١٠ تشرين الأول** بالخط المحتل: عين عيشة – تل يوسف – الرمثانية. وفي **الساعة ٨,٣٠ من يوم ١٠ تشرين الأول**، هوجم اللواء بمجموعات من الأرتال المدرعة من اتجاهات مختلفة اشتبك وإياها في قتال عنيف. وقد تمكنت بعض الدبابات المعادية من اقتحام إحدى سرايا مدفعية اللواء بعد أن تصدت لها السرية بالرمي المباشر ودمرت عدة دبابات معادية. وحيال ضغط العدو الشديد، الذي كان يزج بقوى جديدة باستمرار، انتقل اللواء إلى الدفاع شرقي الخط المحتل للتمسك بالمنطقة: عين عيشة – تل أبي قطيف – الجويزة، وليكون الجار الأيمن للفرقة الأولى دبابات[١].

وفي الساعة ١٥,٠٠ من يوم ١٠ تشرين الأول، تقدم العدو برتلي دبابات من الشمال والغرب، بالإضافة إلى رمايات معادية من تل السماقات على وحدات اللواء، مما اضطر اللواء إلى التراجع لاحتلال الدفاع إلى شرقي خط وقف إطلاق النار، بعد أن قام الاحتياط المضاد للدبابات بتدمير قسم من الدبابات المعادية. ولقد تمكن اللواء من تدمير ٣ طائرات معادية بالصواريخ الفردية المضادة للطائرات خلال الفترة من ٦ – ١٠ تشرين الأول.

هاجمت كتيبة حطين في يومي ٧ – ٨ تشرين الأول تل الذهب، ولم تتمكن من احتلاله نظراً لمقاومة العدو في المنعات المجهزة بأسلحة مختلفة. وفي **يوم ٩ تشرين الأول**، استأنفت الكتيبة القتال ضد العدو في تل الذهب وأمام ضغط العدو انتقلت إلى الدفاع شرقي خط وقف إطلاق النار في **الساعة ١٥,٠٠ من يوم ١٠ تشرين الأول.**

في صباح ٨ تشرين الأول، انضمت إلى بقايا دبابات اللواءين ٥١ – ٤٣ المدرعين ١٦ دبابة من اللواء ١٢ دبابات وفي الساعة ١٢,٠٠، انتشر

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس ، مرآة حياتي ، ج٣، مصدر سابق ، ص٧٤٧.

احتياط الفرقة المضاد للدبابات على الخط: تل الطلائع – خارجاً – الفحام، لحماية مجنبة اللواءين من هجمات العدو الشديدة والمتكررة. وقد تمكن هذا الاحتياط من تدمير ٢٠ دبابة معادية وظل يصد هجمات العدو حتى دمره القصف الجوي والمدفعي الشديدان. وفي **الساعة ١٣,٠٠ من يوم ٩ تشرين الأول** حاول العدو الالتفاف على الوحدات المتبقية من **اللواءين ٥١ و ٤٣** من اتجاه السفوح الشمالية لتل الفرس، ومن الغرب والشمال الشرقي، بقوى كتيبة دبابات وعدد من القواعد الصاروخية المضادة للدبابات. وقد حاولت مدفعية الميدان وبعض السرايا المضادة للطائرات منع مناورة العدو وتدميره.

غير أن العدد المتبقي من اللواءين لم يكن يتجاوز ١٥ دبابة، بعد الاشتباك العنيف مع العدو، الذي كان ما يفتأ يشن الهجمات باستمرار. وازدادت حدة هجوم العدو وضغطه الشديد بالطيران والدبابات والمدفعية، وبذل اللواءان كل جهدهما في المحافظة على الخط: السفوح الغربية لتل شعاف السنديان – العرائس، إلا أن استمرار الهجوم المعادي بشتى الأسلحة لم يُبق من اللوائين سوى ٣ دبابات، فاضطر قائدا اللوائين للانتقال إلى السويسة في الساعة ١١,٠٠ من يوم ١٠ تشرين الأول.

الفرقة الأولى دبابات:

بعد أن تكبد العدو خسائر فادحة في يوم ٧ تشرين الأول، انسحب إلى الشمال الغربي من كفر نفاخ، وإلى حرش عين زيوان، لاعادة تجميع قواته. كما تقدمت طلائع لواء مدرع من جسر بنات يعقوب على محور العليقة – كفر نفاخ، ومحور سنابر – عين سمسم. وابتداءً من **صباح يوم ٨ تشرين الأول** انتقل العدو للهجوم المعاكس بقوى لوائين مدرعين وكتيبة دبابات من بقايا اللواء السابق، من اتجاه عين سمسم – جنوب القادرية، واتجاه العليقة السنديانة، واتجاه المغير – شمال كفر نفاخ، ومن السفوح الشمالية الغربية لتل أبي خنزير، بعد أن قام بتمهيد مدفعي، وقصف جوي على قوات الفرقة.

لم تستطع طائرات العدو ودباباته ومجنزراته تحطيم صمود الفرقة، التي اشتبكت في معارك تصادمية مع القوات المدرعة الإسرائيلية الراغبة بإيقاف تقدم قواتنا. وأخفق هجوم العدو الأول من جراء تدمير عدد كبير من دباباته إلاّ أنه عاد إلى الهجوم، دافعاً بقوات جديدة من النسق الثاني. وقد تمكن في **الساعة ١٣,٠٠ من يوم ٨ تشرين الأول** من الوصول إلى التخوم الغربية لقرية السنديانة، والتخوم الغربية لقرية الرزانية.

وبعد معارك تصادمية ضارية بين دبابات الفرقة الأولى ودبابات العدو، في ظل تفوق جوي محلي، وصل العدو في نهاية اليوم إلى الخط: الدلهمية – السنديانة – الرزانية.... وقد أسقط له خلال قصفه الجوي ٣ طائرات، وتم أسر أحد الطيارين، وسقط آخر في الأرض المحتلة، ثم قام بمحاولة أخرى باتجاه أم اللوقس، ولكن حظه كان أسوأ، اذ اضطر بتأثير المقاومة الكبيرة التي أبدتها هذه النقطة إلى الانسحاب، تاركاً خلفه عدداً من الدبابات المدمرة.

وابتداءً من صباح ١٠ تشرين الأول، **تقدمت كتيبة دبابات معادية تحت ستار نيران المدفعية والقواعد الصاروخية** باتجاه صيدا والحانوت في محاولة جديدة لاحتلالهما. وقد تصدت لها جميع الوسائط المضادة للدبابات، بالإضافة إلى رمايات المدفعية المركزة، وأكرهتها على الانسحاب، مخلفة وراءها عدداً كبيراً من الدبابات والناقلات المجنزرة. وقد قامت قوات الفرقة في المساء بسحب هذه الدبابات والناقلات المجنزرة من أمام نقاط الحراسة القتالية.

الفرقة الثالثة دبابات:

في يوم ٩ تشرين الأول ألحق اللواء ٢١ ميكانيكي بفرقة المشاة الخامسة، واللواء ٨١ دبابات بفرقة المشاة السابعة.

وعند الساعة ٥,١٥ أُسندت للواء ٨١ دبابات مهمة تدمير العدو في منطقة تل محمد المخفي والاستيلاء على الخط: الدليوه – تل أبي خنزير، ثم تطوير الهجوم باتجاه: كفر نفاخ – جسر بنات يعقوب. وقد تمكنت معظم وحدات **اللواء ٨١ دبابات** من عبور الخندق المعادي المضاد للدبابات، ولكن لم تنجح إلا بعض الدبابات في الوصول إلى طريق المنصورة – مسعدة، وقد دمرت عند وصولها، فانسحب اللواء، بعد إعادة تجميعه، بإمرة رئيس أركانه إلى تل الشمس، حيث التحق به قائد اللواء في **الساعة ٢٢,٠٠** وتلقى مهمة الدفاع عن التل المذكور بما تبقى من اللواء. أما **اللواء ٢١ ميكانيكي**، فقد زج كتيبة ميكانيكية وسرية دبابات في المعركة لصد الهجوم المعاكس على تل الفرس. وبعد الاشتباك في القتال مع العدو، وتحقيق المهمة، تلقى قائد اللواء أمراً بالتمركز في منطقة نوى (احتياط قيادة عامة).

وفي يوم ١٠ تشرين الأول، التحقت كتيبة من اللواء ٩٠ مشاة بالفرقة الأولى دبابات للدفاع عن تل الأحمر الغربي وتل الأحمر الشرقي، ثم كلف اللواء كله بهذه المهمة. وكلف **اللواء ٦٥ دبابات** باحتلال الدفاع في مواجهة حرفا – بيت جن، وانتقاء خط رمي من الثبات لتدمير العدو حول الحرش. أما **اللواء ٢١ ميكانيكي** فقد تلقى مهمة الدفاع باعتباره نسقاً ثانياً للفرقة الخامسة المشاة.

الموقف في نهاية ١٠ تشرين الأول:

كانت قواتنا تخوض المعارك الضارية ضد العدو الذي كان ضغطه ما يفتأ يزداد خلال أيام ٨ – ١٠ تشرين الأول، وبالإضافة إلى القوى المدرعة التي كانت تعمل بالفعل في ميدان القتال، فقد أخذ العدو يزج في المعارك بقوى جديدة مدرعة وميكانيكية. **وحتى نهاية يوم ٩ تشرين الأول** كان موقف الفرق كما يلي:

الفرقة ٧ مشاة: تراجعت تشكيلاتها كافة إلى الضفة الشرقية للخندق المعادي، المضادة للدبابات.

الفرقة ٩ مشاة: عادت إلى الخط: اللواء ٥٢ مشاة في أم باطنة، واللواء ٣٣ مشاة في عين عيشة، وبقايا اللواءين ٤٣ و ٥١ المدرعين، في منطقة الخشنية.

الفرقة الأولى دبابات: بقيت متمسكة بالخط: عين عيشة – عين وردة – ٢ كم شرق السلوقية.

الفرقة ٥ مشاة: بقيت محتفظة بمنطقة الرفيد. أما التشكيلات الأخرى فقد عادت إلى خط وقف إطلاق النار. وفي آخر ضوء من نهار ٩ تشرين الأول تم سقوط تل الفرس بيد العدو.

وخلال يوم ١٠ تشرين الأول، اقتصرت العمليات الحربية على متابعة القتال، والتمسك بالخطوط المحتلة، ومنع العدو من احتلال التلال القريبة، مثل تلول شعاف السنديان والرفيد. كما لوحظ تركيز جهده الجوي على مناطق تحشد تشكيلات الفرقة ٧ مشاة ومرابض المدفعية ومقرات القيادة، تمهيداً لمهاجمتها صباح اليوم التالي.

سير الأعمال القتالية الجوية في مرحلة الاقتحام :

يوم (ي١) ٦ / ١٠ / ١٩٧٣م.

آ – **الصديق: تم التحضير للضربة الجوية الأولى بكتمان تام**، كما ذكرنا وأُسندت المهام القتالية إلى قادة الألوية الجوية، قبل بدء العملية بخمسة عشر يوماً، وإلى قادة الأسراب قبل أربع وعشرين ساعة.

بعد تدقيق المهام، واشتراك قادة الألوية الجوية بالتدقيق، في يومي ي – ٢ و ي – ١، انتقل قائد القوى الجوية والدفاع الجوي إلى مقر قيادته التعبوي صباح ي – ١، ورفع جاهزية القوى الجوية والدفاع الجوي إلى

الكامل، تنفيذاً لتوجيهات القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة، واطلع على جاهزية الوحدات التنفيذية من جميع القطاعات الجوية ووسائط الدفاع الجوي[(١)].

ابتدأت الأعمال القتالية بتطبيق الخطة البديلة، للصراع من أجل كسب السيطرة الجوية وذلك بتوجيه **ضربة جوية كثيفة إلى الأهداف التالية:**

ميرون، مرصد جبل الشيخ، حُرش مسعدة، تل أبو الندى، كفر نفاخ، تل الفرس. كما وجهت في آن واحد رشقة صواريخ أرض – أرض من طراز (لونا) إلى مطار رامات دافيد. كما قامت القوات الجوية المصرية بتسديد ضربتها الجوية حسب الخطة الموضوعة.

كان الموقف رائعاً للغاية، فمنذ عام ١٩٤٨م، وبتحديد زمني أكثر دقة، منذ قيام الكيان الصهيوني في فلسطين، لم تشهد الأمة العربية في تاريخها الحديث هذا العدد من الطائرات يقلع من سبع قواعد جوية وهو يتوجه لتنفيذ المهمة المحددة.... التي طالما تشوقنا إلى تنفيذها.

هل كان ثمة من يصدق، قبل حرب تشرين التحريرية، أن سورية قادرة على توجيه ثمانين طائرة قاذفة مقاتلة إلى العدو الإسرائيلي في الوقت الذي تضع فيه أربعين طائرة مقاتلة مناوبة في الجو من طراز ميغ ٢١، بينما تكون بقية الطائرات جاهزة في المطارات، للإقلاع على الفور، عند تلقي أية مهمة قتالية، وهي في حالة الاستعداد رقم (١)... أجل... لقد كان هذا يُعد قبل حرب رمضان من أحلام اليقظة... أما بعد حرب رمضان.. فقد أصبح حقيقة واقعة حية.

لا يمكن للمرء أن يصف شعوره بالاعتزاز، عندما يشاهد ثمانين طائرة من طائراتنا تتوجه إلى أهدافها في فلسطين المحتلة وروابي الجولان الحبيب

---

(١) العميد الدكتور رزق إلياس ، مسيرة تحرير الجولان، مصدر سابق، ص١٥٦.

على ارتفاع منخفض لا يجاوز بأي حال الـــ ٥٠ متراً... كما أن المرء لا يستطيع أن يتصور مدى فرحة العناصر الفنية في القوى الجوية وهم يقومون بواجبهم في تذخير الطائرات وملئها بالوقود والهواء المضغوط وتحميلها القنابل والصواريخ... لقد كانوا يعملون بصمت وهدوء، إنما بفعالية فائقة.

عبرت طائراتنا خط الكشف الراداري المعادي، ولم يشعر بها الأعداء فكأنهم قد ﴿**ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة**﴾(١).

وما هي إلا دقائق حتى كانت طائراتنا تنقض على أهدافها وتفرغ حمولاتها من القنابل والصواريخ، ثم تعود إلى قواعدها سالمة، باستثناء أربع طائرات أسقطتها وسائط الدفاع الجوي المعادي (مدفعية م/ط + صواريخ أرض – جو من طراز هوك).

وبينما كانت طائراتنا تعود إلى مطاراتها بعد أن نفذت الضربة الجوية الأولى، كانت هناك رشقة من صواريخ أرض – أرض من طراز (لونا) جاهزة للانطلاق إلى مطار (رامات دافيد)، فقد كانت هذه القاعدة الجوية الإسرائيلية الهامة هدفاً مثالياً لهذا النوع من الصواريخ..

أعطيت الأوامر بإطلاق أول رشقة وما هي إلا ثوان حتى كانت الصواريخ على مساراتها تتوجه إلى هدفها المحدد، ومرت الصواريخ (لونا) فوق مدينة طبرية وهي تصفر كالثعابين، فبعثت في نفوس السكان اليهود الخوف والذعر. وبعد مرور دقيقتين على إطلاقها، وصلت إلى هدفها مطار (رامات دافيد) وألحقت به أضراراً ثابتة(٢).

وفي آن يكاد يكون واحداً، تم الإنزال الجوي على جبل الشيخ، قامت به الوحدات الخاصة بواسطة أربع حوامات وتمكنت قواتنا من تحرير جبل الشيخ.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧.

(٢) تم تدقيق المعلومات حول إصابة الصواريخ لونا لمطار رامات دافيد من قبل الطيارين الإسرائيليين الأسرى.

وبعد ذلك انتقل الطيران المقاتل القاذف إلى دعم القوات البرية مباشرة، كما قام الطيران المقاتل بتغطية القوات والأهداف الإستراتيجية في القطر.

وقد نفذت القوات الجوية:

٨٠ طلعة طائرة لإضعاف التجميع الجوي المعادي (الضربة الجوية الأولى).

٣٦ طلعة دعم أرضي.

٤ طلعات إنزال جوي بالطائرات العمودية (مي ٨).

١٤٨ طلعة تغطية للقوات ومظلات جوية فوق المطارات.

٢٦٨ المجموع.

الخسائر: ٤ طائرات، أشرنا إليها سابقاً، أسقطتها وسائط الدفاع الجوي المعادي.

ونستطيع القول أننا حققنا في اليوم الأول:

- تنفيذ الضربة الجوية الأولى تنفيذاً ناجحاً وتحقيق المفاجأة التامة.
- تنفيذ الإنزال الجوي على جبل الشيخ تنفيذاً ناجحاً.
- تأمين مهام التغطية تأميناً ناجحاً.

أما العدو، فقد قام بتغطية قواته وأغراض المؤخرة، كما حاول إيقاف تقدم قواتنا المهاجمة بتقديم الدعم الجوي لقواته، وقد حاول، لتحقيق هذا الهدف، مهاجمة كتائب صواريخنا المضادة للطائرات التي تغطي قوات النسق الأول، ولكنه أخفق في ذلك.

نفذ العدو في يوم (ي١) ٤٤٣ طلعة جوية.

وكانت خسائره ثلاث طائرات أسقطتها وسائط دفاعنا الجوي.

يوم (ي٢) ٧ / ١٠ / ١٩٧٣م:

تابعت القوى الجوية والدفاع الجوي تغطية القوات والأهداف الإستراتيجية في عمق القطر، كما نفذت مهام الدعم الجوي للقوات البرية التي اقتحمت الجولان، وكذلك مهام الإنزال الجوي في تل الفرس ومهام الاستطلاع الجوي.

وقد بلغ عدد طلعات القوى الجوية مائتين وأربعاً وخمسين طلعة جوية، منها ست وأربعون طلعة دعم جوي، وأربع طلعات إنزال جوي.

وعلى الرغم من أن هذا اليوم كان يوم الدفاع الجوي بلا منازع، فقد نفذت القوى الجوية مهمة تغطية القوات القائمة بالهجوم ودعمها، كما نفذت مهمة إنزال جوي بالطائرات العمودية على تل الفرس، إضافة إلى مهام الاستطلاع بالتصوير والنظر، وقد تمكنت القوى الجوية من تحقيق السيطرة الجوية فوق منطقة الأعمال القتالية واشتبكت بطيران العدو ست مرات. وتم إسقاط خمس عشرة طائرة إسرائيلية في مجمل الاشتباكات الجوية كما خسرنا ١٥ طائرة كذلك... غير أن خسائر العدو الباهظة كانت بوسائط الدفاع الجوي لا سيما الصواريخ منها، إذ بلغ ما أسقطناه بواسطتها في اليوم الثاني **أربعاً وأربعين طائرة إسرائيلية** فيصبح مجموع ما أُسقط للعدو في اليوم الثاني من المعركة تسعاً وخمسين[١] طائرة. وهو رقم لا تستطيع تحمله دولة كبرى ولذلك كانت كارثة حقيقة.

---

(١) قد يلاحظ القارئ، بعض الاختلاف في الأرقام الواردة هنا وفي الأرقام التي ذكرها الناطق العسكري إبان حرب تشرين التحريرية. لذلك أردت أن أنوه بأن ما أذكره هنا هو رقم الطائرات الحقيقي، التي ثبت إسقاطها بدليل مادي (حطام طائرة أو أسير). ففي أثناء الاشتباكات قد تحصل بعض الأخطاء عن غير قصد، كأن يُعلم مرصدان عن سقوط طائرتين معاديتين وتكون واحدة في الحالتين، لأن كل مرصد رآها من زاوية مختلفة.

يوم (ي٣) ٨ / ١٠ / ١٩٧٣م:

نفذت القوى الجوية والدفاع الجوي مهمة دعم القوات المهاجمة في الجولان. وقد ركز على دعم فرقة الدبابات الأولى كما نفذت القوى الجوية مهمة استطلاع بالصور وقامت بنقل المؤن والعتاد الحربي إلى قوات الإنزال الجوي في جبل الشيخ وتل الفرس. كما قامت بصد الغارات الجوية التي قامت بها طائرات العدو على مراكز الرادار والمطارات وبلغ عدد الاشتباكات الجوية أحد عشر اشتباكاً، أسقطنا للعدو فيها اثنتين وعشرين طائرة وفقدنا ٢٠ طائرة، منها اثنتان دمرتا على الأرض في مطار الناصرية، كما بلغت خسائر العدو بالوسائط المضادة للطائرات ثلاثاً وعشرين طائرة وبذلك تكون خسارته في اليوم الثالث من المعركة خمساً وأربعين طائرة.

يوم (ي٤) ٩/١٠/١٩٧٣م:

تابعت القوى الجوية والدفاع الجوي تنفيذ المهمة المسندة في تغطية القوات ودعم أعمالها القتالية، وقامت بإنزال جوي في منطقة واسط وكفر نفاخ، كما نفذت الاستطلاع الجوي، وقد اشتركت **القوات الجوية العراقية** التي وصلت في يومي ٧ و ٨ / ١٠ / ١٩٧٣م والمؤلفة من سرب ميغ ٢١ وسربين سوخوي ٧، بأعمال التغطية والدعم. كما وقعت في هذا اليوم أربعة اشتباكات جوية أسقطنا فيها للعدو خمس طائرات وخسرنا ثلاث طائرات في الاشتباكات الجوية وتسع طائرات أسقطتها الوسائط المضادة المعادية، بينما أسقطت وسائط دفاعنا الجوي أربعاً وعشرين طائرة. وهكذا كان مجموع خسارة العدو في هذا اليوم تسعاً وعشرين طائرة.

– **يبدو أن الخسارات الكبيرة التي تكبدها العدو في سلاح طيرانه، والتي بلغت ١٣٦ طائرة على الجبهة السورية في اليوم الرابع من المعركة،** قد أفقدت قيادة العدو أعصابها، فأمرت بتوجيه غارة جوية على مدينة دمشق،

قوامها ست طائرات فانتوم، نفذت الغارة في **الساعة ١١,٣٠** وقصفت مساكن المواطنين القريبة من مبنى القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة وكذلك مساكن المواطنين القريبة من مبنى قيادة القوى الجوية. وقد استهدفت إسرائيل من هذا العمل الإجرامي التأثير على الروح المعنوية التي يتمتع بها شعبنا البطل، فأججت بعملها الإجرامي هذا حقد مواطنينا على العدو الصهيوني، كما جعلتهم يلتفون أكثر فأكثر بلحمة وطنية نادرة وقد أسقطنا أربع طائرات معادية من أصل ستة.

يوم (ي٥) ١٠ / ١٠ / ١٩٧٣م:

تابعت القوى الجوية والدفاع الجوي تنفيذ المهام المسندة إليها، كما قامت بصد عدة ضربات جوية كثيفة على المطارات، ونفذت عمليات إنقاذ وإخلاء للجرحى بوساطة الحوامات، وقد منعت العدو من تحقيق أكثر مهماته. كما اشتبكت قواتنا الجوية بالطائرات الإسرائيلية خمس مرات أسقطنا خلالها ثماني عشرة طائرة معادية كما خسرنا العدد ذاته في الاشتباكات ومهمات الدعم بالإضافة إلى طائرتين عراقيتين.

حاول العدو تحقيق السيطرة الجوية بتوجيه ضرباته إلى المطارات ومراكز الرادار. كما قصف مصفاة البترول في حمص ومعامل توليد الطاقة الكهربائية. وحاول أيضاً منع الإمدادات القادمة من الإتحاد السوفييتي إلى سورية بقصف الموانئ والمطارات التي كشف نزول الإمدادات فيها (مطار حلب). إلا انه لم ينجح في تحقيق هذه المهمة، لأن مقاتلاتنا كانت تقوم بمواكبة طائرات النقل السوفييتية وتغطيتها على الفور من وصولها سماء بلادنا. كما أن تصميم شعبنا على دعم قواته المسلحة المقاتلة في الجبهة جعله يقوم بأعمال تفوق الوصف.

وتبلغ مستوى المعجزات، سواء في ترميم الجسور وإصلاح المعابر على طول خط الإمداد من اللاذقية إلى دمشق أو في تفريغ شحنات السلاح

من البواخر السوفييتية بسرعة فائقة. وقد أسقطت وسائط دفاعنا الجوي ٢٥ طائرة معادية. وبذلك يبلغ **مجموع ما أسقطناه في اليوم الخامس للحرب ٤٣ طائرة إسرائيلية.**

العمليات البحرية في مرحلة الاقتحام

المعركة البحرية الأولى:

الزمان: ليلة ٦ – ٧ تشرين الأول عام (١٩٧٣م).

المكان: منطقة البحر الأبيض المتوسط الواقعة بين جزيرة قبرص غرباً، ورأس البسيط إلى بانياس على الساحل العربي السوري شرقاً.

القوات المشتركة في هذه المعركة:

التبيان	زورق طوربيد	زورق صواريخ	كاسحة ألغام	وحدة غير معروفة بطيئة	وحدة غير معروفة سريعة	طائرات عمودية	سفن مساعدة	مدفعية ساحلية
القوات الصديقة	١	٣	١					٤ سرايا
القوات المعادية		٤–٦		١٠	٢–٣	٦–٨	٢	

سير المعركة:

في الساعة (٢١,٠٠) من يوم ٦ تشرين الأول عام (١٩٧٣م)، كانت الوحدات البحرية في مواقع انتشارها في الموانئ والمراسي، وكانت الزوارق والسفن المخصصة لأعمال المرور والدورية قد أخذت مكانها على خطوط الدورية، إلا زورقاً واحداً كان عليه أن يقوم على خط المرور بيروت – راس جريكو، غير أنه لم ينجح في اتخاذ موقعه لعطل طارئ في أجهزة الاتصال.

كانت معلومات الاستطلاع تشير إلى أن وحدات بحرية معادية تبحر نحو الشمال دون أن يكون هناك أي تحديد لحجم هذه القوات ونوعها، وما هي وجهتها الحقيقة والأعمال القتالية التي ستنفذها.

انطلاقاً من هذه الحقائق وبعد حساب الزمن المتوقع لوصول هذه الوحدات إلى سواحلنا، أعطيت الأوامر لقيادة لواء زوارق الطوربيد والصواريخ بوضع الوحدات في درجة الاستعداد الأولى والخروج إلى البحر إلى نقاط التجمع الأكثر ملاءمة لخوض الأعمال القتالية. أبحرت المجموعة الصاروخية المتمركزة في الموانئ الشمالية (اللاذقية وميناء البيضاء البحري) باتجاه طرطوس، وعندما كانت هذه المجموعة في الموقع جنوب غرب اللاذقية مسافة (٥ – ٦ أميال) أعلن قائد زورق الطوربيد[١] الذي يقوم بالدورية على خط المرور رأس البسيط – رأس أندريا، عن اشتباكه بثلاثة زوارق معادية بالمدفعية. واستمر في إعلان الموقف حتى فُقد الاتصال به، أعلن مركز القيادة الرئيسي للقوى البحرية عن وجود وحدات بحرية معادية واشتباك هذه الوحدات بزورق الدورية على خط البسيط – رأس أندريا، وأُبلغ ذلك إلى جميع وحداتنا البحرية وأُصدر الأمر إلى كاسحة الألغام الموجودة غربي اللاذقية بالانسحاب باتجاه الشاطئ لتكون تحت حماية المدفعية الساحلية وبعيدة عن مسرح الاشتباكات البحرية القادمة بين زوارقنا ووحدات العدو البحرية المقتربة.

وفي الوقت ذاته، أعلنت مجموعة زوارق الصواريخ بقيادة المقدم البحري قاسم بيضون عن اكتشاف مجموعة أهداف باتجاه ٢٧٥° – مسافة ٢٧ ميلاً من اللاذقية ومجموعة أهداف جنوب غربي اللاذقية، على مسافة (١٨) ميلاً. كان واضحاً كل الوضوح أن مجموعة الأهداف الأولى هي نفسها التي اشتبكت بزورق الدورية.

صدرت الأوامر من مركز القيادة الرئيس إلى المجموعة الضاربة (مجموعة زوارق الصواريخ) بتدمير مجموعة الأهداف المكتشفة على مسافة (٢٧) ميلاً اتجاه (٢٧٥ْ). قامت المجموعة الضاربة بتوجيه ضربة

---

(١) قائد زورق الدورية (زورق الطوربيد) النقيب البحري علي يحيى .

صاروخية على مجموعة الأهداف المعادية. نفذت هذه الضربة بكل ثقة وتصميم. غير أن أحد صواريخ الزورق الرباعي لم ينطلق في أثناء المسير على خط سير القتال. عندئذ عزم قائد المجموعة وقائد الزورق على أن يصبا صواريخهما كلها على وحدات العدو بنفسٍ تجيش بالحقد عليه فأعادوا الكرة وأطلقا الصاروخ رغم معرفتهما بما في ذلك من خطر كبير على انسحابهم لاقتراب المسافة بينهم وبين العدو. وقد أعلن قائد المجموعة بكل ثقة وتأكيد على أن نتيجة الضربة التي وجهوها كلفت تدمير خمسة أهداف بحرية معادية رصدت إصاباتها على شاشة الرادار(١).

بدأت بعد ذلك تظهر مجموعات الأهداف البحرية المعادية على شاشات الرادارات الساحلية حيث رصدت مجموعة أهداف سريعة مكونة من ثلاث أهداف على مسافة ١٨ ميلاً من شمال غربي اللاذقية، ومجموعة أخرى مكونة من عشرة أهداف يسير كل هدفين منها، احدهما قرب الآخر. وكانت هذه المجموعة بطيئة الحركة، والمجموعتان باتجاه ميناء اللاذقية. كذلك أُعلن في الوقت ذاته عن وجود ثلاث طائرات عمودية فوق مربض المدفعية الساحلية قرب قرية الشامية شمال اللاذقية، كما أعلن عن وجود أربع طائرات عمودية فوق منطقة جبلة. وأفادت المشاهدات البصرية أن صواريخ تطلق باتجاه منطقة وجود الكاسحة.

بدأت المدفعية الساحلية اشتباكها بالأهداف المعادية المتقدمة نحو ميناء اللاذقية بينما كانت هذه الأهداف تدخل المدى الأقصى للمدفعية الساحلية. وعند وصولها إلى مسافة (٩ – ١٠ أميال) من الميناء، وتحت ضغط رمايات المدفعية الساحلية التي كانت كفاءتها في العمل عالية ومردودها ممتازاً، غيرت خط سيرها الجنوبي الشرقي واستمرت المدفعية بقصف الأهداف البحرية المعادية المتقدمة. انقسمت هذه الأهداف إلى مجموعتين،

---

(١) العميد الدكتور رزق إلياس ، مسيرة تحرير الجولان، مصدر سابق، ص١٥٩.

أحداهما مكونة من (٦) أهداف سريعة سيرها باتجاه الجنوب الشرقي متحاشية رمايات مدفعيتنا الساحلية. وقد رصدت في المنطقة رمايات صواريخ معادية واشتباكات بالمدفعية الخفيفة بين زوارقنا وزوارق العدو جنوب غربي جبلة وعلى مقربة من الساحل، وأثناء ذلك قطع الإتصال بمجموعة الزوارق الصاروخية. التي يقودها المقدم البحري قاسم بيضون ورئيس أركان المجموعة الشهيد الرائد البحري منير صقر، وقائد الزورق الصاروخي الرباعي الشهيد النقيب البحري نبيه زيفا **في الساعة (٠٠,٤٠) بدأت الوحدات البحرية المعادية بالانسحاب من مسرح العمليات البحري**. ثم رُصد عدد من الطائرات العمودية المعادية تعمل في منطقة الضربة التي قامت بها الزوارق الصديقة لمدة تزيد على الساعة بعد انسحاب الوحدات البحرية. كما رصدت وحدة بحرية كبيرة في المنطقة نفسها إلى جانب وحدة بحرية أُخرى على مسافة (٤٠) ميلاً من شمال غربي اللاذقية.

ثانياً - مرحلة الهجوم الإسرائيلي المعاكس:

لقد استطاعت الحرب الرابعة أن تثبت وجود الإنسان العربي، وقدرته على القتال وتحرير الأرض.. وكان هدف العدو الإسرائيلي من الخرق هدفاً سياسياً أكثر مما كان عسكرياً. وذلك ليغطي خسائره الكبيرة في الأرواح والعتاد، وليعلن عن وجوده الرمزي شرقي خط وقف إطلاق النار السابق في الوقت الذي يعلم أن الجهود السياسية الدولية تبذل من أجل وقف الصراع المسلح في منطقة الشرق الأوسط.

عمد العدو إلى الخرق باتجاه تل الشمس على محور القنيطرة - دمشق، إلا أن قواتنا أجبرته على التوقف في جيب ناري وأرض قتل، مهددة إياه بالقوى البشرية ونيران الأسلحة المختلفة، من معظم الجهات.

لم تستطع طائرات العدو ودباباته ومجنزراته أن تحطم إرادة قواتنا وصمودها. ولم ينجح الإسرائيليون في قهرها كما كانوا يأملون.. وكان كل ما

استطاعوا إليه سبيلاً هو أن يحدثوا خرقاً بسيطاً متكبدين خسائر كبيرة في الوسائط المادية والأرواح.

كان هدف القيادة العامة من توحيد جهود صنوف القوات المسلحة وأنواعها ومن تنسيق أعمالها، أن توقع أكبر الخسائر الممكنة بالعدو. ولقد نجحت في ذلك طوال معارك **الأيام الأولى من الحرب ٦ - ١٠ تشرين الأول**. ولقد أثبتت قواتنا أنها شجاعة في ساعات الخطر، وتم تنفيذ كل التدابير اللازمة لتطويق القوات المعادية ضمن جيب لا يتعدى ١٠ - ١٥ كم طولاً وعرضاً. كما وجهت القيادة العامة بعض القوات إلى الاتجاهات الأكثر أهمية وذلك على جناح السرعة[١].

لم يحقق الخرق الإسرائيلي على الجبهة السورية أي تقدم يتناسب مع حجم القوات الجوية والبرية المعادية المستخدمة. وعلى الرغم من أن الطيران الإسرائيلي وضع كل ثقله لتحقيق السيطرة الجوية في الجبهة السورية، وزج قواته الاحتياطية المدرعة جميعها، فإنه لم يحقق أكثر من تقدم تكتيكي بسيط، هو عبارة عن مرحلة من مراحل الحرب.

سير العمليات:

تابع العدو قصفه الجوي على تشكيلات الفرقة السابعة والتاسعة مشاة منذ أول ضوء من يوم ١١ تشرين، ولا سيما المناطق طرنجة، خان أرنبة، تلول الحمر وبعد ذلك تقدمت بعض القطعات المعادية باتجاه قطاعي الفرقتين ٧ - ٩ مخترقة خط وقف إطلاق النار بقوى مجموعتي قتال على مواجهة الفرقة السابعة مجموعة باتجاه حضر مزرعة بيت جن، ومجموعة على اتجاه محور طريق القنيطرة دمشق، وتم اشتباكها مع وحدات النسق الأول للفرقة السابعة.

(١) العماد أول مصطفى طلاس، مرآة حياتي، ج٣، مصدر سابق، ص٧٥٥.

ولكن لم يكن إندفاع قوات الفرقة السابعة للقتال في الدفاع أقل ضراوة واستبسالاً عن تنفيذ الأعمال الهجومية، وعلى الرغم من استمرارية القتال من **يوم** ١٠/٦ نهاراً وليلاً دون انقطاع ولا راحة، ومع كل ساعة تمر كانت تكبد العدو خسائر جسيمة بالعتاد والأرواح.

وأبرز هذه المعارك في هذه المرحلة هي التي دارت على الحد الأمامي للدفاع الرئيسي للفرقة السابعة على اتجاه خان أرنبة – سعسع.

حيث ركز العدو هجومه الرئيس على هذا الاتجاه بعد ثلاث ساعات من بدء الهجوم على الجناح الشمالي للفرقة وبعد أن حقق نجاحاً فيه باحتلاله حضر، وحرفا وتوجهه باتجاه مزرعة بيت جن.

فتصدى لهذا الهجوم قانصو الدبابات من حملة الـــ (ر ب ج) مع وسائط الـــ (م/د) مالوتكا ومع قسم من مدفعية الميدان للواء والفرقة والتي تحولت للرمي المباشر على دبابات العدو وآلياته المزنجرة المهاجمة، فحصدت ودمرت منها في الموجة الأولى /١٧/ دبابة من وحدات استطلاع العدو. ثم تابعت بنفس الزخم قتالها الفعال مع القوات الرئيسة للواء /١٧/ دبابات حتى لم يبق منه إلا بضع دبابات صالحة للقتال. وكما ألحقت خسائر كبيرة باللواء ٧٩د المجاور، الأمر الذي اضطر معه العدو على وقف هجومه على هذا المحور قنيطرة – دمشق تجنباً لمزيد من الخسائر وناور باللواء المدرع الثالث للتحول بالهجوم من جنوب خان أرنبة لاحتلال تل شعار.

ولكن هذا لم يمنع وحدات الفرقة من محاصرة اللواء ١٧ / د ليلاً واقتناص ما تبقى من دبابات بهجمات جريئة، مما اضطر معها العدو لدفع كتيبة مظليين مع وحدتين من الدبابات لإنقاذ ما تبقى من هذا اللواء. وتم إلحاق بعض الخسائر بهما خلال **ليلة ١١ – ١٢** حيث قتل قائد إحدى الوحدتين وجرح الآخر.

بهذه الروح المعنوية العالية والمثابرة على التصميم على القتال مارس ضباط وجنود الفرقة السابعة قتالهم مع العدو الإسرائيلي حتى أن أحد رماة الـــ (ر ب ج) حقق لوحده تدمير /٤/ دبابات إسرائيلية قبل أن يستشهد.

وفي صباح ١٢ تشرين الأول ابتدأت عمليات العدو بقصف جوي ومدفعي شديدين على المرتفعات: تل الشمس، تل الهوى، تل برقاله، تل قرين، تل المال، تل مسحرة، تل عنتر، تل العلاقية.

بذلت القوات الإسرائيلية جهداً كبيراً لمتابعة تقدمها على محور القنيطرة – سعسع – دمشق، وعلى محور طرنجة – مزرعة بيت جن. ولتوسيع الخرق باتجاه: ماعص – حمريت – كفر ناسج، وباتجاه: جبا – مسحرة. وفي **الساعة ١٤,٠٠ من** هذا اليوم، شنت **قوات صلاح الدين العراقية** هجوماً معاكساً بقوى اللواء الثاني عشر المدرع. تحرك اللواء المذكور من منطقة تحشده بوتيرة جيدة تسيطر عليه روح معنوية عالية زاد في تأججها حماسة أهل القرى التي كان يجتازها[١].

وفي زهاء الساعة ١٧,٣٠، اصطدمت مقدمة اللواء بقوى معادية كانت تتقدم باتجاه كفر ناسج – تل عنتر وقد استطاعت دحر العدو ورده على أعقابه، ثم بدأت مطاردة فلوله باتجاه تل حمد – كفر ناسج – تل الجبل – تل أيوبية – السفوح الشرقية لتل الشعار، وكانت صيحات عمال اللاسلكي تتعالى... إنهم يهربون كالكلاب يا سيدي القائد.. وكان يجيبهم بحماسة منقطعة النظير.... قاتلوا يا «نشامى» قتيبة.... تقدموا يا أبطال يعرب...

استطاع العدو تجميع قوة مدرعة غرب تل الشعار عند أول ضوء من يوم ١٠/١٣ وتعزيزها بقوة أخرى جديدة. وبعد تمهيد بالمدفعية والطيران، شن هجوماً معاكساً من اتجاهين: شمال تل الشعار وجنوبه. وقد جرت معركة ضارية استطاعت فيها قواتنا تكبيد العدو خسائر كبيرة بالدبابات. ولكنه تمكن

---

(١) العميد الدكتور رزق إلياس ، مسيرة تحرير الجولان، مصدر سابق، ص ١٥٤.

من الضغط عليها فتراجعت إلى نقطة كفر ناسج بعد أن تصدت له بكل عناد لتحول دون تقدمه باتجاه تل عنتر، وفي نهاية اليوم، كانت الوحدات المعادية تقاتل على مشارف مزرعة بيت جن، وعلى السفوح الجنوبية الغربية لتل شمس وفي منطقة حمريت – كفر ناسج – الطيمة – تل البزاق – جبا.

تابع العدو قصفه الجوي والمدفعي خلال يوم ١٣ تشرين الأول على مزرعة بيت جن وتل الشمس. وقد تمكن في نهاية اليوم من احتلال تل قرين وتل مسحرة.

ركز العدو مجموعة من الدبابات في مساء يوم ١٠/١٣ في سفوح تل عنتر وأخذت ترمي قواتنا.. وكانت رماياتها مؤثرة، فأصدر قائد اللواء تعليماته بالرد عليها بنيران الدبابات.. وبعد فترة من الوقت، تم تدميرها جميعاً ما عدا دبابتين ظلتا ترميان رمايات مزعجة فأصدر قائد اللواء تعليماته إلى قائد **الكتيبة اليسارية الذي كان إلى جانبه أن يعمل على اسكاتهما:**

– رائد أحمد دَمِرْ ما بقي من دبابات العدو بوسائطك.

– حاضر يا سيدي.

وانطلق الرائد الركن أحمد إلى أقرب دبابة، فاجتمع هنيهة مع طاقمها على الأرض وصعد إليها بنفسه مع المعمر والسائق فقط. وتحركت الدبابة بهدوء وثبة تلو وثبة حتى غدت على مسافة لا تزيد عن ٨٠٠ م عن الهدف. وخلال برهة لا تتجوز الدقيقة انطلقت ثلاث قذائف باتجاه الدبابتين، أحالتهما إلى كتلة كبيرة من الدخان الأسود...

وكانت لحظة رائعة عندما عاد قائد الكتيبة ليقدم نفسه:

– نفذ الأمر سيدي.

لقد كان بنفسه قائد الدبابة والرامي في آن واحد.

أعلم مرصد تل الشمس في الساعة ١,٤٥ من يوم ١٤ تشرين الأول أن العدو يهاجم التل، واستمر القتال في التل حتى **الساعة** ٧,٠٠ حين سقط

التل بيد العدو. كما دار قتال عنيف في مزرعة بيت جن، وفي نهاية اليوم تمكن العدو من احتلالها، وتابع تقديم احتياطاته، ودفع وحداته باتجاه: سعسع – كناكر، إلا أنها لم تحرز نجاحاً في هذا الاتجاه، وتراجعت في المساء إلى مناطق تحشدها في تل الشمس ودورين ودير ماكر ومسحرة. وفي مساء هذا اليوم اتخذ قرار باستعادة تل الشمس ومزرعة بيت جن من يد العدو. واستمرت الأعمال القتالية بيننا وبين العدو طوال ليلة ١٤ – ١٥ تشرين الأول، ولكنها لم تؤد إلى نتيجة حاسمة. على أن يتم التنفيذ بعملية إغارة ليلية مباغتة مع الاستمرار بزرع حقول الألغام م/د على طول المواجهة والإسراع باستكمال احتلال الدفاع.

وتم تشكيل مجموعة الإغارة من /٣٠٠/ مقاتل من مختلف الرتب والاختصاصات ومسلحين بأسلحة فردية يغلب عليها رماة الــ (ر ب ج) مع سرية م / د من اللواء السعودي وبدعم كامل من مدفعية الفرقة واللواء على هذا الاتجاه وأُنيطت القيادة **للمقدم عيد فارس** قائد كتيبة من **اللواء /١٢١/ ميكانيكي** وقد تم اختياره لهذه المهمة الهامة كونه من قرية الحميدية على مدخل مدينة القنيطرة التي هدمها العدو الإسرائيلي وحولها لنقطة استناد. وكان قد صرّح سابقاً أمام قائد الفرقة بأنه ينتظر اليوم المناسب ليأخذ ثأره منهم. وعندما سأله قائد الفرقة عند إبلاغه المهمة: هل أنت على وعدك يا فارس فأجاب فوراً ودون تردد: إنني عند وعدي ولن أعود إلا على دمي أو أُنفذ المهمة بنجاح.

وهذا ما كان فعلاً ونفذ المهمة بنجاح كبير واحتل التل وتم تدمير ٦ دبابات وثلاث عربات قتالية وقتل العديد من الجنود الإسرائيليين. وكان ذلك **صباح ١٦/١٠** واستشهد صباح اليوم التالي وهو يصد الهجوم المعاكس الإسرائيلي لاسترداد التل ويرمي بنفسه بسلاح الــ (ر ب ج) فأصابته رشة من رشاش متوسط في صدره ورأسه وكان فعلاً عند وعده وكان مثالاً للفروسية.

وفي اليوم نفسه تم تعزيز الفرقة السابعة باللواء ٩٠ / د احتياط القيادة العامة فحددت له مهمة الدفاع عن المنطقة: دير العدس – دير البخت – غباغب وتم تنفيذ المهمة فوراً.

هنا تراجعت فكرة العدو بالهجوم وتجمد الموقف على هذا النحو حتى وقف إطلاق النار.

بعد إخفاق الاختراق الإسرائيلي للجبهة السورية على الاتجاه الشمالي، حيث نجحت قوات الفرقة السابعة في التصدي بعنف للهجوم الإسرائيلي المضاد واستطاعت أن تسحب قواتها ببطء وتماسك إلى خط الدفاع الثاني المعد مسبقاً:

كفر حور – تل شمس – كناكر – كفر ناسج وبالتعاون مع احتياط م /د الجيش مع تنفيذ إغارات ليلية متتابعة أرهقت العدو وأجبرته على التوقف، وخاصة مع وصول **القوات العراقية والأردنية** و التي شاركت في القتال على القطاع الأوسط بشكل أساسي وحيث استنفذت جهود القوات الإسرائيلية المدرعة وساعدت على ثبات الجبهة وحالت دون نجاح مناورات الالتفاف التي درجت عليها القوات المدرعة الإسرائيلية. وتجمد الموقف على هذا النحو(١).

حينها ابتدأت القوات السورية تنظيمها وتمركزها استعداداً للقيام بهجوم معاكس عام لاستعادة الجيب المشكل.

هنا أُنيطت للفرقة السابعة مشاة المعززة بلواء مشاة سعودي مهمة احتلال الفرجة التي تشكلت بينها وبين الفرقة التاسعة مشاة من خلال الأعمال القتالية وبمواجهة من كناكر حتى السفوح الشرقية لتل الحارّة، وفي العمق غباغب.

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس ، مرآة حياتي ، ج٣، مصدر سابق ، ص٧٧٦١.

ومع بدء تحرك الفرقة السابعة لاحتلال دفاعها الجديد، بدأ العدو بحشد مجموعة قتالية مؤلفة من ثلاثة ألوية دبابات في المناطق: تل الشعار مسحرة – تل المال. فكان التقدير أن تقوم هذه المجموعة بهجوم مباغت باتجاه كفر ناسج – دير العدس – غباغب وتقطع الطريق العام دمشق – درعا وذلك لفصل محافظة حوران عن سورية.

فكان لا بد من إجراء عمل إيجابي سريع لمباغتة الإسرائيليين وتمكين الفرقة السابعة من استكمال إحتلالها للدفاع على هذا الاتجاه.

فاستقر الرأي لقائد الفرقة السابعة على تحرير تل مرعي المحتل بسرية دبابات وسرية ميكانيكية، نظراً لموقع هذا التل الهام على مواجهة حتى /٤/ كم في نطاق هجوم المجموعة القتالية الإسرائيلية.

معركة ديـر العَدَس

١٢ – ١٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م

من المشاهد الرائعة، التي تكررت في **اللواء ٢١ ميكانيكي**، منظر المقاتلين الصامدين وهم يدمرون أقوى الدبابات الإسرائيلية.. وما معركة دير العدس إلاّ إحدى المعارك، التي تتحدث عن الصمود الحديدي الذي أبدته إحدى كتائب هذا اللواء..

عاش النقيب كمال خزيم رئيس أركان الكتيبة ١٦١ معركة دير العدس بكل مراحلها وتفاصيلها. وها هي كلماته. المدونة بخط يده في مذكراته، تحكي لنا قصة هذه المعركة التي لا تنسى[١]:

« **في القطاع الأوسط يشدد** العدو هجماته على منطقة دير العدس، فتصدر الأوامر **إلى الكتيبة ١٦١ من اللواء ٢١ ميكانيكي** لصد الهجوم

---

(١) العماد مصطفى طلاس ، مرآة حياتي، إصدار دار طلاس، د. ت المجلد ٣/٢/ الصفحة ٧٦٢.

هناك، فتندفع من مكان تمركزها في القطاع الشمالي بسرعة فائقة وروح معنوية عالية، وتصل المكان قبل الموعد المحدد، وتتركز فوق التلال المشرفة على أرض المعركة، حيث بدأ قائد الكتيبة الرائد الركن أحمد دليلة يُعطي تعليماته.

- ملازم وجدي تحرك بفصيلتك إلى الأمام وارصد تحركات العدو وابلغني كل التفاصيل.

انفصلت هذه الفصيلة عن سريتها الثالثة وتقدمت، فاتخذ كل مقاتل مكاناً يستطيع منه رؤية العدو وحركاته وسكناته. اتخذت الناقلات الصاروخية أماكنها وتأهبت لصد أي هجوم معاد.

هدر صوت قائد الفصيلة (تأهب) وانهالت رمايات مدفعية العدو الكثيفة ليتبعها زحف بالدبابات. كان رماة الصواريخ على استعداد كامل، ينتظرون بفارغ الصبر أن تصبح الدبابات المعادية على مرمى صواريخهم. تصايحوا من كل مكان. تقدموا أيها الجبناء. لن تمروا أيها الأوغاد. نحن بانتظاركم لن تنسو هذا الدرس.

تابعت قوات العدو تقدمها من قرب تل قرين وتل مرعي. المقاتلون يبتسمون وأعينهم مثبتة على الأهداف المتقدمة..

- **العريف المجند منيف** (لم يحن الوقت بعد للرمي... بقي مئة متر... خمسون... خذها أيها الجبان) وأطلق صاروخه... وما هي إلاّ ثوانٍ قليلة حتى انفجرت الدبابة وعلاها الدخان واللهب.

- **أطلق العريف أحمد صاروخاً وهو يصيح:**

- **سأُريكم أيها السفلة**... ها ها ها، لقد انفجرت «الملعونة» واستحالت كتلة من نار الدبابات المعادية ما تزال تصلي الموقع نيراناً حامية وهي تتقدم. كانت المسافة التي وصلت إليها كافية لتدميرها حتى بمدفع الناقلة. صاح العريف منيف: (بنت الخنزير بعدها عم تتقدم.. هه) وما هي إلاّ لحظات حتى

اندلعت النار في أحشائها... وتتابعت الانفجارات في آليات العدو مختلطة بزغاريد الأبطال العرب.

أجال بعض قادة الدبابات المعادية نظرهم في الأشلاء المتناثرة يميناً وشمالاً، فأعطوا أوامر التراجع بعد أن فوجئوا بتلك الإصابات المحكمة والأسلحة الفعالة، ليدعموا قوتهم ويتابعوا محاولة تقدمهم في اليوم الثاني بمزيد من الشراسة والحقد.

جنود الفصيلة يتوزعون في حفرهم ويتسامرون، **كرر العدو هجومه في** اليوم الثاني والثالث فلم يكن حظه بأفضل من اليوم الأول. حطام دبابات، ومعنويات منهارة... وخوف قاتل أخذ يشل حركة جنوده، فلا يكادون يتقدمون إلا بأوامر قسرية.

ظهرت دبابة معادية وتبعتها أخرى، وما كادت تصل إلى مدى رمي العريف أحمد، حتى أطلق قذيفة صاروخية وأتبعها بأخرى، فإذا الدبابتان كتلة نار، وإذا بأسطورة (السنتوريون والباتون) حطب تأكله نار قذائف هذا المقاتل.

أيقن العدو أن هجومه في هذه المنطقة أمر صعب فحاول أن يخلي دباباته المحطمة المحترقة وآلياته المبعثرة.

ظهرت في الأُفق رافعة كبيرة ودبابة نجدة جاءتا للغرض نفسه، فصاح العريف: «الحمد للهّ جاؤوا... اقترب يا شاطر اقترب... أيوه خذها، وأطلق قذيفتين أصابتا الدبابة والرافعة... شوفوا يا شباب أليست هذه النار تلتهم الدبابة مثل النار في أعراسنا القروية».

لم تكن الفصيلة تقاتل منعزلة، بل كانت إلى جانبها وعلى الخط نفسه السرية الثالثة، تدعمها من الخلف سرية الهاون، بينما احتلت السرية الأولى موقعاً خلفياً على يمين تل عريد، وتوضعت فصيلتان كاحتياط على السفوح الأمامية لتل جعفر بيك، وتوسطت قيادة الكتيبة هذا التشكيل.

انسحبت الفصيلة بعد أن أدت مهمتها، غير أن العدو شدد هجماته بعد أن حسب أن المنطقة لا تملك غير هذه القوة الصغيرة، فاصطدم بالسرية الثانية التي كانت قد أخذت مكانها في قرية دير العدس. اندفعت القوات المعادية بعدد كبير **يقدّر بكتيبتي دبابات.**

الأهداف المعادية تقترب شيئاً فشيئاً، بينما تدوي صواريخ الرماة وزغاريدهم (محمد – ربيع – حسين – صالح)، فتتحطم الدبابات يميناً وشمالاً. أخذوا يصرخون بدون انتظام على جهاز اللاسلكي ليسمعهم القائد (حطمناها، حطمناها، إنها تشتعل، لقد دُمرت)، بينما يتحدث هو بهدوء وثقة:

– **اهدؤوا أيها الأحبة الأبطال.** إنكم تصنعون المعجزات. عليكم الآن أن تدمروا العدو بأعصاب ثابتة... اهدؤوا فسيعودون بعد قليل.

– «لعيونك أبو رامز».

انسحب العدو ليتقدم بمجموعة جديدة من الدبابات. الفصيلة الأولى من السرية الثانية تراقب الموقف بثبات وحذر.. الأهداف تتقدم... الملازم الأول يوسف قائد الفصيلة يدفع برماة القواذف (م/د) إلى الأمام ليساعدوا رماة ناقلات الصواريخ.

ازداد تقدم الدبابات المعادية فعالجتها صواريخ الفصيلة ودمرت عدداً منها. غير أن الهجمة كانت شرسة وحقودة.. تابع العدو تقدمه حتى مسافة خمسين متراً من الفصيلة، فانبرى له رماة قواذف (ر. ب. ج) بصواريخهم[١].

الهجمة تزداد شراسة وجنودنا يزدادون صموداً... قائد الكتيبة وقائد السرية يأمران بإجراء مناورة، فتحدث خسائر كبيرة في الدبابات المعادية تضطرها فيما بعد إلى الانسحاب.. قائد الفصيلة يشجع عناصره، ويلهب حماستهم، ثم يترك مرصده ويقفز إلى إحدى الحفر بين جنوده، فيتناول القاذف

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس ، مرآة حياتي ، ج٣، مصدر سابق ، ص٧٦٧.

الصاروخي ويدمر دبابة، فتعاجله طلقة رشاش معاد، وتستقر في ذراعه اليمنى وهو يهم بتلقيم قذيفة أخرى... **جنوده يتكومون قربه لتضميد جرحه فيصرخ:**

(إنني سليم، اذهبوا إلى أماكنكم دمروا العدو أيها الأبطال... لن أترككم وفيّ قطرة دم).

سمع قائد السرية الخبر، فدفع حملة النقالات لإخلاء البطل الجريح تحت أزير الرصاص، فصاح قائد الفصيلة: «لا. لا. لن أترك جنودي».

وبلغ النزيف أشده فحملوه إلى المستشفى.. حل الرقيب **عبيهل الأحمد** مكان قائد الفصيلة.. خبرات هذا الرقيب الطويلة في الجيش علمته كيف يقاتل، فكان خير خلف للملازم يوسف الجريح.

كان مقاتلو السرية يزدادون حماسة وبسالة يوماً بعد يوم، وصمودهم يفقد العدو صوابه، فيصمم على النيل منهم... فما كاد فجر السادس عشر من تشرين ينبلج، حتى أخذ يصب نيران صواريخه ومدفعيته على السرية، ثم أتبع ذلك بهجوم دبابات كبير من مرتفعات تل عنتر وتل العلاقية وتل مرعي، وعمد في هذه المرة إلى المخادعة، إذ أدار مدافع دباباته إلى الخلف ليوهم أبطال السرية بأنها دبابات صديقة، وعندما أصبح على مسافة ٢ كم أدار مدافعه باتجاههم، وأرسل سيلاً من قنابلها، فبدأت المعركة الضارية وأخذ رماة الصواريخ يدمرون أهدافهم.

طلب قائد هذه السرية من الملازم ميشيل، قائد سرية الهاون، أن يبدأ الرمي على العدو المتقدم، فانهالت قنابله على ناقلات العدو المجنزرة، واستقرت في قلب الدبابات المعادية وأمامها، فأربكت تقدم العدو وأجبرته على التوقف، مما أتاح لرماة الصواريخ أن يصيبوا أهدافهم، كانت النيران تشتعل في الدبابات المعادية واحدة تلو الأخرى... وكانت قذائف الـــ (ر. ب. ج) تنطلق بدورها لتلقي الهلع والخوف في صفوف العدو.

مجموعة القواذف التي دفعها قائد السرية إلى الأمام بقيادة الرقيب مجيد، تكيل الضربات القاسية للدبابات المعادية. ولقاء هذا الصمود توقف نسق الدبابات، وبدأ بالالتفاف نحو اليسار باتجاه عين عفا ويسار قرية دير العدس... كان هم العدو تطويق هذه السرية مع سرية الهاون وعزلهما.

أعلم قائد الكتيبة بالموقف، فأعطى أمره بالقتال حتى الاستشهاد، والمناورة بالسرية والدفاع الدائري حتى آخر لحظة. فعمدت سرية الهاون إلى الرمي في كل الاتجاهات.

الرمي كثيف غزير، والاشتباك ضار، والعدو آخذ في تشديد حصاره على السرية التي كانت مثالاً للتضحية والفداء... لم يترك جندي موقعه، تشبثوا بكل شبر من الأرض بقوة وعزيمة.

أخذ قائد الكتيبة يدير المعركة بأعصاب حديدية، ويطلب رمايات المدفعية، ويقود نيرانها ومناورة الوحدات... أعطى أمراً للسرية الأولى، التي تتمركز في تل عريد، لمساعدة جارتها، وفك طوق الحصار عنها، فأبدت حماسة لا تقل عن حماسة سائر وحدات الكتيبة.

تقدمت الدبابات المعادية، وهي تتوهم أن تلك السرية أصبحت بين فكي كماشة، فعاجلتها صواريخ السرية الأولى بقيادة الملازم الأول محمد، فدمرت ست دبابات معادية. ووسط هذا الوابل من نيران الصواريخ، تم فك الحصار عن السرية الثانية، وعن سرية الهاون، واندحرت الدبابات المعادية وقد خلفت وراءها حطاماً كثيراً متناثراً على أرضنا.

هدأ المقاتلون وأحنوا رؤوسهم فترة إجلالاً لأرواح رفاقهم الشهداء لقد ردوا العدو على أعقابه، وفوتوا عليه فرصة تحقيق حلمه في الوصول إلى غباغب للسيطرة على محور دمشق - شيخ مسكين - درعا. أما الرقيب الشهيد **عبيهل الأحمد** قائد الفصيلة الأولى من السرية الثانية، والشهيد **صالح بعريني** الذي دمر سبع دبابات معادية ظل على مقعد الرمي في الناقلة حتى

استشهد، والشهيد **حسين الزين** الذي دمر أربع دبابات للعدو يسانده الشهيد سائق الناقلة **فاروق أبو خليل**، فقد دفعوا دماءهم وأرواحهم ثمناً لهذا التراب. اتحدوا به حتى صاروا وإياه كلاً واحداً لا يفرقه الموت.

وجاء وقف إطلاق النار كغطاء محكم فوق قدر يغلي ماؤه.

الجبهة يسودها الهدوء بعد توقف إطلاق النار، والكتيبة ما تزال مكانها.

معارك القطاع الشمالي من الجبهة

تلقى اللواء المدرع ٦٥ مهمة ملاقاة العدو في الساعة ١٤,٣٠ من يوم ١٠/١١ (أكتوبر) ١٩٧٣م المتقدم على محور: جباتا الخشب – طرنجة – بيت جن. وقد أسندت هذه المهمة شفهياً بواسطة اللاسلكي لضرورة السرعة.

كان العدو قد بدأ بخرق خط وقف إطلاق النار بعد ظهيرة ذلك اليوم وبعد تركيز جوي ومدفعي كثيفين بقوى مجموعة قتالية مؤلفة من لوائي دبابات ولواء مشاة ميكانيكي. وعندما تلقى **اللواء المدرع ٦٥** مهمته القتالية كانت طلائع قوات العدو قد وصلت إلى طرنجة.

أعطى قائد اللواء المقدم الركن علي زيود أوامره إلى قائد الكتيبة ٣٦٣ دبابات مع وسائط تعزيزها ليشكل كتيبة المقدمة في اللواء ويتحرك على الفور لتنفيذ المهمة الملقاة على عاتقه. وعلى الرغم من وعورة الطريق وإشغاله بالقوات الصديقة المنسحبة عليه، فقد تقدمت الكتيبة بجرأة واصطدمت بوحدات العدو المتقدمة في مزرعة بيت جن. كما تحرك في الوقت نفسه مقر رصد قائد اللواء إلى جنوب غربي كفر حور وبدأ يقود معركة كتيبة الطليعة. في حين تحركت سائر وحدات اللواء إلى القطيع الدفاعي متأهبة لدعم أعمال الطليعة وتغذية قواتها.. وقد تعرض مقر رصد قائد اللواء وكذلك وحدات

اللواء المتقدمة إلى ضربات كثيفة بالطيران وأصيبت عربة قائد اللواء وجرح سائقها كما دمر القصف الجوي أربعاً من دباباتنا.

جرت معركة الطليعة في مزرعة بيت جن وقدم كل عنصر من عناصرها مثلاً حياً في التضحية والجرأة، والاستبسال والصمود. وقد قام قائد اللواء بدعم كتيبة الطليعة وتعزيزها طوال فترة المعركة التصادمية التي استمرت زهاء ثلاثين ساعة متواصلة، حتى أنه أشرك معظم وحدات اللواء في معركة الطليعة.

حاول العدو في أثناء المعركة تطويق قواتنا من اتجاه حرفا – مغر المير، فأعطيت الأوامر إلى سرية دبابات من الكتيبة ٣٦٥، بالتحرك باتجاه مغر المير. تمكنت هذه السرية من صد دبابات العدو وتدمير سبع دبابات له، فاقدة أربع دبابات مقابل ذلك. وهكذا تم تأمين حماية المجنبة اليسرى للقطيع الدفاعي. وبعد أن تم إيقاف العدو وكسر شوكة هجومه من جراء الخسارة الكبيرة التي تكبدها في الأرواح والعتاد، اضطر للانتقال إلى الدفاع والتشبث بالخط الذي وصل إليه، مزرعة بيت جن – تل الشمس. كانت معركة الطليعة من أعنف المعارك التصادمية التي خاضتها دباباتنا ودبابات العدو. وقد كان للاستبسال والشجاعة والمقاومة العنيدة والتضحية دور كبير في شل إرادة العدو المتقدم ومنعه من تحقيق أهدافه وإرغامه على التوقف.

– أحد الضباط غير دباباته ثلاث مرات واستشهد في الثالثة.

– **أطقم الدبابات** أعادت تذخير الدبابات ثلاث مرات خلال المعركة وعلى الرغم من القصف الجوي والمدفعي. وقد استشهد عدد من الرجال في سبيل هذه المهمة.

– **أحد العناصر بقي** وحيداً في دبابته بعد أن استشهد كل رفاقه، واستمر يرمي في الدبابة إلى نهاية اليوم الثاني من المعركة.

- **سرية الدبابات** كانت تُدمر بكاملها ولا يبقى فيها سوى دبابة أو دبابتين، ومع ذلك تتابع القتال صامدة في مكانها ولا ترجع خطوة واحدة إلى الوراء، ويستمر صمودها إلى أن يأتيها التعزيز والدعم.

سرية تُدمَر بكاملها أيضاً، ومع ذلك فإن قائد الكتيبة يُعطي أوامره للسرية الثانية لكي تحل محلها، وكان قائد السرية يتقدم بكل رباطة جأش، عالماً أن الذين ذهبوا قبله لم يعودوا.. لكنه يقوم بالمهمة ولا يسأل عن النتيجة «لقد كان الوطن أغلى من كل شيء» وكانت هتافات رجال الدبابات مسموعة على اللاسلكي (لعيون الوطن)... وقد اعترف العدو الإسرائيلي بضراوة معركة الدبابات التي جرت في مزرعة بيت جن في إحدى النشرات التي وزعها على عناصره عشية اليوم الثاني من المعركة، تقول النشرة: «إن العمليات الحربية التي نديرها مع السوريين في المزرعة قاسية ومرة.. لا فراغ لدينا لنأكل.. رجال المدرعات يغوطون في العلب الفارغة المخصصة للأكل.. الدبابات تقاتل على مسافة التناطح... دبابة تنطح دبابة».

كانت خسائر العدو في هذه المعركة ٣١ دبابة ومجنزرة وكانت خسائرنا ٢٦ دبابة، وناقلة مدرعة واحدة، وعربة صحية واحدة.

تم تنظيم إغارة مشتركة في يوم ١٠/١٤، (أكتوبر) ١٩٧٣م، قوامها الدبابات من اللواء ٦٥، والمشاة المغاوير من سرايا الدفاع.

وفي اليوم نفسه، وبينما كانت المعركة قد بلغت ذروة ضراوتها على محور حَضَرْ - مزرعة بيت جن، وقواتنا تقوم بصد العدو وتدميره بكل بسالة، كانت قواتنا تقاتل العدو أيضاً على محور القنيطرة - سعسع. وهو محور تعرف القيادة العامة شأنه وخطره، لذلك أمرت قائد اللواء ٦٥ أن يقوم بتعزيزه بسريتي دبابات وتم تنفيذ هذا الإجراء على الفور وتقدمت دباباتنا بسرعة فائقة وضربت العدو من جنبه اليساري ودمرت له أربع دبابات ومجنزرتين وأرغمته على التراجع إلى خلف تل شمس.

جرى تشكيل مجموعة إغارة مؤلفة من السرية الثانية المعززة بفصيلة مشاة في بيتيما، في ١٠/١٥ (أكتوبر) ١٩٧٣م، وسرية مغاوير من الوحدات الخاصة مع ضابط الارتباط المقدم **عبد الله شاكر** وبعد تنسيق ليلي مع سرية من القوات الخاصة بقيادة الرائد **سليمان عيسى**، كانت المهمة تقضي بأن تقوم القوات الخاصة من اتجاه دربل ومن اتجاه حينة بمفاجأة العدو وتدمير كمائنه ودباباته وتمشيط المزرعة من جميع القوات المعادية تحت حماية نيران الدبابات والمدفعية، بعد ذلك تُعطى إشارة إلى الدبابات التي احتلت خطاً على الحد الشمالي الشرقي، للمزرعة، بالتقدم واحتلال جنوب غربي المزرعة، ثم تتقدم قوات أخرى من الدبابات لتعزيز الاحتلال، وقد قام قائد اللواء بوضع سرية دبابات بقيادة قائد الكتيبة /٣٥٤/ خلف السرية المهاجمة، مهمتها دعم الأعمال القتالية لقوات الإغارة وتعزيز القوات المهاجمة. وكلف قائد الكتيبة - ٣٥٤ - بقيادة القوات عند اشتراك السريتين معاً. قام قائد اللواء بتنظيم كمين مؤلف من فصيلة دبابات جنوب كفر حور وكمين آخر من فصيلة دبابات أخرى من الكتيبة - ٣٦٥ - عند مغر المير، حاسباً حساب احتمال أي خرق معاد للقوات الأمامية، سواء على محور بيتيما أو على محور بيت سابر.

بدأت العملية على أساس وجود أربع دبابات معادية معززة فقط في المزرعة وكانت ساعة البدء - ٣,٣٠ وفعلاً بدأ الهجوم **الساعة - ٤,٣٠-** ولكن الدبابات المعادية لم تكن أربعاً كما جاء في التعليمات المعطاة، واتضح وجود - ١٧ - دبابة مع الصواريخ م/ د وغيرها، ولم يمض نصف ساعة على بدء عملية الإغارة حتى طلبت هذه القوات النجدة حيث تركها العدو تدخل القرية بدون أن تشاهد شيئاً يذكر، لأن العدو انسحب ليلاً من أماكنه التي قامت القوات الصديقة باستطلاعها نهاراً. وعندما دخلت القوات الخاصة، طوقها العدو مما اضطرها لطلب النجدة، عند ذلك أمر قائد اللواء ٦٥ المدفعية بالرمي فوراً على الأطراف. وتقدمت الدبابات لدعم العناصر

المطوقة، وبعد مضي وقت قليل، أمكن نجدة معظم القوات المغيرة ولم يبق من عناصر القوات الخاصة إلا القسم المحاصر وهو قليل جداً وبقيت الدبابات تقاتل لوحدها، فعززها قائد اللواء بفصيلة دبابات من اتجاه مغر المير، واستطاعت قواتنا الصمود لاتباعها المناورة والحركة ولاستفادتها من درس المعركة الأولى. وقد تقدمت المجموعة والتفت من اليسار. ولولا فقد عنصر المشاة لأمكن استرجاع المزرعة لأن خسائرنا بالدبابات كانت كبيرة بسبب الكمائن المعادية من أسلحة م/د الصاروخية، سواء المحمولة منها على العربات أو الفردية.

في أثناء المعركة، حاول العدو أن يطوق الكتيبة – ٣٥٤ – من اليسار من اتجاه حرفا، فكلف قائد اللواء فصيلة دبابات من الكتيبة – ٣٦٥ – بالتقدم من اتجاه مغر المير وصد الهجوم المعادي بضربة من الجنب اليميني حيث دُمرت له دبابة، واستمر القتال العنيف هذا اليوم حتى المساء وحتى آخر دبابة. لقد دمر معظم دبابات الكتيبة ٣٥٤ ولم يبق سوى قائد الكتيبة بدبابته مع أربع دبابات من الكتيبة ٣٦٥ احتلت الخط المحدد وتمسكت به حتى وقف إطلاق النار.

وكانت نتيجة المعركة كما يلي:

خسائر العدو: ٤٣ دبابة بالإضافة إلى عدد من العربات المجنزرة دُمرت بنيران المدفعية والطيران، وعدد كبير من القتلى والجرحى.

أما خسائرنا فكانت تدمير ٢٥ دبابة وعُطب ثلاث واستشهاد أو جرح معظم أطقم الدبابات الصديقة المدمرة[١].

وفي الأيام التي تلت هذه المعركة كان الموقف عبارة عن دفاع هادئ يتخلله محاولات تقدم لقوات العدو على اتجاه المزرعة وعلى اتجاه: حرفا – مغر المير وكانت تصد بالدبابات والمدفعية، وكانت خسائر العدو في هذه

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس ، مرآة حياتي ، ج٣، مصدر سابق ، ص٧٧٥.

الفترة أكثر من خسائرنا بكثير، وقد تخلل هذه الفترة، في كل يوم، تنظيم إغارات على العدو أعطت ثمارها، إذ استولت عناصر الإغارة على ثلاثة قواذف صاروخية أُرسلت للقيادة ورافق هذه الفترة رمايات متواصلة من المدفعية على محاور التقدم من إتجاه: حرفا المزرعة. أو من اتجاه: الطرنجة – المزرعة. أو على أي تجمع معاد يكتشف بواسطة الرصد.

ومما يجدر ذكره أن الرصد الدقيق الذي قامت به قواتنا كان تأثيره كبيراً في تدمير دبابات العدو ومشاته وزعزعة قواه المعنوية وإنزال خسائر كبيرة فيه.

لقد قاتل اللواء المدرع ٦٥ في يومه الأول والثاني في ١١ و ١٢/١٠/١٩٧٣م وحتى ظهر يوم ١٣/١٠/١٩٧٣م وهو يخوض معارك تصادمية على اتجاه: بيتيما – مزرعة بيت جن وعلى اتجاه: مغر المير – حرفا، قتالاً بطولياً أجبر العدو على التوقف وقطع أمله باحتلال بيتيما – عين البرج وقطع طريق عيسم الفوقا – وموقع جبل الشيخ وفرض الحصار على القوات الموجودة هناك، وبالتالي تهديد قطنا – سعسع. وكان للسيطرة الكاملة التي تمكن منها قائد اللواء وقيادته المباشرة، من مقر رصده المتقدم في كفر حور، تأثير كبير في شجاعة المقاتلين واستبسالهم.

ولم ينتقل اللواء للدفاع إلاّ في اليوم الثالث من المعركة وبعد أن أوقف هجوم العدو بمعارك تصادمية اشترك فيها أكثر من ثلثي قوات اللواء.

قام هذا اللواء أيضاً بتخصيص جزء من قواته لصد العدو المتقدم على اتجاه سعسع، واستطاع دحره وتحويله عن هذا الاتجاه على الرغم من أن العدو أعلن في إذاعته عن سقوط سعسع بيد قواته، واستطاعت قواتنا دحره إلى مكان أقل خطورة.

إضافة إلى كل ما ذكر، قام هذا اللواء بأعمال نجدة الدبابات والعتاد المدرع وإخلائها تحت تأثير نيران العدو وإعادته إلى المعركة بسرعة متعاوناً

في ذلك مع سرايا الإخلاء والنجدة في الجيش التي قامت بدور بارز في هذا المجال.

معركة مزرعة بيت جن وقرية بيت جن

١٣ - ١٤ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣م

في تاريخ ١٣ تشرين الأول ١٩٧٣م كُلفت الوحدة ٥٦٩ بالقيام بإغارتين، إحداهما على مزرعة بيت جن، والأخرى على قرية بيت جن. وقد خُصصت لتنفيذ هاتين الإغارتين مجموعتان من مقاتلي الوحدة ٥٦٩، انطلقتا في **الساعة ١,٣٠ من يوم ١٤ تشرين الأول** لتنفيذ المهام المسندة إليهما، بقيادة النقيب **فيصل ديب.**

قُسمت مجموعة الإغارة على مزرعة بيت جن إلى زمرة حماية وزمرة اقتحام. وفي **الساعة ٢,١٥ من يوم ١٤ تشرين الأول**، تحركت عناصر الإغارة بقيادة **الملازم عادل حمامة** على يمين محور المزرعة ويساره. وتمكنت من التقرب إلى تخوم المزرعة اليمينية. كانت المفاجأة التي قام بها المغيرون صاعقة. فالتقرب تم بمهارة وثقة وهدوء، لم يشعر العدو إلا والمغيرون ينقضون على دباباته في الحفر، ويهاجمونها بالأسلحة والقنابل المضادة للدبابات، وفجأة فتح العدو نيران رشاشاته بغزارة من المزرعة والمخفر وأضاء المنطقة بالشهب المضيئة.

كان لدعم الدبابات الصديقة بالنيران أهمية عظيمة في سير عملية الإغارة، فقد ساعد المغيرين على متابعة التقدم ضمن مزرعة بيت جن، حيث كانت تكمن دبابة إسرائيلية قرب المدرسة على الطريق العام. قام بعض المغيرين بتدمير الدبابة التي اشتعلت وتحولت بسرعة إلى كتلة من النيران والدخان. كما دمّر المغيرون دبابة معادية أخرى كانت تكمن في جنوب القرية. **وفي هذه الأثناء فتح العدو نيرانه المؤثرة على مجموعة الإغارة من**

جميع الجهات، الأمر الذي أعاق تقدمها واضطر قائد المجموعة إلى أن يجمع عناصره المتبقية، ويوزعها على محور حرفا، ويبدأ الرمي على المخفر ويدفع بجزء من قواته إلى يسار القرية، حيث استطاع التسلل عبر المنازل. وعلى الرغم من غزارة نيران العدو تمكن هذا الجزء من تدمير آلية ورشاش عيار ١٢,٧مم للعدو. وما هي إلاّ دقائق حتى بدأت مدفعيتنا بقصف القرية. وعبرت السماء فوق رؤوس المغيرين مجموعة من طائراتنا، محلقة في ثقة وهدوء، ثم أخذت تنقض الواحدة تلو الأخرى فوق العدو المتحشد في المنطقة اليسارية من القرية. وبعد قرابة ساعة، قام الطيران المعادي بقصف القرية ذاتها، وقد استشهد في أثناء القصف قائد الزمرة الثانية الملازم **محمد أحمد إسماعيل.**

وفي الساعة ١٢,٠٠ من يوم ١٤ تشرين الأول، قامت مجموعة من دبابات ومجنزرات العدو بمحاولة تطويق قوة الإغارة في القرية. أمر قائد القوة بالامتناع عن فتح النيران، والسماح للعدو بالتقدم حتى مسافة قريبة جداً. ونفذ المقاتلون هذا الأمر. فسمحوا للعدو بالتقدم نحوهم مسافة قريبة، وفجأة أمطروه بنيرانهم. ولكن دبابات العدو المهاجمة حاولت على الرغم من ذلك اختراق ستارة النيران والتقدم إلى الأمام. وحاول الإسرائيليون الالتفاف حول قواتنا وتطويقها، لكن المغيرين قاموا بمناورة سريعة ووجهوا إليهم ضربة عنيفة، ثم انتقلوا للدفاع عن المنطقة قرب جسر حرفا.

وكانت خسائر العدو في هذه الإغارة تدمير خمس دبابات وعربتين مجنزرتين ودُمر لنا ست دبابات. واستشهد قائد المجموعة النقيب البطل فيصل ديب من الوحدة ٥٦٩.

أما مجموعة الإغارة الثانية، فقد انطلقت في **الساعة ٢٤,٠٠ من يوم ١٣ تشرين الأول** بقيادة الملازم **علي سليمان** باتجاه أهدافها. وفي **الساعة ٤,٠٠ من يوم ١٤ تشرين الأول** وصلت قرية بيت جن. وكان العدو قد غادرها، قبل ثلاث ساعات من دخول مجموعة الإغارة. نظمت قواتنا دفاعاً

دائرياً عن القرية. وقد أفاد المدنيون أن دبابات ومجنزرات العدو لم تتمكن من متابعة التقدم باتجاه مزرعة بيت جن، بسبب تفجير الملغمة على المحور المؤدي إليها. قام العدو عندئذ بشق طريق ضمن قرية بيت جن، واحتلها. واستدعى من بقي من سكان القرية ومعظمهم من الشيوخ والعجزة بواسطة مكبرات الصوت، وجمع الأسلحة من المواطنين وأحرقها. وعندما حاول بعض المدنيين التملص والهرب، أطلق العدو النار عليهم وقتل بعضهم. بعد ذلك انسحب باتجاه قرية حضر.

دمرت عناصر الإغارة دبابة معادية في الساعة ٩,٣٠ من يوم ١٤ تشرين الأول كانت تقوم بدورية على طريق مزرعة بيت جن. وفي **الساعة ١٢,٠٠ من يوم ١٧ تشرين الأول** تقدمت فصيلة معادية، تدعمها الدبابات والمجنزرات بقوام ١٢ آلية متنوعة. توقفت هذه الآليات جنوب القرية، وأخذت تحمي بنيرانها فصيلة المشاة التي راحت تهاجم القرية. اشتبكت قوة الإغارة بالعدو المهاجم. وحمي وطيس المعركة بين قواتنا وقوات العدو. حارب المغيرون ببسالة رائعة وتفان مدهش. وكانوا يوجهون الضربات إلى العدو، ويلحقون به الخسائر في الأرواح والمعدات.

كانت المعركة في ذروة اشتعالها، وتناثرت هنا وهناك بعض الدبابات المدمرة والمحترقة... تمكنت مجموعة الإغارة من قتل قائد الفصيلة الإسرائيلية، تابع العدو هجومه، ودخل قرية بيت جن، واستطاع قسم من عناصره الالتجاء إلى مسجد القرية.

تميزت المعركة بقدر كبير من العنف والضراوة. ونشبت الالتحامات المباشرة بالسلاح الأبيض والقنابل اليدوية بين المقاتلين السوريين والمعتدين الإسرائيليين.

غطت سماء القرية غشاوة من الدخان والغبار. وتساقطت بعض العناصر متأثرة بالشظايا المتناثرة. وأُصيب في هذه المعركة المتلاحمة الملازم حكمت كريدي ومقاتلون آخرون.

زج العدو في المعركة بقوى جديدة، فانسحبت مجموعة الإغارة من قرية بيت جن مدمرة في طريقها دبابة معادية.

كفاح الاحتياط المضاد للدبابات رقم ١

لقد قاتل الاحتياط م/ د رقم ١ للجيش خمسة أيام بلياليها كان فيها مثالاً للصمود.

احتل هذا الاحتياط تسعة خطوط قتالية تعرض فيها جميعاً لقصف المدفعية والصواريخ أرض/ أرض، وأحياناً لقصف الطيران. وكثيراً ما استمر القصف المدفعي ليلاً ونهاراً، ولاسيما في خط أوفانا وتل الشمس. كذلك قام بتنفيذ المناورة إحدى عشرة مرة، فكان، في مناورته وفي مقارعته العدو، مثال الانضباط والجرأة والتضحية والحزم.

ففي خط أوفانا احتل الاحتياط م/ د رقم ١ للجيش الخط تحت قصف المدفعية والصواريخ أرض/ أرض. وظل خلال ثلاثة أيام هدفاً لرمي الصواريخ والمدفعية والدبابات والطيران. حتى أن قائد الاحتياط ونائبه ومعهما ضابط آخر وصف ضابط، تعرضوا جميعاً لقصف جوي من طائرتي سكاي هوك وعلى ارتفاع ١٠٠ م فقط. واعتبرت تلك اللحظة عيد ميلاد لهم جميعاً، إذ لم يصب سوى قائد الاحتياط رقم ١ بتمزق غشاء الأذن اليسرى ونزف دموي يسير، فاستبشر الجميع خيراً.

احتل الاحتياط م/ د رقم ١ الخط دون وجود حفرة واحدة يستفيد منها، ولكن عوامل عدة، كحسن استثمار الأرض والانضباط الحازم والتمويه وسرعة الاحتلال بالتوجيه اللاسلكي الذي قام به قائد الاحتياط، حتى مستوى الجماعات – وكذلك ثبات العناصر في الأرض وبقائهم لفترة طويلة بدون حركة وسيطرة القادة على مختلف المستويات، فوتت على العدو فرصة النيل منه بأي سلاح كان.

لقد اشتبك الاحتياط م/ د رقم ١ بالعدو خلال يومين متتاليين ثلاث مرات، دُمر للعدو فيها ثماني دبابات من نوع سنتوريون، ولم يدمر لنا فيها سوى عربتين أصابتهما نيران المدفعية غير المباشرة.

وقف الاحتياط م/ د رقم ١ للجيش، بكامله في وجه العدو صامداً جلدا تحت قصف مدفعيته، متشبثاً بالأرض بعزم وثبات ولمدة ثلاثة أيام بلياليها، مترقباً ظهور أية دبابة معادية. لم يمض الاحتياط يوماً بترتيب قتاله الذي سبق. وإنما كان في كل يوم تطوير جديد في ترتيب قتاله ومهمات جديدة أخرى.. وذلك على ضوء الموقف الراهن ومما يستشف حصوله في المستقبل القريب.

في صبيحة اليوم الرابع لحرب تشرين التحريرية صدر الأمر للاحتياط م/ د رقم ١ بإخلاء الخط إلى العمق انتظاراً لتنفيذ مهمة أخرى. أُعطيت الأوامر مرمزة وأخذت الوحدات بإخلاء الخط تحت مراقبة القائد وسيطرته التامة بواسطة اللاسلكي وكان آخر من يخلي الخط هو قائد الاحتياط ضماناً لإخلاء جميع الوحدات ورفعاً لمعنويات عناصر الاحتياط م/د.

أما في تل الشمس فقد كان للاحتياط م/ د رقم ١ دور رئيسي أثناء المعركة بكاملها كحامي الظعينة الذي حمى قومه والظعينة حياً وميتاً.

ففي الحادي عشر من شهر تشرين الأول في الساعة الخامسة عشر كان الاحتياط م/ د قد احتل خط تل الشمس بناء على أمر القيادة العامة. مضى الليل بدون أي حادثة تذكر. واستيقظ الجميع في الخامسة صباحاً وأخذت مناظير العربات ونظاراتها تمسح أرض المعركة عمقاً واتجاهاً. وفي الساعة السادسة والنصف حررت الصواريخ من على السكك وانطلقت ثلاثة منها بكل ثقة حتى وصلت أهدافها، فأحالتها طعماً للنار. تقدمت عندئذ سرية دبابات معادية من طراز سنتوريون على المحور حلس (الكمب) – تقاطع محور حلس مع محور دورين – الويسه وخلفها على المدى البعيد ما يقارب ثلاثين دبابة.

وفي آن وصلت أربع طائرات ميغ ١٧ وامتلأت منطقة الأهداف غباراً ودخاناً دون تمكن الاحتياط م/ د من تمييز الدبابات للرمي عليها، فأوقف الرمي.

لم تعد تقترب دبابات العدو من خط نار الاحتياط م/ د. وتابع الجميع، ضباطاً وصف ضباطاً وأفراداً، مراقبة أرض المعركة وإعلام القائد على الفور[١].

استمر القصف المدفعي المعادي من الصباح حتى المساء بدون انقطاع. وقام طيران العدو بقصف ترتيب قتالنا وعلى فترات قصيرة بدون جدوى. ثم عادت دبابات العدو للهجوم بعد فترة قصيرة سبقها قصف شديد بالمدفعية وتقدم عدد من الدبابات يقارب الثلاثين. وعلى المدى البعيد كانت تبدو دبابات معادية وهي تتقدم على المحور أيوبه – الويسه – والمحور خان أرنبه الويسه. وكذلك حرفا – حلس. عند ذلك رأى قائد الاحتياط م/ د **المقدم علي هرمز** من المناسب أن يذكر رفاق السلاح حماة الوطن أنهم جميعاً جنباً إلى جنب قادة ومرؤوسين. وقد حان وقت الحصاد ونحن أمام الواجب، أمام تأدية الأمانة. وقال لهم بالحرف الواحد: «رفاق، هنا تل الشمس – هنا ساحة الشرف – لنا النصر أو الشهادة.. نار».

لقد سبق لقائد الاحتياط م/ د أن قال لعناصره في أحد الدروس العملية والتدريب على تنفيذ النار وقيادتها، قبل الهجوم المعادي بيوم واحد: «إننا نعلّمكم هنا كيف تقتلون العدو، إني لن آخذكم للمعركة من أجل أن تستشهدوا فقط بل من أجل أن تقتلوا العدو أيضاً.. لتدفعوا خطره عن الوطن وتعيشوا مع أسركم وأولادكم بأمن وسعادة».

وبعد فترة قصيرة لم تبلغ الساعة الواحدة، عاد العدو يختبئ في الأحراش وخلف الصخور البعيدة في الوهيدات مخلّفاً وراءه خمس عشرة

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس ، مرآة حياتي ، ج٣، مصدر سابق ، ص٧٨٣.

دبابة تحترق. لقد أخطأت بعض الصواريخ أهدافها ولكن القسم الأعظم منها وصل إلى أهدافه بكل تأكيد وأصيبت أكثر من دبابة بأكثر من صاروخ - مما زاد من نقمة العدو فأخذت مدفعيته تصب نيرانها على تراتيب قتال الاحتياط م/ د رقم (١) بشدة وضراوة.

عاد العدو للمرة الثالثة ولكن هذه المرة تقدم في المواجهة وبالالتفاف من اليمين. لم يكن حظه في المواجهة بأفضل مما سبق إلاّ بفارق الأهداف المعادية المدمرة وهي ثلاث عشرة دبابة معادية من نوع سنتوريون، وصهريج وقود ومقتل عدد من عناصر العدو كانت تقف إلى جانب الصهريج.

ولكن الدبابات التي قامت بالالتفاف كانت بحدود ثلاث عشرة دبابة كلها من نوع سنتوريون، فأمر قائد الاحتياط المجموعة رقم ثلاثة بتغطية هذا الجانب فلم يُجدِ ذلك، فأمر المجموعة رقم خمسة بتغطية الجانب الأيمن ولكن هذه العملية لم تُجْدِ أيضاً. فأمر قائد الاحتياط المجموعة رقم واحد بالتحرك وكذلك الملازم محمود من المجموعة رقم أربعة بالتحرك مع قاذفين لتنفيذ المهمة ونُفذت المناورة ودُمر للعدو ست دبابات بسبعة صواريخ فقط وفي أقل من دقيقتين. أما الدبابات الباقية فقد استطاعت اجتياح مؤخرة الخط من اليمين مجبرة الاحتياط م/ د على الإخلاء. ولكن هذه السرية التي دُمر نصفها لم تجرؤ على التوقف في منطقة الخط أو احتلاله بل تابعت باتجاه الغرب مخلية الخط لأن الذين اخلوا الخط من الصديق لا يتجاوزون العشرين عنصراً كما كان ظاهراً.

قام الاحتياط م/ د باحتلال الخط مرة أخرى في الساعة ٥,٣٠ من صباح اليوم التالي.

استمر قصف مدفعية العدو على الخط طوال النهار. ولكن لم تتقدم فيه سوى دبابة واحدة تُركت حتى وصلت على مسافة ٨٠٠م من عربات

القواذف. ولما يئس قائد الاحتياط من مجيء أو تقدم أية دبابة أخرى سمح للرقيب الأول ساروت برمي صاروخ واحد عليها، ولم تمضِ سوى ٨ إلى ١٠ ثوان حتى استقر الصاروخ في بطنها وأحالها ناراً ودخاناً.

لقد نشبت معركة تل الشمس بعد وعد عجز عن تنفيذه موشي دايان بجيشه الذي لا يقهر كما تدعي العنجهية الصهيونية. وكما زيفت الدعاية الصهيونية الإمبريالية وضللت. وعد هذا الرجل المغرور العالم بأنه خلال ساعات سيكون مع جيشه في دمشق. ألم يقرأ التاريخ ليعلم أن لعلي وخالد وطارق أحفاداً عاهدوا أمتهم على التضحية والوفاء.

لقد قاتل هذا الاحتياط رقم ١ كتلة واحدة، قلباً وروحاً، قادة ومرؤوسين.

لقد صبروا لأيام طويلة صبر الحديد على النار ودفع العدو الثمن. وهذه بعض الصور عن تماسك أفراد هذا الاحتياط وبطولاتهم.

قائد جماعة الشهيد الملازم دلول:

كان مثال الرجل، مثال المقاتل الشجاع. لقد دخل المعركة رقيباً أول، قائد جماعة. ولما دُمرت عربته الأولى واستشهد سائقه إلى جانبه، تسلم عربة أخرى لم تلبث أن دُمرت أيضاً مع إصابة سائقها إصابات بالغة دخل بعدها المستشفى وما تزال الشظايا تملأ جبينه، وتسلم العربة الثالثة. وهكذا كان فرسان أمتنا العربية، من صهوة جواد كبا إلى صهوة جواد أخرى حتى بلوغ النصر أو الشهادة... أجل.. لقد استشهد هذا البطل وأعطى كل ما يمكن أن يقدمه لوطنه.. لأمته... لأسرته.. لأطفاله.. بعد أن دمر للعدو أربع دبابات في معركة **يوم ١٢/١٠/١٩٧٣م.**

قائد جماعة الملازم عبد الرحيم الخطيب:

لقد كان هذا المقاتل الشجاع مثال البطولة. قاتل وحيداً في عربته وهو يعمل سائقاً ورامياً في آن واحد واستطاع أن يُدمر ثلاث عشرة دبابة، ثلاث

منها في أوفانا وعشر منها في تل الشمس في ١٩٧٣/١٠/١٢م في معركة واحدة. وتقديراً لهذه المأثرة، **منحته القيادة وسام بطل الجمهورية ورقي إلى رتبة ملازم.**

وهذه صورة أخرى لبطولات الاحتياط م/ د رقم ١ كما يرويها المقاتل رشاد بزاخ بقلمه:

«لقد هيأنا أنفسنا لخوض المعركة وكنا مطمئنين إلى الانتصار فيها، لما كنا نلمسه ونراه من الاستعدادات العسكرية في قواتنا سواء منها القوات البرية أو وسائط الدفاع الجوي التي كنا نشاهدها عن كثب. وكانت تغمرني رغبة صادقة في أن أكون طليعة المقاتلين الذين سيعبرون الخندق الأول المعادي. وكنت أشتاق كثيراً إلى رؤية قرانا الحبيبة علينا من مرتفعات الجولان.. تل البريقة، بير عجم، القنيطرة، والمنصورة، لأنني كنت قد أمضيت فترات جميلة من أيام شبابي فيها. ما كنت أصدق أن تنشب المعركة مرة أخرى لنسترد تلك الربوع الحبيبة.

وعندما بدأ التمهيد المدفعي، كانت الأوامر أن يكون كل قائد جماعة قريباً من عربته مستعداً للتحرك خلف قائد السرية. وعندما رأيت عربة زميلي الرقيب أول **مصطفى صويص** التي عُينت عربة استطلاع للسرية تتحرك، أسرعت لمساعدته في نزع شبكة التمويه اختصاراً للزمن حتى ثوانٍ معدودة، لأنني كنت مستاءً من بقائنا في منطقة التمركز بعد بداية التمهيد، وكنت لا أتصور أن لا يكون لنا دور في المعركة إذا نجحت القوات الصديقة في تحرير الأرض. وتخيلت نفسي وأنا أستمع إلى قصص البطولات من رفاقي المقاتلين الذين نالوا شرف تحرير الأرض ووفروا علينا عناء الاشتباك بالعدو. ولكن تطورات المعركة أتاحت لي أن أُكلف بمهمة المناورة بأمر من قيادة الاحتياط م/د رقم ١ التي كلفت الملازم محمود عبد الحميد بتنفيذها بعربتين. وكانت العربتان لي ولزميلي الرقيب الأول مصطفى صويص. كان

هدف المناورة تدمير ست دبابات معادية تسلقت إلى تل الشمس لتأسر قيادة الاحتياط أو تدمرها، وقد قطعت هذه الدبابات الطريق العام - سعسع - دورين من الجهة الشمالية الغربية. وكنا نحن في الجهة الجنوبية من تل الشمس، وكانت المناورة تتطلب أن نلتف حول التل من اليسار ونقطع مسافة تقارب **ستة كيلو مترات**، حتى أصبحنا خلف الدبابات المعادية بدون أن ترانا، وقد وصلت عربتي إلى مسافة أقل من خمسماية متر منها وهي المسافة التي لا تمكنني من قيادة الصاروخ. عند ذلك تدخل الملازم محمد عبد الحميد وأعطاني أمراً بالرجوع إلى الخلف مسافة ٢٠٠ متر. وبعد وقوفي على يمين الطريق بـــ **١٠٠ متر**. أخذت أراقب بالمنظار مبتدئاً من الجهة اليمنى فلم أرَ شيئاً، فتابعت المراقبة باتجاه اليسار فوجدت دبابة لا تبعد سوى ٩٠٠ متر عني أخذت أدقق النظر فيها وأنا أتذكر صور الدبابات المعادية التي كنت أراها في ندوة الجنود.

عرفت أنها دبابة معادية من نوع سنتوريون وكانت الدبابات الباقية وراءها على مسافات غير بعيدة وكلها تصعد إلى التل. وكانت الدبابة السادسة آخر دبابة عبرت الطريق العام. وبعد هذه الجولة أعدت المنظار إلى الدبابة الأولى ورميتها بصاروخ، ومنذ أن انفجر الصاروخ في الدبابة انطلق الصاروخ الثاني إلى الدبابة الثانية وكنت أريد أن يسرع الصاروخ أو أن يذهب بنفسه للهدف (بدون قيادة وتوجيه)، لأنني كنت أضعه على المسار الصحيح، كي أطلق الصاروخ التالي على هدف جديد. ولكن بعد إصابة الدبابة الثالثة بالصاورخ الثالث، تهيأ لي أنها تتحرك فصممت على أن أرميها بصاروخ آخر وهكذا كان وانفجرت الدبابة. وكانت الرابعة تناور باتجاه اليسار ولكنها لم تكد تنتهي من مناوراتها حتى أصبتها جبهياً، وحركت المنظار باتجاه الخامسة وكانت تدور حول نفسها بقصد الانسحاب فأطلقت عليها الصاروخ السادس وأصبتها وانفجرت.

لم يبقَ على السكك طلقات صاروخية. وبقيت دبابة في أرض المعركة، فأمرت السائق أن يلقم صاروخاً على السكة وأخبرته أن يعلمني عن الجاهزية على الفور. فدخل من النافذة التي تصل مقر القيادة بالقاذف ووضع صاروخاً على إحدى السكك وقال: جاهز. وما أن لفظها حتى ضغط على زر الإطلاق وخرج الصاروخ إلى الهدف والسائق ما يزال في غرفة القاذف. وكنت أفكر وأنا أوجه الصاروخ إلى الهدف: هل أصيب السائق أم لا؟... وكان علي أن أنتظره ريثما يخرج من غرفة القاذف إلى القيادة، كانت الدبابة تنسحب ولم يظهر منها سوى البرج والسبطانة وبعد إصابتها رأيت بعض الجنود ينسحبون منها ويهربون.

استغرق تدمير الدبابات الست زهاء دقيقتين. وبعد ذلك لقمت العربة بنفسي وخرجت منها أفتش عن الأهداف. وهنا اندفع الملازم محمود ليعانقني بحرارة. لم أكن أخشى في أثناء الرمي ميل العربة الشديد الذي بلغ قرابة خمس درجات، بينما الميل المسموح به ثلاث درجات كحد أقصى. قلت للملازم محمود أرني دبابات لأدمرها، وكان الملازم محمود قد منع زميلي من الرمي وكلفه حماية الجانب الأيمن من المربض».

لقد كان لتدمير كل دبابة معادية في أرض المعركة قصة بطولية كاملة ابتداءً من اقتراب الدبابة من خط النار، إلى اكتشافها من قبل أحد قادة الجماعات أو الضباط، ثم وقوف قيادة الاحتياط على حقيقة الأمر وتبدأ عملية السيطرة الحكيمة على النار، فقد يكون الرامي الذي رأى الهدف مضطرباً لشدة نقمته على العدو. وإن تريثه بناءً على أمر القائد يهدئ أعصابه شيئاً فشيئاً. إنه يريد أن يرمي الهدف على الفور من رؤيته. أما أوامر القائد فهي: «انتظر، لم يدخل خط النار بعد... النار بأمر من القائد.. تابع مراقبة الهدف.. الحد الأقصى في المكان كذا». كل ذلك امتصاص لنقمة الرماة وتهدئة لأعصابهم. حتى إذا ما دخل الهدف إلى خط النار وأخذ الرامي أمراً بفتح النار يكون في ظروف نفسية مواتية لتدمير الهدف، هادئ الأعصاب، واثقاً

من أن الهدف أصبح داخل المدى المجدي للصاروخ. وكان الرماة يستمدون القسم الأكبر من شجاعتهم من سماع صوت قائدهم الذي يرصد مسير الصاروخ ووصوله إلى الهدف.

لقد ضحى كثيراً هذا الاحتياط م/ د رقم ١ وصمد طويلاً وأوقع الخسائر بقوى العدو المادية والبشرية، وكان مثال الشجاعة، كتلة واحدة، وجسماً واحداً بروح واحدة، من القائد حتى أدنى المرؤوسين رتبة. إنه تلاحم يثير الفخر والاعتزاز.

لقد دخلت هذه العناصر المعركة وعانتها عن كثب، عاشتها ثانية فثانية، عجمت عودهم المعركة وصهرتهم وشدت تلاحمهم أكثر فأكثر. زادت ثقتهم بأنفسهم وبأسلحتهم وبقيادتهم. كانوا مثال الجنود المنضبطين. دافعوا دفاع الأبطال عن وطنهم وعن قضيتهم. هؤلاء هم جنود الاحتياط م/ د رقم ١ للجيش الشجعان.. قاتلوا في حرب تشرين التحريرية بكل شرف وبسالة فاستحقوا بذلك تقدير الوطن ومحبة الشعب، وتكريماً للأعمال المجيدة التي قام بها احتياطاً م/د الجيش رقم ١، منحت القيادة العامة المقدم الركن **علي هرمز** قائد الاحتياط م/ د وسام بطل الجمهورية. كما منحت علم الفوج ٦٥ الذي ينتمي إليه الاحتياط م/ د الوسام نفسه أيضاً.

سير الأعمال القتالية الجوية

في مرحلة الهجوم الإسرائيلي المعاكس:

يوم (ي٦) ١١ /١٠ / ١٩٧٣م:

قامت القوى الجوية والدفاع الجوي بتنفيذ المهام المسندة إليها وتمكنت من صد ضربات العدو بكفاءة عالية، كما نفذت إنزالات جوية في مزرعة بيت جن وقد حصل اشتباك جوي واحد فقط أسقطنا فيه للعدو ثلاث طائرات كما خسرنا طائرتين.

ولقد تابع العدو مهمة قصف المطارات الصديقة لتحقيق السيطرة الجوية كما تابع قصف الأهداف الحيوية (الموانئ، مصفاة البترول، خزانات النفط) ونفذ العدو مهمة دعم قواته التي قامت بخرق دفاعاتنا في القطاع الشمالي من الجبهة.

بلغ عدد طلعات العدو المكتشفة ٨٧٨ طلعة طائرة، بينما بلغ عدد طلعات العدو على الجبهة المصرية ٣٥ طلعة طائرة فقط، وبدا واضحاً أن العدو يوجه مجهوده الرئيسي إلى الجبهة السورية. وهذا ما اعترف به رسمياً الجنرال موشيه دايان وزير دفاع العدو بعد وقف إطلاق النار.

وقد أسقطت وسائط دفاعنا الجوي ٧٦ طائرة، وبذلك يكون عدد الطائرات المسقطة في اليوم السادس ٧٩ طائرة[١].

يوم (ي٧) ١٢ / ١٠ / ١٩٧٣م:

نفذت القوى الجوية والدفاع الجوي المهام المسندة إليها وقامت بصد العديد من غارات العدو الكثيفة على المطارات والقوات والأهداف الحيوية. إلا أن المفخرة الحقيقية لسلاح الطيران السوري كانت تكمن بتنفيذ طلعات الدعم لقواتنا البرية التي كانت تقاتل في القطاع الشمالي من الجبهة. فلم تترك القوى الجوية قنبلة نابالم في مستودعاتها إلا وألقتها فوق رأس القوات الإسرائيلية، ولأول مرة ذاق الصهانية في حياتهم طعم النابالم الذي استخدموه في الحرب العربية الإسرائيلية الثالثة (حزيران ١٩٦٧) وفي حرب تشرين التحريرية (١٩٧٣م). كما أننا لم نبخل عليهم بالقنابل الحارقة الأخرى

---

(١) تمكنت إسرائيل في اليوم السادس للحرب من تجنيد طيارين من اليهود العاملين في سلاح الطيران الأمريكي ومن المرتزقة لتغطية خسارتها الفادحة في الطيارين. كما قامت الولايات المتحدة بتزويدها بالطائرات، لتعويضها عما خسرته في حرب تشرين التحريرية.

بأنواعها وأشكالها المختلفة، كما استخدامنا الصواريخ جو / أرض، المضادة للدبابات والآليات، بالإضافة إلى القنابل شديدة الانفجار الكلاسيكية... حتى أن اللواء ٧٠ جوي استطاع أن يقدم خلال ساعة واحدة ١٠٨ طلعات دعم بلوائه وحده.. أي أن كل طيار من طياريه قام بطلعتين أو ثلاث طلعات دعم في أقل من ساعة. إنها معجزة دونما شك نسجلها بكل اعتزاز لقواتنا الجوية ولأبطال اللواء الجوي ٧٠ ولأسراب البعث في اللواء ٧٠ ولقائد اللواء الفذ الذي ضرب مثلاً رائعاً في الجاهزية القتالية.

لقد دمر سلاحنا الجوي أرتال العدو المتقدمة باتجاه سعسع، بل أكاد أقول سحقها لكثرة ما ألقى فوقها من القنابل المحرقة والصواريخ والقنابل الشديدة الانفجار، وهذا ما زاد في رسوخ قوى قواتنا البرية، المعنوية وعزز صمودنا في مواقعها في القطاع الشمالي من الجبهة، ومكنها من تدمير دبابات العدو التي نجت من ضرباتنا الجوية. وقد بلغ عدد الاشتباكات الجوية ثمانية اشتباكات أسقطنا فيها للعدو أربع طائرات كما بلغت خسائرنا في الاشتباكات بالوسائط المضادة المعادية، ١٥ طائرة بالإضافة إلى طائرتين عراقيتين. كما أسقطنا للعدو بالوسائط المضادة ثلاثين طائرة وبذلك تبلغ خسارة العدو في **اليوم السابع للحرب أربعاً وثلاثين طائرة.**

يوم (ي٨) ١٣ / ١٠ / ١٩٧٣م:

تابعت القوى الجوية والدفاع الجوي تنفيذ المهام المسندة إليها وصدت ضربات العدو بنجاح. كما كان الدعم الجوي للقوى البرية فعالاً وأسهم، بالإضافة إلى نيران المدفعية السورية والوسائط المضادة للدبابات والدبابات، في تسمير العدو الإسرائيلي في مكانه وحالت دون حريته في المناورة والحركة وألحقت به خسائر فادحة.

وفي هذا النهار، اشتبكت قواتنا الجوية بطيران العدو مرتين، أسقطنا فيها للعدو **أربع عشرة طائرة** وخسرنا ثماني عشرة طائرة، منها طائرتان عموديتان.

يوم (ي٩) ١٤ / ١٠ / ١٩٧٣م:

قامت القوى الجوية متعاونة والدفاع الجوي بمهمة صد الضربات الجوية الكثيفة المعادية ومهمة تغطية القوات ودعمها، كما نفذت بعض طلعات الدعم والاستطلاع الجوي واشتبكت مرة واحدة بطيران العدو. وكانت خسائر العدو في هذا اليوم طائرتين وخسارتنا ثلاث طائرات بالإضافة إلى طائرتين عراقيتين أسقطتهما نيران وسائط الدفاع الجوية المعادية.

وقد ركز العدو جهوده الجوية على مطار المزة متوخياً إخراجه من المعركة وشل فعاليته لأطوال مدة ممكنة (وذلك لتخفيف ضغط مقاتلاتنا القاذفة على قواته البرية). ولتحقيق هذه الغاية ركز العدو على تدمير المهابط والمنشآت الفنية ومراكز تجمع العاملين في المطار. ولكن شجاعة رجال قاعدة المزة الجوية وصلابتهم، أحبطت مساعي العدو ونواياه الخبيثة، وكان لتضحية الضباط وصف الضباط والجنود والعمال الفنيين أكبر الفضل في إعادة القاعدة إلى العمل من جديد بعد الغارات الجوية في وقت قصير لم يبلغ ساعة واحدة، في أسوأ الحالات.

كما كان للعمال المدنيين الذين وضعهم السيد **محمود الأيوبي رئيس مجلس الوزراء** تحت تصرف المجهود الحربي إبان حرب تشرين التحريرية، دور فعال في مساعدة القواعد الجوية على امتصاص نتائج القصف الجوي المعادي وإعادة المطارات الحربية إلى العمل في زمن قياسي يعتبر مفخرة لجيشنا وشعبنا.

العمليات القتالية البحرية
في مرحلة الهجوم الإسرائيلي المعاكس
من ١٠/١١ ولغاية ١٩٧٣/١٠/١٤م

المعركة البحرية الثانية:

الزمان: ليلة ١٠ – ١١ تشرين الأول لعام (١٩٧٣م).

المكان: على طول الساحل العربي السوري وعمقاً حتى (٣٠) ميل.

القوات التي اشتركت في هذه المعركة:

التبيان	زورق طوربيد	زورق صواريخ	غواصة	حوامة	سفن	وحدة غير معروفة	مد/سد
القوات الصديقة		٥					٢ كتيبة
القوات المعادية	٤ – ٦	٤	١ـ٢	٤ـ٦	١	٤	

سير المعركة:

في نهار ذلك اليوم كان العدو قد قام بقصف القاعدة البحرية (ميناء البيضاء) وأعلن أنه دمر قيادة القوى البحرية، الرادارات تعمل وفق خطتها، والمراقبة البصرية تأخذ دورها والآذان تصغي وتحصي كل صوت وكل حركة على الشاطئ. وفي البحر وفي **الساعة (٢٣,٠٠) من يوم ١٠ تشرين الأول،** ظهرت على شاشات الرادار أهداف صغيرة في مناطق متفرقة على الساحل، لا سيما أمام ميناءي اللاذقية وطرطوس. كما أعلن عن وجود وحدات بحرية صغيرة رُصدت بالسمع وبالبصر إلى شمال اللاذقية وجنوبي طرطوس. كان اكتشاف هذه الوحدات يشير إلى اقتراب نشوب المعركة. لذلك رفعت درجة استعداد جميع الوحدات لخوض الأعمال القتالية. وفي **الساعة (٠٠,٥٠) يوم ١١ / ١٠،** أعلن عن اكتشاف مجموعة أهداف مكونة من (٦)

أهداف جنوب غربي اللاذقية على مسافة (٢٥) ميلاً. **وفي الساعة (١,٠٥ – ١,١٠)** من التاريخ ذاته، ظهرت في آن واحد **مجموعات الأهداف التالية، نعددها من الشمال إلى الجنوب:**

- مجموعة (٣–٤) أهداف إلى شمال غربي اللاذقية، على مسافة (٢٠) ميلاً.
- مجموعة (٣) أهداف إلى غربي طرنجة، على مسافة (١٧) ميلاً.
- مجموعة (٣ـ٤) أهداف إلى غربي رأس ابن هاني على مسافة (١٢) ميلاً.
- هدف واحد غربي بانياس، على مسافة (١٢) ميلاً.
- مجموعة (٤ـ٦) أهداف إلى شمال غربي طرطوس، على مسافة (١٧) ميلاً.

أُعلن عن اكتشاف طائرات عمودية فوق منطقة اللاذقية وطرطوس وبانياس، كما أُعلن عن سماع تفجيرات في البحر في مواقع متفرقة.

وبعد تحليل الموقف صدرت الأوامر لمجموعة زوارق الصواريخ المتمركزة في اللاذقية (زورق صاروخي رباعي + زورقي صواريخ ثنائية) بقيادة المقدم أسيمة المحتشم لتوجيه ضربات بالصواريخ إلى المجموعات المعادية المتقدمة نحو ميناء اللاذقية من الشمال والشمال الغربي، كما صدرت الأوامر في آن واحد إلى سرب زوارق صواريخ (٢ زورق صواريخ ثنائي) بقيادة النقيب محمد إبراهيم العلي يتمركز في طرطوس لتوجيه ضربة بالصواريخ على مجموعة الأهداف المتقدمة نحو بانياس.

في الساعة (١,٣٥) قامت مجموعة زوارق الصواريخ في منطقة اللاذقية بتوجيه ضربات صاروخية إلى الأهداف المحددة وأعلنت عن إصابة (٣) أهداف رُصدت بالرادار. وبدأت بالانسحاب نحو الميناء بعد أن نفذت

ضرباتها الصاروخية وبينما كانت الزوارق المعادية توجه صواريخها إليها. اشتبكت مدفعية الزوارق بالصواريخ المعادية وهي تتفاداها بالمناورة الماهرة، وقد تمكنت، بفضل يقظة القادة ومهارتهم، على الرغم من كثافة نيران مدفعية العدو وصواريخه، من دخول الميناء سالمة، وأخص بالذكر، الزورق الصاروخي الرباعي الذي تعرض لأربعة صواريخ معادية، تمكن من إسقاط أثنين منها بمدفعيته وتفادى اثنين آخرين بالمناورة الماهرة.

وفي أثناء انسحاب زوارقنا إلى ميناء اللاذقية بدأت مدفعيتنا الساحلية بفتح نيرانها على وحدات العدو البحرية التي حاولت تدمير زوارقنا، وتدمير خزانات البترول في اللاذقية وتدمير ميناء اللاذقية في محاولات يائسة استمرت قرابة الساعة الكاملة، **انكفأت بعدها مرتدة تحت ضغط نيران المدفعية الساحلية بدون أن تتمكن من تحقيق أي من أهدافها: (خزانات البترول – المرفأ – الوحدات البحرية التي وجهت ضربتها).** فعلى الرغم من استماتة العدو في سبيل تحقيق أهداف هجومه ، تمكنت نيران مدفعيتنا الساحلية من رده على أعقابه، واعترف العدو بإصابة أربعة من أهدافه. شاركت المدفعية المضادة في الرمي على الأهداف البحرية المعادية ضمن مديات الرمي وكان ذلك مجدياً وفعالاً، إذ تحقق التعاون بوضوح.

وبينما كانت تدور هذه المعركة في القطاع الشمالي كانت تدور معركة مشابهة لها في القطاع الجنوبي (بانياس وطرطوس) فقد قام سرب زوارق الصواريخ بتوجيه ضربة إلى الأهداف المتقدمة نحو طرطوس وأعلن عن تحقيق إصابة هدف معاد رصدت على شاشة الرادار وانسحب سرب زوارقنا باتجاه طرطوس حيث لحقت به زوارق معادية محاولة تدميره. إلا أن المدفعية الساحلية فتحت نيرانها على الزوارق المعادية وأجبرتها على التراجع. وحاولت مجموعة من زورقين معاديين قصف خزانات البترول في طرطوس إلا أن المدفعية الساحلية فتحت نيرانها على هذه الزوارق وأجبرتها على الانسحاب بعد إخفاقها في تحقيق مهمتها.

وفي الساعة (١,٤٥)، أعلن أن خزانات البترول في بانياس قد قصفت من البحر وأن النيران بدأت تشتعل فيها، كما أن وحدة بحرية عادت وقصفت الخزانات مرة ثانية في الساعة (٢,٣٠).

بدات الوحدات المعادية بالانسحاب من مسرح العمليات البحري في **الساعة (٢,٤٠) من صباح يوم ١١/١٠/١٩٧٣م**، وانتهى الرصد الراداري لجميع الأهداف على مسرح العمليات في **الساعة (٣,٤٠)** من اليوم ذاته.

المعركة البحرية الثالثة :

الزمان: ليلة ١١ – ١٢ تشرين الأول عام (١٩٧٣م).

المكان: الساحل العربي السوري من الحدود اللبنانية جنوباً وحتى طرطوس شمالاً وعمقاً في البحر حتى (٢٠) ميلاً.

القوات التي اشتركت في هذه المعركة:

التبيان	غواصة	زورق صواريخ	وحدة مجهولة سريعة	مدفعية ساحلية	قارب صغير	طائرة عمودية
القوات الصديقة		٢		٤ سرايا		
القوات المعادية	٢		٧ – ٨		٤ – ٦	٢ –٣

سير المعركة:

بدأت ترد إلى مركز القيادة الرئيس معلومات تنبئ عن اكتشاف أهداف بحرية صغيرة شوهدت بالنظر وبالرادارات. كما أعلن عن اكتشاف طائرات

عمودية فوق مناطق اللاذقية وبانياس وطرطوس. واستمر ورود المعلومات عن الأهداف المعادية بدون انقطاع مدة خمس ساعات. أسندت مهمة البحث عن الزوارق الصغيرة المعلن عنها إلى زوارق الطوربيد في الاتجاهات الخطرة ولكنها لم تعثر على أي منها.

في الساعة (٢٣,٣٠)، أُعلن عن رصد مجموعتي أهداف بحرية، الأولى إلى غربي الخرابة – الحدود على مسافة (١٠) أميال، والثانية إلى غربي الحميدية على مسافة (١٧) ميلاً. كما رصد هدف واحد غربي العريضة على مسافة (٧) أميال. بعد تحليل الموقف وحساب خطوط السير والسرعات، صدرت الأوامر لسرب زوارق صواريخ ثنائي في طرطوس، كما صدرت الأوامر لكتيبة المدفعية الساحلية بفتح النار على الأهداف المعادية المقتربة من الساحل عند دخولها المدى المجدلي للسلاح. وفي **الساعة (٠٠,٥٠) من تاريخ ١٢ / ١٠**، نفذ سرب زوارق الصواريخ رشقة ثنائية وأعلم عن تدمير هدف رصد بالرادار. ولم يتمكن الزورق الثاني من إطلاق صواريخه لغزارة النيران والصواريخ التي وجهت إلى السرب بعد إطلاق الصواريخ من زورق القيادة. واستطاع الزورق الذي نفذ الإطلاق الإفلات من صواريخ العدو بالمناورة والمدفعية وكذلك الزورق الثاني. غير انه ارتطم في أثناء مناورته بحاجز الأمواج فتعطل، وفي آن واحد، بدأت المدفعية الساحلية بفتح النار على الأهداف البحرية المعادية لتحمي انسحاب الزوارق الصديقة ولتدمر الزوارق المعادية المقتربة من الساحل، إذ أن الوحدات المعادية حاولت رمي خزانات البترول في طرطوس، فأرغمتها نيران المدفعية الساحلية على الانسحاب بعد أن أخفقت في تنفيذ مهمتها. استمرت معركة المدفعية مع الوحدات البحرية المعادية زهاء(٤٥) دقيقة، انسحب بعدها العدو.

ثالثاً - مرحلة التوازن الاستراتيجي للجبهتين:

السورية والإسرائيلية: ١٥ - ١٩٧٣/١٠/٢٤م

العمليات القتالية البرية:

لقد انتهى زخم الهجوم الإسرائيلي المعاكس على الجبهة السورية ابتداءً من صباح ١٩٧٣/١٠/١٥م وأيقنت القيادة العسكرية الإسرائيلية أن التقدم إلى دمشق يعني تدمير الجيش الإسرائيلي وإن الاستمرار بالعناد والمكابرة سيؤدي إلى مذبحة حقيقية للقوات المسلحة الإسرائيلية.. فلقد تكبد العدو ٤٦ دبابة وناقلة مدرعة على محور دير العدس غباغب، كما تكبد ٣٧ دبابة وعربة مدرعة على محور القنيطرة – سعسع و ٦٥ دبابة ومجنزرة على محور حضر – مزرعة بيت جن.

اقتصرت العمليات يوم ١٥ تشرين الأول على التمسك بالمواضع، وبُذلت أقصى الجهود من قبل قواتنا لاسترداد التلال المشرفة والنقاط الهامة ولكن بدون جدوى، بسبب مقاومة العدو الشديدة وتعزيزها بقوى جديدة. وخلال **ليلة ١٤ – ١٥ تشرين الأول**، اتخذ قرار بالقيام بهجوم معاكس بقوات **صلاح الدين العراقية واللواء ٤٠ أردني**، واستمرت التحضيرات لتنفيذ الخطة المقررة.

نُفذ يوم ١٦ تشرين الأول الهجوم المعاكس بقوات صلاح الدين واللواء ٤٠ أردني، إلاّ أن هذا الهجوم لم يحرز نجاحاً بسبب الرمايات التي تعرض لها، وتمسك القوات المعادية بالتلال المشرفة والمسيطرة على المنطقة. وفي المساء اضطرت قوات صلاح الدين للتراجع، فلاحقها العدو، وتمكن من الوصول إلى عين عفا، غير أن القوات السورية استطاعت استردادها وأجبرت العدو على التراجع عنها. كذلك استمرت فرقة الدبابات الثالثة بمهاجمة تل الشمس طيلة هذا اليوم، غير أنها لم تتمكن من استرداده. كما قامت قوات الفرقة المشاة الخامسة ببعض الإغارات على الرفيد وتل السقي والجوخدار، ودمرت هذه المواقع، وعادت بدون أن تتكبد أية خسائر.

اقتصرت العمليات خلال يوم ١٧ تشرين الأول على تكليف فرقة الدبابات الثالثة وفرقة المشاة السابعة وقوات صلاح الدين بالقيام بإغارات على تل الشمس وتل عريد وتل مرعي وتل عنتر وتل العلاقية واحتلالها. إلاّ أن هذه الإغارات لم تؤد إلى نتيجة بسبب تمسك العدو الشديد بهذه النقاط وتعزيزها ودعمها برمايات المدفعية وقصف الطيران. وبقيت القوات المعادية متمسكة بالخط المحتل ومحافظة عليه. واستمر التراشق بنيران المدفعية ونشاط الطيران، كما ازدادت الأعمال النشطة في القطاع الجنوبي، ونفذت بعض الإغارات والكمائن على نقطة الرفيد والجوخدار وتل السقي.

قام العدو يوم ١٨ تشرين الأول بإغارة على أماكن انتشار احتياط الجيش المضادة للدبابات في السفوح الجنوبية لتل الشيح، إلاّ أن هذه الإغارة أخفقت في تحقيق غرضها، وأمكن العثور على بعض الأسلحة الفردية كانت تحملها عناصر هذه الإغارة. كما قامت **قوات صلاح الدين** بالإغارة على تل عنتر، وقد تمكنت من تدمير ١٢ دبابة معادية وعادت بدون أن تتمسك بالتل.

ابتدأت عمليات العدو منذ صباح ١٩ تشرين الأول بمهاجمة أم باطنة، وقد تمكن من احتلالها في **الساعة ١,٣٠**، بعد قتال مرير خاضته إحدى كتائب **لواء المشاة ٥٢**، التي كانت تحتل موقعاً دفاعياً. وقد اضطرت هذه الكتيبة للتراجع بسبب كثافة القوات المعادية، وقوة الضغط المتزايدة عليها، إلى منطقة ممتنة، وكان قائدها قد جرح. وعلى ضوء هذا الموقف طلب من اللواء ٤٠ **الأردني** أن يقوم بهجوم مضاد لاستعادة أم باطنة بالتعاون مع وحدات من اللواء ٥٢ مشاة. وقد تأخر اللواء الأردني في تنفيذ الهجوم المضاد، ولم يحرز نجاحاً كبيراً بسبب رمايات المدفعية والطيران المعادية الكثيفة، وحدوث خسائر كبيرة بين صفوفه. ولكن على الرغم من هذا، تمكن من إيقاف تقدم العدو باتجاه نبع الصخر، واضطره للتراجع إلى أم باطنة والتمسك بها. وفي **الساعة ٦,٠٠** تمكنت قوات **صلاح الدين العراقية** من

القيام بإغارة صامتة على تل عنتر واحتلاله، وفي **الساعة ٧,٣٠** تابعت هجومها واحتلت تل العلاقية، وظلت متمسكة بهذين التلين حتى **الساعة ١٥,٣٠** حيث اضطرت للتراجع بسبب زيادة ضغط العدو، وكثافة رمايات المدفعية والطيران وحدوث خسائر في الأرواح والعتاد.

اقتصرت العمليات يوم ٢٠ تشرين الأول على التراشق بالمدفعية والطيران وقد قام الطيران الصديق في **الساعة ٥,١٥** بقصف أحد المصانع في حيفا، وأحدث فيه خسائر كبيرة، كما نشطت أعمال الإغارات والكمائن في منطقة تل مرعي وعين عفا والهبارية.

وفي يوم ٢١ تشرين الأول استمر التراشق بالمدفعية والطيران، ونفذت بعض الأعمال النشطة مثل مهاجمة تل مرعي. وقد دار قتال عنيف مع الوحدات المعادية، وإنما بدون جدوى، إذ اضطرت وحداتنا للانسحاب بسبب زيادة ضغط العدو. وفي **الساعة ١٥,٣٠** قام العدو بقصف مرصد جبل الشيخ، وأنزل قوات حملتها ١٠ طائرات عمودية (هيلو كبتر). وجرى اشتباك عنيف بين قواتنا وقوات العدو. ثم تابع العدو تعزيز وحداته المنزلة جواً، سواءً عن طريق الجو أو عن طريق البر، كما قصف المرصد بالمدفعية والهاونات بالإضافة إلى القصف الجوي المركز. وبعد معارك ضارية استمرت زهاء ١٧ ساعة، تمكن العدو من احتلال المرصد في **الساعة ٨,٣٠ من صباح ١٠/٢٢ (اكتوبر) ١٩٧٣م**.

وبينما كانت قواتنا تخوض معارك طاحنة في جبل الشيخ كانت القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة تضع اللمسات الأخيرة على خطة الهجوم العام المعاكس السوري الذي خطط لتنفيذه في صباح ١٠/٢٣ (اكتوبر) ١٩٧٣م غير أن توقف إطلاق النار على الجبهة المصرية وقبول مصر وإسرائيل قرار مجلس الأمن ٣٣٨ بوقف إطلاق النار، قد أخل بمبدأ التوازن الاستراتيجي للجبهتين السورية والمصرية، وهذا ما حدا بالرئيس حافظ الأسد

أن يأمر بوقف الإجراءات الخاصة بتنفيذ العملية في الدقيقة الخامسة من **صباح ٢٣/١٠ (اكتوبر) ١٩٧٣م.**

وبعد صدور هذا الأمر في الدقائق الأولى من **صباح يوم ٢٣ تشرين الأول**، اقتصرت الأعمال القتالية في هذا اليوم على الاشتباكات الجوية بين الطرفين، وخسرت القوات الجوية المعادية عدداً كبيراً من الطائرات، وقد شدد العدو قصفه على قرى عرنة وريمة ومقروصة.

وفي الساعة ٢١,٠٠ صدرت التعليمات إلى قائدي فرقتي، الثالثة دبابات والسابعة المشاة بإعطاء التعليمات المشددة إلى قادة الوحدات لدفع الدوريات والكمائن إلى أقرب ما يمكن من العدو، وتعزيز الدفاع عن قرى عرنة ودربل وحينه.

في خلال يوم ٢٤ تشرين الأول أعلن في مجلس الأمن عن موافقة سورية على قرار هذا المجلس بوقف إطلاق النار وموافقة إسرائيل على ذلك. **وصدرت التعليمات بتاريخ ٢٤ / ١٠ / ١٩٧٣م، وهي تتضمن ما يلي:**

١ – توقف النشاطات الإيجابية.

٢ – تكون القوات كلها جاهزة للرد على أي عدوان.

٣ – تنظيم الدفاع المنيع على الخطوط والهيئات التي توقفت عليها القوات.

العمليات القتالية الجوية في مرحلة التوازن:

يوم (ي١٠) ١٥ / ١٠ / ١٩٧٣م:

قامت القوى الجوية والدفاع الجوي بصد ضربات العدو الجوية كما نفذت مهمة دعم القوات البرية دعماً فعالاً، وكذلك مهمة الاستطلاع بالنظر والتصوير. واشتبكت بالطيران المعادي مرة واحدة أسقطنا فيها أربع طائرات معادية، وخسرنا أربع طائرات. وفي هذا اليوم أوقف العدو محاولاته لتحقيق السيطرة الجوية على السماء السورية لا سيما فوق مسرح الأعمال القتالية، لتكبده خسائر

كبيرة دون أن يحقق نتيجة ملموسة. وقد تابع في هذا اليوم أيضاً محاولاته في تدمير المنشآت النفطية على الساحل السوري. إلا أن من يراقب سير الأمور يستنتج استنتاجاً قاطعاً أن جهد العدو الجوي قد تناقص تناقصاً ملحوظاً.

يوم (ي١١) ١٦ / ١٠ / ١٩٧٤م:

نجحت القوى الجوية والدفاع الجوي بصد غارات العدو كما نجحت القوى الجوية في تنفيذ مهمة دعم القوات دعماً جيداً. واشتبكت طائراتنا بالطائرات المعادية ست مرات أسقطنا فيها للعدو ثلاث طائرات كما بلغت خسائرنا تسع طائرات، ثلاثاً منها في الاشتباكات الجوية وستاً بوسائط الدفاع المعادية المضادة للطائرات.

قام العدو بقصف سد الرستن ولكن السد أثبت أنه أقوى من أن يتأثر بقنابل الطائرات... واستمر تناقص مجهود العدو الجوي تناقصاً ملحوظاً وأخفق نهائياً في تحقيق السيطرة الجوية.

يوم (ي١٢) ١٧ / ١٠ / ١٩٧٣م:

قامت القوى الجوية، والدفاع الدفاع الجوي، بصد غارات العدو وتغطية القوات ودعم أعمالها القتالية واشتبكت بطيران العدو ست مرات أسقطنا له فيها ثماني طائرات وخسرنا ست طائرات. كما أسقطت له وسائط دفاعنا الجوي طائرتين، فبلغت خسارته في هذا اليوم عشر طائرات. وقد قصف العدو بعض المنشآت المدنية في اللاذقية كما وجه ضربة جوية على مستودعات قارة.

يوم (ي١٣) ١٨ / ١٠ / ١٩٧٣م:

نفذت القوى الجوية والدفاع الجوي مهمة تغطية القوات وأغراض المؤخرة ولم تحدث أية اشتباكات جوية كما لم يقم العدو بأي نشاط يذكر.

يوم (ي١٤) ١٩ / ١٠ / ١٩٧٣م:

قامت القوى الجوية والدفاع الجوي بصد غارات العدو كما نفذت مهمة دعم القوات بنجاح واشتبكت بالعدو مرة واحدة، أسقطنا له فيها طائرة واحدة كما خسرنا طائرة واحدة من القوات الجوية العراقية.

يوم (ي١٥) ٢٠ / ١٠ / ١٩٧٣م:

قامت القوى الجوية والدفاع الجوي بصد غارات العدو كما قصفت القوى الجوية أحد المصانع في حيفا وقد خسرنا طائرة واحدة من طراز سو ٢٠، سقطت قرب حيفا وهي من التشكيل الذي قام بهذه المهمة. ومن الجدير بالذكر أن طائراتنا تمكنت من الوصول إلى حيفا وطيران العدو عاجز عن اعتراضها وملاقاتها. كما استطاعت أيضاً تفادي نيران الوسائط المضادة للطائرات المعادية. ولم تسقط منها سوى طائرة واحدة بعد أن نفذت مهمتها.

يوم (ي ١٦) ٢١ / ١٠ / ١٩٧٣م:

قامت القوى الجوية والدفاع الجوي بصد الضربة الجوية عن منشآتنا المدنية والعسكرية في العريضة وتل كلخ كما قامت بدعم القوات البرية وبإنزال جوي على جبل الشيخ وقد اشتبكت بالعدو سبع مرات، **أسقطنا له فيها عشر طائرات** كما أسقط لنا سبع طائرات، كما أسقطت وسائط دفاعنا الجوي طائرتين، فأصبح مجموع ما أسقط للعدو في هذا اليوم **أثنتا عشرة طائرة.** وهكذا أيضاً اقترن إخفاق طيران العدو بخسائره الكبيرة.

يوم (ي١٧) ٢٢ / ١٠ / ١٩٧٣م:

قامت القوى الجوية والدفاع الجوي بتغطية القوات والمنشآت المدنية والعسكرية والمطارات وبدعم القوات البرية. وقد ركز العدو جهده الجوي

على قصف قطعاتنا في جبل الشيخ للتمهيد لقواته البرية والمنزلة جواً في احتلال المرصد.

اشتبكت قواتنا الجوية بطائرات العدو ست مرات أسقطنا له فيها سبع طائرات كما خسرنا ست طائرات، كما أسقطت وسائط دفاعنا الجوي طائرة واحدة وبذلك تبلغ خسارة العدو في هذا **اليوم ثماني طائرات.**

يوم (ي١٨) ٢٣ / ١٠ / ١٩٧٣م:

قامت القوى الجوية والدفاع الجوي بصد الضربة الجوية عن الأهداف المدنية والعسكرية وتغطية المطارات والقوات البرية، واشتبكت قواتنا الجوية أربع مرات.

العمليات القتالية البحرية في مرحلة التوازن

المعركة البحرية الرابعة :

الزمان: ليلة ٢٣ – ٢٤ تشرين الأول عام (١٩٧٣م).

المكان: الساحل العربي السوري، من اللاذقية شمالاً وحتى طرطوس جنوباً.

القوات التي اشتركت في المعركة:

التبيان	سفينة قيادة	وحدة بحرية غير معروفة	زورق صواريخ	طائرة عمودية	مد/سا
القوات الصديقة			٢		
القوات المعادية	١	٨ –٩		٤ – ٦	

سير المعركة:

بدأت هذه المعركة عندما أعلن في الساعة ٠٢٣,٠٠) عن اكتشاف هدف بحري على مسافة (٢٠) ميلاً شمال غربي طرطوس، وفي آن واحد عن اكتشاف مجموعة أهداف بحرية مكونة من (٨) أهداف بحرية على مسافة (٢٤) ميلاً غربي بانياس، ومتجهة إليها. ثم انفصل منها زورقان اتجها إلى اللاذقية بخط سير شمالي شرقي، كما أعلن عن وجود طائرات عمودية فوق مناطق طرطوس – بانياس – اللاذقية. عمم هذا الموقف، وصدرت الأوامر إلى زورق صواريخ رباعي[١] في طرطوس لتوجيه ضربة بالصواريخ إلى الأهداف المتقدمة نحو بانياس. وكذلك صدر الأوامر على زورق صواريخ ثنائي[٢] من اللاذقية بتوجيه ضربة بالصواريخ إلى الأهداف المتقدمة إلى جنوبي اللاذقية، وصدرت الأوامر إلى زورق صواريخ ثنائي آخر من اللاذقية بضرب الأهداف المعادية، المشاهدة أمام بانياس، عند انسحابها ووصولها إلى منطقة تتيح الإطلاق عليها.

في الساعة (٢٣,٤٥)، رُصدت وحدات بحرية تقوم بالرمي على خزانات النفط في بانياس وطائرات عمودية تضيء جو المعركة وتقوم أيضاً بقصف الخزانات.

نفذت زوارق الصواريخ رشقتين ثنائيتين في وقت واحد من الجنوب (طرطوس)، ومن الشمال (اللاذقية) ثم تلتهما رشقة ثنائية ثانية من الجنوب على الأهداف المحددة. أُعلن عن إصابة وحدتين رصدتا بالرادار وشوهدتا بالعين المجردة من نقاط المراقبة على الساحل وعادت وحداتنا إلى قواعدها سالمة.

---

(١) قاد زورق الصواريخ الرباعي الرائد البحري قتيبة الصفدي الذي سبق واشترك في المعركة الثانية قائداً للزورق ذاته ضمن مجموعته.

(٢) قاد زورق الصواريخ الثنائي من اللاذقية النقيب البحري وائل ناصر الذي سبق أن اشترك في المعركة الثانية ضمن مجموعة زوارق الصواريخ في اللاذقية.

في الساعة (١,٣٥) بدأت وحدات العدو البحرية التي قصفت خزانات النفط في بانياس، بالانسحاب وتجمعت في النقطة (١٢) ميلاً غربي بانياس واتجهت غرباً.

استمر وجود الطائرات العمودية على طول الساحل، من طرطوس إلى اللاذقية، حتى الساعة (٢,١٥) - ٢٤ / ١٠ / ١٩٧٣م واشتبكت المدفعية المضادة وكذلك الصواريخ المضادة المتمركزة في اللاذقية بهذه الطائرات. وفي الساعة (١,١٥) فتحت النار على طائرة عمودية مرت فوق محطة الرادار في الرويسة.

رابعاً - الاستعدادات للهجوم المعاكس السوري العام:

لقد أعطت حرب تشرين التحريرية دروساً قيمة للعلم العسكري ولفن الحرب وستكون معارك هذه الحرب مادة هامة تدرس في الأكاديميات العسكرية ومراكز الدراسات الإستراتيجية.

من هذه الدروس الهامة تبرز أهمية التأمين المادي للحرب بكل أبعادها، إذ تصبح معركة الإمدادات بعد الأيام الأولى للحرب هي الجانب الهام من الصراع المسلح الدائر بين الطرفين، لا سيما في الدول التي لا تملك صناعة حربية متقدمة، وهذا ما حصل في حربنا الرابعة مع العدو الإسرائيلي.

إن التطور التقني لوسائط الصراع المسلح جعل نسبة الإصابة كبيرة، لا سيما في إصابة الأهداف الهامة كالطائرات والطائرات العمودية والدبابات والعربات المدرعة والسفن والزوارق، ولذلك فإن نسبة فقدان العتاد، لا سيما الدبابات فاقت كل النسب المحتملة والمتوقعة (من خبرات الحرب العالمية الثانية ومن تجارب الحروب الثورية في الصين... وكوريا وفيتنام وكذلك من خبرات الحروب الهندية والباكستانية). لذلك بدأ الاتحاد السوفيتي بتزويد سورية ومصر بأنواع من الأعتدة الحربية المفقودة، لا سيما (طائرات –

دبابات) وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية بتزويد إسرائيل بأنواع من الأعتدة المفقودة، لا سيما (طائرات - دبابات - قواعد صاروخية م/د). وكانت شحنات الأسلحة الأمريكية إلى إسرائيل تأتي عن طريق الجو إلى مطار اللد، وعن طريق البحر إلى ميناء حيفا بالنسبة للأسلحة التي تعزز بها إسرائيل الجبهة الشمالية، وعن طريق ميناء العريش بالنسبة للأسلحة التي تعزز بها إسرائيل الجبهة الجنوبية.

أما الاتحاد السوفييتي فكان الجسر الجوي ينقل العتاد الحربي إلى مطار حلب، ومطار القاهرة في مصر، كما كانت السفن الروسية تفرغ شحناتها في مرفأ اللاذقية في سورية ومرفأ الإسكندرية في مصر. ولهذا السبب كانت الدبابات القادمة من روسياً تتأخر تأخراً نسبياً عن الدبابات القادمة من أمريكا، لان المسافة بين اللاذقية والجبهة تقدر بأربعمائة كم، وكذلك الأمر بالنسبة للجبهة المصرية، فالمسافة بين قناة السويس، والإسكندرية تقدر بأربعمائة كم أيضاً. أما الدبابات الأمريكية فكان وصولها أسرع، لأن المسافة بين حيفا ومرتفعات الجولان ٦٠ كم، والمسافة بين العريش وقناة السويس ٦٠ كم أيضاً. ومع ذلك فقد خاض الشعب السوري وقواته المسلحة معركة الإمداد بكل بسالة وتصميم رافعين شعار « يجب أن يصل السلاح إلى أيدي المقاتلين مهما بلغت التضحيات ».

وقد حاولت إسرائيل في بادئ الأمر عرقلة الإمداد الجوي إلى سورية عن طريق قصف مطار حلب والتصدي للطائرات السوفييتية، فقد قصف مطار حلب بزوج طائرات فانتوم في الساعة ١٧،٠٠ من يوم ١٩٧٣/١٠/٨م وأصيبت طائرة (أنطونوف ١٢) روسية كانت تفرغ شحنتها في المطار، كما جرح أحد الملاحين السوفييت. عند ذلك تم التنسيق بين الجانب السوري والجانب السوفييتي على أن يتولى السوفييت حماية طائراتهم حتى دخولها الأجواء السورية وكانت الحراسة والتغطية تتم بطائرات مقاتلة من طراز ميغ

٢٥. وعندما تصل طائرات النقل السوفييتية الأجواء السورية، كان سلاح الطيران السوري يتولى حمايتها وتغطيتها بطائرات مقاتلة من طراز ميغ ٢١ (م)، وبعد تنفيذ هذا الإجراء لم يحدث أي شيء يذكر من شانه عرقلة الجسر الجوي السوفييتي إلى سورية[١].

أما في البحر، فلم تحاول إسرائيل مداعبة السفن الروسية لأنها تعلم أنها ستدفع الثمن غالياً، لذلك قامت بضرب ميناء اللاذقية وطرطوس عدة مرات، وكانت الغارات متزامنة مع وصول الإمدادات السوفييتية، وإضافة إلى ذلك فقد قامت إسرائيل بضرب كل الجسور والمعابر الواقعة على طريق اللاذقية – طرطوس – حمص.

كانت أطقم الدبابات التي جمعت من الجبهة تزدلف إلى اللاذقية بكل وسائل النقل البري والجوي وعلى المحاور، وكان عمال المرفأ الشجعان مع أطقم الدبابات يتسلقون السفن الروسية كالفهود ليباشروا عملية ربط الدبابة بحبال الرافعة، وما هي إلا ثوان معدودة حتى تبدأ الدبابة بالارتفاع عن سطح الباخرة وقد ركب فيها سدنتها، وما تكاد الدبابة تلامس الرصيف حتى يكون السائق قد أدار محرك الدبابة وانطلق بها إفرادياً على الطريق المؤدي إلى الجبهة ليصل بعد قليل إلى مكان التسليح والتذخير والملئ بالمحروقات. وبعد أن تتم هذه العملية، كان السائق يتوجه دون توقف لمتابعة المسير باتجاه الجبهة... نادراً ما كانت دبابتنا تشاهد جسراً مقصوفاً أو معبراً مخرباً، ذلك أن أبناء شعبنا رجالاً ونساءً كانوا يتوجهون مباشرة بعد القصف الجوي المعادي إلى مكان الحادث ليعاونوا الجيش الشعبي والدفاع المدني ورجال الأمن في إصلاح ما تهدم على الرغم من القنابل الموقوتة التي كان يلقيها العدو الإسرائيلي، وما هي إلا دقائق، نادراً ما كانت تبلغ الساعة، حتى يكون الجسر او المعبر قد أصبح جاهزاً لمرور الدبابات.

---

(١) العميد الدكتور رزق إلياس ، مسيرة تحرير الجولان، مصدر سابق، ص ١٦١ .

تمكنت القيادة العامة للقوات المسلحة السورية من تجهيز عدة ألوية مدرعة بدبابات (ت٦٢) بفضل الإمدادات العسكرية التي قدمها الشعب السوفييتي **والحكومة السوفييتية** في أثناء حرب تشرين التحريرية[١]، كما كانت **قوات صلاح الدين العراقية** قد استكملت وحداتها، وأصبحت تضم فرقتين مدرعتين ولواء مشاة جبلي. كما أن القوات الأردنية عززت اللواء ٤٠ الذي شارك في العمليات الأخيرة بلواء مدرع آخر هو اللواء **(٩٢)** بالإضافة إلى قيادة الفرقة الثالثة مشاة أردنية. وقد كانت هذه القوات متأهبة لشن الهجوم العام المعاكس على العدو ابتداء من **يوم ٢١ تشرين أول (أكتوبر) ١٩٧٣م.**

وبعد دراسة خطة العملية الهجومية من قبل القيادة العامة السورية والتي اشترك فيها الضباط القادة العراقيون والأردنيون تمت الموافقة على شن الضربة المعاكسة. في الساعة الخامسة من يوم ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م.

كانت القيادة السورية تريد الاستعجال في تسديد الضربة المعاكسة لسببين:

- الأول: عدم إتاحة الفرصة للعدو لالتقاط أنفاسه وتحسين مواقعه الدفاعية.
- الثاني: تخفيف الضغط عن الجبهة الغربية بعد الخرق الذي قام به العدو في منطقة الدفرسوار. وجذب جهد العدو مرة أخرى للجبهة السورية.

وعلى الرغم من أهمية الأسباب التي ذكرتها آنفاً فقد كان العراقيون والأردنيون يرون تأجيل التنفيذ حتى **صباح ٢٣، ١٠ (أكتوبر) ١٩٧٣م،**

---

(١) لا بد من الإشارة في هذا المجال إلى أن قسماً كبيراً من العتاد الحربي السوفييتي الذي شحن إلى سورية إبان حرب تشرين التحريرية قد تم دفع قيمته بالعملة الصعبة من قبل الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان والرئيسين هواري بومدين ومعمر القذافي، كما تلقت سورية بعض الأعتدة الحربية دون مقابل من الدول الاشتراكية الصديقة.

لكي يتم استكمال القوات بكل أنواع التأمينات المادية والبشرية ويتاح الوقت اللازم للقادة، على مختلف المستويات، ليقوموا باستطلاع أرض المعركة بأنفسهم.

ثم إن الجبهة السورية كانت قد استقرت وكسرت شوكة الهجوم الإسرائيلي، وإذ كان من جملة المبادئ الرئيسية التي أخذت بعين الاعتبار عند التخطيط لحرب تشرين التحريرية، إطالة أمد الحرب ما أمكن ذلك، فقد تمت الاستجابة لطلب الأخوة العراقيين والأردنيين بتأجيل تنفيذ الضربة حتى صباح ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م.

في ليلة ٢٠-٢١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م أُسندت المهام القتالية للفرق الأولى والثالثة والسابعة والتاسعة وقوات صلاح الدين العراقية وقوات الفرقة الثالثة الأردنية. وكان حجم القوى والوسائط كافياً لسحق القوات الإسرائيلية المتمركزة في قطاع الخرق وتدميرها. ثم القيام بتحرير الجولان بكل القوى والاحتياطات الموجودة والاحتياطات الموجودة في الجبهة السورية.

لكن، في صبيحة يوم ٢١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م على وجه التحديد، حدثت مفاجأة هامة، وهي قبول القيادة السياسية في جمهورية مصر العربية بوقف إطلاق النار على الجبهة الغربية، بعد المساعي الدولية التي بذلك في هذا المجال، ووضعنا من جديد أمام الاختيار الصعب.

كان صدور قرار مجلس الأمن رقم «٣٣٨» مفاجأة لسورية بل إنها لم تعلم بوجود مشروع القرار أو بدعوة مجلس الأمن للانعقاد إلا بعد أن تناقلته دور الإذاعة ووكالات الأنباء.

وهكذا كان... فقد درس قرار مجلس الأمن في سورية بشعور عميق بالمسؤولية انطلاقاً من المصلحة القومية والالتزام بالمبادئ والأهداف التي قاتلنا في سبيلها. وعقد الرئيس حافظ الأسد لهذه الغاية سلسلة من الاجتماعات منذ **صباح الثاني والعشرين من شهر تشرين الأول ١٩٧٣م** وحتى نهاية الثالث والعشرين من الشهر نفسه.

استهل الرئيس الأسد اجتماعاته مع مجلس الدفاع العسكري في سورية ثم عقد اجتماعات مطولة للقيادتين القومية والقطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي، والقيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية... كما أجرى اتصالات هاتفية مع ملوك الدول العربية ورؤسائها تبادل معهم خلالها الرأي حول الموقف الراهن كما أجرى اتصالات مع الاتحاد السوفييتي.

وعبر هذه الاتصالات التي أجراها الرئيس حافظ الأسد أكد له الرئيس أنور السادات انه تلقى من القادة السوفييت ضمانات بأن يتم انسحاب إسرائيل انسحاباً كاملاً من جميع الأراضي العربية المحتلة، كما أكد الاتحاد السوفييتي للرئيس حافظ الأسد أن موقفه في كل هذا الأمر ينسجم ويتجاوب مع موقف سورية ومصالحها.

وبنتيجة الاتصالات التي أجراها الرئيس حافظ الأسد، لا سيما مع الشقيقة جمهورية مصر العربية، ومع الاتحاد السوفييتي باعتباره أحدى الدولتين صاحبتي مشروع القرار، فقد استنتجت القيادة السياسية في سورية أن قرار مجلس الأمن رقم «٣٣٨» يعني انسحاب إسرائيلي الكامل من جميع الأراضي العربية المحتلة، كما فهمت أيضاً أن هذا القرار يعني عدم المساس بحقوق الشعب العربي الفلسطيني الذي سيكون وحده صاحب الرأي الأول والأخير وصاحب القرار النهائي عند أي بحث لقضيته.

وعلى أساس هذا الفهم لقرار مجلس الأمن، وبعد أن وافقت عليه جمهورية مصر العربية في ضوء القناعات التي تكونت لدى الرئيس أنور السادات، فقد وافقت القيادة السياسية في الجمهورية العربية السورية على قرار مجلس الأمن، وصدرت إلى القوات المسلحة الأوامر بوقف إطلاق النار، بشرط أن يلتزم العدو بذلك، كما أُعطيت التعليمات اللازمة لقوتنا المسلحة بان تكون على أُهبة الاستعداد لاستئناف القتال عندما تدعو الضرورة إليه.

ونتيجة لقبول سورية وقف إطلاق النار فقد صدر قرار تأجيل الهجوم العام المعاكس السوري في الدقيقة الخامسة من يوم ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م.

معارك جبل الشيخ الدفاعية :

يدور الحديث هنا عن المقاتلين المغاوير، الذين تبدَّت صفاتهم البطولية في أكثر الأيام بلاءً وصموداً، فوق مرتفعات جبل الشيخ. وإن خلف كل صخرة، وكل تبة، من مأثرة الدفاع البطولي، الذي تجسد في شجاعة المحاربين المغاوير وتفانيهم.

كان جبل الشيخ موضع اهتمام القيادة العسكرية الإسرائيلية[1] الزائد، وكان تفكيرهم مركزاً على استعادة المرصد الذي أقاموه فوق جبل الشيخ من أيدي القوات العربية السورية. ومنذ أن سقط المرصد المعادي في أيدي المقاتلين السوريين، وعشرات الطائرات الإسرائيلية تغير في موجات على المواقع الدفاعية فوق التباب المحيطة بالمرصد.... وإن ما حدث في **٢١ و٢٢ تشرين الأول عام ١٩٧٣م** في منطقة جبل الشيخ أمر يفوق التصور والخيال. ففي هذه المنطقة جرت معركة دفاعية ضارية.. كان زئير الطائرات المنقضة يختلط بالقصف المدفعي ورمي الهاونات، محدثاً دوياً مستمراً، وكان يبدو من المحال في بعض الأحيان، أن يظل المرء حياً، وان يصمد في هذا الخضم من النيران.

عبر ثلاثة أيام، قبل بداية هذه المعركة الدفاعية، كانت الطائرات الإسرائيلية توالي انقضاضها على مرصد جبل الشيخ وعلى المواقع الدفاعية المحيطة به.

---

(١) لقد كانت «إسرائيل» تعلم بكل ما يجري في مجلس الأمن من مشاورات بين الاتحاد السوفييتي وأمريكا بخصوص فرض وقف إطلاق النار على الطرفين المتصارعين لذلك فقد اختارت الوقت المناسب لتنفيذ العملية وإنهائها مع بدء وقف إطلاق النار.

وفي الساعة ١٥,١٥ من يوم ٢١ تشرين الأول، اتصل النقيب سليمان الحسن قائد الكتيبة ٨٢ مظلات، بالمرصد الصديق في جبل الشيخ يستفسر عن الموقف. كان الموقف ينبئ عن معركة عنيفة ستدور بالقرب من المرصد الصديق، ولا سيما أن العدو الإسرائيلي قد ركز نيرانه على هذه المنطقة، منذ الدقائق الأولى للمعركة، تركيزاً خاصاً. وهنا، دوى فجأة صوت طلقات على التباب المحيطة بالمرصد القديم[1]، التي هبطت عليها طائرات عمودية (هليكوبتر) معادية، تحمل مجموعات من «الكوماندوس» الإسرائيليين.

واصل المقاتلون في المرصد القديم مقاومتهم باستبسال وضراوة، ولم يلقوا من أيدهم السلاح. كانت مقاومتهم تزداد مع ازدياد عدد الطائرات العمودية المعادية التي كانت تهبط في منطقة المرصد الصديق. استمر القتال في هذه المنطقة ساعة ونيفاً بشراسة لم يعرف لها مثيل. واستطاعت مجموعة من المقاتلين السوريين، أحاط بها عدو متفوق في العدد والعتاد، أن تدافع عن الأرض الطاهرة بصمود وثبات خارقين. وكان المقاتلون السوريون في المرصد الصديق يقاتلون حتى عندما استخدم العدو نيران مدافع الهاون التي أسقطها بوساطة الطائرات العمودية.

إن المعركة الطاحنة في المرصد القديم، لم تجر فقط على الأرض بعد الإنزال، بل وفي الجو أيضاً قبل الهبوط.

لم يكن هجوم العدو الإسرائيلي على المرصد الصديق إلا تمهيداً للهجوم الكبير على المرصد الجديد[2] الذي احتلته قواتنا في أول يوم من أيام حرب رمضان.

---

(١) المرصد القديم هو المرصد السوري على جبل الشيخ.

(٢) المرصد الجديد هو المرصد الذي أقامه العدو على جبل الشيخ في عام ١٩٦٧ والذي تم تحريره في يوم ٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م.

لم يكن أحد يشك في أن العدو الصهيوني على الرغم من تكبده خسائر كبيرة، وكونه بحاجة ماسة إلى استعادة قواه، سوف يزج بقوى جديدة، وبأعداد كبيرة، من أجل إعادة احتلال المرصد الذي أصبح في أيدي القوات السورية.

كانت قوات المظلات والمغاوير تشغل المرتفعات المسيطر حول مرصد جبل الشيخ، وكانت تتمتع بإمكانية رصد جيدة.

ولم يمض وقت طويل حتى شدد العدو قصفه الجوي ورمايات مدفعيته وهاوناته على منطقة المرصد الجديد، الذي يحتله المقاتلون السوريون.

غربت الشمس، ولكن الجو ما زال مضيئاً. وهنا فوق المرتفعات والتباب بدت السماء حمراء كالدم. وليس من الصعب أن تحكم أن سبب هذه الحمرة هو الانفجارات والأنوار الكاشفة، وليس شفق الشمس الغاربة. لقد توهج الليل بومضات ملتهبة، وغرق كل شيء في القصف الشديد الذي يصم الآذان ويهز الأرض.

لم تغمض في هذه الليلة عيون المقاتلين الصامدين. كان عليهم أن يكونوا يقظين كل اليقظة كي لا يتيحوا للعدو فرصة التسلل في جنح الظلام، ولا يمكنوه من الضربة المفاجئة.

كان المقاتلون المغاوير، الذين يقودهم الملازم الأول محسن سلوم، موزعين على ثلاثة مجموعات:

- **المجموعة الأولى**، بقيادة الملازم **صبري خازم**، تدافع باتجاه مجدل شمس ومسعدة.
- **المجموعة الثانية**، بقيادة الرقيب **منير عيسى**، تدافع باتجاه بانياس.
- **المجموعة الثالثة**، بقيادة الملازم **سميع شحرور**، تدافع باتجاه حضر والقنيطرة.

وفي الدقيقة الثلاثين من يوم ٢٢ تشرين الأول أخبر قادة المجموعات الملازم الأول محسن أن دبابات العدو وآلياته تتقدم على **ثلاثة محاور تؤدي إلى مرصد جبل الشيخ:**

- محور عين قنية – مرصد جبل الشيخ.
- محور مرصد جبل الروس – مرصد جبل الشيخ.
- محور مركز التزلج (محور ترابي).

أخبر الملازم الأول بدوره، رئيس أركان الكتيبة ١٣٣ مغاوير النقيب **صبحي الطيب** بالموقف، وكانت تعليمات النقيب صبحي تقضي بالامتناع عن فتح النيران، والسماح للعدو بالتقدم حتى مسافة قريبة جداً.

وفي الدقيقة الخامسة والأربعين بدأت عناصر الأسلحة م/د (ر.ب.ج٧) بالرمي على الدبابات المعادية المتقدمة على المحاور الثلاثة. وفي الوقت ذاته أخبر الملازم صبري أن العناصر المعادية ترجلت من الآليات، والتفت حول موقع المجموعة الأولى من الجهة الخلفية. ولم تكد تصبح على مسافة قريبة حتى أمطرها المقاتلون المغاوير بنيران مفاجئة، أثارت في صفوفها الرعب والفوضى. وبعد اشتباك عنيف سقط عدد كبير من الأعداء يقدر بثمانين جندياً، وتم تدمير عدد من الدبابات(١).

وجه مغاوير المجموعة الثانية ضربة نارية مميتة إلى العدو المتقدم، أشاعت الفوضى في صفوفه. وفي صوت واحد غاضب غطى ميدان القتال، كانت تجلجل صيحة النصر « الله أكبر». ومن الخنادق، والحفر الفردية، تدفق سيل من النيران، وأوقع خسائر كبيرة في قلب القوات المعادية المهاجمة.

كانت هذه أول ضربة نارية كاسحة، كبدت العدو خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد، وقد انتهت كل المحاولات الهجومية التي قام بها العدو

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس، مرآة حياتي ، ج٣، مصدر سابق، ص٨٠٦.

الإسرائيلي للوصول إلى مرصد جبل الشيخ، لاستعادته من القوات السورية، بالفشل الذريع. وأصبحت المحاور الثلاثة المؤدية إلى المرصد تحت نيران كل أسلحة السرية الثالثة من كتيبة المغاوير ١٣٣.

أعطت المواقع الدفاعية، وقد غطتها مدفعية العدو بالقذائف، وطائراته بالقنابل، صورة مشرفة عن الدفاع البطولي الصامد.

ومضى الليل، وأطل **صباح يوم ٢٢ تشرين الأول**.. عند ذلك لاحظ الجميع أن القصف أصبح الآن قوياً يصم الآذان ويهز الأرض.

اتصل الرقيب الأول منير عيسى قائد المجموعة الثانية بالملازم الأول محسن، واخبره أن العدو بدأ بإنزال طائراته العمودية شمال غربي المرصد، وأن قوات الكوماندوس الإسرائيلية الهابطة على بعد ٥٠٠ – ٨٠٠ متر، بدأت تتقدم على أنساق، وأن العدو أنزل عدداً من الطائرات أيضاً على المرتفع ١٢٢٤ الموجود شرقي المرصد، ترجل منها عدد من العناصر المعادية، أقامت كمائن ونقاطاً نارية، راحت ترمي على المرصد من الاتجاه الشمالي والشمالي الشرقي بالتعاون مع القوات المهاجمة، على المحاور الثلاثة السابقة نفسها.

وفي هذه الأثناء كانت المواقع الدفاعية الصديقة معزولة، تحيط بها القوات الإسرائيلية التي حاصرتها كالخاتم.

اتصل الملازم سميح شحرور بالملازم الأول محسن، وأخبره بان العدو قد بدأ هجومه الثاني مستخدما الدبابات استخداماً كثيفاً.

ولم يكد العدو يقترب من المواقع الدفاعية الصديقة حتى بدا الاشتباك بالأنساق المعادية المهاجمة.

ثم فجأة وكما تنقض الصاعقة، انهمرت القذائف على الأنساق المعادية المتقدمة. وغطت سماء المعركة سحب من الدخان والغبار.

سمح المقاتلون المغاوير للعدو بالتقدم نحوهم حتى مسافة قريبة، وفجأة أمطروه بنيراهم. غير أن الدبابات المهاجمة حاولت على الرغم من ذلك اختراق ستارة النيران والتقدم إلى الأمام، وحاول الإسرائيليون الالتفاف حول قواتنا عن طريق الوديان، إلا أن المقاتلين المغاوير قاموا بمناورة سريعة ووجهوا إليهم ضربة مميتة.

أصبحت المعركة صعبة ودموية بالنسبة للمدافعين عن المرصد، فالقصف الجوي الثقيل، ورمايات المدفعية المتواصلة، وتزايد هجوم القوات الإسرائيلية، والتفوق العددي الكبير – كل هذا جعل القتال أكثر عنفاً وضراوة مما كان عليه.. وعلى طول الخطوط الدفاعية، كان يسمع دوي الرشاشات، وقصف مدافع الهاون، وأزيز الرصاص.

ولقد أثارت هذه الإستماته في المقاومة حنق القادة الإسرائيليين، الذين كانوا يقودون الهجوم على المرصد، فلم يكونوا يتوقعون مثل هذا الصمود.

كان الدخان والغبار يجففان أفوان المقاتلين. وكانوا يعانون في دفاعهم عن المرصد أشد التجارب قسوة وصعوبة. وكان الظمأ أقسى تجربة مروا بها منذ بداية الحرب، وعلى الرغم من هذا، كان المقاتلون يحصلون على الماء من الأعداء أنفسهم.

كانت هذه المعركة الدفاعية قاسية لما تميزت به من طابع العنف والبسالة، كان المقاتلون يحاربون في ظروف الجوع والإنهاك، ويقاومون العدو في غضب وشجاعة. وحتى أولئك الذين جرحوا أكثر من مرة لم يلقوا السلاح، بل ظلوا يواصلون القتال.

وفي هذا القتال الدامي، وجد المقاتلون المغاوير قوة هائلة في أنفسهم لخوض معركة غير متكافئة مستخدمين القنابل اليدوية والأسلحة الفردية والجماعية، قاتلين وجارحين عدداً لا يستهان به من الإسرائيليين. ولقد أرغموا العدو للمرة الثانية على التراجع، وبعد أن أوقعوا الارتباك في صفوفه.

ولم يمض وقت طويل حتى شن العدو هجومه للمرة الثالثة زاجاً في المعركة بقوى جديدة. وفجأة تحولت المرتفعات والتباب المحيطة بالمرصد إلى خط ناري هادر. وعادت مدفعيته تصب قذائفها على المواقع الدفاعية وقد ملأ الدخان والغبار المرتفعات والتباب المحيطة بالمرصد.

نشبت في المواقع الدفاعية الإلتحامات المباشرة بالسلاح الأبيض والقنابل اليدوية بين المعتدين الإسرائيليين والمقاتلين السوريين... وارتفع هنا وهناك دوري الانفجارات المفاجئة العنيفة. وصمد المقاتلون المغاوير أبطالاً يواصلون معركتهم الدامية.

إن مأثرة هؤلاء المقاتلين المغاوير مثل من أمثلة الإخلاص والوفاء اللذين أبداهما المقاتلون العرب تجاه الأمة والوطن.

ولن ينسى رفاق السلاح الشهيد الأول منير عيسى الذي استشهد وهو يؤدي الواجب العسكري في أشرف معركة دفاعية، **والشهيد المجند محمد نور المنجد**، الذي كان صائماً، وكان يردد « ما أحلى الشهادة في رمضان» **والشهيد العريف نايف كنعان، وغيرهم من الشهداء**، الذين سجلوا بدمائهم صفحة رائعة من صفحات التضحية والفداء.

لقد سقط المرصد بيد العدو في الساعة الثامنة والنصف من صباح ٢٢ / ١٠ / ١٩٧٣م بعد أن تكبد العدو ما يقارب ألف وخمسمائة إصابة بين قتيل وجريح (٦٠٠ قتيل و ٩٠٠ جريح[١]). وبعد أن نفذت الذخيرة من أيدي الرجال الذين استهلكوا خمس وحدات نارية في أقل من أربع وعشرين ساعة. أما خسائرنا فكانت ٧٦ شهيداً و١٢٣ جريحاً و٧٣ أسيراً.

---

(١) عندما قامت غولدا مائير رئيسة وزراء الكيان الصهيوني بزيارة جرحى جبل الشيخ الذين وضعوا في ثلاث مستشفيات في تل أبيب أغمي عليها ثلاث مرات لهول المشاهد التي رأتها مرتسمة على وجوه الجرحى.

كان اللواء الخامس الجبلي الذي وصل من القطر العراقي الشقيق للمساهمة في حرب تشرين التحريرية هو الوحدة النموذجية بنظر الأخوة ضباط الارتباط العراقيين لاسترداد مرصد جبل الشيخ من يد العدو وذلك لخبرته في خوض الأعمال القتالية في الجبال وبالفعل فقد تم إسناد المهمة لهذا اللواء من قبل القيادة السورية كما تم تعيين ضباط الاتجاهات الذين سيوجهون اللواء الخامس الجبلي إلى مهمته الجديدة.

وفي صباح ١٩٧٣/١٠/٢٢م تحرك اللواء المذكور من منطقة قطنا باتجاه جبل الشيخ على محور بقعسم – عرنة، إلا أن هذا اللواء لم يتمكن من الوصول إلاّ إلى مشارف عرنة، لتعرضه إلى القصف الجوي المعادي وإلى رمايات الهاون المعادية وقفل راجعاً إلى قاعدة انطلاقه في تل أبو سية.

الفصل الثاني

نظرة تحليلية للعمليات البرية في قطاعات الجبهة السورية

أولاً - خطة الهجوم السوري:

ليست المنحدرات الشرقية لهضبة الجولان في وعورة وارتفاع المنحدرات الغربية للهضبة، إذا لا توجد بها مرتفعات يصعب ارتقاؤها مثلما هو حال الحد الغربي للهضبة المواجه لبحيرتي الحولة وطبريا، كما أنها لا تقطعها أنهار أو وديان عميقة، ولذلك لا تشكل طبيعة الأرض فيها أي مانع طبيعي ضد حركة المدرعات والآليات بصفة عامة على امتداد المواجهة البالغ طولها نحو ٥٥ كم ابتداءً من سفوح «جبل الشيخ» في الشمال حتى الضفة الشمالية لنهر «اليرموك» في الجنوب. ولهذا كان من الطبيعي أن تحافظ القيادة السورية لهجومها بأسلوب وتكتيكات تختلف عن أسلوب وتكتيكات القيادة المصرية التي كانت تواجه مشكلات اجتياز القناة والجدار الترابي المقام على ضفتها الشرقية[١].

وعلى هذا الأساس خططت القيادة السورية لهجوم مدرع ميكانيكي سريع الحركة منذ اللحظات الأولى يتيح لها إمكانية اختراق محاور التقدم

---

(١) الموسوعة العسكرية – إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٧١٠.

الرئيسية في الهضبة التي يبلغ عمقها في الوسط، بين « القنيطرة » وجسر « بنات يعقوب »، نحو ١٨ كم فقط.

وتحددت اتجاهات الهجوم على أساس قيام فرقة المشاة الميكانيكية السابعة (بقيادة العميد عمر أبرش) بالتقدم من منطقة الأحمدية في اتجاهين أحدهما نحو الغرب والآخر نحو الجنوب الغربي إلى الشمال من « القنيطرة » والطريق الرئيسي المؤدي إلى جسر « **بنات يعقوب** »،على أن يقوم لواء مشاة مستقل بالزحف جنوب سفوح « **جبل الشيخ** » السفلى نحو الجنوب الغربي تجاه طريق « بانياس – القنيطرة» لحماية الجناح الأيمن للفرقة السابعة. وفي الوقت نفسه تتقدم فرقة المشاة الميكانيكية التاسعة(**بقيادة العقيد الركن حسن تركماني)** من المنطقة الواقعة غرب « تل الحارّة » في اتجاه الغرب إلى الشمال مباشرة من «الخشنيه » وذلك على شكل شعبتين متوازيتين إحداهما نحو طريق « القنيطرة – جسر بنات يعقوب » لقطعه غرباً والآخر يتجه إلى « كفر نفاخ » الواقعة في منتصف الطريق المذكور تقريباً، والتي توجد فيها قيادة القوات الإسرائيلية في الجولان. وعلى المحور الجنوبي كان على فرقة المشاة الميكانيكية الخامسة **(بقيادة العميد مصطفى شربا)** أن تهاجم من منطقة « الرفيد » نحو الجنوب الغربي تجاه بحيرة «طبرية».

وبالإضافة إلى هذه الهجمات الرئيسية كان على وحدة خاصة من المغاوير محمولة جواً أن تهاجم مرصد جبل الشيخ بوساطة طائرات الهيكوبتر وتستولي عليه في إغارة مفاجئة لتحرم القيادة الإسرائيلية من محطة الرادار وأجهزة الرصد المشرفة على مسرح العمليات البرية منذ بداية الهجوم، وتضعها في خدمة القيادة السورية بعد ذلك. وخصصت وحدات مشاة مغربية لمهاجمة السفوح السفلى لجبل الشيخ لمنع الهجمات المعاكسة الإسرائيلية التي قد توجه ضد قوات المغاوير إثر استيلائها على المرصد المذكور.

وفي النسق الثاني للقوات السورية كانت **توجد فرقتان مدرعتان ولواءان مدرعان مستقلان. وكانت** كل فرقة مشاة ميكانيكية تتألف من لوائي مشاة في كل منهما كتيبة دبابات ولواء مشاة ميكانيكي ولواء مدرع، وقدر عدد الدبابات الملحقة بفرق المشاة الميكانيكية الثلاث المشار إليها آنفاً بنحو ٥٤٠ دبابة (أي بواقع ١٨٠ دبابة في الفرقة الواحدة)، كما قدر عدد الدبابات الموجودة بالفرقتين المدرعتين معاً ٤٦٠ دبابة.

وساندت قوات الهجوم حشود قوية من المدفعية قدرت بنحو ١٠٤ بطاريات مدفعية وقاذف صواريخ كاتيوشا (ضمت مدفعية عيار ١٢٢ مم، ١٣٠ مم، ١٥٢ مم). وقد أعدت القيادة السورية **خطين دفاعيين** في العمق العملياتي للجبهة، الأول يقع على مسافة نحو ٢٠ كم شرق خط إطلاق النار، ابتداء من نقطة تبعد قليلاً إلى الغرب من « قطنا » على الطريق المؤدي إلى جبل الشيخ في الشمال ماراً بسعسع على الطريق بين « دمشق » و « القنيطرة » ومنتهياً عند « الصنمين » الواقعة على الطريق المؤدي إلى « الرفيد » على المحور الجنوبي. **أما الخط الدفاعي** الثاني فقد أقيم على مسافة تبعد نحو ١٠ إلى ١٥ كم شرقي الخط الأول من نقطة تقع إلى الشمال الغربي من « دمشق » على الطريق المؤدي إلى « القنيطرة » ويمتد جنوباً حتى بلدة « الكسوة » الواقعة على الطريق المؤدي إلى « الصنمين » و « الشيخ مسكين » و « درعا » كما تركزت شبكة صواريخ سام المضادة للطائرات بمختلف أنواعها على طريق « دمشق – الشيخ مسكين ».

ثانياً - أوضاع القوات الإسرائيلية في الجولان:

في ١٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣م نفذ السلاح الجوي الإسرائيلي عملية استطلاع جوي كبير للساحل السوري صاحبها إعداد كمين جوي للمقاتلات المعترضة السورية (أسفر عن إسقاط ١٣ طائرة «ميغ ٢١ » وفقاً لرواية

المصادر الإسرائيلية مقابل إسقاط طائرة ميراج، أما المصادر السورية فقالت إنها أسقطت ٥ طائرات إسرائيلية وفقدت ٨ طائرات) وتوقعت القيادة العسكرية الإسرائيلية في المنطقة الشمالية حدوث اشتباكات خطيرة في الجولان، ولا سيما بعد أن أوضحت تقارير الاستطلاع الجوي يوم ٢٤ / ٩ بأن عدد الدبابات السورية المحتشدة في الجبهة قد ارتفع إلى ٦٧٠ دبابة بعد أن كان حوالي ٥٠٠ دبابة يوم ١١ / ٩، وأن عدد بطاريات المدفعية قد زاد في الفترة نفسها من ٦٩ بطارية إلى ١٠٠ بطارية، وأن هناك ثلاث فرق مشاة قد احتلت خط الدفاع الأول.

وبذلك عقد اجتماع في رئاسة الأركان الإسرائيلية في يوم ٢٤ / ٩ حضره اللواء «إسحق حوفي » قائد المنطقة الشمالية واللواء « **دافيد اليعازر** » رئيس الأركان و« موشي دايان » وزير الدفاع لبحث الموقف، وقد أوضح « **حوفي** » في الجلسة المذكورة أن حجم القوات السورية الموجودة في الخط الأمامي يسمح لها بشن هجوم كبير دون سابق إنذار. وقد أثار هذا الموقف شكوك ومخاوف « **دايان** » فقام بزيارة تفقدية لجبهة الجولان يوم ٢٦ / ٩ حيث شاهد بنفسه حشوداً كبيرة لمدفعية سورية متوسطة، وعلى إثر ذلك أصدر إلى رئيس الأركان أمراً بضرورة تعزيز قوات الجولان المؤلفة أصلا من لواء مشاة ميكانيكي (لواء « **غولاني** ») منتشر على طول الجبهة في مواقع دفاعية قوية التحصين تحمي طرق الاقتراب المحتملة، ويبلغ عددها ١١ موقعاً ابتداء من شرق « مسعده » في أقصى الشمال إلى « تل الساقي » في أقصى الجنوب شرقي « العال »، ويمتد أمامها خندق مضاد للدبابات عرضه نحو ٤ أمتار وعمقه ٣ أمتار، يعلوه من حافته الغربية جدار ترابي ارتفاعه نحو ٨ أمتار، وتمتد أمام الخندق حقول ألغام، ويعزز لواء المشاة المذكور اللواء المدرع ٣٧، الذي يسميه الإسرائيليون لواء « **براك** »، وكان يضم ٣ كتائب دبابات (الكتائب ٣، ٤، ٥)، وقد وزعت فصائل دبابات في مواقع دفاعية خط ثاني يبعد نحو ٣-٥ كيلومترات وراء الخط الأول، جهزت

بحفر لرماية دبابات والمدافع المضادة للدبابات ومدفعية الميدان، وأحيطت بالأسلاك الشائكة والألغام.

وقد أمرت رئاسة الأركان اللواء المدرع السابع بتعزيز القوات العاملة المدافعة عن الجولان، وبالفعل وصلت كتيبة الدبابات السابعة إلى منطقة « كفر نفاخ» قبل بدء نشوب الحرب بعشرة أيام، كما قام قائد اللواء ومعه ضباط الاستطلاع والمدفعية التابعين للواء بتفقد خط الجبهة وتحديد الأهداف المحتملة ومواقع رماية الدبابات والمدفعية ووضع خطط الهجمات المعاكسة المتوقع القيام بها. وبذلك أصبح لدى قيادة الجولان ٤ كتائب دبابات (كانت كلها وقتئذ خاضعة لقيادة اللواء المدرع ٣٧) وبلغ عدد دباباتها يوم ٢ / ١٠/ ٧٣، وفقاً للمصادر الإسرائيلية، ١٧٧ دبابة، فضلاً عن لواء المشاة الميكانيكي الموزع على امتداد الجبهة، وبلغ عدد بطاريات المدفعية في ذلك اليوم ١١ بطارية.

كما تم إبلاغ وحدات مجمعات الألوية الاحتياطية المعدة للقتال في الجبهة الشمالية، وهي مجموعة ألوية « **دان لانر** » ومجموعة ألوية « **رفول أيتان** »، باحتمال إعلان التعبئة العامة، وأعدت ترتيبات إخلاء الهضبة من سكان المستوطنات المدنيين. كما بثت آلاف الألغام الجديدة أمام الخندق المضاد للدبابات وحول المواقع الدفاعية وجرى تعميق الخندق المضاد للدبابات. وفي فجر يوم ٦ / ١٠ استدعي « **إسحق حوفي** » إلى اجتماع في رئاسة الأركان حضره قادة الجبهات الثلاث، وأبلغ « **دافيد اليعازر** » قادة الجبهات بأن الحرب قد تنشب في الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه، وأن أوامر التعبئة العامة على وشك الصدور. وكانت بقية كتائب اللواء المدرع السابع (الكتائب١، ٢ المدرعة وكتيبة المشاة الميكانيكية) قد تم تحريكها إلى منطقة «كفر نفاخ – واسط – سنديانه » خلال يوم ٥ / ١٠، وعندما أبلغ قائد اللواء صباح يوم ٦ / ١٠ باحتمال نشوب الحرب خلال هذا اليوم، حددت مهمة اللواء بحماية القطاع الشمالي من « القنيطرة » حتى سفوح « جبل الشيخ » وألحقت به كتيبة الدبابات الرابعة التابعة للواء المدرع ٣٧ نظراً

لوجودها عند « القنيطرة » أصلاً، ولذلك ألحقت كتيبة الدبابات الثانية للواء السابع باللواء ٣٧ عوضاً عنها لتقاتل معه في القطاع الجنوبي الممتد حتى «الرفيد»، حيث كانت القيادة الإسرائيلية تتوقع أن يكون هناك المجهود الثانوي للهجوم السوري،نظراً لأن صور الاستطلاع الجوي كانت توضح أن حوالي ٦٠% من بطاريات المدفعية السورية كانت محتشدة في القطاع الشمالي من الجولان(١).

وعلى هذا الأساس أصبح لدى اللواء المدرع السابع كتائب الدبابات ١، ٤، ٧ فضلاً عن كتيبة المشاة الميكانيكية التي ألحقت بها سرية دبابات واعتبرت بمثابة احتياطي اللواء. أما اللواء المدرع ٣٧ فقد أصبح يتألف من كتائب الدبابات ٢، ٥ فضلاً عن بقية وحداته المعاونة. واحتفظ بالكتيبة ٣ كاحتياطي لدى قائد الجبهة وبذلك أصبح لدى القوات الإسرائيلية في «الجولان» عند بدء الهجوم السوري لواءان مدرعان يضمان ٥ كتائب دبابات، فضلاً عن كتيبة الدبابات الاحتياطية وكتيبة دبابات لواء غولاني الميكانيكي، أي ما مجموعه ٧ كتائب دبابات.

وفي مقابل ذلك كان لدى القوات السورية التي ستبدأ الهجوم في اليوم الأول حوالي ٧٠٠ دبابة بالإضافة إلى الفرقتين المدرعتين الاحتياطيتين. وقد وزع قائد اللواء المدرع السابع كتيبة الدبابات الأولى في المنطقة الواقعة بين الموقع الدفاعي الأول المقابل لمسعدة، المسمى «أ-١» (كانت جميع المواقع يرمز إليها برقم مسلسل إلى جانب حرف أ) والسفوح الجنوبية لجبل الشيخ. كما وزع كتيبة الدبابات الرابعة بين موقعي «أ – ٢» و «أ – ٣» عند «تل البوستر » شمال «القنيطرة » وتمركزت قيادتها في مدينة «القنيطرة » ذاتها، أما الكتيبة السابعة دبابات فكانت موزعة على طريق «كفرنفاخ – واسط ».

---

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص٥٩٢.

وعلى مقربة منها كانت هناك كتيبة المشاة الميكانيكية المعززة بسرية دبابات والمعدة كاحتياطي للواء.

أما قائد اللواء المدرع٣٧ فقد وزع كتيبة الدبابات الثانية بواقع سرية بين موقعي «أ – ٥» و «أ – ٦» اللذين يوجد بينهما «**تل عكاشة** ». وسرية ثانية على مفترق طريق. «الفريد عند موقع «أ – ٧»، حيث يلتقي الطريق الجنوبي القادم من «**العال**» إلى «**البطمية**» و «**الصنمين**» بالطريق القادم من «القنيطرة» إلى «**نوى**»، وسرية ثالثة عند موقع «أ – ١١ » المواجه لتل الساقي في أقصى الجنوب. كما وزع كتيبة الدبابات الخامسة بين المواقع «أ – ٦» و «أ – ٩ » على كلا جانبي خط أنابيب النفط «**تابلاين**»، وتمركزت قيادتها على تل «**الجوخدار**». أما قيادة اللواء فكانت في «كفرنفاخ »، وكذلك كانت هناك أيضاً قيادة اللواء المدرع السابع، حيث عقد قائده اجتماعاً ظهر يوم ١٠/٦ لقادة الكتائب، لإبلاغهم باحتمال نشوب الحرب في الساعة السادسة مساء اليوم نفسه قطعه بدء القصف المدفعي التمهيدي للهجوم السوري.

ثالثاً - الهجوم السوري في الجولان:

في تمام الساعة الثانية من بعد ظهر يوم ١٩٧٣/١٠/٦م بدأت المدفعية السورية رميها التمهيدي السابق لهجوم المدرعات والمشاة الميكانيكية الذي استمر نحو ٩٠ دقيقة، واشترك فيه نحو ١٠٠٠ مدفع، كما أغارت مجموعات من طائرات «الميغ ٢١ » و «سوخوي ٧» على المواقع والتجمعات الإسرائيلية، من ارتفاعات منخفضة. وإثر بدء الرمي المدفعي بقليل، بدأت الموجات الأولى من الدبابات وناقلات الجنود المدرعة السورية تقدمها نحو الخطوط الإسرائيلية تصاحبها «**البلدوزرات** » والدبابات حاملة الجسور، التي أخذت تردم الخندق المضاد للدبابات وتقيم عليه المعابر. وبهذا

أصبح الرمي المدفعي بمثابة مساندة قريبة بالنيران للوحدات المدرعة والميكانيكية خلال المرحلة الأولى من بدء هجومها[١].

وفي حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر كانت الدبابات وناقلات الجنود السورية قد اجتازت الخندق المضاد للدبابات في نقطتي الاختراق الرئيسيتين، الأولى كانت عند «القنيطرة» متجهة نحو الجنوب الغربي، في منطقة بين موقعي «أ – ٢» و «أ – ٣»، والثانية عند «الفريد» متجهة نحو الشمال الغربي على الطريق المؤدي إلى «الخشنية»، حيث كانت الفرقة «٩ » تتقدم في منطقة «تل عكاشة » بين موقعي «أ – ٥ » و «أ – ٦». وكانت الدبابات السورية تتقدم في مجموعات تضم ٧–١٠ دبابات و ٢–٣ ناقلة جنود مدرعة، **ولكن المدرعات كانت تسير متقاربة** من بعضها، ولذلك تعرضت لخسائر فادحة من الدبابات الإسرائيلية المتخندقة في مواقع رماية معدة مسبقاً في الخط الثاني خلال الساعات الأولى من الهجوم ، وحتى لا تقلل المدرعات السورية من سرعة هجومها وتعطي الفرصة للعدو كي يستجمع قواه ويركزها، **عمدت إلى الالتفاف** حول المواقع الدفاعية واندفعت إلى العمق متجنبة السير على الطريق.

وفي الوقت الذي بدأت فيه المدرعات والمشاة الميكانيكية هجومها الرئيسي هذا، كانت هناك **٤ طائرات هليكوبتر من طراز** «س٨» تحمل قوة من المغاوير السوريين وتنزلهم على قمة جبل الشيخ من الخلف حيث هاجموا حامية المرصد الإسرائيلي البالغ عددها نحو ٥٥ جندياً (كان معظمهم يلعبون طاولة الزهر)، وقد تم الاستيلاء على المرصد بعد نصف ساعة من القتال العنيف الذي لم ينج منه سوى ١١ جندياً إسرائيلياً استطاعوا الفرار من الموقع. وقد حاول لواء «غولاني» استرداد المرصد بهجوم معاكس **إلاّ أن**

---

(١) الموسوعة العسكرية – إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٧١١.

وحدات المشاة المغربية المرابطة عند سفوح جبل الشيخ استطاعت أن تصد الهجوم وتقتل ٢٢ جندياً إسرائيلياً وتصيب ٥٠ آخرين بجراح.

رابعاً - القتال في القطاع الجنوبي من الجولان:

حقق الهجوم السوري في قطاعي فرقتي المشاة الميكانيكية التاسعة والخامسة بجنوب الجولان نجاحات أولية سريعة، إذ تمكن اللواءان المدرعان ٤٨ و ٥١ من اختراق خط الدفاع الإسرائيلي جنوب الموقع «أ ٦» عند تل كودنا، واجتازا خط «التابلاين» بالقرب من الخشنية وتقدما بمحاذاة طريق اليهودية إلى عمق نحو ٢٠ كم داخل الهضبة، حتى أصبحا على مشارف بحيرة طبريا. كما استطاع اللواء المدرع ٤٧ واللواء الميكانيكي ١٣٢ اختراق خط الدفاع الإسرائيلي في أقصى جنوب الجولان قرب البطمية، واجتازا طريق «التابلاين » والموقعين الدفاعيين «أ ٩ »و «أ ١٠»، وتقدما نحو قرية العال. وقد واصل قسم من اللواء المدرع ٤٧ تقدمه شمالاً نحو اليهودية، على حين اشتبك القسم الآخر من اللواء ومعه وحدات اللواء الميكانيكي ١٣٢ بطلائع وحدات الاحتياط المدرعة الإسرائيلية التي بدأت تصل إلى المحور الجنوبي للجولان ضمن مجموعة ألوية «دان لانر » مساء يوم ٦/١٠ (إذ كانت هذه المجموعة قد بدأ استدعاؤها منذ صباح يوم ٦/١٠ إثر ورود التقارير التي حصلت عليها الاستخبارات الإسرائيلية فجر ذلك اليوم).

وتقدمت وراء هذه الألوية المدرعة والميكانيكية بقية وحدات الفرقتين السوريتين التاسعة والخامسة، وطهرت معظم المواقع الدفاعية الإسرائيلية التي كانت تدافع عنها وحدات من لواء «غولاني»، كما استولت وحدة من مغاوير جيش التحرير الفلسطيني المحمولين بطائرات الهيلكوبتر على «تل فرس» وطهرته من القوة الإسرائيلية التي كانت تدافع عنه.

ونتيجة لذلك الاختراق شبه الكامل للقطاع الجنوبي من الجولان خلال الساعات الأولى لبدء القتال، (على الرغم من محاولات الطيران الإسرائيلي اليائسة لإيقاف تقدم المدرعات السورية التي ترتب عليها وقوع خسائر فادحة به نتيجة قوة الدفاع الجوي السوري المستند أساساً إلى صواريخ سام ٦ ومدافع «زد س يو ٢٣ – ٤» الموجهة بالرادار)، تحطم اللواء المدرع الإسرائيلي ٣٧ الذي كان يدافع عن هذا القطاع، ولم يبق لديه في صباح يوم ١٠/٧ سوى ١٢ دبابة انسحبت مع قائد اللواء «بن شوهام» إلى منطقة كفرنفاخ على المحور الأوسط، وسارعت القيادة الإسرائيلية باستكمال تعبئة وحدات الاحتياط وإرسالها بسرعة إلى هضبة الجولان مساء يوم ١٠/٦ وطوال ليلة ٦-٧.

وكان اللواء المدرع ١٧ (أحد ألوية مجموعة دان لانر) هو أول هذه الوحدات التي وصلت إلى القطاع الجنوبي من الجولان، وقد دفع قسم من هذا اللواء إلى «العال» لصد القوات السورية المتقدمة نحوها، وعزز بكتيبة مدرعة أخرى تابعة للواء المدرع ١٩ خلال الليل،وأمكن لهذه القوة بعد أن وصلتها تعزيزات أخرى ودعمتها هجمات الطيران الإسرائيلي أن تصد الزحف السوري في هذا القطاع خلال نهار يوم ١٠/٧، بعد قتال عنيف دار في الحقول الواقعة بين «العال» ومستوطنة «رمات مكشيميم». وفي الوقت نفسه كان قسم آخر من اللواء المدرع ١٧ يخوض قتالاً عنيفاً ضد جزء من اللواء المدرع السوري ٤٧ تقدم نحو اليهودية، وتمكن من إيقاف تقدمه. كما وصل اللواء المدرع الاحتياطي ١٤ تعززه بعض وحدات من اللواء المدرع ١٧ على الطريق الموازي لليهودية واشتبك في قتال صد عنيف مع اللوائين المدرعين السوريين ٤٣، ٥١ على مسافة ١٠ كم تقريباً نهر الأردن[١].

---

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص ٥٩٥.

وعند ظهر يوم ١٠/٧ تقدمت قوة مدرعة سورية أخرى (تابعة للفرقة المدرعة الأولى**)** من منطقة الخشنية وسنديانة نحو معسكر كفرنفاخ، حيث كانت توجد قيادة الجولان ومقر قيادة «**رفول إيتان**»، واستطاعت أن تستولي عليه بعد معركة قصيرة انتهت حوالي الساعة ١,١٥ من بعد ظهر اليوم نفسه بفرار «رفول » من المعسكر والقضاء على بقية اللواء المدرع ٣٧ ومقتل قائده ونائبه وضابط العمليات الخاص به. إلا أن اللواء المدرع الاحتياط ٧٩ استطاع أن يسترد المعسكر في مساء اليوم نفسه بعد قيامه بهجوم معاكس فقد فيه عدداً من دباباته.

وفي الوقت الذي كانت مجموعة ألوية «دان لانر » تقوم فيه بصد الاندفاع السوري على المحور الجنوبي عند «العال» وتجاه «اليهودية» ويبذل فيه اللواء ٧٩ جهوده لمنع التفاف المدرعات السورية حول مؤخرة قوات مجموعة «**رفول**» التي تقاتل على المحورين الأوسط والشمالي عبر كفرنفاخ، **كانت مجموعة ألوية** «**موشي بيلد**» **تقترب** من المحور الجنوبي بسرعة لتساهم في صد الهجوم السوري. وقد عقد اجتماع في الساعة الثامنة من مساء يوم ١٠/٧ في مقر القيادة العسكرية الإسرائيلية الشمالية، حضره «**حاييم بارليف**» كمندوب عن القيادة العامة بتكليف من «**غولدا مائير**» رئيسة الوزراء، و «**إسحق حوفي** » قائد الجبهة الشمالية، و «**بيلد** »، وعدد من كبار ضباط هذه القيادة، جرى فيه بحث الموقف العسكري الخطير في الجولان، وتقرر على ضوء ذلك شن هجوم مضاد في القطاع الجنوبي صباح اليوم التالي ١٠/٨ بهدف دفع الفرقة الخامسة السورية نحو مفترق «الرفيد – البطمية »، وتهديد الجناح الجنوبي للفرقة التاسعة والفرقة المدرعة الأولى السوريتين اللتين تتخذان من الخشنية مركزاً قيادياً وإدارياً لإدارة وتوجيه الهجوم السوري الرئيسي الذي كان متشعباً إلى ٣ شعب «**الأولى عند كفرنفاخ والثانية إلى الغرب قليلاً** من الأولى لقطع طريق «كفرنفاخ – **جسر بنات يعقوب** »، والثالثة متجهة غرباً على محور «اليهودية» نحو الطرف الشمالي

لبحيرة **طبريا**. وعلى أن يتبع ذلك محاولة تطويق هاتين الفرقتين حو ل الخشنية من الشمال والجنوب.

وعلى أساس هذه الخطة، أعيد تنظيم وتوزيع قوات مجموعات الألوية الثلاث العاملة في الجولان، بحيث أصبحت مجموعة «دان لانر» تتألف من اللوائين المدرعين ١٧ و ١٩، ومهمتها الضغط من الشرق قرب «اليهودية » ومن الشمال عند «كفرنفاخ» و «سنديانة ». **وأصبحت مجموعة** «**موشي بيلد**» تضم الألوية المدرعة ١٤ و ١٩ و ٢٠ و ٦٠، ومهمتها التقدم نحو « البطمية » على محور «العال – الرفيد» بوساطة اللوائين ١٩ و ٦٠، على أن يقوم اللواء المدرع الاحتياطي ١٤ بالزحف شمال هذا الحور نحو مزرعة «القنيطرة» ومستوطنة «غيشور» ثم «الخشنية ». على حين ضمت **مجموعة** «**رفول إيتان**» في القطاع الشمالي من الجولان، اللواء المدرع السابع وكتيبة مدرعة من الاحتياط كانت تابعة للواء ٣٧ (الذي دمرت كتيبتاه العاملتان) ولواء المظليين الميكانيكي ٣١ ولواء مشاة «غولاني» الميكانيكي، وقد عهد إليها الاستمرار في صد هجوم فرقة المشاة السابعة السورية عند «القنيطرة » وإلى الشمال منها وتأمين الجناح الأيسر لمجموعة «دان لانر»[(١)].

وقد بدأ هجوم مجموعة «بيلد» في الساعة ٨,٣٠ من صباح يوم ٨/١٠ بهجمات جوية كثيفة استخدم فيها النابالم وبرمي مدفعي تمهيدي. ثم تقدم اللواء المدرع ١٩ بمنطقة «العال» حيث واجه مقاومة سورية شديدة ألحقت الكثير من الخسائر في دباباته، ولذلك دفع «**بيلد** » بكتيبة من اللواء المدرع ٢٠ إلى يمين اللواء ١٩ للالتفاف حول المواقع السورية في اتجاه «**تل السقي** » ولكنها وقعت في كمين يضم صواريخ مضادة للدبابات ومدافع عديمة الارتداد ١٠٦مم ألحق بها خسائر فادحة. واضطر «بيلد» إلى دفع

---

(١) الموسوعة العسكرية – إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٧١٢.

لوائيه ١٩ و ١٤ فضلاً عن بقية اللواء ٢٠ لاقتحام الدفاع السوري م/د، الذي أقامه اللواء الميكانيكي ١٣٢ بعد انسحابه من منطقة «العال» في المنطقة الواقعة بين «**تل السقي** » و «**الجوخدار**» على كلا جانبي طريق «**العال – الرفيد**»، وكان يضم ٣ سرايا عربات مدرعة مسلحة بصواريخ م/د «ساغر »، وسريتي مدافع ١٠٦، فضلاً عن دعم مدفعي وبعض الدبابات وقد استمرت المعركة حتى حلول مساء يوم ١٠/٨، حيث تمكنت القوات الإسرائيلية من احتلال القسم الأكبر من الدفاعات السورية بعد أن تكبدت خسائر فادحة، ووصلت إثر ذلك إلى مستوطنة «غيشور» و «الجوخدار ».

وفي الوقت نفسه كانت مجموعة «لانر» تخوض غمار قتال عنيف طوال اليوم. وتكبد اللواء المدرع ١٧ خسائر فادحة على طريق «اليهودية»، كما دمرت له ١٣ دبابة دفعة واحدة نتيجة لوقوعها في كمين م/د. وفي نهاية اليوم أصبح اللواء يضم كتيبة مدرعة واحدة فقط ووحدة استطلاع وطوال نهار اليوم نفسه كان اللواء المدرع ٧٩ يناور على محور «**التابلاين**» بين «**كفرنفاخ**» و «**سنديانة** »، وفي المساء هاجم اللواء «سنديانة » واستولى عليها بعد أن تكبد خسائر شديدة في الدبابات والأفراد. وقد حاول اللواء المدرع السوري ٩١ (أحد ألوية الفرقة المدرعة الأولى) استرداد «سنديان » في صباح يوم ١٠/٩ بهجوم مضاد مهدت له المدفعية الصاروخية برمي كثيف، إلا أن الهجوم لم ينجح في تحقيق هدفه. وشن اللواء المدرع الإسرائيلي ٧٩ هجوماً آخر في مساء اليوم نفسه على تل «رمثانية » والقرية القريبة منه واستولى عليه قبل الغروب بعد قتال مرير. وفي الوقت نفسه كان اللواء المدرع ١٧ يقترب من محور «**التابلاين** » من جهة الغرب، وبذلك أصبحت مجموعة «**لانر**» توشك أن تغلق الطرف الشمالي للكماشة المطبقة على «الخشنية» من جهة الشمال الغربي.

أما في الجنوب فقد جددت مجموعة ألوية «بيلد» هجومها صباح يوم ١٠/٩ (وفي هذا اليوم خف الدفاع الجوي السوري في الجبهة بعض الشيء

نظراً لسحب بعض بطاريات صواريخ سام ٦ منها لمواجهة القصف الجوي الإسرائيلي لدمشق وبعض مناطق العمق السوري) فهاجم اللواء المدرع ٢٠ على محور «العال – الرفيد» والى يساره اللواء المدرع ١٤ ثم اللواء المدرع ١٩، الذي نجح في الوصول حوالي الساعة ١١ صباحاً إلى الهضبة المشرفة على **الخشنية** من الجنوب الشرقي. ولقد أنزلت القوات السورية المدافعة عن منطقة الخشنية خسائر كبيرة بقوات الجناح الأيسر للواء ١٤، وحاول اللواء ١٩ تعاونه كتيبة مدرعة من اللواء ١٧ (التابع لمجموعة لانر)، احتلال الهضبة المذكورة، إلا أن المحاولة فشلت بعد أن أصيب عدد كبير من الدبابات الإسرائيلية في الدقائق العشر الأولى للهجوم.

أما في قطاع اللواء ٢٠، حيث كان اللواء الميكانيكي ١٣٢ السوري قد انسحب لإعادة التنظيم، وحل محله اللواء المدرع ٤٧، فقد أمكن للإسرائيليين أن يصلوا إلى مشارف «**تل فرس**» عند ظهر اليوم نفسه في وجه مقاومة سورية شديدة ترتب عليها وقوع خسائر كبيرة بين صفوف الإسرائيليين. **وقد شنت وحدات سورية هجوماً معاكساً** إثر ذلك من «**الخشنية**» على مجموعة «**بيلد**» تجاه الشرق، ونتج عن ذلك أن أصبح اللواء المدرع ٢٠ متعرضاً للضغط السوري من الشرق والغرب في آن واحد. **ولذلك دفع** «**بيلد**» باللواء ١٤ للهجوم في وسط جبهته، ونجح هذا اللواء في قطع طريق «**الخشنية – الرفيد** » وبذلك أزال الضغط السوري على اللواء ٢٠ من جهة «الخشنية » (أي على جناحه الأيسر).

وإثر ذلك هاجم اللواء المذكور «**تل فرس**» واستولى عليه بعد تكبده خسائر شديدة، خاصة في وحدة الاستطلاع التابعة له.

وفي الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم نفسه، جدد اللواء ١٩ هجومه على الهضبة المشرفة على «الخشنية» من جهة الجنوب الشرقي مستخدماً كتيبتي دبابات وبمساندة قوية من المدفعية والطيران، الذي ساهم بدور فعال

في التمهيد للهجوم بعد أن ضعف الدفاع الجوي الصاروخي السوري في المنطقة، فاستطاع احتلال الهضبة المذكورة بعد قتال عنيف ضد وحدات اللواء المدرع ٤٣ السوري، ثم أوقف التقدم الإسرائيلي قرب «**الخشنية**» نفسها بعد أن تكبد اللواء ١٩ خسائر فادحة ولم يتبق لديه سوى عديد قليل من الدبابات الصالحة للقتال. وإثر ذلك حاصرت القوات السورية اللواء ١٩ ولكنه استطاع أن يفلت من الحصار خلال ليلة ٩/١٠ وخلال الليلة نفسها قام اللواء ٥١ **السوري** بهجوم معاكس من الشرق لتعزيز موقف الفرقة المدرعة الأولى في «الخشنية »، ولكن اللواء المدرع ٢٠ الإسرائيلي استطاع أن يصد الهجوم عند «**تل فرس**». وفي صباح يوم ١٠/١٠ واصلت مجموعة «**بيلد**» هجومها في القطاع الجنوبي، فتقدم اللواء المدرع ٦٠ (الذي كان يحمي الجناح الأيمن طيلة يومي ٨ و ٩ ولم يشترك في القتال) نحو خط وقف إطلاق النار عام ١٩٦٧م عند «الرفيد» واحتل تل «**حانوط**»، كما احتل اللواء ٢٠ بعض المواقع السورية الواقعة في الغرب من «**الرفيد**»، وتقدم اللواء ١٤ في اتجاه الموقع الدفاعي السابق «أ – ٦ »، وتقدم اللواء ١٩ عبر صفوف اللواء ١٤ نحو تل «**كودنا**» واجتاز خلال تقدمة هذا خط وقف إطلاق النار بقوة نصف كتيبة دبابات، إلا أنه اضطر للتوقف نظراً لشدة النيران السورية الصادرة عن التل المذكور التي كادت أن تقضي على دباباته تماماً.

وعموماً فقد تعرضت جميع الألوية المدرعة الإسرائيلية المشار إليها لمقاومة سورية شديدة نتج عنها إلحاق خسائر كبيرة بها اضطر معها «حوفي» أن يصدر أمراً إلى «بيلد» بإيقاف هجومه خشية أن تستمر مجموعة الألوية في فقدان دباباتها بنفس المعدل. وفي الوقت نفسه واصلت مجموعة ألوية «لانر» هجومها يوم ١٠/١٠ فتقدم اللواء ٧٩ من جنوبي «القنيطرة » نحو «الخشنية» معتقداً أن القوات السورية قد انسحبت منها ولكنه فوجئ بنيران قاتلة من الصواريخ والمدافع م/د دمرت له ٥ دبابات على الفور كانت تشكل قوة المقدمة. ثم استطاع احتلال التلال القريبة من «الخشنية » بعد أن

بدأت القوات السورية الموجودة بها في الانسحاب خشية تطويقها من الجنوب والشمال. وفي الوقت نفسه كان اللواء ١٧ يهاجم «الرمثانية».

وعند الظهر أتمت القوات السورية انسحابها فاحتلت المدرعات الإسرائيلية «الخشنية»، واكتملت بذلك تصفية الاختراق السوري للقطاع الجنوبي من الجولان(١).

خامساً - القتال في القطاع الشمالي من الجولان:

قامت فرقة المشاة الميكانيكية السابعة السورية، يدعمها اللواء المدرع ٧٨ بالهجوم في المنطقة الواقعة بين موقعي « أ – ٢ » و «أ – ٣» الدفاعيين إلى الشمال من مدينة «**القنيطرة**»، تحت حماية المدفعية التي شكلت سداً نارياً زاحفاً أمام المدرعات السورية. وقد ألحقت دبابات الكتيبة المدرعة الرابعة الإسرائيلية (التابعة للواء المدرع السابع) خسائر عديدة بالمدرعات السورية خلال ساعات بعد ظهر يوم ١٠/٦، إلا أن المدرعات السورية استمرت في هجومها باندفاع وقوة، وكانت الدبابات التي تتعطل منها تستمر في الرمي كمدفعية ثابتة.

واستمر الهجوم خلال الليل، نظراً لأن الدبابات السورية كانت مجهزة بمعدات الرؤية الليلية، وانتشر جنود المشاة السوريون المسلحون بقواذف «الآر بي جي ٧» في المنطقة لاصطياد الدبابات الإسرائيلية التي أخذت تناور بالحركة وتبدل مواقع إطلاق النار. واشتركت المدفعية الإسرائيلية بعيدة المدى من عيار ١٧٥مم في مساندة المواقع الدفاعية التي حاصرتها القوات السورية. وفي الفترة الواقعة بين الساعة العاشرة من ليلة ٦-٧ حتى الساعة الثالثة من فجر يوم ١٠/٧ درات معركة دبابات عنيفة بين اللواء المدرع

---

(١) الموسوعة العسكرية – إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٧١٤.

السابع الإسرائيلي والمدرعات السورية في السهل الممتد بين مستوطنتي «**حرمونيت**» و «**بوستر** » أسفرت عن إصابة نحو ٤٠ دبابة سورية وعدد كبير من الدبابات الإسرائيلية، كما أصيبت نحو ٣٠ دبابة سورية أخرى في المنطقة الواقعة بين «القنيطرة » والموقع «أـ٤» وصُدت عن التقدم قوة مدرعة سورية أخرى كانت تزحف خلال الليل على طريق «الرفيد – القنيطرة » من الجنوب.

وأدى ارتفاع خسائر المدرعات السورية، ومناعة المواقع الدفاعية الإسرائيلية (خاصة فوق التلال المحيطة بالقنيطرة مثل تل أبو الندى)، والتجهيز الجيد المسبق لمواقع إطلاق نار دبابات اللواء المدرع السابع، إلى فقدان الهجوم السوري في الشمال زخمه الرئيسي، وعدم سقوط «القنيطرة» على الرغم من تطويقها من الشمال والجنوب. وبالإضافة إلى ذلك فإن هجوم لواء المشاة المستقل، الذي كان سيحمي الجناح الأيمن لفرقة المشاة السابعة، في أقصى شمال الجبهة فشل، الأمر الذي ترتب عليه تعريض جناح الفرقة الأيمن لهجمات معاكسة من هناك اضطرتها لإيقاف هجومها بعد سلسلة من المعارك استمرت طوال يومي ٧،٨ تشرين الأول (أكتوبر)، تداخلت فيها دبابات الطرفين في كثير من الحالات إلى حد تعذر معه إدارة المعركة بصورة منظمة[١].

وفي صباح يوم ١٠/٨ لم يبق في اللواء المدرع السابع الإسرائيلي سوى ٣٠ دبابة صالحة للقتال. ثم وصلت تعزيزات إسرائيلية جديدة إلى اللواء المذكور، فضلاً عن استمرار الدعم الجوي، الذي ساعد في إيقاف الهجوم السوري، خاصة وأن الخسائر في الدبابات كانت كبيرة **(حوالي ٢٦٠ – ٣٠٠ دبابة). ويقول الإسرائيليون إنَّ القوات السورية تركت وراءها في**

---

(١) اللواء د. إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص ٦٠٠.

الجولان ٨٦٧ دبابة ما بين مدمرة ومصابة وسليمة. ولا يذكرون خسائرهم المقابلة خلال هذه المرحلة من الحرب، التي يبدو إنها كانت فادحة هي الأخرى، ولكن نظراً لسيطرة القوات الإسرائيلية على أرض المعركة، واضطرار القوات السورية المهاجمة إلى الانسحاب قبل أن يتوفر لها الوقت الكافي لسحب أو إصلاح الدبابات المصابة إصابات قابلة للإصلاح، فقد كان من الضروري أن تصبح الحصيلة النهائية للخسائر السورية في الدبابات والآليات المدرعة عموماً أكثر من الحصيلة النهائية للخسائر الإسرائيلية المماثلة،وأصبح من الصعب للغاية التوصل إلى معرفة النسبة الفعلية لمعدل الإصابات بالنسبة إلى الطرفين، نظراً لأن أطقم التسليح والصيانة الإسرائيلية تمكنت بطبيعة الحال أن تصلح العديد من الدبابات الإسرائيلية المصابة، بل والسورية أيضاً فيما بعد.

إلا أنه يبدو وعلى الرغم من ذلك أن معدل الإصابات والخسائر السورية كان أعلى من معدل الإصابات الإسرائيلية نظراً لكثرة الإصابات التي لحقت بالدبابات السورية المهاجمة نتيجة لدقة الرمي المضاد الإسرائيلي من المواقع المجهزة سلفاً، والتدريب المسبق على أرض المعركة، وتحديد مسافات الرمي إلخ، ونظراً للدور الذي لعبه الطيران الإسرائيلي على الرغم من الخسائر الفادحة التي لحقت به (والتي بلغت في اليوم الأول وحده ٣٠ طائرة «سكاي هوك» و ١٠ طائرات «فانتوم»، خاصة بعد أن ضعف الدفاع الصاروخي الجوي السوري نسبياً،وتعمقت المدرعات السورية داخل الهضبة، واضطرت القيادة السورية إلى سحب بعض بطاريات الصواريخ إلى العاصمة دمشق لحمايتها من القصف الجوي الإسرائيلي[١].

---

(١) الموسوعة العسكرية – إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٧١٤.

سادساً - القتال في جيب «سعسع»:

في مساء يوم ١٠/١٠ عقب قيام القوات الإسرائيلية بصد الهجوم السوري في الجولان واستعادة سيطرتها الكاملة على المنطقة الواقعة غربي خط وقف إطلاق النار عام ١٩٦٧م (باستثناء جبل الشيخ الذي كانت قمته لا تزال في أيدي القوات السورية) قررت القيادة الإسرائيلية مواصلة هجومها المضاد داخل الأراضي السورية بغية الوصول إلى دمشق أو تهديدها بصورة تدفع سورية إلى إنهاء القتال والخروج من تحالفها العسكري مع مصر في هذه الحرب، ومن ثم تتوفر الظروف الملائمة للتركيز على الجبهة المصرية.

لتعويض خسائرها في الدبابات وإمدادها بصواريخ م/ط جديدة، فرض على القيادة الإسرائيلية ضرورة مواصلة هجومها دون توقف للحيلولة دون استعادة الجبهة الشمالية لتوازنها، الأمر الذي سيترتب عليه إعطاء الفرصة المناسبة لتطوير الجيش المصري هجومه شرقاً نحو الممرات. ولذلك تجدد الهجوم المضاد الإسرائيلي في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم ١٠/١١، **وتركز هذه المرة في القطاع الشمالي من الجبهة الذي يعد أقصر محاور التقدم نحو «دمشق »، كما أنه يعتبر** أقل تحصيناً نسبياً نظراً لعدم ملاءمة أرضه الصخرية لحركة المدرعات، ومن ثم اعتبرت القيادة الإسرائيلية القيام بهجوم مدرع في هذا القطاع سيكون غير متوقع لدى القيادة السورية، هذا فصلاً عن أن جبل الشيخ يشكل الجناح الأيسر للقوات الإسرائيلية المهاجمة ومن ثم يتعذر تهديدها بالمدرعات من هناك.

وبدأت مجموعة «رفول » الهجوم بقصف مدفعي شديد سانده قصف جوي مركز، ثم تقدمت دبابات اللواء المدرع السابع (بعد أن أعيد تجهيزه بدبابات ووحدات جديدة)، الذي أصبح يضم ٤ كتائب مدرعة، يساندها لواء المظليين الميكانيكي ٣١ نحو « حضر » ومزرعة « بيت جن » و« جبعاتا » «حلاس» و «تل شمس». وبعد ساعتين بدأت مجموعة «لانر» هجوماً آخر

إلى الجنوب قليلاً من مجموعة «رفول »، وذلك على الطريق الرئيسي «القنيطرة – خان أرنبة – سعسع»، بوساطة اللوائين المدرعين ١٧ و ١٩.

وقد استطاعت وحدات اللواء المدرع السابع أن تحتل «حضر» بعد قتال عنيف اضطر معه لواء المشاة ٦٨ السوري إلى إخلاء القرية، وقد حاولت هذه الوحدات بعد ذلك احتلال مزرعة «بيت جن» ولكن ٤٠ دبابة سورية شنت عليها هجوماً معاكساً بمساندة الطيران استطاعت أن تصد تقدمها طوال اليوم، كما تمكنت وحدات أخرى من اللواء السابع أن تسيطر على تل صغير يشرف على «**خان أرنبة**»(١) بعد مقاومة سورية عنيفة، ونتيجة لذلك تكونت ثغرة بين الجناح الأيمن لمجموعة «رفول » والجناح الأيسر لمجموعة «لانر»، التي تعرضت هي الأخرى لمقاومة سورية عنيفة للغاية على طريق «القنيطرة – سعسع » أدت إلى إصابة ١٧ دبابة من وحدة استطلاع اللواء المدرع ١٧.

كما لحقت خسائر شديدة باللواء المدرع ٧٩ أيضاً، الأمر الذي اضطر «لانر» إلى وقف هجومه على هذا المحور تجنباً لمزيد من الخسائر غير المجدية، ودفع اللواء المدرع ١٩ جنوب الطريق حيث احتل «**تل الشعار**». وقد تعرضت وحدات اللواء المدرع ١٧ خلال الليل لهجمات وحدات مشاة سورية مسلحة بقواذف «آر بي جي »، كانت قد تجاوزتها خلال النهار قرب خان أرنبة (لم يكن لدى اللواء سوى ٥ دبابات فقط صالحة للقتال في نهاية اليوم والباقي إما محطم أو معطل) ولذلك دفع «لانر» بكتيبة مترجلة من المظليين في المنطقة خلال الليل لتطهيرها من قانصي الدبابات السوريين، كما دفع اللواء المدرع ٧٩ بوحدتين لإنقاذ بقايا اللواء ١٧ المحاصرة، وتكبد بعض الخسائر نتيجة لذلك خلال ليلة ١١ –١٢، وقتل قائد إحدى الوحدتين وجرح قائد الأخرى.

---

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص ٦٠٢.

وفي يوم ١٠/١٢ واصلت وحدات من اللواء المدرع السابع هجومها واستطاعت بعد قتال عنيف استمر حتى الخامسة من مساء اليوم نفسه، تخللته عدة هجمات معاكسة سورية، أن تستولي على مزرعة «**بيت جن**» التي تعرضت إثر ذلك مباشرة لقصف جوي ومدفعي سوري مركز ، وخلال اليوم نفسه حاولت كتيبتا دبابات من اللواء نفسه احتلال «**تل شمس**»، إلا أن نيران الأسلحة م/د والصواريخ «ساغر» حالت بينها وبين تحقيق هدفها وكبدتها خسائر فادحة. ولذلك دفع «**رفول**» بقوة من المظليين قامت بزحف ليلي صامت ثم هاجمت التل واشتبكت في قتال متلاحم عنيف مع المدافعين أسفر عن احتلال التل في الساعة الخامسة من صباح يوم ١٠/١٣، وإثر ذلك ركزت المدفعية والطيران السوريين نيرانهما على التل لمدة ٣ ساعات، ثم شن المشاة السوريون تساندهم بعض الدبابات ٣ هجمات معاكسة قوية خلال الأيام الثلاثة التالية لاسترداد التل كبدوا فيها القوات الإسرائيلية خسائر فادحة ومنعوها من مواصلة التقدم في هذه المنطقة تماماً، ولكن التل بقي في أيدي الإسرائيليين حتى نهاية الحرب. وفي اليوم نفسه حاولت مجموعة «**لانر**» التقدم نحو «**كناكر**» إلى الجنوب من الطريق في محاولة للالتفاف حول «**سعسع**»، إلاّ أنها فشلت في محاولتها هذه، وتكبد لواءاها ١٧ و١٩ خسائر فادحة، وأسفرت هذه المحاولة عن احتلال «**كفرناسج**» و«التل ١٢٧» الواقع على بعد ٤ كم جنوبي «كناكر».

سابعاً - الهجمات المعاكسة العراقية والأردنية:

إثر نشوب الحرب العربية - الإسرائيلية الرابعة في ١٠/٦ قررت الحكومة العراقية المشاركة فيها، على الرغم من عدم علمها المسبق بقرار مصر وسورية ببدء القتال في اليوم المذكور، ولذلك طار رئيس الأركان العراقي **الفريق أول عبد الجبار شنشل ومعه** عدد من كبار الضباط إلى دمشق صباح يوم ١٠/٧ لبحث تفاصيل الدعم العسكري العراقي مع القادة

السورين. واتفق على **إرسال الفرقتين المدرعتين الثالثة والسادسة العراقيتين** إلى الجبهة السورية في أسرع وقت ممكن، فضلاً عن سرب من طائرات «ميغ٢١»، وسربي «سوخوي – ٧»، وسرب «ميغ –١٧»[١].

وقد وصل اللواء المدرع ١٢ التابع للفرقة المدرعة الثالثة إلى دمشق ليلة ١٠ –١١ **بعد رحلة قطع فيها ١٢٠٠كم**، وتمركز مساء يوم ١٠/١١ في «الصنمين» على بُعد نحو ٥٠ كم جنوب دمشق على الطريق المؤدي إلى «**الشيخ مسكين**» و «**درعا**»، ليكون في موقع يمكنه من سد الثغرة التي وجدت بين الفرقة التاسعة السورية التي تصد الهجوم الإسرائيلي عند محور «**القنيطرة** – سعسع» والفرقة الخامسة التي انتشرت على الطريقين المتفرعين من «الفرفيد» إلى كل من «**نوى والصنمين**» في القطاع الجنوبي من الجبهة، وهي ثغرة كانت القيادة السورية تخشى قيام المدرعات الإسرائيلية بحركة التفاف تتم عبرها حول الجناح الجنوبي لخط الدفاع السوري الذي تعذر عليها اختراقه في الشمال والوسط.

وقد بدأ اللواء المدرع ١٢ يستعد لشن هجوم معاكس على الجناح الجنوبي لمجموعة «لانر»، دون أن تتوفر له فرصة كافية لإجراء استطلاع دقيق لمسرح عملياته المتوقعة أو لتنظيم دخوله المعركة بصورة سليمة نظراً لضيق الوقت المتاح له، ولذلك قام اللواء بهجومه هذا في صباح يوم ١٠/١٢ في المنطقة الواقعة بين «**مسحرة** » و «**كفرناسج**» حيث تعرض لنيران كمين رادع إسرائيلي أقامته مجموعة «لانر». ونشبت على الأثر معركة عنيفة استمرت حتى الفجر فقد خلالها اللواء المدرع العراقي نحو ٤٠ دبابة.

وفي اليوم نفسه عبر اللواء المدرع ٤٠ الأردني الحدود السورية واحتشد في منطقة «الشيخ مسكين»، ثم تقدم يوم ١٠/١٦ في اتجاه «تل

---

1 – الموسوعة العسكرية – إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٧١٥.

مسحرة» وعندما وصل إلى مقابل تل «**المال**» توجه غرباً وهناك اصطدم باللواء المدرع ١٧ الإسرائيلي وفقد نحو ٢٠ دبابة. وشن **اللواء المدرع ٦ العراقي** الذي وصل إلى الجبهة، هجوماً خلال اليوم نفسه من «**كفرشمس**» في اتجاه تل «**عنتر** » و «**العليقة**» صده اللواءان المدرعان الإسرائيليان ١٩ و ٢٠.

وفي يوم ١٧ /١٠ حلت مجموعة «بيلد محل مجموعة «لانر» في القطاع الجنوبي من الجيب، نظراً لشدة الخسائر والإرهاق الذي لحق المجموعة المذكورة، ولكن اللوائين ١٩ و ٢٠ ظلا في القطاع نفسه تحت قيادة «**بيلد**». وقامت كتيبة مظليين إسرائيلية تابعة للواء ٣١ بهجوم خلال ليلة ١٧–١٨ استولت فيه على قرية «**أم باطنة**» الواقعة على بعد ٦ كم شرقي «**القنيطرة**»، وذلك بهدف توسيع قاعدة الجيب الإسرائيلي تجاه الجنوب[١].

وفي يوم ١٩ /١٠ شن اللواء المدرع السادس وجزء من اللواء الثامن الميكانيكي (التابعان للفرقة المدرعة العراقية الثالثة) هجوماً معاكساً على القوات الإسرائيلية في تل «**عنتر**» **وتل** «**العلاقية**» اشتركت فيه نحو ١٣٠ دبابة و ١٠٠ ناقلة جنود مدرعة مهدت له المدفعية برمي مركز، وتصدى اللواءان المدرعان ١٩ و ٢٠ لهذا الهجوم، الذي اتخذ شكل ٣ هجمات متتابعة، واستمر القتال لمدة ٧ ساعات تقلصت خلالها قوة اللواء المدرع ٢٠ الإسرائيلي، التي كانت تضم كتيبة ونصف من الدبابات، إلى نصف كتيبة فقط. وفي الوقت نفسه **قام اللواء المدرع ٤٠ الأردني بهجوم معاكس من منطقة تل** «**الحارّة**» نحو جناح قوات «بيلد» في تل «مسحرة»

---

(١) اللواء د. إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص٦٠٤.

وتل «المال»، واستمر القتال بين الطرفين حتى الساعة الثالثة من بعد الظهر، ثم انسحب اللواء الأردني بعد أن أصيبت ٢٠ دبابة من دباباته، وكذلك أمكن للقوات الإسرائيلية أن تصد الهجوم العراقي (الذي تكرر في هذا اليوم ثلاث مرات) بعد أن تكبدت خسائر فادحة.

وطوال هذه الفترة كانت تجري في القطاعين الأوسط والشمالي هجمات إسرائيلية وأخرى سورية صغيرة، معظمها ليلة، تستهدف تحسين المواقع التكتيكية للطرفين.

وهكذا فشل الاختراق الإسرائيلي للجبهة السورية التي نجحت قواتها في التصدي بعنف للهجوم المضاد الإسرائيلي، واستطاعت أن تسحب قواتها ببطء وتماسك نحو خط الدفاع الثاني المعد مسبقاً على محور «سعسع» حيث أوقف الهجوم تماماً، خاصة وأن وصول القوات العراقية والأردنية إلى الجبهة وحمايتها لجناحها الجنوبي وقيامها بهجمات معاكسة استنزفت جهود القوات المدرعة الإسرائيلية، قد ساعد على ثبات الجبهة، وحال دون نجاح مناورات الالتفاف التي درجت عليها المدرعات الإسرائيلية من قبل. وقد تجمد الموقف بعد ذلك على هذا النحو **وأخذت القوات السورية التي أعادت تنظيمها والقوات العراقية التي تكاملت في هذا القطاع، (الفرقة المدرعة ٣ والفرقة المدرعة ٦ ولواء قوات خاصة ولواء المشاة ٢٠) واللواءان الأردنيان (٤٠ و ٩٢) تستعد لشن** هجوم معاكس لتصفية جيب (سعسع).

ولكن هذا الهجوم لم يتم بسبب صدور قرار وقف إطلاق النار وتنفيذه يوم ٢٣ / ١٠.

وفي يوم ٢١ / ١٠ قام لواء غولاني وكتيبة مظليين محمولة بطائرات الهليكوبتر بهجوم على جبل الشيخ ونجح في استرداد المرصد الموجود في قمته من القوات السورية.

وتقدر الخسائر السورية في هذه الحرب بنحو ٣٥٠٠ شهيد و٣٧٠ أسيراً ونحو ١١٥٠ دبابة، أما القوات العراقية فكانت خسائرها ١١١ دبابة وناقلة جنود مدرعة و٢٤٩ آلية نقل ٨٣٥ شهيداً و٧٣ مفقوداً و٢٧١ جريحاً، وفقدت القوات الأردنية نحو ٥٠ دبابة. وليست هناك أرقام دقيقة عن خسائر الطيران (بالنسبة إلى الطرفين) وتزعم المصادر الاسرائيلية أنها خسرت نحو ٢٥٠ دبابة و٧٧٢ قتيلاً و ٢٤٥٢ جريحاً و ٦٥ أسيراً، وما أخفته إسرائيل أعظم!؟.


الهيئة العامة
السورية للكتاب

الفصل الثالث

نظرة تحليلية للعمليات الجوية والبحرية والإلكترونية في حرب عام ١٩٧٣م

أولاً - العمليات الجوية في حرب ١٩٧٣م:

عند بدء الهجوم على الجبهتين المصرية والسورية انطلقت نحو ٢٠٠ طائرة فوق سيناء، من بينها ٣٤ طائرة هنتر عراقية، لتساند الهجوم البري بقصف جوي في العمق العملياتي استهدف مطارات (المليز) و (بير تمادا) و (رأس نصراني) (والأخير يقع في منطقة شرم الشيخ على خليج العقبة)، و١٠ مواقع صواريخ أرض – جو طراز (هوك)، وموقعي مدفعية بعيدة المدى من طراز (م – ١٠٧) عيار ١٧٥ مم، وثلاثة مواقع رادار ومراكز توجيه وإنذار، ومحطتا تشويش إلكتروني في (أم خشيب)و (أم مرجم) و(الأولى تقع على جبل قريب من ممر الجدي والثانية تقع على جبل شمالي غربي مطار (والمليز) قرب (بير جفجافة)، و٣ مناطق شؤون إدارية، وإحدى نقاط خط بارليف القوية شرق بور فؤاد (قرب بور سعيد). كما قدمت الطائرات دعماً قريباً للقوات المهاجمة لخط بارليف أثناء عمليات العبور الأولى التي رافقها قصف مدفعي مركز. وقد شاركت في هذه العمليات

طائرات من طراز (ميغ ٢١م ف) و (سوخري – ٧) و (ميغ ١٧) وكانت تحلق في الوقت نفسه مظلة جوية فوق الأراضي المصرية تضم ٢٤ طائرة (ميغ ٢١) أخرى[١].

وفي الوقت نفسه كانت زهاء ١٠٠ طائرة سورية من الأنواع المذكورة تهاجم معسكري (شرياشوف) و (مشمار هايردين) في سهل الحولة والمعسكرات الأخرى الموجودة في هضبة الجولان، مثل معسكر كفر نفاخ، وموقع جبل الشيخ، ودارت خلال هذه الهجمات بعض الاشتباكات الجوية مع الطيران الإسرائيلي. وإثر ذلك بوقت قصير (نحو ٤٠ دقيقة على الجبهة المصرية) بدأت الطائرات الاسرائيلية محاولات هجومية على القوات المصرية التي بدأت عبور القناة والمدرعات السورية المتقدمة في الجولان، ولكنها اصطدمت بشبكة الدفاع الجوي القوي في كلتا الجبهتين، التي استندت على تنسيق **فعال بين مختلف أنواع المدفعية م / ط والصواريخ سام ٢ و ٣ و ٦ و ٧**، وحالت بينها وبين تحقيق أهدافها، ملحقة بها خسائر فادحة (خاصة عند المعابر والجسور الجاري إقامتها في القناة)، وقد بلغ عدد طلعات الطيران الاسرائيلي خلال ساعات النهار المتبقية من يوم ٦ / ١٠ فوق الجبهة المصرية ٤٤٦ طلعة، كما بلغ عدد الطلعات خلال ليلة ٦ – ٧ فوق الجبهة نفسها ٢٦٢ طلعة.

وفي صباح يوم ٧/ ١٠ استأنف الطيران الإسرائيلي هجماته التكتيكية على الجبهتين، مركزاً جهوده الرئيسية على الجبهة السورية التي كانت تشكل خطراً مباشراً على الأرض المحتلة في فلسطين، وتحمّل خلال ذلك الهجوم مزيداً من الخسائر الفادحة بوساطة الدفاع الجوي في معظم الحالات. وقد حاولت الطائرات الإسرائيلية في صباح ذلك اليوم أن تدمر الجسور

---

(١) الموسوعة العسكرية – إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٧١٦.

العائمة المقامة فوق القناة بهجمات جرت على ارتفاعات شديدة الانخفاض، إلا أن المدافع م / ط والرشاشات (خاصة رشاشات «زد س يو– ٢٣– ٤» الرباعية السبطانات والموجهة بالرادار من فوق مجنزرات) وصواريخ سام ٧ (التي كانت تطلق من فوق أكتاف الجنود أو في شكل صليات جماعية من العربات المدرعة التي تحمل الواحدة منها ٦ – ٨ صواريخ) استطاعت أن تصدها عن الاستمرار في الاقتراب من أهدافها على هذا النحو وأجبرتها على الارتفاع خارج المدى المؤثر لها، فتلقفتها صواريخ « سام ٦» وأسقطت العديد منها.

وإثر ذلك ركز الطيران الإسرائيلي هجماته على القواعد الجوية المصرية في «القطامية» و«المنصورة» و«قويسنا» و«شبراخيت» و«الصالحية» و«طنطا» و «أبو حماد » و «جناكليس » و «بير عرضية» و «بني سويف»، إلا أن فاعلية الدفاع المستند إلى تعاون وثيق بين طائرات «الميغ – ٢١» المعترضة والصواريخ والمدفعية م/ط وأجهزة الرادار الخاصة بالإنذار المبكر وإدارة النيران والمراقبين البصريين المنتشرين عند جميع طرق الاقتراب المحتملة، حالت دون وصول الطائرات الإسرائيلية إلى المطارات، باستثناء مطارين فقط، ولم تدمر أية طائرة مصرية على الأرض طوال أيام الهجوم الجوي الإسرائيلي على هذه القواعد، والتي استمرت سبعة أيام، نظراً لاحتمائها بملاجئ مبنية من الإسمنت المسلح، كما أن الإصابات التي لحقت بمدارج الطائرات أمكن إصلاحها بسرعة نظراً لوجود وحدات مهندسين جيدة الإعداد والتدريب قادرة على إبطال مفعول القنابل الموقوتة التي تلقيها الطائرات الإسرائيلية وإصلاح المدارج بسرعة إثر ذلك[١].

وكانت طائرات«الميغ ٢١» بمثابة الخط الدفاعي الأول الذي يصد الطائرات الإسرائيلية عادة فوق البحر أو عند أطراف الدلتا الشمالية

---

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص ٦٣٢.

ويجبرها على إلقاء حمولتها من القنابل بعيداً عن أهدافها في معظم الحالات، وإسقاط بعضها في معارك جوية، أثبتت فيها «الميغ ٢١» قدرة كبيرة على المناورة وتحدي «الفانتوم» و «الميراج ٣ سي» في الارتفاعات العالية. وقد حاول الطيران الإسرائيلي بعد ذلك مهاجمة محطات الرادار المصرية لفتح ثغرة في الدفاع الجوي، إلا أن محاولاته لم تسفر إلا عن إلحاق بعض الأضرار ببعض الأجهزة، دون أن تفتح مثل هذه الثغرة، ومقابل خسائر شديدة ألحقتها به المدفعية والرشاشات التي كانت تحمي هذه المحطات.

كما أن وسائل التشويش الإلكتروني التي كانت تستخدمها طائرات المظلة الجوية الإسرائيلية أثناء الهجمات لم تكن ذات أثر كبير على أجهزة الدفاع الجوي التي عرفت كيف تواجهها بعمليات مضادة. كما تركزت الغارات الجوية الإسرائيلية على مدينة بورسعيد، لفتح ثغرة في جدار الصواريخ من شمال الجبهة، ولاجتذاب جزء من احتياطي القيادة البرية المصرية إلى المنطقة على أساس إيهامها بأن القصف الجوي الإسرائيلي لبور سعيد على هذا النحو المكثف ليس إلا تمهيداً لعملية إنزال جوي وبحري، ودارت معارك عنيفة طوال الفترة الواقعة بين يومي ١٠/٨ و ١٠/١٥ فوق المدينة بين الطائرات الإسرائيلية وأسلحة الدفاع الجوي المصرية أُسقط فيها كثير من الطائرات المعادية، كما دُمرت خلالها ٤ بطاريات صواريخ سام مصرية وعند نهاية القتال في ٢٤ /١٠ /٧٣ كان الطيران الإسرائيلي قد قام بنحو ٩٣٠ طلعة طيران فوق المدينة، فقد خلالها عشرات من طائراته.

وبقي دور الطيران الإسرائيلي المساند للقوات البرية على الجبهة المصرية مجمد الفاعلية من الناحية الإيجابية طوال الفترة الواقعة بين ١٠/٦ و ١٦ ١٠، **نظراً لأن القوات** البرية المصرية كانت تقاتل تحت مظلة الصواريخ، إلى أن عبرت قوات «**شارون**» إلى الضفة الغربية عبر ثغرة الدفرسوار وأخذت تهاجم بطاريات الصواريخ القريبة،وتدمر بعضها وتجبر بعضها الآخر على الانسحاب إلى الخلف بعض الشيء، وكان نتيجة هذا

الهجوم (خاصة بعد أن توسع غرباً وجنوباً خلال الأيام التالية حتى يوم ٢٣ و ١٠/٢٤) أن اكتسب الطيران الإسرائيلي درجة أكبر من حرية الحركة والمناورة على الجبهة المصرية، ساعدت على تطوير عمليات القوات المدرعة الإسرائيلية التي انتهت بتطويق مدينة السويس وعزل جزء من قوات الجيش المصري الثالث على الضفة الشرقية.

وقد اضطرت القيادة الجوية المصرية أن تدفع بجزء كبير من قوتها خلال هذه المرحلة الحرجة من الحرب لتسد النقص في وسائل الدفاع الجوي فوق مسرح العمليات الحربية، وتحاول صد تقدم القوات البرية الإسرائيلية، وتخفف من وطأة الهجمات الجوية على القوات المشتركة في معارك الثغرة. وقد استخدمت خلال هذه الفترة قاذفات «ت يو – ١٦» في قصف ليلي لمنطقة العبور، كما استخدمت طائرات الهيلكوبتر في إلقاء النابالم على المناطق الزراعية المغطاة بنباتات كثيفة على الضفة الغربية للقناة قرب «الدفرسوار» و «فايد»، فضلاً عن استخدام الأنواع الأخرى من الطائرات (ميغ ٢١ وميغ ١٧ وسوخوي ٧). ونشبت خلال هذه المرحلة معارك جوية عدة بين الطرفين تكبد فيها الطيران المصري خسائر كبيرة نسبياً بالقياس للمرحلة السابقة من القتال.

أما في الجبهة السورية فقد استمر الطيران الإسرائيلي في تركيزه الهجومي على المدرعات والقوات الميكانيكية السورية المهاجمة في الجولان خلال الأيام الثلاثة الأولى من الحرب، على الرغم من فداحة الخسائر التي تحملها نتيجة لقوة الدفاع الجوي السوري، وأدى ذلك إلى تدمير عدد كبير من المدرعات السورية، الأمر الذي ساعد القوات البرية الإسرائيلية على صد الهجوم السوري والانتقال إلى الهجوم المضاد.

وابتداءً من يوم ١٠/٨ أخذ الطيران الإسرائيلي يهاجم العمق السوري بعنف، فقصفت أهدافاً عسكرية ومدنية في دمشق، كما هاجم محطة الكهرباء

ومصفاة النفط في حمص، وخزانات النفط في طرطوس واللاذقية، ودارت معارك جوية عديدة بينه وبين الطيران السوري فقد خلالها عدداً من الطائرات، واستمر الطيران السوري يقدم دعمه القريب للقوات البرية خلال معارك صد الهجوم المضاد الإسرائيلي في جيب سعسع وفوق جبل الشيخ حتى نهاية الحرب.

وليس هناك من شك في أن الأسلحة الجوية العربية، أي السلاحان الجويان المصري والسوري أساساً (شارك سرب من طائرات الهنتر العراقية فوق الجبهة المصرية وسرب من طائرات ميغ ٢١ وسربين من طائرات سوخوي ٧ وسرب ميغ – ١٧ العراقية أيضاً فوق الجبهة السورية، كما قدمت ليبيا ٣٨ طائرة ميراج إلى مصر استخدمها طيارون مصريون في بعض العمليات الهجومية داخل سيناء) قد لعبت دوراً هاماً في حرب ١٩٧٣م، يختلف جذرياً عن حرب ١٩٦٧م التي دُمرت فيها معظم الطائرات العربية على الأرض في اليوم الأول، كما أنها استطاعت أن تبقى على تواجدها الهجومي المحدد نسبياً طوال فترة الحرب، فضلاً عن تواجدها الدفاعي الأكثر فاعلية في التصدي للهجمات الجوية الإسرائيلية في العمق، خاصة فوق الدلتا في مصر، إلا أن الطيران الإسرائيلي استمر محافظاً على تفوقه فوق عمق الخطوط الإسرائيلية، ومن ثم لم تتعرقل كثيراً عمليات نقل القوات الاحتياطية البرية إلى جبهتي سيناء والجولان، وكذلك لم تتأثر كثيراً خطوط مواصلات هذه القوات وحركة إمدادها بمتطلبات شؤونها الإدارية، كما أدى ذلك أيضاً إلى تقييد مدى عمليات القوات البرية العربية بمدى فاعلية شبكة الصواريخ المضادة للطائرات، خاصة في سيناء، الأمر الذي كان له نتائجه غير المباشرة على تطور العمليات البرية.

ثانياً: العمليات البحرية في حرب ١٩٧٣م:

عشية نشوب الحرب كان ميزان القوى البحرية بين الطرفين على النحو التالي:

سورية: أما السلاح البحري السوري فكان يضم ٨ زوارق صورايخ (٦ كومار و ٢ أوسا) و ١٧ زورق طوربيد (سوفييتية الصنع)، و٣ زوارق دورية (فرنسية بنيت عام ١٩٣٩)، و ٤ كاسحات ألغام (سوفييتية الصنع ٢ منها للأسطول و ٢ ساحلية).

إسرائيل: كان لدى البحرية الإسرائيلية غواصتان (إنجليزية الصنع)، و ١٤ زورق صواريخ (١٢ منها طراز «ساعر» فرنسية الصنع، و ٢ طراز «رشاف» صنعت في إسرائيل تحت إشراف فرنسي، وكلها مسلحة بصواريخ «غبرييل») و ٩ زوارق طوربيد (يابانية وفرنسية الصنع)، و ٢٠ زورق دورية (يابانية وألمانية وبريطانية وأمريكية الصنع أو التصميم)، و ١٠ سفن إنزال صغيرة.

آ- العمليات البحرية على الجبهة المصرية: كانت وحدات الأسطول المصري موزعة على البحرين الأبيض والأحمر(وكذلك كانت الوحدات الإسرائيلية) وتعمل في قاعدتي الإسكندرية وبورسعيد في البحر الأبيض المتوسط، والغردقة وسفاجة في البحر الأحمر. ونتيجة لغلق قناة السويس منذ حرب ١٩٦٧م، واستحالة المرور فيها، تم تنظيم وإعداد قواعد كل من البحرين بحيث تكون مستقلة تماماً ومسؤولة عن إدارة علمياتها بمفردها. وقد أعدت خطة العمليات البحرية المصرية بحيث تكون عمليات مساندة لعمليات القوات البرية وأن يجري معظمها، خاصة في البحر الأبيض المتوسط، ضمن إطار الدفاع الجوي البري حتى لا تتعرض السفن لمخاطر التفوق الجوي الإسرائيلي، في ظل عدم تخطي عمليات الطيران المصري لإطار عمليات المساندة القريبة والإغارة في العمق العملياتي للعدو ضمن حدود معينة. فقام يوم ١٠/٦ سرب من زوارق الدورية من طراز «سوي» المسلحة بقواذف الصواريخ العادية بقصف تجمعات العدو وموقع لمدفعيته الثقيلة عند «رمانة » الواقعة على مسافة نحو ٤٠ كم شرقي القناة قرب شاطئ البحر الأبيض المتوسط، وفي الوقت نفسه قصف زورق آخر من

الطراز المذكور مرسى للعدو في «رأس برون» الواقع إلى الشمال من «رمانة»، حيث دمرت محطة رادار كان العدو الإسرائيلي قد أقامها هناك لمراقبة تحركات السفن أمام بور سعيد.

وفي البحر الأحمر قامت بعض الزوارق المذكورة بقصف مواقع العدو في منطقة «**رأس سدر**» على الشاطئ الشرقي لخليج السويس، كما قام سرب من زوارق الصواريخ الموجهة بقصف مواقع العدو في «شرم الشيخ» عند مدخل العقبة في مضائق تيران، وقامت وحدة من الضفادع البشرية بتعطيل أجهزة الحفر في آبار البترول البحرية المقامة في «بلاعيم» قرب الشاطئ الشرقي لخليج السويس إلى الجنوب من «أبو رديس».

ولم تلاق هذه العمليات التي جرت يوم ١٠/٦ أية مقاومة بحرية مضادة. وفي اليوم نفسه قامت قوة من مدمرتين وغواصتين بإغلاق مضيق باب المندب في أقصى جنوب البحر الأحمر في وجه الملاحة الإسرائيلية، وقد رست المدمرتان بالقرب من ميناء عدن بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، على حين كانت الغواصتان تقومان بأعمال الدورية إلى الشمال منها حيث اعترضتا سفينة نقل إسرائيلية وإصابتها إحدى الغواصتين بطوربيدين عيار ٢١ بوصة (ومن المعتقد أنها غرقت). وكان معدل السفن الإسرائيلية التي تجتاز مضيق باب المندب قبل نشوب حرب ١٩٧٣م يبلغ ١٨ سفينة في الشهر، وإثر فرض الحصار توقفت الملاحة الإسرائيلية عبره تماماً حتى رفع الحصار في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) من العام نفسه[١].

وفي ليلة ٧-٨ تشرين الأول (اكتوبر) اشتبكت بعض زوارق الصواريخ الموجهة المصرية مع وحدات بحرية إسرائيلية قرب المنطقة المواجهة لرمانة في البحر الأبيض المتوسط وأغرقت قطعة منها (مجهولة

---

(١) اللواء د. إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص ٦٣٦.

النوع). كما اشتبكت مجموعة من زوارق الصواريخ المذكورة في ليلة ٨-٩ مع ثلاث مجموعات من زوارق الصواريخ الإسرائيلية، كل منها تضم ٣ زوارق، وذلك في منطقة تقع بين «دمياط » وبحيرة «البرلس» في شمال الدلتا، وكانت طائرات الهليكوبتر المسلحة بصواريخ مضادة للسفن مشتركة في المعركة من الجانب الإسرائيلي. وقد أغرقت البحرية المصرية خلال هذا الاشتباك ٤ زوارق إسرائيلية يقال إنها خسرت ثلاثة زوارق بالمقابل. **وكانت هذه هي أول معركة بحرية في العالم تجري بالصواريخ سطح – سطح من الطرفين.**

وفي ليلة ٩-١٠ أغارت فصيلة من المغاوير البحريين المصريين على منطقة «أبو ردبة» على الشاطئ الشرقي لخليج السويس ولغمت مفارق الطرق البرية بالمنطقة ونسفت مستودعات البترول الموجودة فيها. كما قامت وحدة بحرية بزرع ألغام في الممرات المائية المؤدية إلى مرفأ بلاعيم. وقد أدى ذلك إلى إغراق ناقلة نفط تبلغ حمولتها ٤٦ ألف طن اسمها «سيروس»، بالإضافة لسفينة حمولتها ٢٠٠٠ طن.

كما حاولت وحدات خاصة من المغاوير البحريين والضفادع البشرية التابعين للبحرية الإسرائيلية الإغارة في ليلة ١١-١٢ على مرسى «الأدبية» و «**السادات**» **قرب** السويس، وفقدت نتيجة لذلك زورق دورية من طراز «دبور» الأمريكي وزوارق مطاط.

وفي ليلة ١٥ -١٦ دارت معركة كبيرة قرب شاطئ «أبو قير» الواقعة على بعد كيلومترات قليلة شرقي الإسكندرية بين سرب من زوارق الصواريخ الموجهة المصرية، كان يكمن خلف جزيرة «**دسوقي**» قرب مرسى «أبو قير»، ساندته صواريخ ساحلية أرض – بحر من طراز «**سامليت**»، مع أربعة زوارق صواريخ إسرائيلية كانت تحاول مهاجمة مرسى «**أبو قير**»، وقد أغرقت ٣ زوارق من الزوارق الإسرائيلية في

المعركة التي استمرت حتى فجر اليوم التالي، حيث أجهزت الطائرات على الزورق الثالث الذي كان مصاباً أمام رشيد، وقد حصلت عناصر الاستطلاع البحري المصري على صاروخ «**غبرييل**» بكامله في هذا الزورق قبل غرقه، وتم فحصه فنياً حيث تبين أنه تجميع لأجزاء فرنسية وإيطالية وبه بعض الإضافات الإسرائيلية البسيطة.

وفي الليلة نفسها أغارت مجموعة من المغاوير البحريين المصرية على منطقة «الشيخ بيتان» جنوب «الطور» على شاطئ خليج السويس الشرقي. وفي ليلة ١٦-١٧ أغارت مجموعة من الضفادع البشرية الإسرائيلية على ميناء بور سعيد فقتل عدد منهم، وأغرق قارب مطاط لهم. كما أغارت مجموعة أخرى من المغاوير الإسرائيليين ليلة ١٤ -١٥ على مرسى «رأس غارب» على الشاطئ الغربي لخليج السويس. وطوال فترة العمليات كانت الغواصات المصرية تقوم بأعمال الدوريات في شرق البحر الأبيض المتوسط تجاه الطرق المائية المؤدية إلى الموانئ الموجودة بفلسطين المحتلة مثل «حيفا» و «تل أبيب» و «أشدود»، ولذلك انخفض عدد السفن التي كانت تدخل هذه الموانئ من ٢٠٠ سفينة في المتوسط شهرياً إلى ٢٣ سفينة فقط في الفترة ما بين ٧٣/١٠/٦ و ١٩٧٣/١٠/٣٠م ، ويعتقد أن الغواصات المصرية أغرقت خلال هذه الفترة سفينتي نقل إسرائيليتين في البحر الأبيض المتوسط.

ب - العمليات على الجبهة السورية: اتخذ السلاح البحري السوري موقف الدفاع طوال فترة الحرب، نظراً لأن ميزان القوة البحري وعدم توفر المساندة الجوية الكافية لم يسمحا له بممارسة عمليات هجومية، خاصة وأن الساحل اللبناني كان يفصل بينه وبين الساحل الفلسطيني، ومن ثم كانت المسافة كبيرة نسبياً بين قواعده في «اللاذقية» و «طرطوس» وبين الموانئ والأهداف الساحلية الإسرائيلية. أما البحرية الإسرائيلية قد مارست نشاطاً هجومياً مكثفاً على الموانئ السورية، بمساعدة ودعم الطيران وطائرات الهليكوبتر المسلحة بالصواريخ. إذ هاجمت «اللاذقية» و«طرطوس» في ليلتي

١١ - ١٢ و ١٢ - ١٣ تشرين الأول (أكتوبر)، بمعاونة الطيران والهليكوبتر، وقصفت صهاريج البترول والمنشآت الموجودة بهما وكذلك في «بانياس».

وفي يومي ١٠/١٤ و ٢٠ /١٠ نشبت معركتان بحريتان بين الزوارق السورية، تساندها المدفعية الساحلية (المعركة الأولى جرت خلال الليل)، والزوارق الإسرائيلية أسفرت عن إغراق ٤ زوارق إسرائيلية، ولا تعرف الخسائر السورية بدقة[١].

وعموماً فقد أتاح التفوق الجوي الإسرائيلي، خارج إطار الدفاع الجوي العربي، قدرة كبيرة لزوارق الصواريخ الإسرائيلية على الحركة الهجومية السريعة في البحر الأبيض المتوسط، على الرغم من أن معظم العمليات كانت تجري تحت ستار الظلام، وذلك لأن الحماية الجوية كانت تكفل لها سبيل مواصلة الانسحاب خلال النهار دون أن تخشى كثيراً من مطاردة الطيران أو البحرية لهما، **واقتصر دور البحرية المصرية على** المساندة التكتيكية للقوات البرية في شمال سيناء، وتنفيذ الإغارات البرمائية بوساطة الوحدات الخاصة (وبالذات في البحر الأحمر)، والدفاع الفعّال عن موانئ الإسكندرية وبورسعيد والغردقة وسفاجة،فضلاً عن الدور الاستراتيجي غير المباشر الذي لعبته في فرض حصار باب المندب،الذي شكل أول تطبيق فعّال للخنق الاستراتيجي المضاد لإسرائيل في البحر الأحمر منذ العام ١٩٥٦ (ولفترة قصيرة للغاية قبيل حرب ١٩٦٧م)، حين احتلت القوات الإسرائيلية شرم الشيخ. ولقد كشف هذاالخنق زيف نظرية الأمن الإسرائيلية التي تعتبر أن السيطرة على مضايق تيران تكفل لها حرية الملاحة عبر خليج العقبة وضمان تجارة إسرائيل مع شرق وجنوب أفريقيا وآسيا وحصولها على النفط

---

(١) الموسوعة العسكرية – إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٧١٩.

الإيراني، ومن ثم تعتبر «شرم الشيخ» جزءاً من حدودها الآمنة في أقصى الجنوب.

ثالثاً: الجانب الإلكتروني من الحرب:

فاجأ انتهاء حرب الاستنزاف، ووضع قرار وقف إطلاق النار موضع التنفيذ في ٧ آب (أغسطس) ١٩٧٠م، الجانبين المصري والإسرائيلي وهما في غمرة استعدادهما لخوض جولة ثانية من الصراع. واستمر تدفق الأسلحة المتطورة عليهما، فاستقبلت مصر المزيد من صواريخ «سام -٢» المعدلة وصواريخ «سام - ٣» وسائر معدات الإسناد الراداري اللازمة لهما، كما حصلت في الأسابيع القليلة التي أعقبت وقف إطلاق النار على معدات سوفياتية حديثة تضمنت المدافع ذاتية الحركة المضادة للطائرات «شيلكا زد - اس - يو - ٢٣ - ٤» ZSU- ٢٣-٤، كما تضمنت أعداداً قليلة من صواريخ «سام - ٤» المحملة على عربات مجنزرة، وكلاهما يظهر لأول مرة خارج نطاق دول حلف وارسو. وفي الجانب المقابل، استقبلت إسرائيل ما لا يقل عن مئتين من حواضن الطائرات الإلكترونية المضادة من أحدث الأنواع، وهي تتميز بأنها تعطي إشارة ضوئية في مقصورة الطيار تنذره بانطلاق صاروخ معاد واتجاهه نحوه لتمكينه من التشويش والقيام بمناورة لتفادي الخطر، وعند ذلك تنطلق موجات مضادة من رادار التشويش على متن الطائرة أوتوماتيكياً على الترددات السوفياتية نفسها لتحدث اضطراباً في توجيه الصواريخ[1].

وعلى الرغم من قرار وقف إطلاق النار، فقد أخذت مصر في تحريك قواعد صواريخها باتجاه منطقة وقف إطلاق النيران، وفي إدخال قواعد

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٧١٩.

إطلاق صواريخ «سام – ٣» لأول مرة إلى المواقع المتقدمة من الجبهة. وبدا واضحاً أن الخطة المصرية تهدف إلى إنشاء جدار من الصواريخ في منطقة وقف إطلاق النار نفسها، يزحف ببطء نحو القناة وذلك بهدف حرمان خط بارليف من غطائه الجوي الفعال، وقد أكدت ذلك تقارير تقدمت بها إسرائيل إلى المحافل الدولية تشكو فيها قيام مصر بخرق شروط وقف إطلاق النار. ففي ٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠م قدم تقرير يشير إلى أن ٤٥ موقعاً للصواريخ تم إنشاؤها داخل منطقة وقف إطلاق النار تحوي ما يقارب ٢٧٠ قاعدة لإطلاق الصواريخ. وفي ١١ أيلول (سبتمبر) قدم تقرير آخر يشير إلى وجود ٩٠ موقعاً لإطلاق الصواريخ في تلك المنطقة، بما فيها صواريخ «سام – ٣». وفي ٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٠م صرح «**أهارون ياريف**» رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية آنذاك: «أن نظام الدفاع الصاروخي الذي أقيم بمحاذاة الضفة الغربية للقناة، وهو أحد أكثر الأنظمة تقدماً في العالم»، وأضاف أنه يحوي عدداً من قواعد الإطلاق يتراوح بين (٥٠٠ – ٦٠٠) قاعدة. وفي ٣ كانون الأول (ديسمبر) صرح ناطق إسرائيلي عسكري مشيراً إلى أن عدد مواقع إطلاق صواريخ «سام – ٣» أصبح يتراوح بين (٧٥ – ٨٥) موقعاً.

وقد تميز جدار الصواريخ المصري الجديد بأن معظم قواعد الإطلاق فيه أصبحت قواعد محمولة، بما في ذلك قواعد إطلاق «سام – ٢»، مما يضفي عليه طابع المرونة، بالمقارنة بالجدار السابق الذي بني إبان حرب الاستنزاف، وكان يعتمد في غالبيته على القواعد الترسانية الثابتة. وفي المقابل، فقد استمرت شحنات الأسلحة الأمريكية المتقدمة إلى إسرائيل وعلى وجه الخصوص أعداداً ضخمة من طائرات الفانتوم والسكايهوك.

أما بالنسبة إلى الجبهة السورية، فقد شمل الغموض شحنات الأسلحة الإلكترونية المتطورة التي وصلتها من الاتحاد السوفياتي في المرحلة ما بين حرب ١٩٦٧موحرب ١٩٧٣م، ولم تظهر على حقيقتها إلا بعد نشوب القتال.

واستمر السباق حتى يوم ٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م، عندما نشبت المعركة الإلكترونية الثانية في التاريخ، واستطاعت مصر وسورية مفاجئة العدو الصهيوني والعالم فيها بشبكة من الصواريخ أرض – جو الموجهة التي قامت بتأمين التغطية على جبهتي السويس والجولان، وإسقاط أعداد كبيرة من الطائرات المعادية التي حاولت اختراق الجبهتين المذكورتين.

وقد ضمت هذه الشبكة صواريخ سوفياتية الصنع من طراز«**سام** – ٢» المعدل، و«**سام** – ٣» و«سام – ٤»، و«سام٦»، و«**سام** ٧» المحمول بوساطة الأفراد والآليات، ومدافع شيلكا ذاتية الحركة. وبهذه الشبكة أمكن تحقيق حماية فعالة متكاملة الأبعاد ضد الطائرات التي تطير على ارتفاعات منخفضة ومتوسطة ومرتفعة. وقد فقد العدو الكثير من طائراته في الأيام الأولى للقتال بفضل الصاروخ «سام – ٦»، وكانت تحاول المناورة إلى الأعلى لتجنبه فتجد أمامها الصاروخ (سام–٢) أو (سام–٣)، كما كانت تحاول المناورة إلى الأسفل فتجد أمامها الصاروخ «سام – ٧» أو نيران المدافع المضادة الموجهة بالرادار من طراز«شيلكا زد.أس. يو – ٢٣ – ٤».

وقد بذل العدو الصهيوني أقصى ما يمكنه لاستعادة سيطرته الجوية السابقة أثناء الحرب، **واستخدمت أحدث ما في الترسانة الأمريكية من أجهزة إلكترونية** مضادة. ولقد استخدم الأجهزة المضادة للرادار، وصواريخ شرايك، وطريقة بث بالونات أو **دفقات حرارية** لتضليل صواريخ «سام – ٦» و«سام – ٧»، ولكن ليس هناك ما يدل على أن إجراءاته أدت مهماتها بنجاح يماثل فعالية هذه الصواريخ، لأن ما استخدم فعلاً لم يعط نتائج جيدة. وقد اضطر العدو للاعتماد بشكل واسع على النصلات التي تلقيها الطائرات **واستخدم بشكل خاص موزع النصلات (رقائق معدنية أو زجاجية تلقى من الجو ولها خاصية عكس الموجات الرادارية والتشويش عليها) المحمول جواً من طراز AN/ALE-٢٩. كما بذلت الولايات المتحدة جهدها في دعم العدو الصهيوني، ومن مظاهر هذا الدعم: قيام سلاح الجو الأمريكي بتوجيه طلب**

إلى شركة (لندي إلكترونيكس Lundy Electronics)، وهي المزود الرئيسي له بالنصلات الزجاجية، من أجل تحويل إنتاجها من النصلات لمدة شهرين إلى دولة الكيان الصهيوني. وبالإضافة إلى ذلك، فقد تم تحويل أكثر من ٥٠٠٠٠ حزمة من النصلات من مخازن سلاح الجو الأمريكي إلى العدو خلال الأسبوع الأول من اندلاع القتال وأرسل إلى إسرائيل ٢٠موزع نصلات من نوع (AN/ALE–٣٨) الذي يحمل ما زنته ١٥٠ كيلو غرام من النصلات. وتم أيضاً تعديل معدات التشويش الإلكتروني الأمريكية التي يستخدمها العدو، وتشمل: حواضن (AN/ALQ-٧١) من صنع شركة هيوز، وحواضن (QRC-٣٣٥) من صنع شركة وستنغهاوس، وحواضن (AN/ALT-٢٧) من صنع شركة لينون، لتحييد قواعد صواريخ «سام – ٢» و«سام – ٣» الثابتة. أما قواعد «سام – ٦» المتحركة فقد كانت تشكل المعضلة الأكثر التي لم تستطع معدات التشويش الإلكتروني مواجهتها لعدم وجود جهاز باستطاعته التشويش ضمن نطاق ترددات نطاق واسع جداً[١].

ولما لم تأت الوسائل سابقة الذكر بالفائدة المرجوة، لجأ طيارو العدو إلى إطلاق دفقات أو بالونات حرارية لتضليل أجهزة توجيه صاروخي«سام – ٦» و«سام – ٧» التي تعمل بالأشعة تحت الحمراء، ثم القيام بمناورات جوية لتجنبهما. وعلى الرغم من أن هذه الوسيلة كانت تنجح أحياناً، إلا أنها كانت تضع الطائرات المعادية في مواجهة وسائط النار المضادة الأخرى، خاصة وإن وسائل النيران المضادة التقليدية استخدمت بفعالية كبيرة في الحرب من قبل الجانب العربي، إلا أنها كانت وسائل متطورة موجهة رادارياً.

وبالإضافة إلى أنظمة الصواريخ أرض – جو الموجهة، فقد استخدمت في الصراع الإلكتروني الدائر بين الطائرة ووسائل الدفاع الأرضية صواريخ

---

(١) اللواء الدكتور: إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص ٦٤١

أخرى موجهة تحملها الطائرات (صواريخ جو – جو، وجو – أرض). وقد استخدمت الصواريخ جو – جو على نطاق محدود في المواجهات الجوية بين الطائرات العربية والصهيونية ومنها: الصواريخ الموجهة بالرادار مثل الصاروخ الأميركي «**سبارو** – **٣**» الذي تحمله طائرات الفانتوم والسكايهوك. والصواريخ الموجهة بأجهزة توجيه حرارية (بالأشعة تحت الحمراء مثل الصاروخ «**سايدوندر**» الأميركي الذي تحمله طائرات الفانتوم. والسكاي هوك أيضاً ومن هذه الصواريخ «**أتول Atoll**» الذي تحمله طائرات «الميغ – ٢١» السوفييتية، و «شفرير» المصنوع في إسرائيل.

كما استخدمت الطائرات المعادية صواريخ جو – أرض موجهة لضرب شبكات الصواريخ العربية الأرضية المضادة، مثل صاروخ «شرايك» ذو التوجيه السلبي لتدمير هوائيات الرادارات الأرضية. ولكن يبدو أن استخدام هذا الصاروخ لم يكن فعالاً، وخصوصاً بعد استخدام صواريخ «سام – ٦ – » المحمولة ذات أنظمة التوجيه المتطورة، بدليل ضخامة خسائر سلاح جو العدو وبدليل المساعدات التقنية المتخصصة الضخمة التي تلقاها من الولايات المتحدة أثناء وبعد الحرب لمواجهة الحرب الإلكترونية العربية. وقد تلقى العدو صواريخ جو – أرض تكتيكية أخرى من الأنواع التالية: «ستاندر آرم» الموجهة ضد شبكات الرادار الأرضية أيضاً. و «مافريك» الموجهة بوساطة كاميرا تلفيزيونية في رأس الصاروخ، ويتم توجيهها بأن يختار الطيار الهدف الذي يظهر على شاشة تلفيزيونية في مقصورته ويناور بحيث تلتقط الكاميرا التلفيزيونية في الصاروخ صورة الهدف ثم يطلقه فيتوجه أوتوماتيكياً نحوه. وقد صممت هذه الصواريخ أساساً لقصف الدروع والمنعات المحصنة، ولكل منها رأس حربي خارق يزن ٥٩ كيلوغرام، ويبلغ مداه حوالي ٨ كيلو مترات.

ولم يقتصر استخدام الطائرات المعادية لصواريخ جو – أرض الموجهة، بل تعدى ذلك إلى استخدام أنواع من قنابل الطائرات التكتيكية

المزودة بأجهزة ملاحة وتوجيه إلكترونية توجهها نحو الهدف. وقد تلقى العدو أثناء وبعد حرب ١٩٧٣م عدداً من هذه القنابل - الباهظة التكلفة - لقصف الأهداف العربية الأرضية التكتيكية، وهي قنابل «سمارت» بنوعيها الموجهة بأشعة ليزر والموجهة بالتلفزيون[١].

وتنبغي ملاحظة أن جميع هذه الأنظمة والأسلحة المتطورة التي استخدمها العدو والتي حصل عليها من الولايات المتحدة، من أجل إعادة فرض سيطرته فوق الأجواء العربية، لم تثبت جدواها حتى في حرب الاستنزاف على جبهة الجولان السورية. وبقي نظام «سام - ٦» والأنظمة الدفاعية الأخرى المساندة **(مثل نظام شيلكا)** يحد من هذه السيطرة. كما تجدر الإشارة إلى أن ارتفاع خسائر العدو الجوية في المعدات والأفراد نتيجة كفاءة وفعالية أنظمة الدفاع العربية، وفشل إجراءاته الإلكترونية المضادة، جعله يلجأ إلى استخدام الطائرات الموجهة عن بعد والتي تطير بدون طيارين من طراز (رايان فايربي) بشكل مكثف لغايات الاستطلاع والتشويش الإلكتروني للتخفيف من خسائره البشرية. إلا أن العديد من هذه الطائرات أسقط وبالتالي لم يكن استخدامها كبير الفاعلية.

وكان لأقمار التجسس العسكرية السوفياتية والأميركية دورها، أيضاً. في هذا الصراع، وقد جرت العادة على قيام الدولتين الأعظم باستخدام هذه الأقمار في مواجهة إحداهما الأخرى، ولكنها استُخدمت استثناءً إبان حرب ١٩٧٣م، وساعدت على تعزيز اطّلاع حكومة كل من الدولتين على مجريات المعارك. ومرة أخرى، تفوقت الإجراءات الإلكترونية السوفياتية: فقد حصل السوفيات، بوساطة الأقمار، على معلومات عن المعارك أكثر من أي طرف دولي آخر، إذا كان لديهم ثلاثة أقمار عاملة في الوقت نفسه - من طراز

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٧٢١.

«**كوزموس**» يتم استعادتها وإطلاق غيرها كل ثلاثة أيام، طيلة مدة القتال. ولهذا فقد كان بإمكانهم الحصول على معلومات دقيقة عن المعارك وتحرك القوات من خلال الإرسال اللاسلكي – التلفزيوني الذي تبثه الأقمار، وعن طريق استعادة المشاهد المصورة من الأقمار بعد إعادتها.

أما في الجانب المقابل، فقد فاجأت حرب ١٩٧٣م الولايات المتحدة في حين لم يكن لديها سوى مركبة فضائية واحدة أطلقتها في السابع من أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣م. وعلى الرغم من أن الجرم الفضائي الأميركي الضخم «٦٤٧» الذي يدور في مدار دائم على ارتفاع يبلغ ٣٨ ألف كيلو متر فوق المحيط الهندي بسرعة تساوي سرعة الأرض حول محورها، كان بإمكانه مراقبة ما يجري من زاوية معينة، إلا أنه لم يكن من المتاح الاعتماد عليه بشكل أساسي لهذا السبب من جهة، ولكونه يحتاج إلى وساطة شبكة استقبال أرضية وأقمار اتصال أخرى في نقل المعلومات إلى البيت الأبيض في الطرف الآخر من الكرة الأرضية من جهة ثانية.

وقد دلت الدروس المستفادة من حرب ١٩٧٣م على أهمية قمر التجسس كعامل استطلاع فعال في المعركة، إذ مكنته التطورات الهامة في العلوم الفضائية وفي البصريات والإلكترونيات، من سماع ومشاهدة أدق التفاصيل على الأرض في النقاط التي يوجه إليها مسبقاً، وتكوين فكرة شاملة عنها من دون أن تعيقه حدود الأفق بالنظر لارتفاعه الشاهق في السماء وحركته حول الأرض. وبالتالي فقد دخل باب المبارزة الواسع بين الإلكترونيات والإلكترونيات المضادة.

الفصل الرابع

الإبداع في السياسة والحرب

في حرب تشرين عام ١٩٧٣م

إن استقراء ماضي أمة من الأمم وفهم حاضرها، يقدم دلالات ومعطيات تمدنا بالخطوط العريضة لمستقبل هذه الأمة... والأمة العربية التي خلقت أقدم الحضارات، التي لاتزال أوابدها ماثلة للعيان في كل قطر، وحضارتها خالدة في كل سفر، قد تعرضت لموجات من الغزو التتري والمغولي والصليبي، والتركي، والأوروبي الحديث، وخرجت منها جميعاً متحررة منتصرة، هذه الأمة هي اليوم أمام موجة استعمارية استيطانية لم يشهد تاريخ البشرية لها مثيلاً خلال آلاف السنين، فأبسط وصف لها أنها تجميع من المغامرين يقتلون ويشردون شعباً آمناً عن وطنه وأرضه.

إن كل هذه المئات من السنين العجاف من الاستعمار والذل، والقهر كانت قد طبعت الإنسان العربي بالصبر والجلد، كما أن هذه السنين الأليمة قد خلقت الكبت تلو الكبت، والضغط تلو الضغط، لآمال العرب العادلة، وتطلعاتهم الحقة، حتى كان وجود إسرائيل العامل الأول في زيادة حدة هذه الضغوط ولا سيَّما بعد عدوان حزيران عام ١٩٦٧م؟

إن خمسة وعشرين عاماً، من الصلف والغرور العسكري الإسرائيلي، ومن الجهل والتجاهل العربي، حيث لم تكن الحكومات العربية قد عرفت

نفسها واختبرت أساليبها حتى كان حزيران كشفاً لفشل الاستراتيجية العربية، ومنعطفاً للدراسة العلمية للاستراتيجية المعتمدة ووضع الأسس الكفيلة لنجاحها مستقبلاً. وهكذا بدأت دراسة عميقة ومستفيضة للاعتبارات التي أصبحت مطلوبة والعوامل التي ظهرت بعد عدوان حزيران١٩٦٧م الذي زلزل الوجدان العربي كما زلزل العقل العربي.

أ - دروس حزيران ١٩٦٧م:

لقد كان حزيران نكسة عسكرية مرة، كما كان ولادة لعقل عربي جديد. عقل يبحث عما خلف الظواهر ليصل الأسباب فيدركها، وهكذا بدأت عملية تشريح حزيران وما قبل حزيران لأن شخصية الأمة تاريخها. كما بدأت عملية تحليل الواقع بكل أبعاده، **فكانت النتائج التالية دروساً حفرت بعمق في الوعي العربي وهي:**

أولاً: إنَّ العالم لا يحترم إلا الأقوياء.

ثانياً: إنَّ ما أُخذ بالقوة لا يُستردُّ بغير القوة.

ثالثاً: يمكن أن تكون للوحدة العربية صور متعددة، ولكن أهم ما يجب العمل على تحقيقه، هو عقدة الهدف.

رابعاً: ترى بعض القوى في العالم أن من مصلحتها الإبقاء على حالة اللاسلم واللاحرب.

خامساً: الدعم الأمريكي الكامل لإسرائيل في جميع المجالات ولاسيَّما في مجال التسليح.

سادساً: غرور إسرائيل وتحديها للرأي العام العالمي وقرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن وإصرارها على البقاء في الأراضي العربية المحتلة بالقوة ورفضها الاعتراف بالكيان الفلسطيني.

سابعاً: يعتمد العدو على نظام التعبئة والذي يُعتقد أنه دقيق وسريع.

ثامناً: يتمتع العدو بتفوق جويّ وبقدرته على تهديد أهدافنا في العمق.

تاسعاً: يرتكز العدو على مانع مائي قوي أقام خلفه مباشرة خطاً دفاعياً حصيناً (خط بارليف).

عاشراً: اقتناع العدو بكفاءة أجهزة مخابراته وبحصانة مواقعه الدفاعية وبتفوق قواته.

حادي عشر: تشكيل القوة الرئيسية للقوات الإسرائيلية من المدرعات والعناصر الميكانيكية وتمتعها بخفة حركية عالية وقدرة كبيرة على المناورة.

ثاني عشر: قدرة إسرائيل محدودة على خوض حرب طويلة.

ثالث عشر: تحقق لإسرائيل عمق استراتيجي وفرته سيناء بعد عدوان عام ١٩٦٧م، ومدى تأثير ذلك على عمليات العدو وعملياتنا.

رابع عشر: ضرورة وجود نظام دفاعي جوي عربي حديث وقوي.

خامس عشر: التفوق الساحق لعناصر مدفعية الميدان العربية.

سادس عشر: التفوق العددي للقوة العربية البشرية.

سابع عشر: ضرورة ارتفاع كفاءة ونوعية المقاتل العربي بعد حرب عام ١٩٦٧م، بالتدريب والتوعية[١].

ب - أسس الاستراتيجية العربية التي خلقت تشرين:

على ضوء الدروس السابقة وعلى ضوء هذه الاعتبارات وغيرها رسمت القيادة السياسية العربية استراتيجيتها الجديدة اعتماداً **على أسس ومبادئ أهمها مايلي:**

أولاً : وضع دول العالم أمام مسؤولياتها.

---

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص ٦٤٦.

ثانياً : عزل إسرائيل سياسياً.

ثالثاً : العمل على إقناع القوى الكبرى العالمية بأن مصلحتها الحقيقية بيد العرب.

رابعاً: اتخاذ سياسة إعلامية مدروسة ومتناسقة لخدمة الهدف السياسي العام.

خامساً: حسن استخدام كل الطاقات المتاحة في المعركة حتى يمكن ضمان تحقيق النجاح.

سادساً: الاستمرار بالظهور بمظهر من يستجدي الحل السلمي.

سابعاً: الاستفادة إلى أقصى حد من نقاط ضعف العدو ولا سيَّما الغرور الإسرائيلي.

ثامناً : هدم نظرية الأمن الإسرائيلي، التي تعتمد على الحدود الآمنة.

تاسعاً: حرمان العدو من المبادأة ولا سيَّما حين بدء القتال.

عاشراً: تأكيدنا وترسيخنا لقناعة العدو أننا مسالمون مخذولون وأن الوقت مازال مبكراً جداً على تمام الاستعداد للمعركة.

حادي عشر: العمل على إزالة الفتور في العلاقات العربية.

ثاني عشر: التنسيق الكامل والعلمي في كل الأصعدة بين القطرين العربيين سورية ومصر.

ج - أسباب قرار الحرب:

لقد خرجت القيادة السياسية العربية بنتيجة، بعد أن أعادت دراسة الموقف ومؤداها أن لاحلّ ولا اتجاه نحو أي حل إلا **بالقيام بعمل عسكري لأسباب هي:**

أولاً: مصلحة القوى العالمية الكبرى في الإبقاء على الوضع كما هو

وذلك تجنباً للصراع فيما بينها ولبقاء إسرائيل ضاغطة على الدول العربية لمنعها من ملاحقة التطور وإبقائها على ما هي عليه من تخلف وذلك تيسيراً للقوى الكبرى العالمية للاستمرار في استنزاف ثروات شعوب المنطقة واستغلال مواردها وطاقاتها لخدمة مصالحها.

ثانياً: لقد وصل الغرور الإسرائيلي بعد عدوان حزيران١٩٦٧م إلى حدود خيالية، بدرجة أسكرت إسرائيل، فهي تتحدى ليس الدول المحيطة بها فقط، أو حتى الدول العربية كلها وإنما تتحدى أيضاً الرأي العام العالمي وقرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة وتصر على الاستمرار في احتلال أراضي الغير بالقوة وترفض أن تعترف ليس بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني وإنما بالوجود الفلسطيني ذاته أيضاً.

ثالثاً: إنَّ إسرائيل قد أخذت تعربد بقوتها العسكرية في المنطقة بشكل جعل العالم ينظر إلى سكوت العرب على أنه استسلام الضعيف وليس على أنه صبر القادر، من كل هذا اتخذت القيادة السياسية العربية قرار الحرب فكان قراراً تاريخياً لم يقتصر أثره على منطقتنا فحسب بل شمل العالم أجمع، كما لم يكن هذا الأثر محدوداً بوقت القتال فحسب بل إنه يتعداه إلى آماد طويلة مقبلة، ولم يكن أثر القرار محصوراً في النواحي العسكرية، ولكنه أثر أيضاً في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ثم انتقل قرار الحرب إلى القيادة العسكرية لترسم خططها بعد اجتماع عام عقد في الإسكندرية وتتالت الاجتماعات ونوقشت ودرست الخطط الموضوعة من كل الوجوه، وكان التركيز على تطبيق معظم مبادئ الحرب ولاسيَّما المفاجأة التي سنوضحها بدراسة ما أبدعه العرب في ميادين الزمان والمكان ووسائل الصراع وطرائق استخدام وسائط الصراع.

د - الإبداع بخطة الخداع السياسي:

أولاً: قال الرسول العربي: (الحرب خدعة) وهكذا قام العرب في

سورية ومصر بأروع مناورة سياسية لخدمة وتحقيق أهدافهم الحربية العادلة، فقد أوعز لأجهزة الإعلام في الجمهورية العربية السورية أن تبرز أهمية زيارة الرئيس حافظ الأسد القادمة للمناطق الشرقية، وهكذا ركزت وسائل التلفزيون والإذاعة والصحف معظم أنبائها عن الاستعدادات للترتيبات لزيارة السيد الرئيس الأسد وأهداف هذه الزيارة. كان ذلك قبل حرب تشرين بأيام، مما طمأن العدو الصهيوني على انشغال الدولة بكاملها بالأمور الداخلية عن كل ماهو حرب أو تحرير[١].

كما **بدأت أجهزة الإعلام العربية في القطرين العربيين مصر وسورية بحملة** كبيرة تظهر خوف الجمهوريتين، ولاسيَّما القطر العربي السوري من هجوم إسرائيلي مباغت بحرب خاطفة، وكثرت النداءات إلى دول العالم لتأخذ مسؤولياتها في حفظ الأمن والسلام الدوليين من المحتلين الصهاينة، كما أثار الإعلام العربي موضوع الحل السلمي وضرورة إيجاد حل بالطرق الدبلوماسية للوضع في المنطقة، مع العلم المسبق أن إسرائيل لا تنسحب من أي شبر دون قتال.

ثانياً: لم تكن جولة حافظ إسماعيل مستشار رئيس جمهورية مصر آنذاك عام ١٩٧٣م، إلى موسكو ولندن وواشنطن، وحضوره اجتماعات الأمم المتحدة، ثم زيارته لبون، إلا حلقة من حلقات الخداع الاستراتيجي، وكذلك ذهاب وزير خارجية مصر السيد محمد حسن الزيات آنذاك إلى نيودلهي وبكين، ثم اجتماعه يوم الخامس من تشرين الأول عام ١٩٧٣م مع الدكتور هنري كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية ووزراء خارجية المملكة العربية السعودية، والمملكة الأردنية الهاشمية، والجمهورية اللبنانية. وصرح ماكلوسكي المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية بأن

---

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص ٦٤٨.

اجتماعات كيسنجر مع الوزراء العرب لم تأتِ بجديد، مالم يقدم كيسنجر مشروعاً جديداً للسلام في الشرق الأوسط، وأنه اتفق مع أبا **إيبان** وزير خارجية إسرائيل على أن يستأنف معه مناقشة أزمة الشرق الأوسط عند عودة **إيبان** للولايات المتحدة الأمريكية في كانون عام ١٩٧٣م.

ثالثاً: للولايات المتحدة الأمريكية في دولة إيران قاعدة سرية، وبالضبط في جنوبها قرب الخليج العربي مهمتها التقاط واستماع الرسائل الإذاعية السياسية والعسكرية في دول الشرق الأوسط، إلا أنه عندما سألت المخابرات الإسرائيلية المخابرات الأمريكية عن نوايا مصر في الهجوم قيل لهم إن مصر تعد لمواجهة ضربة إسرائيلية متوقعة تقوم بها انتقاماً لما حدث في معسكر (شونار) بالنمسا وقالت جولدا **مائير آنذاك:**

(طمئنوا العرب فإننا لن نقوم بهجوم عليهم).

وهكذا اكتملت حلقة أخرى من حلقات الخداع الاستراتيجي، على الرغم من وجود هذه القاعدة التجسسية، وعلى الرغم من وجود مخابرات أمريكا وغيرها في المنطقة.

رابعاً: كما قد صدرت الأوامر التحذيرية للباعة والتجار بتأمين حاجيات الشعب في شهر رمضان المبارك، ولاسيَّما المواد التموينية الأساسية، وقد تناقلته وكالات الأنباء سريعاً كدلالة على انشغال الحكومة المصرية في المشاكل الداخلية، وهو بلا شك دليل خادع على ضعف الحكومة وانشغالها عن كل ما يتعلق باحتلال الأرض أو نوايا التحرير.

خامساً: كما قامت القيادة العسكرية في القطر العربي السوري بتسريح مجموعات من العسكريين الموجودين فعلاً في الخدمة العسكرية، وهذا العمل كان في نظر القيادة الإسرائيلية السياسية والعسكرية، لاسيَّما بعد عدم الرد بالصواريخ على هجومهم الجوي قبيل حرب تشرين، دليلاً قاطعاً على عدم استعداد العرب السوريين للحرب أو لأي عمل عسكري.

سادساً: وفي جمهورية مصر العربية أصدرت القيادة العسكرية أوامرها بالسماح للعسكريين بالذهاب في إجازات الحج، وقد منحت القيادة عدداً كبيراً من العسكريين إجازات مختلفة، وإذا بشوارع مصر تعج بالمجازين، وهذا مظهر يدل على عدم استنفار الجيش. كما أصدرت القيادة العسكرية المصرية أوامرها في صباح السادس من تشرين الأول ١٩٧٣م إلى مجموعات من الجنود العرب المصريين بخلع ثيابهم والسباحة الهادئة في قناة السويس كما قامت مجموعات أخرى بالجلوس على الطريقة الشرقية وتظاهرت بالكسل والتثاؤب والعبث بالمياه كما صدرت الأوامر للآخرين باللعب واللهو الظاهر للعدو بمختلف أنواعه، وهكذا نام العسكر في خنادقهم منذ الليلة السابقة للهجوم بدون خوذ ودون أن يظهر أي منهم رأسه خارج الخندق باستثناء المكلفين كمجموعات خداع ورصد.

هـ - الإبداع في الزمان:

أولاً: إنَّ تحديد يوم السادس من تشرين الأول عام ١٩٧٣م ، وبالضبط الساعة الثانية ظهراً، لم يكن من قبيل المصادفة، أو كيفما اتفق، وإنما تحدد اليوم، وتحددت الساعة بعد دراسات مستفيضة، فقد كان هنالك اختلاف بين طبيعة الجبهتين المصرية والسورية من الناحية التضاريسية والطوبوغرافية والمناخية[1].

ثانياً: كان القادة والمختصون قد طرحوا للبحث والنقاش رأيين متباينين، ومختلفين، فالمصريون لا يمكنهم العبور إلا بعد دراسات علمية هائلة لطبيعة المد والجزر لبرزخ السويس ومعرفة منسوب المياه في اليوم والساعة وسرعة تيارات المياه لتحديد ارتفاع الجسور ولدراسة تأثير ذلك على مجمل العمليات الحربية .

---

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص٦٥٠.

كما لايمكنهم الهجوم صباحاً لأن ذلك يعطي الإسرائيليين أثمن وقت في النهار لمدة اثنتي عشرة ساعة يستطيعون خلالها تدمير رؤوس الجسور بالطيران، كما كان المصريون بأمس الحاجة لليلة مقمرة كي يتمكن المهندسون من تركيب الجسور خلال الليل وكي تتمكن القوات من إتمام عبورها ليلاً إضافة إلى أن هجومهم إن تم صباحاً فتكون الشمس في وجوههم، وفي ظهر العدو مما يجعل معظم عمليات الرصد والمراقبة والطيران وغيره في غير صالح العرب المصريين. وأمكن تلخيص ما يريدون بليلة مقمرة ومنسوب مياه معين ومد وجزر معين في القناة والهجوم مساء إضافة إلى العوامل الهامة الأخرى مثل: وقت يكون فيه الإسرائيليون غير مستعدين، ويوم يفضل أن يكون أحد أعيادهم.

أما العرب السوريون، فقد طرحوا ما يريدون، أنهم يفضلون الهجوم صباحاً لأن ذلك وحسب طبيعة الجولان يجعل الشمس في ظهورهم، وهي في وجوه العدو، ومن يصعد إلى قمم التلال في الجولان، ولا سيَّما تل الفرس، وتل أحمر، وجبل الشيخ وغيرها، يدرك قيمة هذا الكلام(*).

كما أنهم يفضلون الهجوم صباحاً، لأن طبيعة الجولان تهيئ مع الفجر تمويها وإخفاء عجيباً بوساطة الغيوم، المنخفضة، ولا سيَّما في الساعات الأولى للصباح ولا أشك أن أي مقاتل في الجولان يعرف قيمة هذه العوامل، ولاغرو في أن هناك تبايناً واضحاً فيما تريده أو تفرضه طبيعة كل جبهة.

ثالثاً: حين عرض الأمر على الرئيس الأسد قرر بما عُرف عنه من نظرة قومية شمولية، أن يتم الهجوم في الوقت الذي يهيئ للرجال العرب المصريين أفضل الظروف، ولو لم تكن هذه الظروف لصالح القوات العربية السورية، لأن نجاح مصر هو نجاح العرب ونجاح سورية هو نجاح العرب أيضاً.

(*) كان المؤلف في مرصد في تل (أحمر غربي) مقابل تل الفرس، عندما كان رئيس أركان الكتيبة ١٨٧ من اللواء ٣٣ مشاة في عام ١٩٧٦م.

رابعاً: وهكذا وقع الاختيار على يوم السبت السادس من تشرين الأول ١٩٧٣م لأنه يؤمن معظم المطلوب، فهو عيد الغفران اليهودي، كما أنه يؤمن ليلة مقمرة تهيئ جو العمل لتركيب الجسور العربية والمصرية على قناة السويس. كما حددت الساعة الثانية ظهراً لأن ذلك يعطي فرصة للطيران العربي السوري والمصري لدقة القصف، كما يكون معظم الجنود الإسرائيليين يتناولون الطعام أو في حالات الاستراحة، كما أنه لا يتوقع إطلاقاً الهجوم بمثل هذا الوقت مما يحتم نجاح المفاجأة كما يجعل الليل كله لصالح العرب.

و - الإبداع في المكان:

إن الهجوم الذي تمَّ على طول الجبهتين العربيتين المصرية والسورية الكامل بطول وصل في سورية إلى زهاء ثمانين كيلومتر، وفي الجبهة العربية المصرية زهاء ١٧٠كيلومتر، لم يكن إلا نتيجة دراسات علمية دقيقة، فالمعروف أن مبادئ الحرب تتفاعل فيما بينها بدرجة كبيرة، فقد وجد القادة العرب أن هجوماً عربياً شاملاً على كامل طول الجبهتين يحقق مجموعة من المزايا الأساسية لا يمكن تحقيقها فيما لو تمَّ الهجوم على قطاع معين أو اتجاه معين **وهذه المزايا والفوائد الحربية هي:**

أولاً: إنَّ الهجوم على طول الجبهتين الكامل قد أعمى العدو عن اتجاه الضربة الرئيسية لقوات العرب.

ثانياً: إنَّ مثل هذا الهجوم يجبر العدو على بعثرة قواته باتجاهات شتى.

ثالثاً: إنَّ الهجوم في نطاق أضيق من الجبهة يجعل بيد العدو القدرة على توجيه ضربة جوية محكمة للقوات العربية المهاجمة فحقق الهجوم العربي على طول الجبهتين إفساد قدرة الطيران الإسرائيلي وبعثرة جهوده.

رابعاً: إنَّ الهجوم على كامل طول الجبهتين يحقق احتمالات أكبر فقد هاجمت وبوقت واحد ثلاث فرق إضافة إلى الوحدات الخاصة وغيرها وفي

الجبهة العربية المصرية تدفقت القوات عبر خمس عشرة منطقة عبور مما حقق النجاح المذهل لاختراق وعبور جيشين هما الثاني والثالث، كما حرم العدو من التعرف على اتجاه المجهود الرئيسي[١].

خامساً: لا يغرب عنا أن ظروف الحروب الحديثة وما تمتلكه الأطراف المتحاربة من أسلحة تدمير شامل لاسيَّما إمكانية استخدامها من قبل إسرائيل التي عرفت طوال تاريخها بضربها عرض الحائط بكل القيم والأعراف والقوانين الإنسانية والدولية. فقد كان هناك احتمال لاستخدام إسرائيل للغازات السامة والأسلحة الجرثومية والقنابل المحرقة والتي قد استخدمتها إسرائيل فعلاً، إضافة إلى احتمال استخدام إسرائيل لقنبلة ذرية تكتيكية، كل هذه العوامل جعلت العرب يقررون الهجوم على قطاع الجبهتين الكامل حتى يفوتوا الفرصة على العدو في ضرب وحداتنا بمثل هذه الأسلحة.

سادساً: إنَّ معظم المفكرين العسكريين يقرون الحشد الكثيف بالقوات ولاسيَّما إذا كانت قوات كبيرة في مساحات ضيقة أوقطاعات لعبور الحواجز الطبيعية والصناعية كالتي يدافع عنها ويحتمي بها الإسرائيليون، مثل قناة السويس وخط بارليف في الجبهة المصرية، وتلال الجولان وخط آلون في الجبهة السورية، وهكذا ففي الجبهة السورية الصغيرة تتهيأ كل الظروف للقضاء على أكثر من تشكيل بضربة ذرية تكتيكية واحدة. من كل هذه الحسابات والتقييمات كان الهجوم العربي على طول الجبهتين الكامل هو قرار يحمل المفاجأة بقدر ما يحمل من الجرأة.

ز - الإبداع باستخدام وسائط جديدة للصراع:

أولاً: لقد كانت حرب تشرين حرب المفاجأة حقاً، فقد فاجأ العرب

---

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص٦٥٢.

الإسرائيليين المعتدين الغاصبين مثلما فاجؤوا العالم قاطبة أيضاً، ففي مجال استخدام وسائط صراع جديدة نستطيع أن نقول **إنَّ حرب تشرين كانت حرب صواريخ.**

ثانياً: على المستوى التكتيكي فقد أقام العرب شبكة متكاملة من **الصواريخ** أرض - جو من مختلف الأنواع: سام ٢ - سام ٣ - سام ٦ - سام ٧، إضافة إلى مختلف عيارات وأنواع المدفعية م/ط والرشاشات الرباعية عيار ٢٣مم وغيرها... هذه الصواريخ كانت مكشوفة أو الأصح يعلم العدو بوجودها في مصر ولكنه كان يشك بوجودها في سورية ولكنه قرر أن يعرف بشكل مؤكد هل في سورية صواريخ أرض- جو ؟ وإنْ وجدت فهل أصبح العرب السوريون قادرين على استخدامها وما هو مدى مهارتهم في استخدامها؟ فكان أن قام بهجوم جوي عنيف وبكثافة زهاء ٧٠ طائرة قبيل الحرب وكان **قرار القائد حافظ الأسد أن** يتم التصدي لطائرات العدو بالطائرات فقط، ودارت معركة رهيبة أبسط ما يقال فيها إنها كانت معركة البطولة والتضحية، وعاد الطيارون الإسرائيليون وقد عمت علائم الاطمئنان على وجوه القادة الصهاينة وغمر الفرح قلوبهم... لايوجد في سورية صواريخ أرض جو وهي إن وجدت فهم غير قادرين على استخدامها. ولما حل اليوم الموعود السادس من تشرين الأول عام ١٩٧٣م، كانت المفاجأة صاعقة، **إنَّ سورية غابة صواريخ ومصر كذلك**، وخسر العدو من المفاجأة في هذا السلاح الجديد مئات الطائرات.

ثالثاً: لا تقل المفاجأة باستخدام **الصواريخ ساجر وسنابر** عن استخدام صواريخ سام، فهذا أذهل العدو في السماء وذاك دوخهم في الأرض، فقد خسر الصهاينة في مطلع الحرب زهاء خمسمئة دبابة، وهكذا قالت مجلة (التايمز) في عددها الصادر في ٢٢ تشرين الأول عام ١٩٧٣م. إن العدو اللدود الذي واجهته القوات الإسرائيلية في حرب تشرين الأول هو التكنولوجيا الحديثة والتكتيكات الجديدة التي استخدامها العرب.

رابعاً: لقد **قام العرب بإنشاء ملاجئ لطائراتهم على ضوء دراساتهم لحرب** ١٩٦٧م، مما حدا بخبراء (حلف الأطلسي) أن بنوا لطائراتهم مثيلاً لها وقد أتت هذه الملاجئ فوائدها في حرب تشرين، وفي مصر أنشئت ملاجئ ودشم لبعض أنواع صواريخ (سام) كذلك.

خامساً: لقد كان فخراً للهندسة العسكرية العربية على مدى الأيام إبداعها **لطريقة (التجريف المائي) التي خلقها مهندس عربي مصري شاب استطاع بذكائه وعبقريته التغلب وقهر أعجب مانع في العالم. إضافة إلى سقوط أقوى خطين دفاعيين في** التاريخ بلا مبالغة هما (خط بارليف) و(خط آلون). لقد تم تحديد ارتفاع الساتر الترابي على الضفة الشرقية للقناة وعلى طول مواجهة الجيش الثاني المصري باستخدام الأجهزة البصرية، ثم تم إنشاء ساتر ترابي داخل (جزيرة البلاح) لإجراء تجارب عملية داخل نطاق الجيش لتحديد معدل تجريف المياه للرمل، ووجد أن كل متر مكعب رمال يحتاج إلى متر مكعب مياه لإزالته من الساتر. ولزيادة تأكيد المعلومات ولاسيَّما في الاتجاهات المخطط إنشاء الجسور فيها[١].

كما تم دفع دوريات خلال شهري أب وأيلول عام ١٩٧٣م حققت ماسبق الحصول عليه من بيانات، ولذا فقد تمت عملية فتح الممرات في الساتر الترابي بنجاح كبير، وكان الزمن الذي استغرقته في الجيش الثاني يتراوح من)(٤-٦) ساعات بعد بدء الهجوم.

سادساً: كما قام المهندسون العرب بإبداع خلائط إسمنتية من نوع معين وباستخدام خاص تمكنوا بوساطتها من إصلاح التخريبات التي كانت تحصل من القصف الجوي الإسرائيلي للمطارات، وقد تجاوز العرب الزمن في إصلاح الأعطال ولاسيَّما في القوى الجوية، فقد أبدعوا مواد لصق جديدة

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص٦٥٤.

بدلاً من اللحام العادي، أي تجاوز المعدلات الزمنية لبقية الجيوش. كما أبدع العرب نوعاً من الخلائط الإسمنتية السائلة أي التي تشتد وتتماسك ضمن الماء استطاعوا بها إغلاق فوهات خزانات النابالم التي كانت تحوي ٤٦٠٠طن من النابالم موزعة على ٢٣ نقطة بمعدل ٢٠٠ طن لكل خزان.

ح - الإبداع في طرائق القتال:

لقد بينا ما أبدعه الفكر العسكري العربي في ميادين الزمان والمكان والوسائط فها هم أحفاد هانيبال وحنظلة بن ثعلبة وخالد بن الوليد وسعد أبي وقاص وطارق بن زياد يعيدون أمجاد الأجداد. والمقصود بالإبدا ع في طرائق القتال أي ماذا قدمت حرب تشرين من إبداع طرائق جديدة وأساليب حديثة لم تعرف من قبل لاستخدام وسائط الصراع. وسنحاول هنا الإجابة على هذا التساؤل الكبير.

أولاً: ستبقى أكاديميات العالم العسكرية ومفكروها سنين طويلة في دراسة وتقصي ما أبدعه العرب من طرائق جديدة، في عصر العلم والتقنية وفي حرب الصاروخ والإلكترون، تعتبر ثورات في الفكر العسكري. فقد كانت معظم النظريات الحربية والعقائد القتالية تضع أو تقرر أن الدبابة تلاقى وتقاتل بالدبابة ولكن العرب كانوا أمام حالة خاصة فهم أمام عدو هو الصهيونية متمثلة في إسرائيل، طفل الولايات المتحدة الأمريكية المدلل، الذي تفتح أمامه أبواب مخزونات الجيش الأمريكي على مصاريعها للحصول على أكثر مما يطلب من الدبابات والطائرات، بحيث يبقى الميزان العسكري في كل الوسائل راجحاً وبشكل دائم لصالح إسرائيل. فكان أن أجرى العرب تدريبات على **ملاقاة الدبابات الأمريكية بالمقاتل العربي المزود بالصواريخ م/د**. وتحققت المعجزة وخلق الانقلاب في المفاهيم العسكرية، إذ استطاع المقاتل العربي من سلاح المشاة الصمود وتدمير دبابات الباتون ودبابات

(م٦٠) وغيرها من أحدث الدبابات الأمريكية مما جعل كل الدول تعيد النظر في تصميم وصناعة دباباتها من حيث جعلها تحقق الخفة والسرعة والحركية العالية، والتصفيح الذي لايخرق بالصواريخ م/د، وهكذا خلقت أمام المختصين معضلة مستعصية وهي التوفيق بين زيادة الوزن وخفة الحركة للدبابة. كما بدأت الكثير من الدول تعيد النظر في مكانة الدبابات لديها وما تتطلبه في قتالها على ضوء خبرات تشرين.

ثانياً: بروز دور المشاة بشكل كبير ففي الجبهة السورية قد احتلوا جبل الشيخ ومعظم التلال، كما أنهم في الجبهة المصرية قد حملوا عبء القتال على طول الجبهة لمدة الأيام الثلاثة الأولى تقريباً كما قام المشاة بالعمل خلف خطوط العدو. علماً أنه قبل حرب تشرين كادت أهمية المشاة أن تتلاشى فإذا بها تحتل الصدارة.

ثالثاً: لقد حطمت حرب تشرين مبدأ الدفاع الساكن ليسود محله مبدأ الحركة والهجوم، فهذه المرة الأولى منذ أكثر من سبعمئة سنة يخوض فيها العرب حرباً هجومية وهذه هي المرة الأولى في تاريخ العسكرية العربية تطبق مبادئ **الهجوم. المفاجأة والحركية العالية. إذ** من المعروف أن المنظرين العسكريين الإسرائيليين قد بنوا استراتيجيتهم على الاطمئنان لأقوى مانع في العالم، قناة السويس، وخط بارليف في الجبهة الغربية وخط آلون وتلال الجولان في الجبهة العربية السورية. حتى أطلق على هذه النظرية العسكرية **(نظرية الحدود الآمنة)** أي شكل الأرض أو صنع شكل فيها يعطي الأمان لمن يستثمرها. وبعد أن سقط خطا بارليف وآلون **سقطت هذه النظرية الباطلة**[(١)].

رابعاً: لقد انقلبت نظريات الحرب الآلية، فلأول مرة يشترك مثل هذا العدد الضخم من الدبابات والآليات في مثل هذا المسرح العملياتي الضيق نسبياً والمحدد المسالك في مثل هذا الوقت دون إحراز نتائج فاصلة...

---

(١) المصدر السابق ، ص٦٥٥.

فقد قرر الخبراء أن جبهة الجولان قد استوعبت زهاء، ٢٣٠٠ دبابة وهو رقم قياسي لا مثيل له في أكبر معارك الدبابات التي حدثت في التاريخ مثل معركة العلمين أومعركة ستالينغراد... ففي العلمين زجَّ البريطانيون ١٤٤٠ دبابة مقابل ٥٥٠ دبابة ألمانية وإيطالية، وفي الثانية كانت هناك ٨٩٤ دبابة روسية مقابل ٩٧٥ دبابة ألمانية.

خامساً: لكل المعارك المدرعة معدلات فلكل معركة وتيرة ما، حتى كانت حرب تشرين لتسجل **أعلى وتيرة حربية لمعارك** الدبابات في العالم، من حيث الكثافة والسرعة والحركية العالية. وفي استنباط طرائق قتال جديدة تتلاءم مع أغرب مسرح عمليات في العالم وهو الجولان، ففيه الجبال والتلال والوديان والسهول والأنهار والمجاري والصخور..في بقعة ضيقة نسبياً مما جعل مثل هذا المسرح يخلق تكتيكاً جديداً.

سادساً: سقوط كل النظريات السابقة حول عمل **السلاح المدرع مع سلاح المشاة**، فقد كانت إسرائيل تقدم الدبابات أولاً تليها المشاة للتطهير، وهذا ماتقره كثير من النظريات العسكرية ذات الأولويات في الفكر العسكري قبل حرب تشرين. ولكن هذه النظريات سقطت على الجبهتين، ففي جبهة الجولان هاجم الإسرائيليون تل شمس بالدبابات، **ويصف حاييم هرتسوغ ذلك السقوط الذريع بقوله:**

(أنا أريد أن استشهد على جهل قوادنا العسكريين بأهمية قوات الكوماندوس في الحرب الحديثة بمعركة تل شمس في سورية. ففي حرب ١٩٧٣م أراد قواد إسرائيل اقتحام موقع تل شمس في سورية فماذا نراهم فعلوا؟ لقد أرسل أؤلئك القواد الكتيبة السابعة المدرعة لاقتحام تل الشمس مواجهة. ولما بدأت المدرعات الإسرائيلية تزحف – مواجهة – على التل قابلها السوريون بنيران حامية دمرت المدرعات وقتلت وجرحت من فيها وفشل الهجوم المواجه فشلاً مروعاً. وهذا الفشل الذريع أصاب قوادنا بنكسة جعلتهم يقدرون مبلغ جهلهم).

ولن نعلق على أقوال حاييم هرتسوغ. ونسوق مثالاً آخر، وهو أسوأ كارثة بالتاريخ الإسرائيلي حققها اللواء (غالي) العربي المصري قائد الفرقة (١٨) عندما أعد منطقة القتال مسبقاً بكل وسائط (م/د) للكتيبة – ١٩٠ – الإسرائيلية وكتيبتين أخرتين، عندما علم بهجوم هذه الكتائب على قواته، ونتج عن هذا تدمير (٧٥) دبابة وأسر (٢٥) دبابة وأسر العقيد (عساف ياجوري).

سابعاً: سقوط نظرية السيطرة الجوية بالطائرات، التي سيطرت على الفكر العسكري قبل حرب تشرين التحريرية، وظهور نظرية التكامل في الدفاع الجوي والقوى الجوية، فقد كانت الآراء في الفكر العسكري أنه لا توجد طريقة تتيح حرية العمل للقوات البرية إلا بالحصول على أكبر قوة وعدد من الطائرات الحديثة ولكن النظرية العربية الجديدة ونظرية التكامل بين القوى الجوية والدفاع الجوي جعلت النظرية السابقة تسقط كما سقط الكثير من النظريات الأخرى، فالتطبيق الدقيق **لمبدأ التكامل في الدفاع الجوي مابين عائلة سام والمدافع عيار ٢٢مم** الرباعية مع كل عيارات وأنواع المدافع م/ط قد جعل السيطرة الجوية للعدو حلماً بعيد المنال، وهكذا تهيأت الظروف للمقاتل العربي لأخذ دوره وبيان كفاءته وقدراته على عكس ماجرى في حزيران عام ١٩٦٧م، حيث كان العدو يسيطر على سماء المعركة سيطرة كاملة، مما كبل قدرات المقاتل العربي. ولم يقف العرب عند تطبيقهم الدقيق لمبدأ التكامل في الدفاع الجوي بل كانوا يناورون في صواريخهم مابين مواضع تبادلية واحتياطية وثانوية، إضافة إلى بنائهم قواعد صواريخ هيكلية مما جعل معظم القدرة النارية الإسرائيلية تذهب هباء.

ثامناً: بروز أهمية، تنظيم تعاون مختلف صنوف الأسلحة ففي حين كانت الطائرات الإسرائيلية تقع فريسة الصواريخ العربية كانت الطائرات العربية غالباً ما تعمل ضمن حماية الصواريخ العربية، كذلك في حين كانت الدبابات الإسرائيلية تقع بسهولة أمام مقاتل المشاة العربي بصاروخه كان

المشاة في معظم الأحيان يتعاونون مع الدبابات في القوى العربية، وهكذا ظهرت نظرية جديدة في الفكر العسكري المعاصر.

تاسعاً: لقد أظهرت حرب تشرين **فشل نظريات اللوجستيك الإسرائيلي** – أي التأمين الإداري والفني وغيرها – ومن الأمثلة على ذلك تصريح موشيه دايان التالي:

لقد نفذت... ذخائرنا ودمرت طائراتنا ودباباتنا، ولولا تدفق المعونات الحربية الأمريكية من الجو والبحر علينا لضاعت إسرائيل، وقد كان هذا أكبر نكسة لإسرائيل، وسمعة إسرائيل في العالم. كما ظهر أن الدبابات الإسرائيلية في جبهة السويس لم تكن تحمل سوى قنابل خارقة، أي مضادة للدبابات، بينما لم تكن تحمل قنابل متفجرة – أي ضد المشاة. وقد جرى بعد حرب تشرين ظهور نظريات في الفكر العسكري جديدة لكيفية إعداد القوائم التي كان يجري على أساسها تخزين المعدات والذخائر. وقد اعترف دايان بأن الجيش الإسرائيلي يعاني من نفاد الذخائر...

ويكفي هنا التنويه إلى أن الولايات المتحدة الأميركية قد أرسلت لإسرائيل ١٥٠ **ألف طن** شرائط معدنية للتشويش ضد الصواريخ وقد استخدمت بسرعة وكان ذلك في اليوم ١١ تشرين الأول اليوم السادس من القتال. حتى أن الخبراء يقرون أن إسرائيل لم يبق لديها في اليوم الثامن ما يكفيها للقتال إلا أربعة أيام فقط، على الرغم من أن طلائع الإمداد الأمريكي قد بدأت في اليوم الثالث، ولكن ما إن حل اليوم الرابع عشر أي اليوم التاسع من القتال حتى أصبح الإمداد الأمريكي بلا حدود مطلقاً.

ويجب أن ننوه إلى أن هذه السرعة الهائلة في نفاد الذخيرة سببها الكثافة الأكبر في الاستخدام بما فاق معدلات استخدام وخسائر أية حرب سابقة.

عاشراً: سقوط نظريات المعدلات الزمنية، إذ إنه من المعروف أن كل

دولة تقوم بتجارب على المعدلات الزمنية المثالية لمعظم الأعمال العسكرية فمثلاً تركيب جزء من جسر دمر أثناء القتال وعملية التركيب تجري في جو المعركة الحقيقي قد لا تكتمل عملية التركيب إلا بعد ساعات في معظم جيوش العالم في حين استطاع العرب أن يعيدوا الجسور سليمة كما كانت بعد (٣٠) دقيقة من تدميرها. كما قدر الخبراء **العسكريون الغربيون والشرقيون أن من يريد عبور السويس لابد من أنه قد أصر على العبور مع خسران (٨٠٠٠٠) قتيل في حين أن العرب عبروا بخسارة (٢٢٠) شهيد فقط. كما ساعد على سرعة معدلات العبور إبداع** نوع من الحافلات يجرها الجند خلفهم تحمل كل منها (٢٥-٣٥كغ) في حين حدد مكان كل جندي في القارب مسبقاً. كما كان لاختراع طريقة الدلالة بالحبال الملونة حيث كان كل حبل إشارة ملون بلون خاص لدلالة كل وحدة مدرعة إلى المكان المحدد لها مع وحدات المشاة.

حادي عشر: لقد قلبت حرب تشرين نظريات النقل والإمداد الجوي العسكري. فهي قد أحدثت شروطاً كبرى في مجال النقل الجوي، إذ دارت مختلف الأسئلة حول حجم طائرات النقل الاستراتيجية وحمولتها وسرعتها وكيفية استخدامها، لأن حرب تشرين قد أظهرت أهمية وصول أكبر كمية من المعدات والأسلحة بأسرع وقت، فحتى الثانية لها كل القيمة في الحرب الحديثة. وهكذا اتخذت القيادة الأمريكية، وهيئة الأركان في البنتاغون مجموعة من الإجراءات والتدابير لتعديل نموذجي الطائرتين المستخدمتين حالياً في القوات المسلحة وهما (البوينغ ٧٤٧ ود.س ١—٣—٤-) وذلك **بهدف (إجراء تطور كبير في مجال النقل الجوي العسكري)** وكان الحافز لإجراء التعديلات المطلوبةهو الرغبة في الزيادة وتطوير قدرة الطائرة لحمل عدد أكبر من الرجال ومزيد من الأسلحة والعتاد بالنسبة لما تحمله الطائرة (ج١٤١و ج٥) الموجودة. وتحقيق هذه الزيادة على طريق الإفادة من زيادة طول الجوف على الطائرة (ج١٤١) بحيث يتم اكتساب ما يقارب الثلاثين بالمائة في رفع قدرة الطائرة على الحمل. والقيادة الأمريكية **تطلب تعديل**

الطائرات لأن أسطولها الحالي للنقل الجوي والمكرس لنقل القوات العسكرية، يضم نماذج رئيسية هي: (لوكهيد ٧٩ و جـ ـ ٥ ـ أ، و ٢٧٥ لوكيد، وج ١٤١) وإنَّ هذه النماذج غير قادرة على نقل فرقة من القوات المتمركزة فوق أرض الولايات المتحدة والوصول بها إلى أوروبا خلال فترة تقل عن تسعة عشر يوماً. وهذا يوضح قناعة القيادة الأمريكية بعجز أسطولها، وقد عبر وزير الدفاع الأمريكي (جيمس شليسنجر) عن هذه الحاجة بقوله: (إنني لا أرى سبيلاً لتطوير استراتيجية الردع نحو الأفضل لإحباط كل هجوم يشن على دول حلف شمال الأطلسي إلا إذا أمكن إجراء التجارب الناجحة، للبرهان على أن باستطاعة الولايات المتحدة الأمريكية نقل فرق كاملة إلى أوروبا مع ماتتطلبه هذه الفرق من أسلحة ومركبات وأعتدة لتستطيع هذه الفرق الدخول في المعركة مباشرة ومعها قوات الدعم الضرورية وتنفيذ ذلك خلال أيام قليلة فقط)[١].

ثاني عشر: لقد كانت حرب تشرين صراعاً بين خطين، فالقيادة العربية حاولت خلال الحرب الرابعة استغلال هامش العمل الصغير المتوفر لديها وإطالة أمد الحرب إلى أطول مدة ممكنة تسمح بها الظروف الدولية وإحباط الخطة الإسرائيلية الرامية إلى تحقيق الحسم في أقصر وقت ممكن ولكن محاولاتها هذه كانت محكومة بحدود لا تستطيع تجاوزها إذْ إنها كانت تخوض حرباً تقليدية بأسلحة مستوردة. (فأوروبا) ترى أن أي نزاع مسلح طويل في الشرق الأوسط يهدد رخاءها. و(الولايات المتحدة) و (الاتحاد السوفياتي) على الرغم من مصالحهما وعلى الرغم من إرادتهما مجبران على التدخل، فلن يسمح أي منهما للآخر بتحقيق نصر، **وهكذا نجد أن البلد الصغير الذي يود تحقيق أغراضه العسكرية بوسائط تقليدية، وأسلحة متطورة (مستوردة أساساً) مضطر إلى تحقيق هذه الأغراض بسرعة وقبل**

---

(١) المصدر السابق ، ص٦٥٩.

نفاد ذخيرته، وإلا وجد نفسه مضطراً إلى مطابقة الوتيرة القتالية مع وتيرة الإمداد اليومي الذي يتأثر إلى حد بعيد بإرادة الممون. وكل تجاوز لهذه التحديات والقواعد يجعله يواجه خلال القتال مأزقاً استراتيجياً لامنفذ له. ويقودنا هذا الحديث إلى حديث أشد خطورة لأنه يتعلق بتدخل الدول العظمى في الصراعات المحدودة، ويختلف التدخل هنا باختلاف الدول، ولقد شهدنا خطر الحرب الرابعة ضد الولايات المتحدة الأمريكية عندما استنفر الرئيس نيكسون قواته الذرية الاستراتيجية دون استشارتها. **أما الدولتان الأعظم فلم يمنعهما الوفاق الدولي من مد الدول المتحاربة بكل ماتحتاجه من أسلحة ومعدات وذخائر وخبرات. إن هذا التحليل** يقودنا إلى نتائج بل حقائق بكاملها، فلا العرب ولا إسرائيل في موقف يسمح لهما بخوض معركة تتجاوز في حدودها إرادة الدولتين العظميين بصورة خاصة على اعتبار أن مفاتيح التسلح في أيديهما. وإنَّ هذا السبب هو الذي يدفع (إسرائيل) حالياً – كما في الماضي – إلى زيادة اعتمادها على قدرتها الذاتية وبناء تسلحها للتحرك قدر المستطاع في الحصول على هامش أكبر من حرية العمل، وهذا أيضاً ما يفرض على العرب بالمقابل تصعيد اعتمادهم على قدرتهم الذاتية في جميع المجالات ولاسيَّما في مجال التسلح.

وهكذا نستنتج أنه من دروس (حرب تشرين التحريرية): **قصر الحرب العربية الإسرائيلية، ومحدودية الحرب بمصالح وإرادة الدول الكبرى.**

ثالث عشر: إن الغرض العسكري محدد بالغرض السياسي، وهذا ما أثبتته حرب تشرين التحريرية، فعلى الجبهة المصرية، كان الهدف واضحاً وهو زحزحة موقف الجمود الدولي، وهذا مادفع إسرائيل إلى تركيز جهودها على الجبهة السورية في المراحل الأولى للحرب. كما كان للغرض السياسي المحدود أثره على الخطة العسكرية وإدارة العمليات وعمقها وأثره على مستوى العنف بحيث لم يتم اللجوء إلى العنف الأقصى حتى لا تستنفذ درجة العنف القصوى في الولايات المتحدة الأمريكية وتدفعها إلى التدخل .

رابع عشر: لقد سطر العرب في حرب تشرين التحريرية فكراً عسكرياً جديراً ولا سيَّما **على صعيد الحرب الجوية**، فقد ابتكر العرب وطبقوا **نظرية الدفاع عن المطارات ضد الطيران المنخفض إضافة إلى تكامل وسائط الدفاع الجوي واستخدام البالونات كوسيلة دفاع سلبية. كما استحدث العرب استخدام (طائرات إعادة** الإذاعة)، لنقل المعلومات إلى الطائرات أثناء الطيران المنخفض، حيث يصعب بلوغ الموجات ذات الترددات العالية جداً إلا الطائرات ذات الارتفاع العالي، كما أبدع العرب طريقة لاستخدام وسائط الصراع الجوية - الطائرات - أي اتخذت تدابير فنية تحقق الاستقلال الذاتي لكل مجموعة من الطائرات، في إعادة الملء للتزود بالوقود والتزود بالقنابل والصواريخ في زمن بلغ من قصره أن الطلعات كانت تتوالى وكأنها بلا توقف. ولسوف يذكر التاريخ أنه **قد حطم الطيارون العرب الرقم القياسي العالمي في الدنيا وهو** (٣-٤) **طلعات إذ حقق معظمهم** (٦-٧) **طلعات في اليوم الواحد مثلما اخترقوا** الزمن التقليدي للاشتباك الجوي وهو (٧-١٠) دقائق إذ دامت بعض المعارك زهاء ٥٠ دقيقة،ولاسيَّما تلك التي تركزت فوق بور سعيد، ولعلَّ السبب هو تعدد الطائرات المعادية بكثافة بلغت أحياناً ٦٠-٧٠ طائرة في آونة واحدة، فضلاً عن توفر الوقود لدى طائراتنا لأن المعارك كانت تتم فوق مناطق غير بعيدة عن مطاراتها. كما أن إبداع **نظريات وطرائق جديدة وتطبيقها الرائع في الحرب الرابعة(١٩٧٣م)، لإصلاح المطارات** أدى إلى أنه لم يتعطل أي مطار أو قاعدة جوية أكثر من ٦-٨ساعات، على الرغم من قصفه مرات عديدة.

كما أن العدو كثيراً ما تشدّق بأنه يستطيع إعادة ملء الطائرة بالوقود والذخيرة خلال ٨ دقائق، فإذا بالعرب يحطمون هذا الرقم وينجزون كل ذلك خلال ٦ دقائق كما كانت جداول الرمي النظرية المرسومة من خبرات الحرب العالمية الثانية وحرب عام ١٩٦٧م، وغيرهما تستلزم لتدمير دبابة واحدة من

٢-٣هجمة طائرة، غير أن النسور العرب حققوا إمكانية تدمير أكثر من دبابة بهجمة واحدة.

ط - نتائج حرب تشرين عربياً وإسرائيلياً ودولياً:

١ - على الصعيد العربي:

أولاً: كان السادس من تشرين الأول عام ١٩٧٣م بمثابة نقطة تحول في علاقة العرب بالعالم، ووجد العرب أنفسهم أمام وحدة حقيقية بسبب النجاح العربي الذي تحقق لهم في ميدان القتال،وتجلّى التضامن العربي في ظل استخدام البترول كذلك كسلاح سياسي لتعزيز الكفاح العربي ضد إسرائيل والإمبريالية العالمية، فقد بادرت الدول العربية المنتجة للبترول إلى اتخاذ إجراءات الحظر، أو تقييد تصدير البترول إلى الدول الموالية لإسرائيل مع خفض الإنتاج بنسبة محدودة شهرياً، وعلى الرغم من كل ملابسات حرب البترول فقد ثبت أن العرب قد نجحوا في أن يضعوا أيديهم على أخطر شرايين الحياة في الكيانات الدولية المعادية للعرب.

ثانياً: الحقيقة أن وقف إطلاق النار عقب حرب تشرين التحريرية يختلف كل **الاختلاف عن وقف إطلاق النار طوال تاريخ الحروب مع إسرائيل، فقد قبل العرب وقف** إطلاق النار في أعوام ١٩٤٨ - ١٩٥٦ - ١٩٦٧م، وهم مهزومون، ولكن العرب في هذه الحرب قد قبلوا وقف إطلاق النار، وللمرة الأولى، من موقع القوة وليس من موقع الضعف.

ثالثاً: ولئن كانت حرب تشرين التحريرية حلقة في سلسلة الصراعات العربية الإسرائيلية التي لن تنتهي إلا بانتهاء الظلم الناتج عن احتلال أراضي الغير بالقوة، فإنّ **هذه الحرب هي التحول الجذري في تاريخ العرب الحديث وفي تاريخ عسكريتهم** وفكرهم العسكري، هذا التحول هو انتقالهم من الدفاع إلى الهجوم وإثبات الحق، بعد أن طال السبات العميق منذ أيام صلاح الدين.

رابعاً: لقد برهنت حرب تشرين التحريرية **أن الاختلافات الآنية بين الدول العربية تنصهر حيال المصلحة وتعريض كيان العرب للخطر ليتحول العرب إلى جيش واحد ضد** المعتدين، ولكن ماذا قدمت بعض الحكومات في حرب عام ١٩٦٧م، ولنذكر أن القدرة القتالية العربية، لو زجّت كاملة لكل الدول العربية وفق تخطيط على المستوى نفسه من الذكاء لعاد الحق كاملاً إلى نصابه.

خامساً: لقد **كان الاكتشاف الأهم في حرب تشرين التحريرية** هو اكتشاف الإنسان العربي لذاته وترسيخ ثقته بنفسه وقدراته بعد أن عصفت بكل ذلك نكسة الخامس من حزيران عام ١٩٦٧م، والتأثيرات المختلفة للحرب النفسية المعادية، لقد انتصر العرب وأول ما انتصر العرب انتصروا على أنفسهم وهذا الانتصار هو السر في الانتصارات الأخرى[١].

سادساً: إن تصعيد دائرة الصراع، وزيادة القوى الإسرائيلية واستمرارية العدوان دفع البلدان العربية إلى تصعيد قوتها العسكرية، وهكذا **كان كل صراع عربي – إسرائيلي أعظم من سابقه**، وهكذا نتج عن حرب تشرين أن تصعيد دائرة الصراع يخلق القوة، كما برهنت هذه الحرب الرابعة على **سقوط فكرة (الهوة التكنولوجية)** كذلك اتضح أن الزمن في مجال السباق نحو التفوق الاستراتيجي العام يسير لصالح الدول العربية لا لصالح إسرائيل. وكل ذلك يدل على مخاض نصر عربي في عمر الشعوب قريب.

سابعاً: كأننا بأحفاد طارق بن زياد وخالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص يعيدون أمجاد الأجداد، فها هم يعيدون للعسكرية العربية **وللفكر العسكري العربي مكانته العالمية** التي سبق أن تجاهلها العالم، ولا يزال معظم العالم يتجاهلها، والسبب في هذا التجاهل واضح وهو أن معظم دور النشر في العالم تسيطر عليها الصهيونية، والبرهان على ذلك مئات الكتب التي صدرت

(١) المصدر السابق ، ص٦٦٢.

بعد حرب عام ١٩٦٧م، في حين إننا لا نجد ما يوازي ذلك من الكتب التي صدرت عقب الحرب الرابعة، حرب تشرين.

٢ - على الصعيد الإسرائيلي:

لقد تركت حرب تشرين آثاراً كبرى على الصعيد الإسرائيلي، فكأنما قد حل بإسرائيل إعصار هائل ترك في جانب من الحياة أثراً **وأهم هذه الآثار والنتائج:**

أولاً: نشوء انفصام واضح بين غالبية القيادة السياسية والعسكرية من جهة. وبين جماهير الشعب والجنود من جهة أخرى، فالذين في القمة لا يحسون، كما ينبغي بمشاعر الشعب، وظهور التأرجح في الجبهة الداخلية، إضافة إلى مئات الألوف من الجنود النظاميين والاحتياطيين الذين في أذهانهم أسئلة لا حد لها ولايجدون أجوبة لها.

ثانياً: ظهور الائتلافات الجديدة في إسرائيل، إذا لا يوجد شخص في القيادة مستعد لأن يستخلص فوراً، النتائج الشخصية فيما يتعلق بالتقصير الذي حدث، وليس ثمة شخص يفكر بالذهاب، فالمتحدثون يتكلمون عن إمكانية ذهاب الآخرين لا ذهابهم هم، فالأشخاص يضمنون لأنفسهم الحماية المتبادلة، والحقيقة هي أن كل شخص يخشى زميله، ونشأت ظاهرة هي: إن المتورطين في التقصير أخذوا يجمعون مادة للدفاع عن أنفسهم وتجريم الآخرين، إذا تطلب الأمر، أي أنهم يجمعون وثائق تسجيل ذاكرة الشهود، وهذا واضح في تصريحات (حاييم هرتسوغ) و (جولدا مائير) و (موشيه دايان) و (شارون) وغيرهم.

ثالثاً: شعور الإسرائيلي بالمرارة بسقوط حصن من الوهم رهن نفسه فيه، فها هي كل البراهين والنظريات، ولا سيَّما نظرية - الحدود الآمنة - تسقط وتنهد فترك هذا القلق يسري وبفتك في نفس كل فرد إسرائيلي.

رابعاً: طالما تشدّق الإسرائيليون بأن لديهم صناعة حربية هائلة تستطيع سد حاجات إسرائيل وبعض دول العالم أيضاً، بينما انكشف كذب هذا الإدعاء من أفواههم أنفسهم، إذ لولا تدارك الولايات المتحدة لهم لخروا وخرت دولتهم، فظهرت الصناعة الإسرائيلية آنذاك على أنها صناعة تركيبية. لأن أجزاءها كلها مستوردة. كما ظهر فشل اللوجستيك وتقدير الاحتياجات العسكرية، ولاسيَّما ما يتعلق بالذخائر والمعدات، وقد اعترف دايان وغيره بهول ذلك.

خامساً: لقد كشفت حرب تشرين قلة الانضباط وضعف التدريب في الجيش الإسرائيلي، ولاسيَّما بعد أن هوت أسطورة التفوق النوعي التكنولوجي. حيث تعرضت إسرائيل إلى أكبر خسائر في تاريخها على صعيد الدبابات والطائرات وباقي الأسلحة، إضافة إلى أكبر عدد من القتلى في تاريخها أيضاً.

سادساً: لقد كشفت حرب تشرين خطأ تقديرات القيادة العسكرية الإسرائيلية والسياسية أيضاً. فهم أخطؤوا في تقدير القوة العربية وأخطؤوا أيضاً في تقدير المنظومات الصاروخية العربية ولاسيَّما السورية منها. كما أخطؤوا في تقدير القوة النارية. وأخطؤوا في النظرية والتطبيق[١].

٣ - على الصعيد العالمي:

أولاً: لقد امتدت آثار حرب تشرين إلى أفريقيا، فقد دعت قرارات منظمة الوحدة الأفريقية إلى قطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل، وفعلاً فقد قطعت الأكثرية الساحقة من الدول الأفريقية علاقاتها مع إسرائيل، طبعاً ماعدا جنوب أفريقيا، آنذاك كما قامت منظمة الوحدة بجهاز أمانتها العامة في أديس أبابا بإعداد دراسة مستفيضة عن حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣م،

---

(١) مصدر سابق ، ص٦٦٣.

والدروس التي يمكن لأفريقيا أن تخرج بها في قضايا التحرير، وما يلازمها من مواقف دولية وتحركات سياسية ونوعية الأسلحة السياسية والعسكرية والاقتصادية المستخدمة.

ثانياً: لأول مرة في تاريخ أوروبا الغربية الحديث والمعاصر وبفعل حرب تشرين اجتمعت دول الجماعة الأوروبية في أوائل كانون الأول ١٩٧٣م، وأقرت بياناً تضمَّن للمرة الأولى تأييداً غير مشروط لحقوق العرب المشروعة، كما أدانت في بياناتها سياسة اغتصاب الأراضي والاحتفاظ بها بالقوة والتي تنتهجها إسرائيل، ولا غرو في أن هذا البيان الذي كان انعطافاً كبيراً في السياسة الدولية، بفعل حرب تشرين. وهكذا ظهر التباين واضحاً بين المصالح الأمريكية والمصالح الأوروبية مما أحدث تصدعاً ملحوظاً وشرخاً في تحالف هذه القوى.

ثالثاً: وعلى صعيد دول العالم الإسلامي فقد تنادت هذه الدول إلى مؤتمر القمة الإسلامي الذي انعقد في لاهور، وبه أمكن انتهاج موقف جماعي إسلامي موحد ووضع شروط رئيسية للسلام العادل والدائم في الشرق الأوسط وفي مقدمتها عروبة القدس، وحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، وتأكيد المشروعية الدولية لمنظمة التحرير الفلسطينية والانسحاب من جميع الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧م.

ولا شك أن للدور الذي قام به وفد الجمهورية العربية السورية مع عدد من الدول العربية أكبر الأثر في تحقيق هذا النصر السياسي في هذا البيان والتأكيدات والدعم الدولي، كل ذلك تمَّ بناء على ما أحدثته حرب تشرين التحريرية.

رابعاً: كما كان لحرب تشرين التحريرية أكبر الأثر في زيادة موقف دول عدم الانحياز قوة ودفاعاً في جميع مؤتمرات هذه الدول عن الحق العربي العادل وفي المحافل الدولية، كاجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة

ومجلس الأمن ومنظمات الأمم المتحدة الأخرى وفي مجالات السياسة الدولية الأخرى.

خامساً: لقد أبرزت حرب تشرين التحريرية عدالة القضية العربية بشكل عام والقضية الفلسطينية بشكل خاص للرأي العام العالمي، حيث توالت الاعترافات بمنظمة التحرير الفلسطينية، كما توالت التأييدات لها في معظم بيانات المؤتمرات الدولية كمؤتمر دول عدم الانحياز ومؤتمر المجموعة الأوروبية والمؤتمرات العربية إجمالاً ولاسيَّما القمة منها.

سادساً: لقد برهنت حرب تشرين للدول الأوروبية أن الأمن الأوروبي مرتبط بشكل أو بآخر بالأمن العربي، وهكذا منحت حرب تشرين أوروبا الخطوة الأولى نحو الاستقلال عن الاستعمار الإمبريالي الأمريكي.

سابعاً: كما هزت حرب تشرين التقارب بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي، ولاسيَّما إبان الحرب، فقد صدرت الأوامر لكل القوات الأمريكية في كل البحار والمحيطات وفي كل القواعد في كل أرجاء الأرض لتكون بحالة تأهب كامل، كذلك أصدرت القيادة العسكرية السوفياتية أوامرها لجميع قواتها البرية والبحرية والجوية حتي القوات الاستراتيجية الذرية لتكون على أهبة الاستعداد للتدخل، ولا أدل على ذلك من الجسرين الجويين اللذين امتدا من الاتحاد السوفياتي إلى مصر وسورية، ومن الولايات المتحدة الأمريكية إلى إسرائيل حتى كادت بوادر اصطدام القوتين تظهر بقوة بين القوتين العظميين.

ثامناً: لقد كان لحظر البترول والتخوف من مقاطعة اقتصادية عربية شاملة وتعامل كثير من الدول (أو محاولة تعاملها) مع الدول العربية المنتجة مباشرة وظهور احتمال فقدان الشركات الأمريكية لأوضاعها وامتيازاتها أثر في تغيير نسبي في موقف الولايات المتحدة الأمريكية واتجاهها الذي أسمته التحرك نحو السلام. ولايغرب عنا أن هذا الموقف يختلف عن ميوعة

المواقف الأمريكية السابقة قبل حرب تشرين، فبهذه الحرب قد حركت القضية الفلسطينية من جمودها وأعطتها أبعاداً جديدة كليةً[١].

علنا قد وقفنا في بيان ما للعرب من يد طولى، وقدح معلّى، في ميدان علم الحرب وفنه خلال آلاف السنين، على الرغم من تيار الإجحاف الذي بيّناه وفنّدناه بتيار الإنصاف وبيان ما للعسكرية العربية والفكر العسكري العربي من إبداع وابتكار لوسائط الصراع المسلح وإبداع وابتكار لطرائق استخدام وسائط الصراع عبر التاريخ.

من ذلك بينا أن حرب تشرين التحريرية كانت ولادة جديدة للفكر العسكري العربي، وأنها كانت ذات أبعاد وآفاق جديدة، وهامة على صعيد الفكر العسكري العربي والعالمي، كما بينا نتائج حرب تشرين وآثارها على الصعيد العربي والإسرائيلي والعالمي. وهكذا لم تكن حرب تشرين طفرة وانتهت وإنما كانت ولادة منتظرة، فها هم أحفاد هانيبال وخالد وطارق وسعد وقتيبة يخططون ويقررون وينفذون فيبدعون وينتصرون، فإذا الحلم حقيقة، والأماني نصر مؤزّر.... فكأني بأمتي بمخاض جديد.

ي - الصراع على قمة جبل الشيخ في حرب الاستنزاف:

(قاتلوهم... واهبطوهم... فليس لهم أن يعلونا) [٢].

الرسول العربي (.)

يعتبر البعد الثالث[٣] ذا أهمية خاصة في تقرير نتيجة المعركـــة إيجابياً

---

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص٦٦٥.

(٢) من توجيهات الرسول العربي (صلى الله عليه وسلم) العملياتية إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في موقعة أحد عندما حاول خالد بن الوليد مع كوكبة من فرسان المشركين أن يصعدوا إلى قمة جبل أحد ليكونوا أعلى من المسلمين. (راجع كتاب الرسول العربي وفن الحرب ص ١٧٠).

(٣) البعد الأول: عرض الجبهة والبعد الثاني عمق الجبهة.

لمن يسيطر على الموقع الأعلى المشرف على ميدان القتال. وقد زاد من أهمية هذا البعد اختراع المناطيد والطائرات والأقمار الصناعية، وأصبح بإمكان القيادة العسكرية التي تملك هذه الوسائل أن ترى مواقع الخصم بصورة أفضل، وبذلك تتعامل معه على أساس المعرفة الدقيقة وليس (رجماً بالغيب)، وقد أشار معظم المنظرين العسكريين في كتاباتهم إلى هذه الناحية الهامة وأولوها عناية خاصة...

١- الأهمية العسكرية لجبل الشيخ على الاتجاه العملياتي دمشق - القنيطرة):

إن تقدير الأهمية العسكرية لجبل حرمون وقمته جبل الشيخ يمكن إدراكها بسهولة، لأن جبل الشيخ يشرف موضعياً على الأراضي المحيطة به كافة حتى الأفق. فمن هذا المرتفع يمكن القيام بأعمال المراقبة بالنظر بوساطة أجهزة المراقبة البصرية عشرات الكيلو مترات ورصد كامل الإتجاه العملياتي لدمشق - القنيطرة وكذلك لمناطق نوى، درعا، القنيطرة، الصنمين، ضواحي دمشق الجنوبية وغيرها. ويمكن متابعة كل تحركات القوات وتقدمها في الإتجاه العملياتي لدمشق، كما يمكن من مرتفع جبل الشيخ تصحيح نيران المدفعية وضربات الطيران.

في الوقت نفسه يغطي مرتفع جبل الشيخ ما خلفه ضد المراقبة الأرضية من الجانب السوري لتقدم القوات المعادية، لأن بإمكانه إخفاء تحشد تجميعات قوات العدو كلية.

يقدم مرتفع جبل الشيخ شروطاً ملائمة لحجب الرؤية الرادارية، حيث يخفي تقدم طائرات العدو على ارتفاع منخفض.

ومن جهة أخرى، فإن محطات الرادار والمراقبة في قمة جبل الشيخ تسمح بكشف الطائرات العربية السورية التي تطير على ارتفاعات منخفضة منذ لحظة إقلاعها من المطارات الموجودة في منطقة دمشق وجنوبها.

ولذلك فلا نعجب أبداً من احتلال العدو الإسرائيلي لموقع المرصد الكائن على الذروة المتاخمة لمرتفعات الجولان السورية في المرتفع ٢٢٢٤ في عدوان ١٩٦٧م.

٢ – الموقف العسكري السياسي قبل حرب الاستنزاف:

توالى النشاط والتحرك السياسي والدبلوماسي على نطاق واسع على مختلف الأصعدة، خلال الفترة التي أعقبت حرب تشرين التحريرية ومؤتمر القمة العربي السادس الذي انعقد في الجزائر بتاريخ ١٩٧٣/١١/٢٤م. وعلى الرغم من القرارات الهامة التي اتخذها هذا المؤتمر والتي تعكس صورة التضامن العربي والتي تؤكد على التحرير الكامل لجميع الأراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧م وتحرير مدينة القدس والالتزام باستعادة الحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني، فقد بدا واضحاً أن الولايات المتحدة الأمريكية تخطط للإلتفاف على نتائج حرب تشرين المجيدة ومعطياتها الإيجابية بغية زعزعة التضامن العربي وإضعافه، وبذر الخلاف والشقاق بين الدول العربية، وإعطاء العدو الصهيوني الفرصة لالتقاط أنفاسه وكسب الوقت حتى يعود إلى سياسة المناورة والخداع والمماطلة والتشبث بالعدوان واحتلال الأرض العربية.

لقد تمكنت الولايات المتحدة الأمريكية على الرغم من تحذير سورية من استدراج مصر إلى الفخ. وتم توقيع اتفاقية فصل القوات بمعزل عن سورية.

لقد كان رفضنا لفصل القوات على جبهة واحدة وعدم موافقتنا عليه نابعاً من موقفنا المبدئي الذي يتجلى في رفض تجزئة القضية الواحدة.

ورفض الخطوات الجزئية المنفردة والإتفاقات الثنائية لأنها لا تخدم في الحقيقة سوى العدو الصهيوني. وتسهم في تمزيق الصف العربي وتؤدي في النهاية إلى وضع مكاسب حرب تشرين في مهب الريح الإمبريالية الصهيونية العاتية.

في ١٨/١/١٩٧٤م تم توقيع اتفاقية الفصل المصرية والإسرائيلية، وكنتيجة طبيعية لذلك أخذ الموقف العربي يتراجع ويفقد الكثير من صلابته وبدأ الحديث عن رفع حظر النفط. إلى آخر الإسطوانة، وأصبح واضحاً للعيان أن سورية أصبحت تقف وحيدة في الميدان في مواجهة المخططات الصهيونية والإمبريالية. فكان لا بد لسورية من المبادرة مرة اخرى إلى التصدي للقيام بمسؤوليتها القومية. وإعادة التضامن العربي إلى المستوى اللائق الذي فرضته دماء شهداء حرب تشرين، والمحافظة على المعطيات والمآثر التي أبرزتها هذه الحرب المجيدة... وهكذا كان القرار التاريخي الشجاع اتخذته الجمهورية العربية السورية بالعودة إلى خوض القتال من جديد وشن حرب الاستنزاف ضد العدو الصهيوني... **وهكذا اندلعت حرب الاستنزاف** في الجولان وجبل الشيخ في ٨/٣/١٩٧٤م واستمرت ٨٢ يوماً متواصلاً.

٣ - الإغارة على قمة جبل الشيخ:

كانت توجيهات القائد العام للجيش والقوات المسلحة تتلخص بأن تبدأ حرب الاستنزاف ضد العدو الإسرائيلي على طول الجبهة ولا يجوز أبداً أن نسمح للعدو بالاستقرار والتشبث بالأراضي التي يحتلها، ويجب ضرب أي تحرك معاد ترصده قواتنا بأمر من قادة التشكيلات الميدانية ودون الرجوع إلى القيادة. وبكلمة واحدة إلحاق الخسائر المادية والبشرية بالعدو الإسرائيلي كلما أمكن ذلك.

لقد وضعت توجيهات القائد العام موضع التنفيذ، ولما كان موقع جبل الشيخ يشكل أهمية خاصة ذات تأثير فاعل على الاتجاه العملياتي - دمشق -

القنيطرة فقد قررت القيادة السورية أن لا تسمح للعدو الإسرائيلي بالاستقرار أبداً في هذا الموقع الهام... فبدأنا بشق طريق إلى القمة يمكنها من وضع دباباتنا على هذا المرتفع وعندما عرف العدو الإسرائيلي بالأمر بوساطة التصوير الجوي بادر هو الآخر بشق طريق مقابل من الطرف الذي يحتله على مرتفعات الجولان. كما خُططت رمايات إزعاج وإبطال نفذها سلاح المدفعية والصواريخ بشكل نموذجي لكي نجعل حياة العدو جحيماً لا يطاق في ثلج جبل الشيخ. ولكي تبرز أهمية الجبل أصدر وزير الدفاع توجيهاً عملياتياً إلى قائد الوحدات الخاصة بتاريخ ١٩٧٤/٤/٦م هذا نصه:

(يعتبر الصراع بيننا وبين العدو الإسرائيلي على جبل الشيخ من أهم النشاطات اللقتالية في المنطقة، لذلك يجب أن تبذل من قبلكم كافة الجهود للتمسك البطولي بالموقع ٢٨١٤ وعدم السماح للعدو بالسيطرة عليه مهما كلف الأمر من تضحيات.

إن نائب القائد العام – وزير الدفاع إذ يوجه إليكم هذا الأمر فلأنه يعتبر أن التمسك بمرتفع جبل الشيخ لا يهم فقط الوحدات الخاصة فحسب، وإنما يهم قبل كل شيء شرف الوطن وشرف القوات المسلحة السورية وتاريخها.

إن صمود القطر العربي السوري في وجه التحدي الصهيوني يتعلق إلى حد بعيد بصمودكم على قمة الجبل الأشم... فكونوا يقظين باستمرار... جاهزين باستمرار.... فلا يجوز أبداً أن تسمحوا للغزاة الصهاينة بتدنيس الجبل الطاهر الذي تكلل هامته الثلوج النقية البيضاء التي تذكرنا بعيون أطفالنا البريئة.

إن قصر الأمير العربي شبيب التبعي موجود في ذروة الجبل هناك. فلا تتركوا الأعداء ولصوص الآثار يسرقون التاريخ. في ١٧ نيسان القادم سنحتفل بتقليد علمكم وسام الشرف العسكري فكونوا جديرين بحمل هذه المسؤولية يا أشجع الرجال).

وكتب العماد مصطفى طلاس ما يلي:

واستمر الصراع على الجبل وتمكن العدو بفضل سيطرته الجوية من إيصال فصيلة دبابات وجماعة مشاة ميكانيكية إلى السفح الخلفي للقمة، وكانت نيران مدفعيتنا لا تطالها بسبب تضاريس الأرض، فقررنا بناء على توجيهات الرئيس حافظ الأسد أن نقتلعهم بسواعد الرجال.

اتصلت بقائد الوحدات الخاصة المقدم علي حيدر في الأسبوع الأخير من شهر نيسان ١٩٧٤م، وطلبت إليه أن يحضّر عملية إغارة على المرتفع ٢٥٠٠ بمهمة تدمير الموقع المعادي وجلب الجنود الإسرائيليين كأسرى ما أمكن من ذلك، وطلبت إليه بناءً على توجيهات الأمين العام للحزب أن يكون المساهمون كافة في الإغارة من الأعضاء العاملين في حزب البعث العربي الإشتراكي حتى يكون الرفاق قدوة وأمثولة تحتذى في البطولة والتضحية وطليعة الفداء في قواتنا المسلحة الباسلة.

ومع ملاحظة أن يكون التطوع للقيام بهذه الإغارة اختيارياً لمن يرغب.. وعندما قلت هذا الكلام شخصياً في معسكر الكتيبة ٨٢ مظلات تطوع في لحظات أربعون ضابطاً من رجال الوحدات الخاصة للقيام بهذه المهمة الصعبة، فاختار منهم قائد الوحدات عشرة ضباط كما اختار ثلاثين جندياً وصف ضابط من العناصر الراغبة في الانخراط في صفوف المغيرين. وكلهم كما ذكرت من الرفاق العاملين في الحزب... من قائد الإغارة حتى أصغر رتبة عسكرية.

اختار النقيب أحمد ديوب من الكتيبة ٨٢ تسعة ضباط للإشتراك معه في الإغارة على جبل الشيخ مع ٢٧ صف ضابط وجندي، وقسم الجنود على الضباط بحيث كان نصيب كل ضابط ثلاثة جنود فقط، وهذا الأمر ما كان بالإمكان قبوله من الوجهة العسكرية لولا جسامة المهمة التي سينفذها الرجال... لذلك لم يحتج أي ضابط على قلة العناصر التي وضعت تحت إمرته.

قسم النقيب أحمد عناصره إلى ثلاث مجموعات بشكل تهاجم فيه مجموعتان فيه من الغرب إلى الشرق، والمجموعة الثانية تهاجم من الشرق إلى الغرب ومن ثم تنحدر إلى الأراضي اللبنانية ويتم الإزدلاف في نقطة محددة.

ارتدى العناصر كافة رداءاً أبيضاً فوق ثياب الميدان، وكان الرداء مصمماُ بشكل يمكن المقاتل من التخلص منه بسرعة، وصعد الرجال باتجاه القمة ٢٥٠٠ التي تقع خلف القمة الرئيسية لجبل الشيخ، وكان يتمركز فيها أربع دبابات إسرائيلية وناقلة جنود تحتوي جماعة مشاة. وكان قوام المفرزة الإسرائيلية حوالي ٢٥ ضابطاً وعسكرياً.. اقترب رجالنا من الهدف بصمت مطبق وسمحت لهم لياقتهم البدنية بأن لا يظهر التعب والإعياء عليهم، لذلك لم يشعر العدو الإسرائيلي باقترابهم أبداً... بل لم تكن هذه الفكرة تخطر له على بال.

وصل الرجال في الساعة ١,١٥ من يوم ١٩٧٤/٥/٢م إلى بعد ٢٥ متراً من الهدف، وكان الإسرائيليون يضعون خفيراً واحداً على كل دبابة وناقلة مجنزرة وبذلك كان مجموع العناصر المعادية اليقظة خمسة، أي حوالي خمس القوة وهذا يعتبر من الناحية العسكرية أمراً جيداً.

وعندما شاهد رجالنا الأعداء أمامهم وعلى مرمى حجر منهم لم يصدقوا ما تراه أعينهم فقد أصبح الحلم حقيقة وهاهم أمام العدو وجهاً لوجه وسوف يعطونه درساً لن ينساه أبداً.

كانت الأسلحة الملقمة كل بارودة بـــ٧٥ طلقة، فقد ابتكر مغاويرنا طريقة في ربط المخازن وتجميعها بحيث أصبح بالإمكان تلقيم ثلاثة مخازن في البندقية ولا يحتاج الأمر إلا إلى قلب المخزن وتبديل وضعيته حتى تصبح البندقية مذخرة من جديد. وبحركة واحدة تم نقل ذراع الأمان إلى وضعية الإطلاق وصرخ الرجال بصوت واحد (الله أكبر) واندفعوا كالإعصار

باتجاه المفرزة الإسرائيلية، وفي الوقت نفسه كانت قاعدة الدعم النارية تصلي الأهداف المعادية ناراً حامية. بينما قذف مغاويرنا الدبابات الإسرائيلية السنتوريون والناقلات المجنزرة بالقنابل اليدوية، وخلال ثوان معدودات وثب رجالنا على الدبابات الإسرائيلية واشتبكوا مع جنود العدو بالأيدي، وكان جنودنا وضباطنا يسحبون الجندي الإسرائيلي من دبابته وعندما يصبح هذا الجندي على ظهر الدبابة كانوا يوجهون له ضربة شديدة بحد كفهم على رقبته ثم يطرحون به من أعلى الدبابة إلى سفح الجبل. وكان الجندي الإسرائيلي يهوي على الأرض جثة لا حراك فيها.

بعد خمس دقائق انتهت المقاومة الإسرائيلية. وفي الساعة ١,٢٠ من صباح ١٩٧٤/٥/٢م سيطر رجالنا على المرتفع ٢٥٠٠ بعد أن قتلوا ٢٢ جندياً إسرائيلياً، وغنموا رشاش ١٢,٧ مم وهاون ٨٢ المركب على الناقلة المجنزرة وكافة الأسلحة الفردية وخرائط الموقع ومخططات النيران وفرشات الميدان الخاصة بالمناطق الباردة، وبكلمة واحدة لم يبق في المواقع سوى الحديد البارد المدمر لأن رجالنا وضعوا قنابل بلاستيكية لاصقة على الدبابات وفجروها وأحرقوها ولم يتركوا مسماراً واحداً في الموقع لم يحملوه معهم. بعد الانتهاء من تنفيذ الإغارة، أعطيت إشارة الإنسحاب لكافة المجموعات وفق الخطة المحددة وباتجاه منطقة الإزدلاف في قرية ريمة، وعادت المجموعتان اللتان هاجمتا من الغرب إلى الأراضي السورية مصطحبة معها الأسرى الثلاثة والغنائم الحربية الأخرى،

بينما توجهت المجموعة الثالثة باتجاه الأراضي اللبنانية وهي تحمل قائدها الجريح الملازم أول فهيم اسماعيل. وكانت مأثرة حقيقة لهؤلاء الرجال الذين حملوا قائدهم طوال ٧ ساعات على ظهورهم وهو ينزف دماً، ولم يتركوه للأعداء، **ونال شرف الشهادة وهو محمول على أكتاف رجاله.** وفي الأراضي اللبنانية، التقى رجالنا مع إخوتهم فصائل الثورة الفلسطينية الذين قاموا بنقلهم إلى دمشق، حيث وصلوا إلى وحداتهم بعد ظهر يوم

١٩٧٤/٥/٢م. ومعهم قائدهم الشهيد الذي قدم أروع البطولات في اقتحام الموقع المعادي ضارباً المثل في الشجاعة والجرأة.

وقبل أن تصل المجموعتان الأخريان إلى قرب بلدة عرنة، حاول أحد الأسرى الإسرائيليين الفرار من قبضة رجالنا فوكزه الجندي المكلف بحراسته فقضى عليه، وكان هذا الحادث درساً لرفاقه الآخرين كي لا يحذوا حذوه.

وكتب العماد طلاس أيضاً:

لم أشعر بحياتي بسعادة تغمر كل كياني أكثر من السعادة التي شعرت بها عندما كلمني على الهاتف اللواء عبد الرزاق الدردري رئيس شعبة العمليات قائلاً:

(عرب... نحن في طريق العودة ومعنا ثلاثة حمير)، وكنت أعلم أن كلمة عرب تعني الكود الرمزي نجاح الإغارة، وللأمانة لم أكن نائماً عندما كلمني اللواء عبد الرزاق الدردري لأنني كنتُ أقدر أهمية العمل الذي تقوم به قواتنا الخاصة على جبل الشيخ... وفي الساعة الرابعة وخمس وأربعين دقيقة اتصلت بسيادة الرئيس حافظ الأسد وأعلمته بنجاح الإغارة، وكان سروره بالغاً وطلب إلي أن اجتمع فوراً بالعناصر المنفذة وأن أنقل إليهم تحياته، وأن أقلدهم الأوسمة والرتب العسكرية التي منحهم إياها القائد العام للجيش والقوات المسلحة تقديراً لبطولتهم.

لم نعلن أي خبر عن الموضوع إمعاناً في مضايقة العدو نفسياً، ولكن الجنرال الإسرائيلي إرئيل شارون لم يكتم الخبر وصرح قائلاً (إنها عملية يجب أن ينظر إليها بإهتمام، إذ استطاع المظليون السوريون أن يتسلقوا جبلاً شاهقاً، وأن يهاجموا من الحركة جنوداً إسرائيليين متمركزين، فروا أمامهم مذعورين تاركين دباباتهم وأسلحتهم) وإن هذه العملية تحدث لأول مرة في الجيش الإسرائيلي، لقد أدركنا أهمية ما قام به رجالنا الشجعان من أقوال الدكتور هنري كيسنجر الذي قابل الرئيس الأسد في مساء يوم ١٩٧٤/٥/٣م ورجاه أن يطمئنه عن الأسرى ما إذا كانوا على قيد الحياة أم لا ؟..[١].

---

(١) العماد مصطفى طلاس، مرآة حياتي، الفصل الثالث والستون.

وأردف كيسنجر قائلاً: (إن هذا الطلب لم يطلبه مني فقط وزير الدفاع الإسرائيلي وإنما مجلس الوزراء الإسرائيلي بكامله).

وكتب أيضاً:

أعلمني «جنرال الجيش» سيرغييف إيغور ديميتريفيتش، وزير الدفاع الروسي السابق، بمعلومة سرية عن حرب تشرين التحريرية لم تشر إليها واسطة إعلام إطلاقاً في أرجاء العالم كافة.. **وتتلخص المعلومة بما يلي:**

في اليوم العاشر للحرب، وعندما بدأت القوات الإسرائيلية عملية العبور غربي قناة السويس وتطويق الجيش الثالث والتوجه إلى القاهرة على محور «السويس – القاهرة» والوصول إلى علامة المرور التي تبعد مائة كيلو متر عن العاصمة وبدأت كفة الحرب تميل لصالح الجيش الإسرائيلي، **تلقى العقيد (سيرغييف إيغور ديميتريفيتش)**[1] **أمراً إنذارياً من القيادة – وكان في حينها قائداً لفوج صواريخ (أرض – أرض) استراتيجية مزودة برؤوس نووية يصل مداها حتى أربعة آلاف كم وبدقة /٢٥/ متراً (كمحيد احتمالي) عن مركز الهدف** – كان فحوى الأمر الذي تلقاه بأن يقوم بفك الرؤوس النووية عن قواعد الإطلاق واستبدالها برؤوس تقليدية يبلغ وزن الواحد منها ألفي كيلو غرام من مادة (ت. ن. ت.) الشديدة الانفجار. وتم بالفعل استبدال /١٢/ رأساً نووياً بما يماثلها من الرؤوس التقليدية.. وكانت الأهداف المحددة: القاعدة الجوية الإسرائيلية القريبة من «حيفا»[2] مطار «رامات دافيد»، والهدف الثاني المفاعل الذري في «ديمونة»، والهدف الثالث مصفاة تكرير النفط في «حيفا».

---

(١) هكذا كانت رتبته العسكرية في العام ١٩٧٣م.

(٢) تقع قاعدة « رامات دافيد » الجوية شرق مدينة حيفا بحوالي /٢٥/ كم ويتمركز فيها حوالي / ١٢٠ / طائرة حربية متنوعة آنذاك.

ونظراً لتمركز الفوج الصاروخي في جمهورية أوكرانيا قرب مدينة «كييف»، فإن مدى الصواريخ يطال الأهداف المذكورة بكل تأكيد.

ولكن توقف الوحدات الإسرائيلية عند العلامة /١٠٠ كم/ على طريق السويس – القاهرة وتفاهم أمريكا وروسيا على ضرورة وقف إطلاق النار، جعل القيادة العسكرية السوفييتية تعدل عن قرارها بضرب أهداف إسرائيلية إستراتيجية هامة.

وقد قام العقيد الركن عز الدين إدريس نائب مدير الإدارة السياسية والملازم أول إبراهيم مصطفى المحمود بجولة على الجبهة السورية بتكليف من القائد العام للجيش والقوات المسلحة لتدقيق الموقف المتشكل على الأرض ميدانياً، وذلك أثناء بداية الخرق الإسرائيلي في القطاع الشمالي.

ومن الجدير بالذكر أن الإدارة السياسية قد لعبت دوراً هاماً في حرب تشرين الأول عام ١٩٧٣م. حيث تم إرسال ضباط ارتباط إلى قطاعات الجبهة كما يلي: القطاع الشمالي الملازم أول إبراهيم مصطفى المحمود، القطاع الأوسط، الملازم أول شريح طيارة القطاع الجنوبي النقيب محمود الخولي.

كما غطت القطاعات بالبعثات الإعلامية والتي شارك فيها ضباط الإدارة السياسية حسب عملهم واختصاصهم. حيث كانت البعثة الإعلامية في القطاع الشمالي مكونة من الملازم رياض عصمت والمصور حسن مرشد وغيرهما.

كما تمت تغطية القطاعات الأخرى ببعثات إعلامية أخرى. وكان ضباط الارتباط والبعثات الإعلامية تتحرك وتتمركز حسب تطورات الموقف المتشكل.


الهيئة العامة
السورية للكتاب



الباب السادس

السياسة والحرب في بلاد الشام في الثمانينيات


الهيئة العامة
السورية للكتاب

الفَصْلُ الأَوَّلُ

حرب عام ١٩٨٢م

في الاستراتيجيات الدولية والإقليمية

أولاً - تمهيد:

هل حصلت إسرائيل على موافقة الولايات المتحدة لغزو لبنان في السادس من حزيران (يونيو) ١٩٨٢؟ لا أعتقد أن الولايات المتحدة دفعت إسرائيل علناً إلى هذا العمل، بل سراً لأنها لم تعارض مطلقاً عملية الغزو. فقد قام شارون بزيارة سرية إلى وزارة الدفاع الأمريكية مطلع حزيران. ويصعب التصديق أن وزير الدفاع الإسرائيلي لم يلمِّح أمامَ مضيفيهِ إلى العملية العسكرية التي ينوي القيام بها بُعيدَ أيام معدودة. ربمّا كان لدى الجانب الأمريكي اعتراضات ما أو شكوك، ولكن ليس رفضاً للغزو المزمع. ويكتب ويليام كوانت أن الوزير هيغ حين علم من مسؤول المخابرات العسكرية الإسرائيلية عن الغزو المرتقب اكتفى بالقول: «ليس قبل الانسحاب من سيناء».

فقرار غزو لبنان اتخذ في تل أبيب، أما الولايات المتحدة فأخذت تنفي علاقتها بالعملية الإسرائيلية قبل تنفيذها على أرض الواقع. ولم يشكل هذا الأمر عقبة حقيقية أمام إسرائيل التي نشطت في لبنان بدون أي وازع

يردعها، معتبرة أن ليس أمام واشنطن سوى تأييدها. وعندما انصرف هيغ من وزارة الخارجية كتبت الصحافة الأميركية أن أسباب استقالته «المبالغة في التمثيل» مع الإسرائيليين، **لكن الحق يُقال:** إن القيادة الإسرائيلية هي التي «بالغت بالتمثيل» مع البيت الأبيض.

انتصر في أواسط عام ١٩٨٢م خط التركيز على لبنان في كل من وزارة الخارجية ومجلس الأمن القومي ووكالة المخابرات المركزية الأميركية.

لدى مجيئه إلى السلطة عام ١٩٨١م وصف الرئيس ريغان لبنان بأنه ساحة «المصالح الحيوية الأميركية» بصرف النظر عن أن الأحداث الجارية في لبنان لا تهدد مصالح الولايات المتحدة السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية. إلاَّ أنَّ الاهتمام الأميركي انصبَّ على الشؤون اللبنانية بعد الغزو الإسرائيلي للبنان في حزيران (يونيو) من العام ١٩٨٢.

ويمكن الاستنتاج إذاً، أنَّ واشنطن كانت تنظر إلى الأحداث اللبنانية ارتباطاً بسعيها أولاً، ليس إلى تحصين الاتفاق المصري. الإسرائيلي فحسب الذي تحقق بعد جهود مضنية، واستكمال، ربما، سياسة الاتفاق المنفرد على حساب لبنان والأردن. وثانياً، عدم السماح للأحداث اللبنانية أن تتطور إلى حرب إسرائيلية. سورية، الأمر الذي سينسف الاستقرار العام في الشرق الأوسط آنذاك. كذلك كانت الولايات المتحدة تخشى من أنه في حال نجاح العملية الإسرائيلية ضد منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان قد يؤدي ذلك إلى تقوية مواقع الداعين في القيادة الإسرائيلية إلى قلب نظام الملك حسين و «حلّ» القضية الفلسطينية في إطار الضفة الشرقية لنهر الأردن.

وكانت الولايات المتحدة ضد مثل هذا الحلّ الذي يضحّي بالأردن. أما في ما خصّ الأحداث اللبنانية الداخلية فليس من المعقول ألا تفهم واشنطن أن انتصار أي طرف. سواء كان من المسيحيين أم من المسلمين. سيخلق التربة

الخصبة للأمزجة المعادية لأمريكا في البلدان العربية ذات الأنظمة المحافظة، وبخاصة بلدان الخليج النفطية.

وعقد ريغان وإدارته الآمال الكبيرة على المنحى العالمي لمظاهر القوة الأمريكية في لبنان. وعندما أعلن ريغان أن لبنان «يحتل موقعاً مركزاً في إظهار الإمكانيات الحقيقية للولايات المتحدة على المستوى العالمي» إنما كان يعني المواجهة مع الاتحاد السوفياتي.

انعقد اجتماع لموظفي وزارة الخارجية الأمريكية في ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٢م أبدى خلاله الوزير هيغ تخوفه على مصير الاتفاق المصري – الإسرائيلي بعد مقتل السادات. وبعد أسبوع من الاجتياح الإسرائيلي للبنان أعلن هيغ في مقابلة تلفزيونية يوم ١٣ حزيران (يونيو): «لم تمت كمب ديفيد. وأعتقد جازماً أن الأوضاع المأساوية في لبنان ستطرح إمكانيات جديدة من أجل بعث هذه العملية السلمية».

وفي الشهر ذاته من العام ١٩٨٢ أعلن جورج بول النائب السابق لوزير الخارجية ومندوب أميركا السابق لدى الأمم المتحدة، أمام لجنة العلاقات الخارجية في الكونغرس «أن غزو لبنان مهّد أما إسرائيل الطريق لضم الأراضي المحتلة بدون أي عوائق». **وأضاف بول:** «أثناء حديثي مع الجنرال **شارون** في إسرائيل أفهمني صراحة أن استراتيجيته طويلة الأمد في طرد الفلسطينيين من الضفة الغربية والإبقاء، **كما قال**، على العدد المطلوب لليد العاملة فقط».

ووجدت الولايات المتحدة نفسها في وضع لا تحسد عليه، ففي التاسع من حزيران (يونيو) حاصرت القوات الإسرائيلية مدينة صيدا وشارفت على أبواب الدامور وغدت على مسافة ١٥ كيلو متر من بيروت. وفي محاولة لقطع الطريق على القوات السورية المنتشرة في سهل البقاع التي بدأ الإسرائيليون المواجهات معها في ذاك اليوم بالذات، استخدمت الولايات

المتحدة حق النقض «**الفيتو**» على نص قرار لمجلس الأمن الدولي يمهل إسرائيل ست ساعات لوقف إطلاق النار وسحب قواتها إلى خارج الحدود الدولية مع لبنان، فيما صوّت بقية الأعضاء الأربعة عشر لصالح مشروع القرار[1].

وفي السادس والعشرين من حزيران (يونيو) استخدمت الولايات المتحدة «**الفيتو**» **مرة أخرى** ضد مشروع قرار فرنسي يطلب فصل القوات – في بيروت. وحظي هذا المشروع بأصوات بقية أعضاء المجلس كافة. وكانت إسرائيل في هذا الوقت قد أحكمت طوق الحصار على بيروت الغربية وقطعت الطريق التي تربط بين بيروت ودمشق، وبدأت قصف العاصمة اللبنانية استعداداً لاجتياحها. وفي اليوم التالي بقيت الولايات المتحدة وإسرائيل وحيدتين في عزلة في الجمعية العامة للأمم المتحدة التي صوتت بغالبية ١٢٧ صوتاً (ضد اثنين) على قرار يطالب القوات الإسرائيلية بالانسحاب من لبنان.

وتواصل اجتياح بيروت على الرغم من اقتراح عرفات التفاوض من أجل إخلاء مقاتليه من بيروت صوناً لحياة المدنيين. وقد أيدت كل من فرنسا ومصر فصل القوات وإخراج المقاتلين الفلسطينيين وانسحاب إسرائيل إلى مسافة خمسة كيلومترات عن بيروت، على أن يرتبط ذلك كله بالتحرك نحو تسوية شاملة للنزاع. لكن الحكومة الإسرائيلية قرّرت رفض هذه الصيغة.

وأخذت الولايات المتحدة تبحث عن مخرج من الموقف الحرج الذي هي فيه. ففي ٢٩ تموز (يوليو) لم يشارك المندوب الأمريكي في التصويت على قرار يدعو إسرائيل إلى فك الحصار عن بيروت، وفي الرابع من آب (أغسطس) امتنع عن التصويت على قرار يدعو إسرائيل للانسحاب إلى مواقع ما قبل الأول من آب (أغسطس) تحت طائلة فرض عقوبات عليها.

---

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق ، ص٦٧١.

لكن هذه القرارات لم تنفذ، فقد أرسلت إسرائيل رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة تعلن فيها رفضها سحب قواتها من بيروت الغربية. عندها تقدم الاتحاد السوفياتي بمشروع قرار يطالب باتخاذ جميع الإجراءات المناسبة لضمان تنفيذ القرارات الصادرة سابقاً، وعلى رأسها وقف إطلاق النار ونشر مراقبي الأمم المتحدة في بيروت ومحيطها. وصوّت إلى جانب هذا المشروع أحد عشر عضواً وامتنع ثلاثة (بريطانيا وزائير وتوغو) ولجأت الولايات المتحدة **إلى «الفيتو» مجدداً**. ومع ذلك تم الاتفاق في العاشر من آب (أغسطس) على خطة خروج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت. وقد عادت مواقف الولايات المتحدة في الأمم المتحدة عليها بخسائر كبيرة في العالم العربي، مما هدّد دور الولايات المتحدة المتقدّم في تسوية النزاع الشرق أوسطي، هذا الدور الذي رسمته «بأبهى صورة» الدبلوماسية الأميركية في كامب دايفيد.

بيد أن نظرة إسرائيل إلى الأحداث اللبنانية لم تكن لتتطابق كلياً مع سلّم الأهداف الأميركية. فالقيادة الإسرائيلية ركّزت على هزيمة قوات منظمة التحرير وإخراج الفلسطينيين من لبنان وربط ذلك بإمكانية ضم الضفة الغربية وغزة. وانطلقت إسرائيل، أيضاً. من أن عمليتها في لبنان ينبغي لها أن تضعف سورية، مع احتمال توجيه ضربات مباشرة للقوات السورية في لبنان، بل وربّما خارج حدوده أيضاً.

وهذه الصورة للأهداف الأميركية والإسرائيلية تؤكدها التصريحات والمذكرات والوقائع التي كشف عنها لاحقاً.

وفي ٢١ حزيران (يونيو) ١٩٨٢م قال الجنرال شارون في مقابلة نشرتها مجلة «تايم» «كلما كانت ضرباتنا أقوى والخسائر أكبر في البنية التحتية لمنظمة التحرير الفلسطينية، أبدى العرب في الضفة وقطاع غزة استعدادهم للتفاوض والتعايش معنا».

وبعد لقائه مع وزير خارجية أميركا الجديد جورج شولتز في واشنطن بتاريخ **٢٧ آب (أغسطس) ١٩٨٢م**، أعلن **شارون** أمام غابة من ميكروفونات الصحافيين: «إسرائيل لم توافق يوماً ولن توافق على قيام دولة فلسطينية.. فالدولة الفلسطينية موجودة. الأردن هو الدولة الفلسطينية».

وكتب أوينون المسؤول السابق في وزارة الخارجية الإسرائيلية: «السياسة الإسرائيلية، في أوقات السلم كما في أوقات الحرب، يجب أن تخضع لهدف أوحد ألا وهو زوال الأردن بنظامه الحالي.. ونمو الهجرة الفلسطينية من غرب الضفة إلى شرقها»[١].

واهتزّ العالم بأسره للجريمة الدموية التي نظمتها القيادة الإسرائيلية ونفذها الكتائبيون بحق اللاجئين الفلسطينيين، بمن فيهم الأطفال والنساء، في مخيمي **صبرا وشاتيلا**. أما الأميركيون فكثفوا نشاطهم لوضع اتفاق إسرائيلي – لبناني، ولهذا الغرض قام الوزير شولتز بجولات مكوكية على مدار أسبوعين بين إسرائيل ولبنان لمتابعة تفاصيل الاتفاق الذي لحظ قيام «منظمة أمنية » في جنوب لبنان. هكذا كان ثمن خروج القوات الإسرائيلية، وهكذا أُرغم لبنان على توقيع اتفاقية السابع عشر من أيار (مايو) ١٩٨٣م.

وفي أواخر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٢م دخلت «القوات المتعددة الجنسية» إلى لبنان وتضم ١٢٠٠ من جنود البحرية الأمريكية ووحدات عسكرية من فرنسا وإيطاليا.

وفي وصفه للاتفاقية اللبنانية – الإسرائيلية قال الرئيس حافظ الأسد في حديث مع كاتب هذه السطور[٢] في الثاني من حزيران عام ١٩٨٣ في

---

(١) المقالة نشرت في مجلة «كيفونيم» (الاتجاهات). وأوردتها:

Middle East International, 31X, 1982,p.13

(٢) يفغيني بريماكوف، الشرق الأوسط، ترجمة علي العرب، دمشق، دار اسكندرون، ط١ ٢٠٠٦م، ص٢١٩

دمشق «الاتفاقية مرفوضة من قبلنا **لسببين رئيسيين. أولاً**، انطلاقاً من مصلحة أمن سورية الوطني. **وثانياً**، لأنها تحدّ من سيادة لبنان وتقيّد حريته في قراراته، الحرية التي تستخدمها أية دولة مستقلة.

احكموا بأنفسكم: ماذا يعني أن يحرم الاتفاق لبنان من امتلاك صواريخ أرض جو على أراضيه لا يزيد مداها على خمسة كيلو مترات. هذا يعني أن إسرائيلي سوف تتحكم بالأجواء اللبنانية بدون أي وازع. إلى جانب ذلك يحظر الاتفاق على الطيران اللبناني التحليق فوق الأجزاء الجنوبية من البلاد، والتي هي أرض لبنانية، إلاّ بعلم مسبق من قبل إسرائيل. أو لنأخذ نقطة أخرى مهينة وتتناقض مع حقوق لبنان السيادية، إذ ينص الاتفاق على أن أية دولة عربية أو غير عربية، لا تقيم علاقات دبلوماسية مع إسرائيل لا يحق لها نقل أسلحة بوساطة الترانزيت عبر الأراضي أو الأجواء والمياه الإقليمية اللبنانية. وماذا يعني أيضاً أن جميع القرارات المتعلقة بجنوب لبنان ينبغي أن تكون مشتركة بين لبنان وإسرائيل؟».

ومما قاله الرئيس حافظ الأسد أيضاً: أنه بموجب عقد الاتفاق سيغدو الجنود الإسرائيليون على مسافة أربعة وعشرين كيلو متر من دمشق بينما الجنود السوريون على مسافة ٢٥٠ كيلو متر من تل أبيب.

وختم مستخلصاً «أليس واضحاً أن هذا الوضع يحتم موقف سورية السلبي من الاتفاق، فنحن في حالة حرب مع إسرائيل»؟

وهكذا يُعدُّ الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م جزءاً من الأعمال العسكرية التي تخدم الإستراتيجية الأمريكية العليا، والتي تعمدت الدولة الصهيونية القيام بها في المنطقة العربية مقابل حصولها على الدعم الأمريكي في جميع المجالات، وبغية تحقيق الإستراتيجية الصهيونية في الوصول إلى أهدافها القديمة – الحديثة التي تتضمن:

١ – التوسع على حساب الأرض العربية.

٢ – ضرب قوى التحرير العربية.

٣ – السيطرة على المنطقة العربية والمشاركة في نهب ثرواتها.

♦ **وفي السياق التاريخي لنضال الشعب العربي الفلسطيني** من أجل استرداد وطنه وحقوقه، تعتبر حرب عام ١٩٨٢م أول وأهم مواجهة فلسطينية إسرائيلية منذ ما قبل عام ١٩٤٨م، فقد جاءت المجابهات الفلسطينية الإسرائيلية منذ عام ١٩٤٨م وحتى عام ١٩٨٢م في إطار المواجهات العربية – الإسرائيلية العامة، أو في إطار مواجهات جزئية متقطعة هي عمليات كر وفر فلسطينية – إسرائيلية بين قوات الثورة الفلسطينية وجيش الاحتلال الإسرائيلي.

♦ **كما أن نتائج حرب تشرين التحريرية** قد تركت آثاراً سلبية على المجتمع الإسرائيلي، ولا يمكن إزالة هذه الآثار إلا بإحراز نصر عسكري واسع.

♦ **ومن جهة أخرى فإن الحرب التي خططتها الصهيونية** في أرض لبنان كانت تستهدف بشكل أو بآخر القوات السورية، لأن سورية ظلت هي الدولة الوحيدة من دول المواجهة التي تتبنى بشكل مبدئي وعلني القضية الفلسطينية، وتدعم المقاومة الفلسطينية، وتقف في وجه كل المخططات الرامية إلى تصفية القضية الفلسطينية.

♦ **ويمكن القول: إن حرب لبنان قد تضمنت ثلاثة أشكال حربية تختلف فيما بينها بالطبيعة والأهداف والنتائج.**

فالشكل الأول كان مجابهة بين القوات الإسرائيلية النظامية، والقوات شبه النظامية الفلسطينية والمدربة أساساً على حرب العصابات وكان الطابع الغالب على هذه المجابهة «حرب المدن»، والتي انتهت بحصار بيروت وخروج قوات منظمة التحرير منها.

♦ **والشكل الثاني** كان مجابهة تقليدية بين الجيشين النظاميين السوري والإسرائيلي، وقد تميزت هذه المجابهة بالمناورات المحدودة، وباصطدامات

واسعة النطاق بين المدرعات والطائرات ووسائط الـــ م / ط، وانتهت بوقوف كل من الطرفين على خطوط جديدة في البقاع والجبل ضمن وضع استراتيجي عسكري غير مستقر ينطوي على احتمالات المواجهة مجدداً.

♦ **أما الشكل الثالث** فهو حرب الاستنزاف التي خاضتها المقاومة اللبنانية ضد الاحتلال الإسرائيلي فأوقعت أكبر الخسائر البشرية به، وانتزعت زمام المبادرة والمفاجأة من أيدي القوات الإسرائيلية حتى الانسحاب الإسرائيلي شبه التام من لبنان.

ثانياً - الوضع الدولي والإقليمي قبيل الحرب [١٩٨٢م]

أ – الإطار الإستراتيجي:

من الحكمة أن ننظر إلى حرب عام ١٩٨٢م، بوضعها في إطارها الاستراتيجي الشامل، وهو ما أطلق عليه في إسرائيل مصطلح استراتيجية إسرائيل في الثمانيات. ولعل في التقرير الذي قدمه وزير الدفاع **إرئيل شارون** في ندوة حول شؤون الأمن الإسرائيلي ما يلقي بعض الضوء على ذلك. **قال شارون:** (تعود أهم مشاكلنا الأمنية في الثمانينيات وفقاً لما أراه إلى مخاطر خارجية تتعرض لها إسرائيل وسلامتها وحقوقها السيادية **وتأتي هذه المخاطر من مصدرين: أولهما** المواجهة العربية، **وثانيهما** التوسع السوفييتي المرتكز على المواجهة العربية والذي يزود هذه المواجهة بالأدوات السياسية والعسكرية. **وعلى هذا فإن محور استراتيجية إسرائيل هو مواجهة المواجهة العربية (نتيجة لتشكيل جبهة الصمود والتصدي)**، وذلك بقهر الإرادة العربية سياسياً واقتصادياً وعسكرياً والتوسع في الأرض العربية والقضاء على الحركة الوطنية الفلسطينية والسيطرة على المنطقة العربية وتصفية النفوذ السوفييتي فيها وجعلها خالصة للهيمنة الأمريكية – الإسرائيلية.

تركت مهمة ترتيب الأولويات بين هذه الأغراض للقيادة الإسرائيلية، فكان أن أصبحت تصفية م. ت. ف تصفية كيانية تتناول تشكيلاتها المقاتلة

ومؤسساتها القيادية واجتثاث الوجود الفلسطيني من لبنان وتطبيق مبادىء كمب ديفيد ونهجها في لبنان ، في مقدمة سلم أولويات الاستراتيجية الإسرائيلية.

وليس هذا فحسب وإنما ينبغي أيضاً أن ينظر إلى حرب عام ١٩٨٢م في ضوء التطورات التي حصلت منذ اتفاق وقف إطلاق النار بين الثورة الفلسطينية وإسرائيل وهو الاتفاق الذي وقع في ١٩٨١/٧/٢٤، بعد أربعة عشر شهراً من حرب استنزاف شديدة ومتصاعدة.

لقد خلق اتفاق وقف إطلاق النار، الذي جرى التوقيع عليه بين رئيس اللجنة التنفيذية لـــ م.ت.ف والجنرال **كالاهان** قائد قوات الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان يونيفل)، وضعاً سياسياً جديداً، أساسه أن م.ت.ف و«دولة إسرئيل» أصبحتا طرفين متحاربين متساويين في الحقوق والواجبات أمام القانون الدولي، على الأقل، بصفتهما طرفين متحاربين. وهذا ما أقر في وعي الرأي العام العالمي وفي المحافل الدولية. وبذلك اكتسب مسار تبلور الشرعية الدولية للمنظمة بعداً جديداً كبير الأهمية والخطورة تجاه إسرائيل ذاتها، ولدى دول العالم، وفي الأمم المتحدة. يضاف إلى ذلك، أن المنظمة لم توقع الاتفاق كطرف مهزوم، وأن إسرائيل لم توقعه بصفة المنتصر(١).

ولقد أدى اتفاق وقف إطلاق النار هذا إلى النتائج الآتية:

١- **ارتفاع مكانة م.ت.ف في العالم.**

٢- **أصبحت إسرائيل مقيدة** بعدم إمكاناتها مواصلة «الحرب الوقائية» ضد الثورة الفلسطينية، إذا لم تخرق م.ت.ف الاتفاق.

٣- **كان وقف إطلاق النار فرصة جيدة** تأخذ الثورة فيها بعض النفس والراحة، وتعيد تنظيم صفوفها، وتستعد لجولة قادمة إذا ما خرقت إسرائيل الاتفاق.

---

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق ، ص٦٧٦.

٤- **أصبح زمام المبادرة بيد الثورة الفلسطينية**، بنفس المقدار الذي هو بيد إسرائيل في حال رغبتها في خرق الاتفاق.

٥- **تعزيز وضع المنظمة كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني.** وأصبحت المسافة بين الاعتراف الدولي الرسمي الواسع لها، وبين الاعتراف بها كطرف كامل متساو مع بقية الأطراف في النزاع، قصيرة جداً.

لقد جاءت هذه المكاسب الهامة التي حازتها الثورة الفلسطينية نتيجة لعملية صيف ١٩٨١م، واتفاق وقف إطلاق النار الذي تلاها، لتكون من بين أهم العوامل المؤثرة في استراتيجية حرب ١٩٨٢م، وفي أحد أهدافها الرئيسية، وهو القضاء على م.ت.ف كقوة ثورية عسكرية.

كما نشبت حرب لبنان في وقت أعادت فيه الاستراتيجية الإسرائيلية الاعتبار والتقدير لمفهوم الذرائع، أي الأسباب المبررة للحرب. وكانت إسرائيل، بعد حرب ١٩٦٧م، قد اطمأنت إلى نظرية «الحدود الآمنة» التي انهارت إثر حرب ١٩٧٣م. فأعادت إسرائيل،في مطلع الثمانينيات الحياة إلى مفهوم الذرائع، واشتد التمسك به، وبخاصة أن هناك سببين آخرين أسهما في ذلك: **أولهما** تعاظم القوة العسكرية العربية، نوعاً وكماً، وإدراك إسرائيل أنها بلغت حدود قدرتها العسكرية على التطوير الكمي لجيشها. وأعلن وزير دفاعها أنها أوقفت سباق التسلح، وأنها لن تتنافس مع الجيوش العربية في معدات التدمير، وهي، حسب قوله، ستواصل تطوير الأسلحة والحصول عليها لتغيير المعدات القديمة فقط.

وأعلن: **أن إسرائيل ملزمة بالرد على الحالات التالية:**

١- **خرق الترتيبات الأمنية** التي تحددها الاتفاقيات مع مصر وسورية.

٢- **إرسال قوات عراقية إلى الأردن**، أو إلى جنوبي سورية، أو إرسال قوات سورية إلى الأردن بصورة كثيفة.

٣- **خرق الوضع الراهن في جنوبي لبنان.**

٤- **توجه دول المواجهة العربية نحو السلاح النووي.**

ولم تكن هذه الذرائع جامدة أو ثابتة لا تتغير، وإنما هي قابلة للإضافة والتعديل، كمثل ما فعل وزير الدفاع الإسرائيلي حين أضاف، فيما بعد، ذريعة جديدة هي «نشر شبكة صواريخ مضادة للطائرات على امتداد نهر الأردن شمالاً»، وكمثل ما فعل رئيس الوزراء **حين قال:** «إن من يسيطر على جبل صنين والأجواء اللبنانية، سيسيطر على لبنان كله حتى الحدود اللبنانية - الإسرائيلية. وليس في ذلك أدنى شك. وعندئذ ستواجه إسرائيل خطراً يهدد وجودها، ولن يكون هناك من سبيل لمنع الحرب»[(١)].

وهكذا أصبحت «دوافع الحرب الإسرائيلية» شبكة متداخلة من الخطوط الحمراء، شكلت محاولة اغتيال السفير الإسرائيلي في لندن يوم ١٩٨٢/٦/٣م، أحد تلك الخطوط.

ب - التحالف الإستراتيجي بين الولايات المتحدة وإسرائيل:

لم تبدأ إسرائيل غزوها للبنان إلا بعد أن طورت علاقتها بالولايات المتحدة تطويراً استراتيجياً هاماً، تمثل فيما يسمى «مذكرة التفاهم».

وقد وقع وزيرا الدفاع الأمريكي والإسرائيلي على المذكرة في واشنطن يوم ١٩٨١/١١/٣٠م. وبعد ذلك بيومين، أعلن وزير الدفاع الإسرائيلي، في معرض رده على المعارضة، عن وجود بنود سرية في الاتفاقية، إذ قال: «هذه الاتفاقية لم تصنع للنشر في الصحف. هل يستطيع أحد أن يتصور إمكانية عرض تفصيلات مثل هذه الاتفاق بشكل علني. هل هناك مثال في العالم على اتفاقية مفتوحة تشير بوضوح إلى عدد الدبابات والأعتدة والتعاون الأمني وغيرها لأي طرف؟».

---

(١) خطاب مناحيم بيغن في الكنيست ١٩٨١/٥/١١.

رأت إسرائيل في هذه الاتفاقية سبيلاً لكي تطلب من الجانب الأمريكي رفع حجم المعونات الأمريكية العسكرية والاقتصادية إلى ثلاثة مليارات دولار سنوياً. كما اعتبرتها تتويجاً للعلاقات الأميركية – الإسرائيلية «ووضع الأسس لتحالف عسكري استراتيجي بين الدولتين».

جاء إعلان التحالف الإستراتيجي بين الولايات المتحدة وإسرائيل ثمرة طبيعية لتاريخ العلاقات بينهما وتطويرها، وتعبيراً جديداً عن الالتقاء في المصالح والأهداف في سياق التطورات والتبدلات التي جرت في الوطن العربي في السبعينيات، وبخاصة إثر خروج مصر من دائرة العمل العسكري العربي.

إن خطورة هذه الاتفاقية لا تكمن فقط في رفع قدرات العدو الإسرائيلي عسكرياً واقتصادياً، بما يضمن استمرار تفوقه على العرب، وتكريس احتلاله للأراضي العربية، ورفع وتيرة اعتداءاته وتوسعاته، وإنما تكمن، أيضاً، في إقدام الولايات المتحدة على التحالف العسكري الاستراتيجي مع كيان هو في حالة حرب مع الدول العربية، (باستثناء مصر).

يضاف إلى ذلك كله، أن الولايات المتحدة نادت بما أسمته «الإجماع الإستراتيجي»، الذي يهدف إلى تحقيق ما اسماه الرئيس ريغن «الاستقرار الإقليمي في الشرق الأوسط، بحيث يمكن التصدي الصارم للأخطار الإستراتيجية الخارجية وأخطار التدخل الأجنبي التي تهدد استقلال دول المنطقة». ولم يجد المشروع استجابة لدى الدول العربية.

وهكذا تركت الدوائر الثلاث: التحالف الأمريكي – الإسرائيلي، ونهج كمب ديفيد، والإجماع الإستراتيجي، أثرها وبصماتها على الأرضية التي انطلقت منها إسرائيل في غزوها للبنان. ولقد استند تخطيط الغزو وتنفيذه إلى مرتكزات سياسة الإدارة الأمريكية حيال الصراع العربي الإسرائيلي وقضية فلسطين، **وأبرز هذه المرتكزات:**

١- **رفض الاعتراف بـــ م.ت.ف**، أو التفاوض معها، فهي، في نظر حكومة الرئيس ريغن، «منظمة إرهابية».

٢- **رفض حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني**، ورفض إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة.

٣- **اعتبار إسرائيل حليفاً إستراتيجيا** ومرتكزاً جغرافياً وسياسياً وعسكرياً تستند الولايات المتحدة إليه في المنطقة العربية.

٤- **دعم السياسة العدوانية لإسرائيل**، وبخاصة في مجال الاستيطان الصهيوني في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان، والعمل على تصفية القضية الفلسطينية خلال القضاء على الحركة الوطنية الفلسطينية، وتطبيق أحكام اتفاقيتي كمب ديفيد بشأن الإدارة الذاتية في الضفة والقطاع.

انطلقت إسرائيل في غزوها مستندة إلى هذه المرتكزات، وإلى التخطيط المشترك بينها وبين الولايات المتحدة، وإلى التسلح الحديث الغزير الذي زودتها به هذه الدولة الحليفة، من أجل تحقيق الأهداف المشتركة والأهداف الإسرائيلية الخاصة، وفي مقدمتها الاحتلال والتوسع.

وفي إطار هذا التحالف، تكفلت الولايات المتحدة وتكلفت بالتغطية والحماية السياسية لإسرائيل وغزوها في إطار الأمم المتحدة. وكمثال على ذلك، استعملت الولايات المتحدة حق النقض، في النصف الأول من العام ١٩٨٢م فقط، ست مرات في مجلس الأمن، لإسقاط قرارات أيدها المجلس بأكثريته الساحقة. وهذه القرارات تتعلق بالوضع في الأراضي الفلسطينية المحتلة والجولان وبلبنان واعتداءات إسرائيل عليه(١).

---

(٢) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق ، ص٦٧٩.

كان من النتائج المباشرة لهذا السلوك الأمريكي في مرحلة ما قبل حرب ١٩٨٢م، أن أصبحت إسرائيل قادرة على الاستمرار في تطبيق خططها العدوانية وسياساتها الاستعمارية. **وعلى هذا انطلقت إسرائيل في أعمالها العدوانية التالية:**

١- الاستمرار في تنفيذ الضم الواقعي للضفة الغربية وقطاع غزة.

٢- ضم الجولان.

٣- الاحتلال الواقعي لجنوب لبنان، والتدخل المستمر في الشؤون الداخلية اللبنانية.

٤- تهديد الدول العربية.

وما ضرب المفاعل النووي العراقي (حزيران ١٩٨١م) المنشأ لأغراض سلمية، والغارة على مقر م.ت.ف في تونس (تشرين الأول ١٩٨٥)، سوى مثالين على ذلك.

لقد أثبتت مقدمات الحرب وظروف الإعداد والتخطيط لها، وعوامل وعناصر تنفيذها، كما أثبتت مجريات المعركة ذاتها، وأحداث ما بعد وقف إطلاق النار، أن حرب ١٩٨٢م جرت بمعرفة الولايات المتحدة وبتأييد منها، وبحمايتها وبأسلحتها. ويأتي ذلك من خلال التحالف الاستراتيجي بينها وبين إسرائيل، وتطابق الأهداف، وتبادل المكاسب. ولقد تواترت الأدلة والشهادات التي تثبت ذلك، ولم ينكرها أو يصححها أحد.

إن وزير الخارجية الأمريكية الكسندر هيغ، ووزير الدفاع **كاسبار وإينبرغر** ومستشار الأمن القومي **وليم كلارك**، ونائب الرئيس **جورج بوش**، والرئيس الأمريكي نفسه، كانوا قد تعهدوا، منذ شهر أيار ١٩٨٢م، بمساندة الغزو الإسرائيلي للبنان. وكان **واينبرغر وكلارك** قد وافقا على العمليات البحرية والجوية التي صدرت الأوامر بها قبل الغزو في ١٩٨٢/٦/٦م.

وثمة شهادة أخرى، هي قول الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر أن الرئيس **رونالد ريغن** كان على علم مسبق بعملية «**سلام الجليل**»، وأنه أعطى الضوء الأخضر لتنفيذها. وقال كارتر: «قامت قوة إسرائيلية بالدخول إلى لبنان، حيث وصلت إلى بيروت دون مواجهة عقبات جدية. وقد برّر الإسرائيليون هجومهم باغتيال سفيرهم **شلومو أرغوف** في لندن، مع أن مجموعة أخرى غير تابعة للمنظمة أعلنت مسؤوليتها عن الحادث. قبل ذلك وخلال فترة سابقة من العام نفسه، تم إبلاغ موظفين في وزارة الخارجية الأمريكية بتفاصيل خطة عامة أشرف عليها **أرئيل شارون**، وتدور حول قيام إسرائيل بعملية في لبنان».

جـ - الوضع العربي:

انتهزت إسرائيل فرصة انهيار التضامن العربي، عندما بلغ هذا الانهيار، قبيل الحرب وفي أثنائها، حداً لم يبلغه من قبل، ولم تنفع جميع العلاجات في مداواته. وفي حين جاءت التدابير الإسرائيلية - الأمريكية، وبخاصة إثر خروج مصر من ساحة الصراع العربي - الإسرائيلي - وبعد التحالف الإستراتيجي بين إسرائيل والولايات المتحدة، لتكفل ازدياد نمو القدرة العسكرية الإسرائيلية، جاء انهيار التضامن العربي ليعمل على إنقاص القوة العسكرية العربية وإضعافها حتى الهزال، على الرغم من التنامي الظاهري المحقق لهذه القوة.

أنقذ الوضع العربي هذا إسرائيل من بعض المعضلات التي تواجه إستراتيجيتها العسكرية، كالقتال عل أكثر من جبهة واحدة، والتفوق الكمي العسكري العربي، بشراً وسلاحاً وغير ذلك. وهكذا ساعد الوضع العربي إسرائيل على تبسيط عناصر إستراتيجيتها العسكرية في حرب ١٩٨٢، فلم تعد مضطرة إلى القتال على جبهتين أو أكثر، أو إلى مواجهة حشد عسكري

عربي كبير، أو إلى تشتيت جهدها العسكري من أجل منع وصول القوات العربية إلى منطقة التحشد العملياتي وهي جنوب لبنان. في حين ركز الجهدان الأمريكي والإسرائيلي عل تعزيز القوة العسكرية لإسرائيل، بحرية وأمان، أسهم الوضع العربي في تحرير تلك القوة من هواجسها ومعضلاتها الإستراتيجية، وجعل ميزان القوى في المنطقة، وفي حرب ١٩٨٢ بالذات، ميزاناً عسكرياً بحتاً بين القوات الإسرائيلية من جهة وبين قوات الثورة الفلسطينية والقوات السورية الموجودة في إطار قوات الردع العربية في لبنان من جهة أخرى.

ثالثاً - الأهداف:

ليست الأطماع الاستعمارية الصهيونية في لبنان وليدة الظروف والنتائج التي آلت إليها الأوضاع اللبنانية إثر الحرب الأهلية التي اندلعت في نيسان ١٩٧٥م، وإنما تعود تلك الأطماع إلى بداية إنشاء الحركة الصهيونية، التي وضعت لبنان في مقدمة اهتماماتها الإستراتيجية، وخططت لتحقيق أطماعها فيه، عندما تتاح لها الفرصة. وقد جاءت الظروف اللبنانية والعربية في صيف ١٩٨٢ م لتمنح الكيان الصهيوني تلك الفرصة.

١– المياه :

من يراجع أدبيات الحركة الصهيونية، منذ نشوئها حتى اليوم، يلاحظ تركيز المفكرين والزعماء الصهيونيين على لبنان ومصادر المياه فيه. ويتضح من مجمل الوثائق والتصريحات التي أصدرتها مؤتمرات الحركة الصهيونية وزعماؤها، قبل قيام الكيان الصهيوني، كما يتضح من مجمل المشروعات التنموية والمائية التي سعى هذا الكيان، بعد قيامه، إلى تنفيذها، أن إسرائيل طامعة في الحصول على موارد المياه في الجنوب اللبناني، **وبخاصة مياه نهري الليطاني والحاصباني**، وذلك إضافة على الأهداف الاستعمارية

والتوسعية الأخرى الملازمة للحركة الصهيونية وكيانها إسرائيل. وكمثال عل ذلك، نذكر أن **موشيه شاريت**، أحد رؤساء الحكومات الإسرائيلية السابقين، كان يرى أن عدم إدراج **نهر الليطاني** ضمن مشروعات إسرائيل المائية هو خطيئة أساسية ارتكبتها حكومته.

٢- العمق:

وضعت إسرائيل في إستراتيجيتها العسكرية لحرب ١٩٨٢م، الحصول على عمق إستراتيجي في لبنان، مماثل لذلك العمق الذي حصلت عليه في معاهدة السلام مع مصر (١٩٧٩)، بل يفوقه أهمية.

فإذا كان للعمق الذي نتج عن المعاهدة المصرية - الإسرائيلية قاصراً على الأراضي المصرية وحدها، ومنها سيناء، فإن العمق، الذي يمكن أن توفره معاهدة سلام لبنانية - إسرائيلية مماثلة، يمتد إلى العمق السوري، بحيث يشمل المناطق السكنية المكتظة بالسكان (دمشق - حمص - طرطوس) ومنطقة الجبهة السورية - الإسرائيلية كلها، ومناطق الحشد والحركة الاستراتيجيين. وقد جسّدت اتفاقية ١٩٨٣/٥/١٧ التي سقطت فيما بعد، هذا المطمع الإسرائيلي في العمق الإستراتيجي اللبناني - السوري.

٣- نفي الوجود الفلسطيني:

وثمة غرض رئيسي آخر سعت إليه إسرائيل في إستراتيجيتها هو "نفي الوجود الفلسطيني من لبنان" وقد تجسد هذا الغرض في ثلاثة أهداف يتلو أحدها الآخر:

١- إبعاد البندقية الفلسطينية عن الحدود ٤٠ــ ٤٥ كم.

٢- إخراج قوات الثورة الفلسطينية في لبنان.

٣- اجتثاث الوجود الفلسطيني في لبنان بوساطة المذابح والإرهاب.

وقد تحقق الهدف الأول، وتحقق الهدف الثاني بمعظمه، وفشلت إسرائيل في تحقيق الهدف الثالث على الرغم من مذبحة صبرا وشاتيلا وما كان ينتظر أن يتبعها من مذابح وأعمال عنف وإرهاب(*).

رابعاً - السبب المباشر للحرب:

♦ **أُطلقت النار على السفير الإسرائيلي في لندن "شلومو آرغوف" مساء ٣/ حزيران/ ١٩٨٢م**،من قبل ثلاثة أشخاص، ليقوم الطيران الإسرائيلي في اليوم التالي بالإغارة على الأهداف الفلسطينية والتي كان من ضمنها مباني القيادة في بيروت، حيث اعتبر ياسر عرفات ذلك تحدياً، فرد بقصف مدفعي دام أربعاً وعشرين ساعة على شمال الجليل وجيب حداد.

♦ **اجتمعت الوزارة الإسرائيليــــة** بكامل أعضائهـــا، **يوم السبت ١٩٨٢/٦/٥م**، وقررت الهجوم بعد أن كانت قد حصلت على الضوء الأخضر من الولايات المتحدة لتوقيت العدوان كما مر معنا سابقاً، وقال بيغن: "لا لن نسمح بإصابة سفير إسرائيل، لأن إصابته مثل إصابة إسرائيل بأكملها" وعلى هذا سيأتي الرد[١].

♦ **في الساعة ١١،٠٠ من صباح ١٩٨٢/٦/٦م بدأت القوات الإسرائيلية** عملية سلام الجليل وتقدمت باتجاه لبنان.

أهداف العملية:

١– تصفية الوجود العسكري والسياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية.

---

(١) العماد مصطفى طلاس، الغزو الإسرائيلي للبنان ١٩٨٢، مصدر سابق، ص١١٣ – ١١٤ – ١١٥.

(٢) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق ، ص٦٨٢.

٢- إخراج القوات السورية من لبنان.

٣- دعم القوى التي تستطيع الارتباط معها، بوساطة القوة العسكرية وتمكنها من السيطرة على الحكم تحقيقاً لاعتراف متبادل.

فكرة العملية:

تقضي بتوجيه الضربة الرئيسية بالاتجاه العام أرنون - النبطية - صيدا مع ضربة مساعدة على الاتجاه الساحلي الناقورة - صور - صيدا، وبالتعاون مع الانزالات البحرية على الساحل للعمل في مؤخرات قوات المقاومة الفلسطينية وإرباك عمليات القيادة والسيطرة والمناورة والإمداد. تندفع القوات البرية بأقصى سرعة للوصول إلى أهدافها مع الأخذ بعين الاعتبار تنفيذ أعمال مشاغلة وتثبيت على الاتجاه الشرقي في المرحلة الأولى بهدف التضليل بأن العملية محدودة تستهدف فقط مواقع المقاومة الفلسطينية الرئيسية التي كانت تؤثر على مستعمرات شمالي فلسطين المحتلة دون التعرض للمواقع السورية الأمامية في بداية الغزو.

خامساً - ميزان القوى وانتشار القوات

ذهبت بعض التقديرات إلى أن قوات الثورة الفلسطينية قد بلغت ٢٥٠٠ مقاتل مسلحين جيداً بأسلحة متنوعة بما في ذلك دبابات ومدفعية متعددة الأنواع ومخزون ضخم جداً من الذخائر، وهناك أرقام أخرى. لكن قد يكون الأقرب إلى الصحة أن الرقم يتراوح بين ١٢٠٠٠ مقاتل و١٤٠٠٠ مقاتل[١]. وكانت تشكيلات المقاومة الفلسطينية مزودة ببنادق آلية ورشاشات عيار ٧,٦٢-١٢,٧ ومدافع عيار ٨٥ - ١٢٢ - ١٣٠ - ١٥٥ مم وراجمات

---

(١) د. هيثم الكيلاني، إستراتيجية إسرائيل في حروبها، إصدار جامعة الدول العربية، تونس ١٩٨٦، ص٩٨.

صواريخ عيار ١٠٧ مم، ١٢٢ مم ودبابات ت ٣٤-٥٤-٥٥ وعربات مصفحة.

دبابات	مد ١٣٠-١٥٥	مد/صا بم ٢١	مد م/د	ها/ مختلفة	ناقلة/ مدرعة	أسلحة مشاة فردية أو جماعية
٨ -١٠٠/د	٤٨	٨٠	٧٧	٦٠	٢٠	عدة آلاف

كما قدرت بعض المصادر القوات السورية العاملة في إطار قوات الردع العربية في لبنان عشية الحرب بفرقة مدرعة معززة قوامها حوالي ٣٠,٠٠٠ جندي منتشرة على كامل الأراضي اللبنانية ومزودة بحوالي ٣٠٠/د و٣٠٠/ مد وأسلحة أخرى.

انتشرت القوات السورية في لبنان لتحقيق هدفين:

١- الفصل بين القوات اللبنانية المتنازعة.

٢- الدفاع (التحصن) في مواجهة احتمال قيام الجيش الإسرائيلي بمهاجمة دمشق عبر سهل البقاع[٢].

تحصنت القوات الفلسطينية في (٥) قطاعات رئيسية إضافة إلى مدينة بيروت على النحو التالي:

١- **قطاع الشريط الساحلي يضم صيدا - صور - النبطية - جباع** تمركز فيه لواء القسطل حوالي ٥٠٠٠ مقاتل.

٢- **قطاع العيشية:** انتشر فيه لواء اليرموك حوالي ٦٠٠ مقاتل.

٣- **قطاع العرقوب** انتشرت فيه لواء الكرامة، وضم حوالي ١٥٠٠ مقاتل.

---

(١) المصدر نفسه.

٤- **قطاع الزهراني - الأولي:** وكان يتبع عسكرياً لقطاع الشريط الساحلي وانتشرت فيه كتيبة أيلول التابعة للواء القسطل، ووصل مجموع الفدائيين في هذا القطاع إلى (١٥٠٠) مقاتل.

٥- **قطاع الأولي - الدامور:** وكان في عهدة قوات (عين جالوت) التابعة لجيش التحرير الفلسطيني.

٦- **قطاع بيروت:** وينتشر فيه نحو (٤٠٠٠) فدائي إضافة إلى عدد غير محدد من الدبابات والمدفعية والأسلحة م/د والـــ م/ط.

٧- **تمركزت القوات المشتركة** في الجنوب تحسباً للعدوان الإسرائيلي المتوقع وتتألف من قوات الثورة الفلسطينية وقوات أخرى وطنية ولبنانية.

♦ **أما الجيش الإسرائيلي العامل** - دون القوات الاحتياطية فتألف عشية الحرب من ١٦٩٠٠٠ جندي، وقد اشترك منهم في الحرب (١٢٥ - ١٥٠) ألف ومعهم حوالي ١٦٠٠/د + ١٦٠٠ ناقلة مدرعة وحوالي ٦٠٠ مدفع وراجمة صواريخ بالإضافة إلى القوات الجوية والقوات البحرية.

وبهذا فإن نسبة القوات المشتركة إلى قوات الغزو مختلة بشكل كبير ويمكن أن تكون على **الشكل التالي:**

الصنف / النوع	القوات المشتركة	قوات الغزو
القوات البرية	١	١٢ - ١٥
الدبابات	١	١١٦ - ٢٠
المدفعية	١	٣

مع عدم توفر أية قوى جوية أو بحرية للقوات المشتركة.

♦ **وقد تم حشد القوات الإسرائيلية على النحو التالي:**

أ – فرقة مدرعة في منطقة الخالصة – المطلة – النخيل.

ب– فرقة مدرعة في منطقة علما – الصفصاف – صفد.

ج– فرقة مدرعة على الاتجاه الساحلي في منطقة عين يعقوب – البصة.

♦ **كما تحشدت الأنساق الثانية** في عمق الجولان ومنطقة سهل الحولة "روشبينا – نجمة الصبح".

وهكذا أنهى العدو الإسرائيلي إنشاء التجمعات الضاربة وأصبحت قواته في جاهزية قتالية في ١ / ٦ / ١٩٨٢م.

سادساً - مراحل العملية:

أ – المرحلة الأولى: من سعت ١١٠٠ ي ٦/٦ ولغاية ي ٦/٨ بهدف: تدمير القوات الرئيسية لمنظمة التحرير الفلسطينية والمقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية في المناطق التالية: حاصبيا – برغوث – أرنون – النبطية – صور – صيدا – الدامور والاستيلاء على الخط: خلدة – الباروك – جزين ويحمر وعين عطا. وتأمين وصول سريع للقوات الرئيسية إلى منطقة بيروت في الاتجاه الساحلي وإلى طريق دمشق – بيروت في الاتجاه المركزي.

ب – المرحلة الثانية: اعتباراً من صباح ٩ /٦ لغاية سعت ١٢٠٠ ي١١ /٦ (سعت وقف إطلاق النار) على الخط: خلدة – عين دارة – الصعلوك – جب جنين – ينطا.

بهدف تدمير القوات السورية في سهل البقاع وتقسيمها بتوجيه ضربات أمامية وجانبية وعزل مدينة بيروت.

جـ - المرحلة الثالثة: بين ٦/١٢ - ١٠/٢ بهدف:

- **استكمال عزل بيروت والوصول إلى طريق دمشق - بيروت.**
- **تدمير تشكيلات المقاومة ومنظمة التحرير الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية في بيروت الغربية.**
- **تهديد وتقسيم وتطويق القوات السورية من الشمال[١].**

---

(١) رزق الياس، تقييم عملية الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، ص١.

الفَصلُ الثّاني

حرب عام ١٩٨٢م

لقد كانت حرب لبنان أطول الحروب العربية الإسرائيلية، وأكثرها تأثيراً في الكفاح المسلح الفلسطيني، ذلك لأن إسرائيل هدفت إلى ضرب عدوها التاريخي وحركته الوطنية وقيادة نضاله، وسعت إلى أن تكرر بطريقة أخرى ما قامت به في حرب ١٩٤٨ بشأن اجتثاث الشعب الفلسطيني وإبادة أكبر قسم منه.

سبقت الحرب عمليتان كبيرتان ضد المقاومة الفلسطينية في جنوب لبنان وقعتا في عامي ١٩٧٨م و ١٩٨١م وكانتا في منزلة المقدمة لحرب ١٩٨٢م، وقد احتلت «إسرائيل» في هذه الحرب نحو نصف مساحة لبنان، وظلت فيه ثلاث سنوات، واستمر النضال فيها ضد قوات الاحتلال بطرائق متعددة، وإلى أن انتهى اندحار تلك القوات وانسحابها من الأراضي اللبنانية في حزيران ١٩٨٥م، مع احتفاظها بشريط متاخم للحدود في الجنوب، ثم أكملت «إسرائيل» انسحابها من جنوب لبنان، اندحاراً في أيار سنة ٢٠٠٠م، غير أنها أبقت مزارع شبعا اللبنانية تحت سيطرتها بذريعة أن احتلالها تم في حرب ١٩٦٧م، وأن الانسحاب منها رهن بالمفاوضات مع سورية.

لم تحقق «إسرائيل» الأهداف التي حددتها لنفسها من هذه الحرب، إذ فوجئت بعنف الرد الفلسطيني والسوري واللبناني الوطني. وكان مجلس الأمن قد أصدر يوم ١٩٨٢/٦/٥م قراره رقم ٥٠٨ الذي نصّ على وقف النشاطات

العسكرية كافة داخل الأراضي اللبنانية وعبر الحدود. بيد أن «إسرائيل » لم تتقيد بهذا القرار، ولا بالقرارات التي صدرت بعده، وساعدتها الولايات المتحدة الأمريكية على تعطيل قرارات المجلس باستخدام حق النقض (الفيتو) أكثر من مرة. وحمل صيف ١٩٨٢م معه وضعاً عربياً ودولياً ملائماً للعدوان الإسرائيلي على قواعد منظمة التحرير الفلسطينية والمخيمات الفلسطينية في لبنان، فقد كانت الدول العربية منشغلة بحرب الخليج الأولى (ما بين العراق وإيران)، وكانت مصر قد خرجت من دائرة العمل العربي بسبب اتفاقيات كامب ديفيد (معاهدة السلام بين مصر، و «إسرائيل») ونقل مقر جامعة الدول العربية من القاهرة إلى تونس، في حين حصلت «إسرائيل» على دعم الولايات المتحدة باتفاقية تعاون استراتيجي ١٩٨١م وأطلقت يدها ضمنياً. وقد أفادت مصادر الأمم المتحدة أن «إسرائيل» خرقت المجال الجوي اللبناني في المدة من ٢٤/٧/ ١٩٨١م إلى ٤/٦/١٩٨٢م نحو ٢١٢٥ مرة.

اتخذت «**إسرائيل**» **من وجود قوات الردع العربية**، وخاصة القوات السورية، **ذريعة لعدوانها** على لبنان وعدته خطراً استراتيجياً عليها. وكانت المقاومة الفلسطينية تحتّل في الساحة اللبنانية وزناً نضالياً فعّالاً ومؤثراً، وتضم ما لا يقل عن ١٢ إلى ١٤ ألف مقاتل مزودين بدبابات ومدافع متنوعة ومخزون كبير من الذخائر. **وكانت ميليشيا** «**القوات اللبنانية** » **المؤلفة من نحو ٢٥ ألف مقاتل** على عداء مع المقاومة الفلسطينية. وطال الاعتداء ثلاثة أطراف عربية في آن واحد هي **لبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية وقوات الردع العربية**، وامتد أمد الحرب أكثر من المعتاد بمقاييس الصراع العربي الإسرائيلي.

وقد منيت «**إسرائيل**» نتيجة هذه الحرب بعزلة دولية واضحة، وحاولت الولايات المتحدة تخفيف هذه العزلة بمد «إسرائيل» بالمساعدات العسكرية والمالية وتوسيع إطار تعاونها الاستراتيجي والسياسي معها. وكانت قوات الردع العربية – وهي سورية في معظمها – تتألف من فرقة مدرعة معززة،

قوامها نحو ٣٠ ألف جندي، وإلى جانبها قوات مشتركة لبنانية تضم فئات وطنية مختلفة، وكانت نسبة هذه القوة العددية في مواجهة قوات العدو تعادل ١ إلى ١٢–١٥، أما الدبابات فكانت نسبتها ١ مقابل ٥٠ لدى العدو الإسرائيلي، وكانت القوات الإسرائيلية عشية الحرب تتألف من ١٦٩ ألف جندي وأكثر من ٣٢٠٠ دبابة و ٧٠٠ طائرة، أما القوات التي شاركت في الغزو فعلاً فبلغت نحو ١٢٥ ألف جندي وجميع القوات الجوية والبحرية.

تقسم حرب ١٩٨٢م إلى مرحلتين أساسيتين، تفصل بينهما واقعة خروج القوات الفلسطينية من بيروت، استمرت **المرحلة الأولى** نحو ٣ اشهر (من ٦/٦ حتى ١٩٨٢/٨/٣١م)، وقد تذرعت «إسرائيل» بمحاولة اغتيال سفيرها في لندن، فقامت بقصف الساحل اللبناني من البر والبحر والجو، وفي يوم ٦/٦ شرعت القوات الإسرائيلية بالتقدم براً من جهة الساحل ومتابعة مسيرها شمالاً على الرغم من المقاومة الفلسطينية واللبنانية والسورية[1].

وقد تمكن المبعوث الأمريكي من إقناع جيش الغزو بعدم التعرض للقوات السورية بدءاً من ظهر ١٩٨٢/٦/١١م، ومع إعلان «إسرائيل » عدم نيتها الاصطدام بالقوات السورية، وأن غرضها إبعاد القوات الفلسطينية إلى مسافة ٤٠–٥٠ كم عن الحدود الإسرائيلية الشمالية، **إلا أنها هاجمت القوات السورية في البقاع**، وتابعت تقدم قواتها في مختلف المناطق وعلى جميع المحاور نحو بيروت، وكانت العاصمة اللبنانية (عشية الغزو) مقسّمة بين «القوات اللبنانية (بيروت الشرقية) والقوة الوطنية (بيروت الغربية) ومعها القوات الفلسطينية والسورية». **استمرت معركة بيروت ٦٥ يوماً وقسّمت إلى خمس مراحل:**

١ – التقدم من جنوب خلدة إلى المطار.

---

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق ، ص٦٨٨.

٢ – تطويق بيروت.

٣ – التقدم إلى تخوم المناطق الآهلة.

٤ – الاستنزاف المتبادل.

٥ – التورط في القتال في المناطق الآهلة. وإزاء الإخفاق الذي منيت به القوات الإسرائيلية في احتلال بيروت كلها، قبلت وقف إطلاق النار الذي أقره مجلس الأمن يوم ١٢ /٨/١٩٨٢م بالقرار ٥١٨.

بدأت المرحلة الثانية (أيلول ١٩٨٢م حتى حزيران ١٩٨٥م) باستقرار الوجود العسكري الإسرائيلي في المناطق التي احتلتها. وفي ١٤ /١/١٩٨٥م قررت «إسرائيل»، تحت ضغط المقاومة اللبنانية وتعاظم الخسائر التي نزلت بها، سحب قواتها من لبنان باستثناء الشريط الحدودي، وأنجز الانسحاب قبل مطلع حزيران ١٩٨٥م.

ودخلت الحكومة اللبنانية و «إسرائيل»، في مفاوضات متعددة الأطراف إلى أن توصلت إلى مشروع اتفاقية ١٧ أيار ١٩٨٣م التي أسقطتها المقاومة، وقد نص قرار وقف إطلاق النار الصادر عن مجلس الأمن على إرسال قوات متعددة الجنسيات للفصل بين الطرفين، وتألفت هذه القوات من وحدات من الولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا (نحو ٣٨٠٠ فرد) بدأت بالوصول إلى بيروت في ٢١/٨/ ١٩٨٢م، وبعد أن تم انسحاب القوات الفلسطينية والسورية من بيروت غادرت القوات المتعددة الجنسيات لبنان (١٠الى ١٣ /٩/ ١٩٨٢م). غير أن اغتيال الرئيس اللبناني المنتخب بشير الجميل في ١٤/٩/١٩٨٢م، حفز «إسرائيل» على متابعة غزو بيروت وضربت طوقاً على مخيمي صبرا وشاتيلا[1]، وخططت لمذبحة تقوم بها

---

(١) العميد بهيج بحليس، موسوعة أحداث القرن العشرين، بيروت، دار نوبليس، ط١ ٢٠٠٤م، المجلد السادس، ص١٠٤.

القوات اللبنانية بإشراف وزير الدفاع الإسرائيلي **إرئيل شارون** الشخصي، وتم تنفيذ العملية في ١٦-١٩٨٢/٩/١٨م، ووقع ضحية المذبحة ٣٢٩٧ شهيداً، وكان ذلك سبباً في عودة القوات المتعددة الجنسيات بناءً على طلب رئيس الجمهورية اللبنانية الجديد، فوصلت طلائعها إلى بيروت يوم ٩/٢١، في حين أخذت القوات الإسرائيلية تنسحب من بيروت حتى أخلتها يوم ٩/٢٩، ونهجت القوة الأمريكية على التدخل في الشؤون اللبنانية الداخلية والانحياز إلى طرف دون آخر.

فقاومتها المقاومة الوطنية اللبنانية، وفجرت يوم ١٩٨٣/٤/١٨م السفارة الأمريكية في بيروت، فقتل نحو ٨٠ شخصاً، كما قتل نحو ٢٣٩ جندياً أمريكياً بقصف مدفعي على قيادة القوة الأمريكية في جوار مطار بيروت يوم ١٠/٢٣، كذلك تعرضت الوحدات والمؤسسات الفرنسية لبعض ما تعرضت له الوحدات والمؤسسات الأمريكية، فقررت هذه القوات الانسحاب من لبنان في ١٩٨٤/٢/٢٢م، وأنهت انسحابها في ٣/٣١، في حين تركزت عمليات المقاومة الوطنية اللبنانية على «حرب استنزاف» للعدو الإسرائيلي، ألحقت به خسائر كبيرة، واضطرت الحكومة الإسرائيلية أخيراً إلى سحب قواتها من لبنان بقرار من جانب واحد مقرة بتورطها الاستراتيجي وإخفاقها في لبنان(١).

أولاً - سيناريوهات الحرب من وجهة النظر الإسرائيلية:

الخطط القتالية تبقى سراً لا ينشر بأي شكل كان، وما ينشر منها هو المسموح به فقط، ومن الطبيعي أن يراعى في ذلك حساب ردّات الفعل داخل "إسرائيل"وخارجها، وبالعودة إلى ما تم نشره يمكن الوقوف عند القواسم

---

(١) الموسوعة العربية، دمشق إصدار هيئة الموسوعة العربية، صدر منها حتى الآن ١٧ مجلداً، المجلد الثامن، ص٢١٩-٢٢٠.

المشتركة التي وردت بوضوح على لسان /ريتشارد غابرئيل/ الذي أوضح أنه قبل أكثر من خمسة أشهر من بدء الحرب كانت هناك على الأقل ثلاثة سيناريوهات تناقش بين أعضاء القيادتين السياسية والعسكرية، وتمت مناقشة كل منها بشكل مستفيض من قبل صانعي القرار «من سياسيين وعسكريين» في "إسرائيل".

آ - **السيناريو الأول: يتضمن غزو لبنان وتدمير منظمة التحرير الفلسطينية في الجنوب، وإنهاء الهجمات على المستوطنات الحدودية الإسرائيلية، بحيث تشن الحرب فقط ضد منظمة التحرير الفلسطينية على أن يتم تجنب الاشتباك مع القوات السورية بأي ثمن، ويتم تقدم الجيش الإسرائيلي على ألا يتجاوز نهر العوالي "الأولي"، أي على عمق /٤٠كم/ من الحدود بدءاً من رأس الناقورة، وضرب منظمة التحرير بأشد ما يمكن من دون التحرك باتجاه بيروت أو دخولها، وهذه الخطة هي عملية مشابهة لعملية الليطاني التي نفذها الجيش الإسرائيلي عام ١٩٧٨م، لكنها أوسع نطاقاً منها.**

ب - **السيناريو الثاني: توجيه ضربة ضد قوى منظمة التحرير الفلسطينية من دون دخول حرب مع سورية، لكن تقوم القوات الإسرائيلية بالتوغل شمالاً حتى بيروت، ولا يدخل الإسرائيليون المدينة بالقوة، بل يعتمدون على حلفائهم "الكتائب" لتدمير ما يتبقى من منظمة التحرير الفلسطينية في المدينة، ومرة أخرى تمَّ ذكر خط الأربعين كيلو متراً بشكل علني، ولكن هذه المرة مبتدئاً من (المطلة) - وهي أقرب مستوطنة إسرائيلية من الحدود الشمالية - مما يعني وصول الجيش الإسرائيلي إلى خط يحاذي مدينة بيروت.**

ج - **السيناريو الثالث: وهو الذي نفذ ميدانياً، وعرف في أوساط الجيش**

الإسرائيلي باسم "الخطة الكبرى"، وهي الخطة الأكثر طموحاً والتي تدعو لحرب ضد منظمة التحرير الفلسطينية وضد القوات العربية السورية، وكانت تتضمن التقدم حتى بيروت ضمناَ، حيث تعمل القوات الإسرائيلية - بالتعاون مع قوات /الكتائب/ - على أن يقع العبء الأكبر في القتال على /الكتائب/، وهنا أيضاً يوضع خط الأربعين كيلو متراً بدءاً من المطلة.

بالعودة إلى المقابلات التي أجريت مع بعض أعضاء الكنيست يتبين أنه - قبل محاولة اغتيال "**آرغوف**" في /٣ حزيران ١٩٨٢م/ - لم يكن هناك أي قرار رسمي من الحكومة الإسرائيلية قد اتخذ بالغزو، كما لم يكن قد عرف أي شيء حول كيفية تنفيذ العمليات الميدانية. وفي أثناء المناقشات التي جرت قبل صدور القرار الفعلي للغزو كادت حكومة /تل أبيب/ تنقسم على نفسها إلى عدة أطراف كل منها يفضل خطة مختلفة؛ فرئيس الوزراء /**بيغن**/ مع معظم القادة المدنيين فضلوا الخطة الأولى وفق ما جاء في السيناريو الأول مع تعديلات طفيفة تصل القوات الإسرائيلية بموجبها إلى نقطة أقرب من بيروت، في حين فضّل وزير الحرب /**آرييل شارون**/ خياراً آخر لم يفصح عنه بشكل واضح، وتبين أنه كان يستعجل غزو لبنان، معتمداً على قدرة الجيش الإسرائيلي وسرعته في تعبئة الاحتياط، ففي المتوسط يحتاج الجيش الإسرائيلي إلى /٢٤/ ساعة لتعبئة احتياطية بنسبة تصل إلى /٦٠%/ من قواته، وإلى /٤٨/ ساعة للقيام بالتعبئة العامة.

بعد أن تقرر دخول لبنان على ثلاثة محاور أساسية تم **تقسيم مسرح العمليات إلى ثلاثة قطاعات عملياتية:**

القطاع الساحلي: ويمتد من رأس الناقورة حتى بيروت، و سمي بالقطاع الغربي.

القطاع الأوسط: ويشمل مرجعيون-جزين- طريق دمشق - بيروت الدولي.

القطاع الشرقي: ويمتد من الحدود الشمالية الشرقية لفلسطين المحتلة وحتى منطقة البقاع الشرقي، ويشمل حاصبيا - راشيا الوادي - بحيرة القرعون - وسط البقاع - ينطا - رياق - بعلبك.

وكان لكل قطاع قائده الخاص، كما كان لكل فرقة أو قوة توازيها قائدها الخاص.

في ضوء ما تقدم تقرر بدء الهجوم بثلاث فرق عسكرية تقدمت لتنفيذ الخطة الإسرائيلية للحرب:

- **الفرقة /٣٦/ بقيادة "أفيغدور كاهالاني"**، وكانت موجودة في مواقعها في مرتفعات الجولان.
- **الفرقة /١٦٢/ بقيادة العميد "مناحيم عينان"**، وكان عليها أن تتحرك مع رجالها ومعداتها - بما في ذلك أكثر من /٣٠٠/ دبابة وناقلة جنود - من وادي الأردن.
- **الفرقة /٢٥٢/ بقيادة العميد "عمانوئيل ساكيل"**، وكان عليها أن تتحرك من أقصى الجنوب لتعمل كقوة أساسية في القطاع الشرقي، ولهذا كان عليها الانتقال من المنطقة الجنوبية في فلسطين المحتلة عبر الطريق الساحلية باتجاه الناقورة لتنعطف يميناً باتجاه السفوح الغربية لسلسلة حرمون للعمل في القطاع الشرقي.

على الرغم من أن خطط الانتشار كانت موجودة مسبقاً، وأن الجيش الإسرائيلي يتدرب باستمرار على إعادة انتشار قواته في مختلف الاتجاهات إلا أنه تمَّ طلب تعبئة الوحدات الاحتياطية العضوية والقيام بإجراءات تحضيرية واسعة.

تم اتخاذ القرار بالهجوم البري مساء يوم السبت في الخامس من حزيران، وكان من المنتظر أن يبدأ الجيش الإسرائيلي هجومه في اليوم التالي، وقد نشرت الصحافة الإسرائيلية لاحقاً تفاصيل بدء الهجوم، مبينة أنه

تم إعطاء المهام ليلاً، وقد طلب رئيس الأركان آنذاك /**روفائيل إيتان**/ مزيداً من الوقت، فقيل له: إن السرعة ضرورية لتجنب قيام الأمريكيين بالضغط على"إسرائيل" ومنعها من القيام بأي عمل إطلاقاً[١]، وطلب منه البدء بالتقدم بأسرع ما يمكن، وحدد موعد الهجوم الساعة /١٢/ ظهراً، وقد تبين فيما بعد أن التحرك بدأ في الساعة الحادية عشرة صباحاً، وهناك إشارات عدة تبين أن بعض الوحدات - وبخاصة في الجهة الشرقية - قد تحركت بأقل من قوتها العادية، وقام بعضها الآخر باستعارة بعض القوات العضوية من الوحدات المجاورة للقيام بمهام أقل أهمية.

تجمعت القوة الإسرائيلية الكبرى، وتحشدت للحرب أمام القوات السورية، وقام جزء منها بأعمال تظاهرية في مواجهة قوات منظمة التحرير الفلسطينية، حيث حشد الجيش الإسرائيلي أربع فرق و/٨٠٠/ دبابة وعدداً كافياً من **القوات الاحتياطية ورجال الكوماندوس** في مواجهة مواقع قواتنا المسلحة في الشرق، وقد تبين أننا أمام قوة تفوقنا عدداً وعدةً بأكثر من الضعف، رغم أن كل التصريحات الصادرة عن /تل أبيب/ كانت تهدف لإقناعنا بأن الحرب ستكون فقط ضد منظمة التحرير الفلسطينية، ومع ذلك فقد أثار تحشد معظم القوات الإسرائيلية قبالة مواقعنا الشكوك بالنوايا الإسرائيلية والتوجس من قيامها بأعمال عسكرية مباشرة ضد قواتنا العاملة في لبنان، وهنا بدأت قواتنا استعدادها لخوض حرب واسعة النطاق يقيناً منها أن من خطط للحرب كان يدرك أن قواتنا لن تقف مكتوفة الأيدي أمام أي تهديد.

لقد كان /شارون/ الذي يرغب في توسيع نطاق الحرب يدرك أن كل

---

(١) تسويق مثل هذه الأفكار في الصحافة والمطبوعات الإسرائيلية مُتَعمَّد بهدف إعطاء قدر من المصداقية للدور الأمريكي ليبقى مقبولاً لدى الرأي العام العربي والدولي، مع العلم أن الوثائق الإسرائيلية ذاتها تثبت أن العدوان تم بالتنسيق مع واشنطن وبمباركتها وبدعمها المباشر.

ما يحتاجه لتحقيق هذا الهدف هو التحرش بقواتنا المسلحة العاملة في لبنان، كما كان يتطلع إلى إقحام بيروت في الحرب، وهو على يقين بأن /الكتائب/ ستتحرك بلهفة ضد منظمة التحرير فور وصول الجيش الإسرائيلي إلى أبواب المدينة، وأن بدء حرب مع القوات السورية عملية سهلة، لأنها لن تسمح بالاعتداء عليها على الرغم من الفرق الكبير في موازين القوى العسكرية، وقد تناسى /شارون/ وأركاناته أن رجال الجيش العربي السوري لا يساومون على الكرامة ولا يقبلون الضيم،وهم يعشقون الشهادة، ويستعذبون الموت في سبيل أداء الواجب المقدس، فالشهادة غدت مدرسة راسخة البنيان ضاربة الجذور في أعماق الوجدان العربي السوري، وجميع أبناء قواتنا المسلحة الباسلة حفظوا في عقولهم وحفروا في قلوبهم شعار: "الشهادة أو النصر، والشهادة أولاً؛ لأنها طريقنا إلى النصر ".

ثانياً - خطط الحرب:

الفكر الصهيوني عدواني منذ النشأة، وجوهره يتمحور حول اغتصاب ما أمكن من أرض وحقوق، والاستيلاء على ممتلكات أبناء المنطقة بشتى الوسائل وفي مقدمتها استخدام القوة العسكرية، ولذا يتميز التجمع الصهيوني عن بقية المجتمعات الإنسانية بأنه تجمع حربي بجميع أفراده ومكوناته إلى درجة استبدل فيها المؤسسون الأوائل للفكر الصهيوني المقولة الفلسفية التي تتضمن: «أنا أفكر إذاً أنا موجود»، بمقولة أخرى فحواها: «أنا أحارب إذاً أنا موجود»، والحرب ليست مجرد كلام يقال بل لها متطلبات لا بد من توافرها ليتمكن من يفكر بالحرب من الإقدام على شن الحرب والعدوان، وبما أن الكيان الصهيوني رأس حربة للمشروع الاستعماري في المنطقة فإن التأهيل الذي يخضع له قادته العسكريون يتضمن أحدث ما وصل إليه العلم العسكري في الدول التي تدعم ذاك الكيان مادياً وعسكرياً وسياسياً ودبلوماسياً، إضافةً إلى المعارف والخبرات النظرية

والعملية المتعلقة بالعدوان والتخطيط له بشكل مسبق، مع الأخذ بالحسبان مختلف السيناريوهات وتقدير التكلفة والمردود، ومن ثم اعتماد أنسب الخيارات التي تمكّن من تحقيق الأهداف المرسومة، لكن مهما بلغت دقة الأعمال والتخطيط الذي يسبق أية حرب تبقى النتائج مفتوحة على كل الاحتمالات، وبخاصة في ظل تنامي أهمية الإنسان ودوره الفاعل في المعركة في شتى مراحلها لأنه سيد المعركة أولاً وأخيراً، وعليه وحده تتوقف إمكانية تحقيق الانتصار، ومن السذاجة بمكان التفكير بأن الكيان الصهيوني قد يقدم على تصعيد عسكري على هذه الجبهة أو تلك كرد فعل سريع ومتهور على حادثة ما مهما تكن تلك الحادثة، بل يتخذ من الحادثة ذريعة ومسوغاً لشن حرب سبق وأن أعدّ لها كل ما يلزم من خطط ومتطلبات، وفي ضوء هذا كان الغزو الإسرائيلي لجنوب لبنان /١٩٧٨م/، وتكرر عام /١٩٨٢م/، وهو ما حدث أيضاً في صيف /٢٠٠٦م/. وفي عام ٢٠٠٨م مما تقدم يتبين أن غزو لبنان كان أمراً محسوماً لدى قادة تل أبيب ومن يقف إلى جانبهم، وقد عمل الفكر العسكري الصهيوني على تقديم خطة عسكرية متكاملة للحرب تضمنت تقسيم لبنان إلى ثلاث مناطق عملياتية:

١- **المنطقة الأولى:** تمتد على طول الساحل من الحدود الإسرائيلية وحتى بيروت، وتشكل"القطاع الغربي".

٢- **المنطقة الثانية:** "القطاع الأوسط"، وتمتد من مرجعيون جنوباً إلى جزين ثم إلى الشرق.

٣- **المنطقة الثالثة:** "القطاع الشرقي"، وتمتد عبر حاصبيا باتجاه راشيا الوادي – بحيرة القرعون.

كان لكل منطقة من هذه المناطق قائدها الخاص بها، وللمرة الأولى في تاريخ الجيش الإسرائيلي تم تشكيل قيادة ميدانية على مستوى فيلق بقيادة اللواء /أفيغدور بن غال **(يانوش)**/ الذي قاد الوحدات في القطاع الشرقي، أما في الوسط والغرب فلم يتم تعيين قائد ميداني عام (قائد فيلق)؛ مما أعطى قادة

الفرق العاملة في هذين القطاعين نوعاً من الاستقلالية، وكانت تابعيتهم مباشرة لقيادة المنطقة الشمالية بقيادة اللواء /**أمير دروري**/ ونائبه اللواء /**أوري سميحوني**/، وقد عكس تشكيل قيادة فيلق في الشرق الحاجة لخلق قيادات مؤقتة بين الفرق والمنطقة الشمالية للسيطرة على القوة الكبيرة التي كانت مؤلفة من حوالي أربع فرق تضم /٣٨٠٠٠/ رجل و /٨٠٠/ دبابة وعدداً كافياً من الاحتياطيين.

آ - الخطة في القطاع الغربي:

قضت الخطة التكتيكية الإسرائيلية في القطاع الغربي أن يتم الهجوم بقوام فرقة على طول الطريق الساحلي، وأن يقوم الجيش الإسرائيلي بالاندفاع نحو صور وصيدا بسرعة وتطويق عناصر منظمة التحرير الفلسطينية في داخل المدن والمخيمات، وبعد ذلك تقوم قوات المشاة السريعة المحمولة في ناقلات الجنود بالترجل والاشتباك مع أفراد منظمة التحرير في المخيمات والمدن، ويقوم رأس حربة بقوام لواء مدرع بعد الوصول إلى الدامور بشق طريقه إلى ضواحي بيروت حيث ينتشر هناك.

كانت خطة الهجوم مثالية للجيش الإسرائيلي، وقد اعتمدت هذه الخطة على التقدم السريع والدروع الثقيلة وتجاوز مراكز تجمع المقاومة ومفاجأة "العدو" في المؤخرة.

أُوكل أمر التنفيذ في الغرب إلى قوتين رئيستين:

- **الفرقة /٩١/ بقيادة /إسحق مردخاي/**، وهي تضم ثلاثة ألوية مشاة ميكانيكية، وعدداً من الدبابات بحدود المئة، إضافة إلى ما يفوق ملاكها من ناقلات الجنود المدرعة، كما تم استدعاء ستة ألوية احتياطية لصالح الفرقة معظمها من مشاة الناحال والمظليين.

- **الفرقة /٣٦/ دبابات بقيادة الجنرال /أفيغدور كاهلاني/**، وقد سمح لها بالاعتماد على الاحتياطيين عندما تحركت القوات الإسرائيلية باتجاه صور

وصيدا، وفي اليوم الثالث للهجوم كان بوسع /**مردخاي**/ قائد الفرقة/٩١/ إضافة لواء مظلي آخر إلى قوته ليصبح حجمها بحدود فرقتين، ومع استمرار العملية ترك أحد الألوية قوة /**مردخاي**/ وانضم إلى قيادة "**عاموس يارون**" ثم انفصل لواء آخر لينضم إلى قوة /**كاهلاني**/، أما اللواء الذي شكل رأس الحربة وتقدم إلى صور وصيدا ثم تابع إلى الدامور فقد كان أساساً يتبع للفرقة /١٦٢/، وهو اللواء الـــ /٢١١/ بقيادة العقيد /**إيلي جيفا**/.

كان من المفترض أن تتقدم قوة لواء من بنت جبيل باتجاه قلاوية لتلتقي بالقوات القادمة من صور، وتحاصر منظمة التحرير الفلسطينية في المثلث الحديدي، وفي الوقت نفسه يقود /يارون/ قوة خاصة تابعة للفرقة /٩٦/ في هجوم برمائي خلف صيدا مستخدماً كتيبة لإقامة حاجز أمام الفلسطينيين تنضم لرأس الحربة المتحرك شمالاً باتجاه الدامور، ويكون رأسُ الحربة للإنزال البرمائي الكتيبةَ الـــخمسين من اللواء المظلي /٣٥/، وهي قوة صد خاصة بقيادة العقيد /بارير ياروم/ المعروف باسم /يايا/، وكانت مهمة الكتيبة الإنزال البحري السريع خلف صيدا ومحاصرة منظمة التحرير لتصبح بين فكي كماشة.

ب – الخطة في القطاع الأوسط:

توقف نجاح الخطة في عمليات القطاع الأوسط على إمكانية اندفاع قوة بحجم فرقة عبر نهر الليطاني في نقطتين: الأولى: جنوب قلعة الشقيف، **والثانية:** شمال قلعة الشقيف لاحتلال مفرق الطريق الرئيس شمال النبطية في منطقة تسمى مرتفعات عرنون، حيث يوجد في وسط هذه المنطقة مفرق تتلاقى فيه **خمس طرق رئيسة منها: طريق تصل إلى شمال جزين** وإلى طريق بيروت – دمشق الدولي، **وطريق أخرى تؤدي إلى جبال الباروك،** (ويؤمن احتلالُها السيطرةَ على السلسلة الغربية للبقاع)، والطريق الرئيسة المؤدية إلى الغرب "المديرج"، ويمكن لأية قوة تحكم سيطرتها على هذا

المفرق أن توجه ضرباتها في ثلاثة أو أربعة اتجاهات بما في ذلك الغرب باتجاه الساحل، حيث يمكن محاصرة قوات منظمة التحرير بين صيدا والقوة الإسرائيلية المتقدمة على الطريق الساحلية.

لقد انضوت خطة العمليات في القطاع الأوسط على مغامرة تكتيكية جوهرها يتضمن: إنه إذا لم تستطع القوة الإسرائيلية لأي سبب من الأسباب احتلال هذا المفرق فإن الخطة التكتيكية في الغرب والوسط بأكملها تحتاج إلى مراجعة جديدة في النقاط التي تكون قد وصلت إليها وإلا ستفشل.

كلفت الفرقة /٣٦/ دبابات بقيادة العميد /أفيغدور كاهلاني/ بمهمة احتلال مرتفعات عرنون، وهي فرقة معروفة بأنها أفضل الفرق المدرعة في الجيش الإسرائيلي، وتتألف هذه الفرقة - بشكلها الطبيعي - من ثلاثة ألوية دبابات، وقد ألحق بها لواء مشاة محمول (لواء جولاني) وأربع كتائب مدفعية. لكن الفرقة/٣٦/ لم تنتشر بكامل قوامها، إذ أعير اللواء السابع من هذه الفرقة للعمل على الجبهة الشرقية في قوام القوة التي يقودها/عمانوئيل ساكيل/

كانت مهمة الفرقة /٣٦/ الانتشار من المطلة إلى المنطقة الممتدة بين شرق النبطية وغربها، ثم عبور نهر الليطاني على جسرين: جسر الخردلي والجسر الواقع جنوبه إلى الشمال من قلعة الشقيف، ومن ثم الاتجاه نحو مرتفعات (عرنون) وفتح الطريق إلى جزين، وبعد احتلال الطريق والمفرق كان على قوة /كاهلاني/ الالتفاف غرباً على أربعة محاور والتقدم باتجاه الساحل، وهناك تلتقي مع قوة /الفرقة٩١/ على الطريق الساحلية عند مفرق الزهراني، ومن ثم تتحرك شمالاً باتجاه صيدا. كانت المهمة النهائية التي حددت للفرقة /٣٦/ هي ضرب صيدا من الشرق والإحاطة بمخيم عين الحلوة، ومن ثم فتح الطريق إلى الدامور.

كان من الضروري فتح هذه الطريق للسماح لرأس الحربة اللواء /٢١١/ بالتقدم وضرب الدامور، وفي الطريق إلى النبطية، وبعد إحاطة

القوات المهاجمة بقلعة الشقيف كان على لواء المشاة (الجولاني) أن ينفصل عن الفرقة، ويهاجم القلعة من المؤخرة.

الجزء الثاني من قوة القطاع الأوسط هو الفرقة /١٦٢/ التي يقودها العميد /**مناحيم عينان**/، وكانت مهمتها اللحاق بالفرقة /٣٦/ حتى النبطية، وعند احتلال مفرق الطرق والتفاف قوة /**كاهلاني**/ إلى الغرب باتجاه الساحل تتحرك الفرقة /١٦٢/ باتجاه الشمال إلى طريق جزين. وكان عليها – وهي تقترب من جزين – أن تلتف يساراً وتعبر نهر/بيسري/، وتسير على الأرض الوعرة حتى الطريق إلى بيت الدين، ومن ثم تتجه شرقاً إلى **الباروك** ومنها إلى **عين زحلتا**.

كان هذا هو رأس الحربة الرئيس الذي أُنيطت به مهمة الالتفاف على قواتنا العاملة في لبنان وضرب القوة الرئيسة التي تدافع عن طريق دمشق – بيروت في الوسط.

جـ - الخطة في القطاع الشرقي:

كانت الفكرة الأساسية تقوم على "سد المنافذ على قواتنا في القطاع الأوسط والشرقي عند مدخل النهاية الشمالية لجبل الباروك والسيطرة على البقاع من قمم سلسلة الجبال الممتدة على طول الجانب الغربي لوادي البقاع، وكان على جزء من قوة /بيليد/ التحرك شمالاً للاستيلاء على طريق بيروت – دمشق، بالرغم من أن هذه القوة أساساً ستنتشر في البقاع الأوسط، وإذا أصبح من الضروري الاشتباك مع قواتنا هناك فإن القوة في القطاع الأوسط ستكون في موقع تستطيع فيه خرق المنطقة في البقاع قرب بحيرة القرعون، والتحرك باتجاه جب جنين لاحتلال وادي البقاع، وحتى إذا لم يتم الاشتباك مع قواتنا، فإن عمليات الالتفاف شرقها وغربها ستضع هذه القوات في موقف حرج للغاية.

لقد واجه الإسرائيليون فرقتين مدرعتين سوريتين: واحدة منهما فقط كانت بكامل ملاكها في البقاع عند بدء الحرب الفرقة الأولى المدرعة بقيادة العميد الركن /**إبراهيم صافي**/، إضافة إلى المجموعة العملياتية التي كانت تقود الألوية المستقلة ل/٨٥/ مشاة - ل/٦٢/ميكا - ل/٥١/د/، وفي يوم الجمعة /١٩٨٢/٦/١١م/ اتخذ القرار بزج الفرقة الثالثة دبابات بقيادة العميد الركن /شفيق فياض/ **في حين شارك في الهجوم الإسرائيلي ما يزيد عن ستة فرق إسرائيلية وهي:**

الفرقة /٩٠/ - الفرقة /٩١/ - الفرقة /١٦٢/ - الفرقة /٢٥٢/ - الفرقة /٣٦/ - الفرقة /٨٨٠/، بالإضافة إلى جزء من الفرقة /٩٦/ عملت كقوة إنزال بحري شمال صيدا، وعدد من الألوية المستقلة وبعض ألوية النخبة، ومعظم سلاحي المدفعية والمهندسين، ومختلف أنواع التأمين، وغالبية القطع البحرية، وسلاحُ الجو بالقوام الكامل.

ثالثاً - القوام القتالي للقوات الإسرائيلية في القطاع الشرقي:

ركزت القوات الإسرائيلية جهودها على القطاع الشرقي، وحشدت لتنفيذ مهامها في هذا القطاع تجميعاً عملياتياً ضارباً بقيادة اللواء /بن غال/ ضم في قوامه خيرة التشكيلات، **وفق ما يلي:**

آ - الفرقة ٢٥٢:

الفرقة /٢٥٢/ بقيادة "عمانوئيل ساكيل"، وتتألف من لواءي دبابات ولواء مشاة ميكانيكي بالإضافة إلى اللواء السابع من الفرقة /٣٦/د/ ولواء كامل من المدفعية ذاتية الحركة. أعير اللواء المدرع /٦٤٠/ إلى قوة /داني فاردي/ ليصبح قوامها لواءَين كقوة مستقلة للعمل قرب جزين، وكانت مهمة الفرقة /٢٥٢/ الهجوم من مرتفعات الجولان الشمالية الغربية على خطي تقدم:

الأول على طول سفوح جبل الشيخ عبر شبعا – وادي فقعة على طريق طوله /١٢كم/ تشقه بنفسها.

والثاني عبر وادي شبعا – الشويا إلى حاصبيا على طول الطريق المؤدية إلى كفير الزيات وراشيا الوادي باتجاه كفرديس – خربة روحة في حركة التفاف واسعة موازية للحدود السورية مهمتها محاصرة القوات السورية، وقطع الطريق عليها إلى دمشق إذا أرادت الانسحاب.

ب – الفرقة ٩٠:

الفرقة /٩٠/ ويقودها الجنرال /جوار ليف/، وهي فرقة كاملة الملاك مهمتها مهاجمة القطاع الأوسط والهجوم من المطلة عبر مرجعيون وضرب قواتنا المسلحة المتمركزة عند بحيرة القرعون، وكانت جب جنين هي هدفها الأساسي، والضربة الرئيسة كانت ستقع على الجانب الأيمن من بحيرة سد القرعون، أي على جب جنين، وفي الوقت نفسه الذي تتحرك فيه قوة الالتفاف بقيادة العقيد **/ميكي شاكار/** على طول الجناح الأيمن على الطريق تتصل بكتيبة من قوة **/ساكيل/ (قا.فر٢٥٢)** على مشارف مدينة ينطا، ثم تتابع شمالاً لتحتل طريق دمشق – بيروت في منطقة المصنع اللبناني لتكمل الالتحام غرباً مع قوة /فاردي/ جنوب طريق دمشق – بيروت.

ج – قوة فاردي:

قوة /فاردي/ – نسبة لقائدها العقيد /داني فاردي/ ـ وكانت قوة مستقلة مجهزة بشكل خاص، وتتألف من لواءين، وكان عماد هذه القوة لواء الدبابات /٦٤٠/ (استعير من فر٢٥٢) بقيادة العقيد /هاجاي كوهين/، وكان على قوة /فاردي/ التحرك من مفرق النبطية لاحتلال جزين وفتح الطريق شمالاً،وفي أثناء التحرك على الطريق الضيقة بين جزين ويحمر كان عليها احتلال مفرق مشغرة، كما تضمنت المهمة المسندة لقوة /فاردي/ التحرك

شمالاً على الطريق الرئيسة غرب بحيرة القرعون لتشكل إحدى مجنبات الهجوم ذي الاتجاهين على طرفي البحيرة.

د - قوة المناورات الخاصة:

قوة المناورة الخاصة، ويقودها العميد /يوسي بيليد/، وهي قوة م/د مجهزة بتشكيل خاص، وتتألف من لواءين - وللإسرائيليين ميل قوي لتشكيل وحداتهم وفقاً لكل مهمة يريدون تنفيذها - ومهمة هذه القوة تدمير الدبابات السورية ومنع وصول التعزيزات - وبخاصة المدرعة منها - إلى وادي البقاع.

كانت هذه القوة الإسرائيلية المضادة للدروع والمؤلفة من المظليين والمشاة مجهزة بأسلحة الـــ م/د مثل قذائف /تاو/ وناقلات الجنود المدرعة، والحوامات، وكان عليها التحرك على طريق جزين بعد فتحه من قبل قوة /**هاجاي كوهين**/ التابعة لقوة /**فاردي**/ باتجاه سلسلة جبال الباروك، وبعد ذلك كان عليها التحرك على الطريق الثانوية، صاعدة باتجاه معاصر الشوف بعد أن يشق المهندسون الطريق، بحيث تستطيع السيطرة من السفوح الشرقية لجبل الباروك على وادي البقاع، عندها تكون قوة /**بيليد**/ الخاصة قد وصلت إلى الطريق الرئيسة للبقاع، وبذلك تتحكم بكل الجانب الغربي لبحيرة القرعون والبقاع، وتكون مهمتها وقف أية محاولة لنقل التعزيزات لقواتنا السورية في البقاع(١).

هـــ - الفرقة ٨٨٠:

الفرقة /٨٨٠.د/ بقيادة العميد /ينطوف تامير/، وهي قوة كاملة الملاك تستخدم كاحتياط استراتيجي للمنطقة الشمالية أو (كنسق عملياتي ثانٍ للفيلق)،

---

(١) إن قوة المناورة هذه بقيادة العميد /يوسي بيليد/ احتلت جبل الباروك، وكادت أن تصل إلى ظهر البيدر، ووحدات الـــ م / د سريعة الحركة الخاصة بها هي التي اصطدمت مع اللواء ٨١/ د في منطقة تلة الصعلوك وشمال شبرقية عميق.

لذلك لم تساهم إلا في جزء من الأعمال القتالية، وقد انتشرت خلف بقية القوات قرب محور /ميشا/: محور راشيا الوادي – السلطان يعقوب، وبعض وحداتها أنقذت الوحدات التي تعرضت لكمائن في السلطان يعقوب في التلال العليا لوادي البقاع.

كما يؤخذ بالحسبان قوة الاحتياط الإستراتيجية الأكبر المتمركزة في مرتفعات الجولان بقيادة الجنرال /باركوشبا/، وهي تتألف من فرقتين من الاحتياطيين المعبئين، ولواء آخر معزز من الفرقة /٣٦/، وكانت مهمة هذه القوة الاحتياطية تركيز قوة كبيرة في مرتفعات الجولان تستطيع وقف قواتنا فيما لو قامت بتنفيذ أعمال هجومية على اتجاه الجولان لضرب المؤخرة الإسرائيلية في لبنان، وبالتالي منع قواتنا من القيام بأي هجوم عبر مرتفعات الجولان.

و – لواء جولاني:

كما عمل في القطاع الشرقي أيضاً لواء جولاني.

وكان من أبرز القادة الإسرائيليين في القطاع الشرقي:

١– قائد المنطقة الشمالية: اللواء /أمير دروري/، وكان نائبه اللواء /أوري سميحوني/.

٢– قائد القطاع الشرقي: /أفيغدور بن غال/، ونائبه /أيهود باراك/.

٣– قائد الفرقة /٢٥٢/: /عمانوئيل ساكيل/.

٤– قائد الفرقة /٩٠/ /جوارليف/.

٥– قائد الفرقة /٨٨٠/ /ينطوف تامير/ (فرقة احتياط استراتيجي).

٦– قوة /فاردي/ نسبة لقائدها "فاردي فارمري"، عمادها /ل ٦٤٠/د/ من الفرقة /٢٥٢/ بقيادة العقيد /هاجاي كوهين/.

٧– قوة المناورة الخاصة بقيادة /يوسي بيليد/.

رابعاً - أيام الحرب:

الأحد ٦/٦/١٩٨٢:

بدأت القوات الإسرائيلية اجتياحاً واسعاً لجنوب لبنان على اتجاه البقاع في أعقاب يومين من القصف المركز براً وجواً وبحراً، حيث تقدمت في القطاع الشرقي من منطقة مرجعيون باتجاه /كوكبا/، وفي المساء لجأت القوات الإسرائيلية إلى احتلال كوكبا، ودفعت بجزء من قواتها باتجاه /قليه/.

بدأت الاشتباكات السورية – الإسرائيلية بالمدفعية والطيران بعد ظهر يوم الأحد ٦/٦/١٩٨٢م، وقد صدر في هذا اليوم العديد من التصريحات السياسية كان أهمها:

- **تأكيد الرئيس حافظ الأسد تضامن سورية مع لبنان، وإن الدفاع عن الأراضي اللبنانية واجب وطني وقومي، وإن سورية تقف بكل إمكاناتها إلى جانب لبنان للدفاع عن أرضه، وسوف تقوم بكل ما يستلزمه الموقف.**
- **إعلان القيادة العامة عن أن القوات العربية السورية في لبنان قد وضعت في حالة تأهب قصوى، وأنه قد صدرت إليها الأوامر بالتصدي للقوات الإسرائيلية الغازية.**
- **تصريح ناطق عسكري سوري يتضمن أن القوات الإسرائيلية التي اخترقت الحدود اللبنانية تتابع التقدم على محاور الطرق باتجاه القوات السورية المنتشرة في البقاع، وأصبحت على تماس معها في مواقع الجرمق وبرغوث ومفرق حاصبيا، وقد صدرت الأوامر للقوات السورية بالتصدي للقوات الإسرائيلية الغازية.**

على أرض الميدان تقدمت الفرقة /٩١/ يوم الأحد/٦/٦/ نحو صور متجاوزة مخيمات الفلسطينيين لتلتقي مع الفرقة /٣٦/ المهاجمة من المطلة باتجاه النبطية عابرة نهر الأولي في منطقة صيدا.

في القطاع الشرقي تحركت الفرقة /٢٥٢/ بكامل قوتها على محورين للوصول إلى قواتنا المنتشرة في البقاع:

المحور الأول على طول سفوح جبل الشيخ بين الطرق الثانوية ذات التضاريس الصعبة عبر وادي شبعا، وكان على المهندسين الإسرائيليين أن يشقوا طريقاً طوله /١٢كم/ عبر الوادي، لكي تتمكن القوات المدرعة والمدفعية من العبور.

المحور الثاني عبر الوادي متجهاً نحو حاصبيا وكوكبا على الطريق الرئيسة ثم الالتفاف يميناً والمتابعة على الطريق إلى راشيا. وكلتا حركتي التقدم على المحورين شكلت حركة التفاف واسعة على ميسرة قواتنا بهدف قطع طريق التراجع إلى دمشق، وفي الوقت ذاتِه تحركت الفرقة /٩٠/ بقيادة الجنرال /جوار ليف/ من مدينة مرجعيون باتجاه الطريق المؤدية إلى بحيرة القرعون، وبدأت تشق طريقها باتجاه منطقة البحيرة على يمين مدينة مشغرة، وقد غطى ميمنتها لواء بقيادة /**ميكي شاكار**/ الذي كان يتابع التقدم على الطريق الرئيسة باتجاه البقاع الشرقي.

اندفعت الفرقة /٩٠/ مباشرة إلى القطاع الأوسط باتجاه بحيرة القرعون، ووصلت إلى خط حاصبيا – كوكبا، حيث توقفت في الصباح الباكر من يوم /٧/ حزيران، كما اندفعت قوة /فاردي/ بمهمة التقدم على طريق مشغرة، وقام أحد ألويتها بقيادة /هاجاي كوهين/ بالتقدم على الطريق باتجاه جزين بمهمة احتلالها والتوجه إلى مشغرة من الغرب؛ مما يجعل البلدة عرضة للهجوم من جهتين.

قوة المناورة الخاصة بقيادة /يوسي بيليد/ المدربة على تدمير الدبابات بدأت التحرك عبر جزين بعد تطهيرها من لواء /كوهين/ وإحكام السيطرة على سلسلة جبال الباروك، وكان على /بيليد/ وقف أية محاولة سورية للتعزيز سواء في البقاع الأوسط والغربي أم على اتجاه ضهر البيدر –

المديرج، وأن يكون في موقف يستطيع فيه مساعدة /مناحيم عينان/ قائد الفرقة /١٦٢/ فيما لو طلب منه ذلك عندما يتحرك هذا الأخير إلى عين زحلتا، وفي نهاية اليوم الأول من القتال حققت معظم القوات الإسرائيلية أهدافها بالرغم من أن التقدم في القطاع الغربي قد سار بشكل أبطأ مما هو متوقع.

الإثنين ١٩٨٢/٦/٧:

اتسعت رقعة العمليات العسكرية الإسرائيلية البرية والجوية على اتجاه البقاع، وتابعت القوات الإسرائيلية تقدمها على عدة اتجاهات:

حاصبيا - كفير الزيات.

كوكبا- دنيبة (مرج الزهور).

كوكبا - قليه - يحمر البقاع.

تصدت قواتنا الأمامية المتمركزة في المناطق: ميمس - قليه - برغوث - عايشية للقوات المعادية المهاجمة وأجبرتها على التوقف على الخطوط التي وصلت إليها: /جبل الروس - حاصبيا - كوكبا - كفر تبنيت - جوايا - صور/، وكلفت قوات جديدة لمتابعة التقدم، وفي الليل أعادت القوات الإسرائيلية تجميع قواتها، وزجت بوحدات مدرعة جديدة على اتجاه كوكبا - قليه بهدف احتلالها وقطع طريق الإمداد، وقد اعترف الجنرال /روفائيل إيتان/ رئيس الأركان الإسرائيلي آنذاك بضراوة القتال، وحاول تبرير عجز القوات الإسرائيلية بذريعة أنها تعمل في مناطق جبلية ووعرة، كما أكدت تقارير الصحافة الإسرائيلية في حينه أن الكيان الصهيوني يعيش حالة حرب تامة، وأن قوات الاحتياط تم استدعاؤها بشكل كامل تماشياً مع هذه الحالة.

الثلاثاء ١٩٨٢/٦/٨:

بدءاً من صباح ذاك اليوم قصف العدو بالمدفعية عدداً من مواقع قواتنا في مناطق: راشيا الوادي - كفر مشكي - مشغرة - عين التينة - البيرة -

القرعون – جب جنين، وتابعت القوات الإسرائيلية تقدمها شمالاً فاصطدمت بوحدات الحراسة الأمامية التي قاتلت ببسالة عظيمة وصمدت في مواقعها في مناطق: بطحانية – قلية – عين التينة (جنوب مشغرة)، وأوقعت في صفوف الوحدات الإسرائيلية الكثير من الخسائر في الدبابات والقوى البشرية، وأرغم العدو على التوقف على خط: عين عطا – كفير الزيات – زلايا نتيجة لرمايات المدفعية الكثيفة ولمشاركة الحوامات م/د السورية بالاشتباك مع الدبابات الإسرائيلية وتدمير قسم منها...

وفي الساعة /١٤,٠٠/ حاولت بعض الوحدات المدرعة الإسرائيلية تنفيذ مناورة تكتيكية لاحتلال عدد من المواقع والمناطق الهامة في عين حرشة – قلعة عبد الرحمن،كما سلك رتل مدرع إسرائيلي المنعطفات القريبة من جبل حرمون على محور شبعا – وادي فقعة – راشيا الوادي، وعندما وصلت الوحدات الإسرائيلية إلى وادي فقعة نفذت تحركاً جانبياً باتجاه: عين عطا – عين حرشة – دنيبة، بهدف الوصول إلى بيت لهيه – العقبة، والالتقاء مع الوحدات التي كانت تتابع تقدمها باتجاه راشيا الوادي.

في هذه المرحلة تعرضت الأرتال الإسرائيلية إلى قصف مدفعي كثيف نفذته مدفعية الفرقة الأولى المدرعة، بالإضافة إلى رمايات كمائن الـــ م /د ومساهمة الحوامات م/د بقصف الأرتال التي تداخلت في أكثر من مكان وأجبرت بعد ذلك على التوقف واحتلال الخط الدفاعي: وادي فقعة – عين حرشة – حوش الدنيبة – لباية – قلعة عبد الرحمن.

زجت القيادة الإسرائيلية بقوات جديدة على اتجاه كفير الزيات – عين عطا وعلى اتجاه وادي فقعة – راشيا الوادي، ولتسهيل مهمة هذه الوحدات الجديدة نفذت إنزالاً جوياً بقوى سرية معززة في منطقة شمال عين عطا لتطويق مواقع قواتنا هناك، ومنع وصول الإمدادات إليها، والاندفاع لاحقاً باتجاه عين حرشة لاحتلالها.

حتى ساعة متأخرة من الليل كانت القوات الإسرائيلية التي تتحرك على المحور الغربي في منطقة الشوف قد حققت نجاحاً على هذا الاتجاه، ووصلت إلى منطقة معاصر الشوف للعبور منها إلى البقاع في محاولة لضرب مجنبة قواتنا وتطويقها في مناطق السفوح الشرقية لجبل الباروك، وخلال ليل /٨ - ١٩٨٢/٦/٩م/ نفذت وحدات من قواتنا الخاصة إغارات ليلية على عدد من مناطق تحشد الدبابات الإسرائيلية في مناطق حاصبيا كفير الزيات - قليه - برغوث، ودمرت للعدو عدداً من الدبابات والآليات، وأوقعت في صفوفه الكثير من الخسائر البشرية.

في مقابلات أجرتها بعض الصحف الإسرائيلية مع عدد من القادة الإسرائيليين أكدوا أن القتال في البقاع كان ضارياً للغاية، وأعنف من معارك تشرين الأول عام ١٩٧٣م، ونتيجة المقاومة الفعالة التي نفذتها قواتنا في ذاك اليوم توقف العدو على خط: شبعا - حاصبيا - مشغرة - جزين.

الأربعاء ١٩٨٢/٦/٩م

تغير الموقف السياسي في التاسع من حزيران بعد أن أعطى رئيس الوزراء /**مناحيم بيغن**/ الصلاحيات لوزير الدفاع /**شارون**/ بتدمير الصواريخ السورية في وادي البقاع.

تابعت القوات الإسرائيلية تقدمها شمالاً تحت ستارة كثيفة من نيران المدفعية والطيران على محور: زلايا - يحمر البقاع - سحمر للوصول إلى القرعون التي تعدُّ بوابة العبور إلى البقاع الأوسط، والالتقاء مع القوات التي نجحت في الوصول إلى الباروك، فاصطدمت الوحدات المهاجمة بقواتنا المتمركزة في مواقع: عين التينة - يحمر - مشغرة، واشتبكت معها، كما خاضت على هذا الاتجاه وحدات /**سرايا الصراع**/ المضادة للدروع معارك طاحنة مع الدبابات الإسرائيلية من خطوط رمي من الثبات في مناطق البحصيص والسفوح الجنوبية - الشرقية لجبل عبرة.

تحت تغطية جوية كبيرة اندفع رتل مدرع إسرائيلي آخر باتجاه: بيت لهية – راشيا الوادي – إيحه، وباتجاه: راشيا – العقبة، فتصدت له وحداتنا التي كانت متمركزة في منطقة: كفرقوق – ضهر الأحمر – جب فرح، وأجبرته على التوقف على خط: عيحا – كوكبا بوعرب – جب جنين – عين زبدة – ٣كم غرب عانا – الباروك، وبعد ظهر ذاك اليوم بدأت الطائرات الإسرائيلية بمهاجمة بطاريات صواريخ /سام/ في وادي البقاع، وفي الساعة /١٤,٠٠/ هاجمت /٩٦/ طائرة إسرائيلية طراز /إف ١٥ و/إف ١٦/ تسع عشرة بطارية صواريخ في البقاع، وهبّ سلاح الجو السوري للدفاع، وفي الساعة /١٥,٥٠/ ضربت موجة أخرى من /٩٢/ طائرة قواعد الصواريخ، ودمرت عدداً من بطارياتها، وفي أثناء مناقشة تدمير بطاريات الصواريخ وصف /شارون/ الغارة على أنها «نقطة التحول في الحرب»، حيث سيطر الإسرائيليون بشكل كامل على الأجواء، وأصبحت جميع القوات السورية والفلسطينية عرضة للهجمات الجوية، وبذلك تكون الهجمات الجوية الإسرائيلية في البقاع حققت هدفين أساسيين لا يقل أحدهما أهمية عن الآخر، ويحتاج كل منهما للمناقشة المفصلة:

الأول: تدمير عدد لا بأس به من الطائرات السورية.

الثاني: تدمير بطاريات مضادة للطائرات ذات طبيعة تقنية عالية، وكان لكلتا الغارتين تأثير واضح في العمليات العسكرية الأخرى.

قامت القوات البرية الإسرائيلية بعد ذلك بهجوم خاطف متقدمة في الوسط حول منطقة بحيرة القرعون وغايتها وادي البقاع، كما بدأت القوات الإسرائيلية أيضاً بالتحرك باتجاه جب جنين وذلك بالهجوم على طرفي البحيرة، وتمت تغطية التقدم على الجانب الغربي من قبل قوات /**يوسي بيليد**/، حيث احتلت مرتفعات جبل الباروك وسيطرت عليها، وخلال يومين سعت القوات الإسرائيلية لاختراق مواقع قواتنا بهدف تأمين أغراضها

وحمايتها، وتحقيق أكثر ما يمكن من الإصابات في صفوف قواتنا المدافعة، أما قوة /**ليف**/ (الفرقة٩٠) التي كانت تتمركز في القطاع الأوسط بانتظار القرار السياسي بالتحرك، فقد بدأت التقدم بعد الغارة على مواقع الصواريخ باتجاه أهدافها في وادي البقاع، **وبذلك تغير مجرى الحرب في الشرق لصالح الإسرائيليين**، حيث تزايد الضغط على القوات السورية على طول الخط في مواجهة القوات الإسرائيلية المتقدمة على أربعة محاور رئيسة شرقاً، فعلى المحاور الشرقية للبقاع احتلت قوات /ساكيل/ (فر٢٥٢) بلدة راشيا الوادي، وتحركت عبر كفر قوق اللبنانية واحتلت المواقع المحيطة بينطا التي تقع على بعد ٢٥كم من دمشق، وقد تم التقدم إلى ينطا بالالتقاء مع كتيبة من قوات /ليف/ (فر٩٠) التي تحركت باتجاه المنطقة،.وفي هذه الأثناء سقطت جب جنين، وسيطر /بيليد/ على جبال الباروك لضمان عدم تمكن السوريين من تعزيز قواتهم في الجانب الغربي لبحيرة القرعون.

باتجاه جب جنين على جانبي بحيرة القرعون جرت اشتباكات ضارية كان المقاتل السوري فيها نموذجاً في البطولة والصمود، حيث كمن رماة الـــ م/د للدبابات المتقدمة، وأنزلوا بها خسائر كبيرة، كما أدخلت حوامات /غازيل/ المسلحة بصواريخ /هوت/ الحرب، وأثبتت فعاليتها بشكل جيد، مما زرع الرعب في قلوب طواقم الدبابات الإسرائيلية.

خاض اللواء /٧٦/ دبابات بقيادة العقيد الركن /علي محمود حسن/ قتالاً ضارياً على هذا الاتجاه، أما على اتجاه طريق الجامعة العربية (محور مرج الزهور – جب فرح – ينطا، ومحور راشيا الوادي – كفر قوق اللبنانية – ينطا) **فقد صمد اللواء /٩١/ دبابات** بقيادة العميد الركن /محمد عثمان الصباغ/ في وجه القوات المعادية، وخاض معارك بطولية دمر فيها عدداً لا بأس به من الدبابات في منطقة مرج الزهور وراشيا الوادي،إلا **أن الملحمة الكبرى للتصدي السوري للقوات الغازية كانت في السلطان يعقوب**، حيث إن حسن التخطيط والصمود النفسي وإدارة المعركة برباطة جأش يثمر

نجاحاً مميزاً، وهذا ما تجسد في بداية الأمر في **استدراج قوة إسرائيلية تقدر بأكثر من كتيبة دبابات معززة إلى مصيدة قاتلة**، وكانت هذه القوة قد بدأت بالتحرك من جب جنين على مفارق الطرق باتجاه بلدة السلطان يعقوب، وقوة أخرى من اتجاه الغرب، **حيث كان الهجوم الإسرائيلي من اتجاهين:**

الاتجاه الأول: الرفيد – البيرة – بيادر العدس – السلطان يعقوب.

الاتجاه الثاني: جب جنين – كامد اللوز – الفالوج – السلطان يعقوب.

بدأت كتيبة مدرعة بالسير على الطريق باتجاه السلطان يعقوب، لكن هذه الكتيبة وقعت في الجيب الناري المجهز من قبل قطعات اللواء /٥٨/ ميكا **بقيادة العميد الركن /علي حبيب/** بصواريخ ومدافع الـــ م/د والدروع وبالمدفعية، وبدأت النيران تنهمر على الإسرائيليين مما تسبب في سقوط عدد كبير من القتلى والجرحى، وتدمير عدد من دبابات /الباتون/ المعدلة بنيران القوى المدافعة، وقد طلب الإسرائيليون التعزيزات والدعم المدفعي للرمي على الوحدات التي كمنت لهم في محاولة لتغطية الانسحاب، **وبعد معركة ليلية دامت ست ساعات من القتال** تمكنت القوة الإسرائيلية من الانسحاب والتراجع بعد أن تكبدت خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات.

وفي نهاية يوم الأربعاء /١٩٨٢/٦/٩م/ توقف العدو على خط: وادي المزراب – عيحا – راشيا الوادي – كوكبا بو عرب – لالا – الباروك – عين زحلتا – جنوب الدامور.

الخميس ١٩٨٢/٦/١٠م:

تمكنت قواتنا الباسلة من خوض معارك ضارية في ظروف التفوق الجوي الإسرائيلي، وتصدت ببسالة للقوات المدرعة الإسرائيلية المتقدمة على العديد من الاتجاهات، وقد وجّه الرئيس حافظ الأسد كلمة إلى القوات السورية العاملة في لبنان **قال فيها:**

«لقد رفعت مواقفكم رأس وطننا وأمتنا عالياً، وإن شعبنا العربي الذي رفعتم معنوياته بنضالكم وتصديكم البطولي هو معكم وإلى جانبكم ينظر إليكم باعتزاز. إنني أحيي فيكم هذا الفداء وهذه الرجولة، أعتز وأفتخر بكم، وإني معكم دائماً أطلب إليكم البقاء في هذا المستوى من الصمود لتحقيق النصر وتدمير العدو متمسكين بشعارنا الشهادة أو النصر»[١] .

وهذا ماجسده المقاتلون حقيقة حية على أرض الواقع، حيث خاضت قواتنا معارك ضارية ضد القوات المدرعة الإسرائيلية التي كانت **تتقدم على عدة محاور في البقاع:**

- عيحا – كفر قوق – ينطا.
- ضهر الأحمر – البيرة – مزرعة عزة – السلطان يعقوب.
- كفر مشكي – مجدل بلهيص – وادي السكي – كامد اللوز.
- القرعون – بعلول – لالا – جبلة الأراضي.
- مشغرة – عيتنيت – عين الزبدة – كفريا.

وقد اتسمت تلك المعارك بالدفاع العنيد والفعّال، حيث خاضت ألوية الفرقة الأولى المدرعة بقيادة العميد الركن /إبراهيم صافي/ قتالاً ضارياً ومتواصلاً أجبرت فيه العدو الإسرائيلي على التوقف على خط: جبل الشيخ فرج – خربة روحة – جبل الصلايح – جب جنين – كفريا، وبعد ذلك نفذت القوات الإسرائيلية في القطاع الشرقي إعادة تجميع وتنظيم سريعة، حيث دفعت بأنساقها الثانية لتغذية وتيرة الهجوم في القطاع الشرقي بغية تحقيق هدف الحرب وتنفيذاً لأوامر **/يانوش/**الجنرال /أفيغدور بنغال/ ومعاونه /إيهود باراك/ اللذين أصرّا على تنفيذ المهمة للوصول إلى الطريق الدولية:

---

(١) العماد طلاس ومجموعة من الباحثين، الغزو الإسرائيلي للبنان، إصدار مؤسسة تشرين للصحافة والنشر عام ١٩٨٣م، ص٢١٤.

دمشق – بيروت، واحتلال ما عرف عندهم بعقدة المصنع والسيطرة عليها للوصول إلى مرتفعات: الدوارات – جعيلة – شمال السلطان يعقوب – مجدل عنجر – تل الدبور – الباروك، واحتلالها بغية السيطرة على الطريق الدولي من منطقة المصنع حتى ضهر البيدر، **ولتنفيذ ذلك تحركت القوات الإسرائيلية على المحاور التالية:**

١ – كفر قوق – ينطا.

٢ – السفوح الشرقية لجبل الشيخ فرج – جبل البياضة – بكا.

٣ – خربة روحة – مدوخة.

٤ – الرفيد – البيرة – بيادر العدس – السلطان يعقوب.

٥ – وادي السكي – كامد اللوز – الفالوج (جنوب السلطان يعقوب).

٦ – جب جنين – كامد اللوز – السلطان يعقوب.

٧ – جب جنين – غزة.

٨ – جزين – معاصر الشوف – جبل معاصر، **باتجاهين:**

أ – اتجاه جبل معاصر – جبل الباروك – ضهر البيدر.

ب – اتجاه جبل معاصر – كفريا – الصعلوك، ونتيجة المقاومة العنيفة توقف العدو على خط: وادي المزراب – بكا – بركة البيدر – كفريا – بمهرية.

ولمواجهة الموقف الجديد المتشكل في ميدان المعركة تمّ اتخاذ قرار بتغيير المهمة القتالية للواء /٥٨ميكا/ للمرة الثالثة، وأصبحت تتضمن **الانتقال للدفاع عن قطاع:** مسيل عين صفصاف – تل المدور (غرب قرية مدوخة) – النبي زريق – الصويري بغية إيقاف التقدم السريع للعدو وتدميره ومنعه من متابعة الخرق باتجاه الطريق الدولي والوصول إلى منطقة المصنع اللبنانية، بدلاً من احتلال الدفاع وفق الموقف الراهن بمسك الطريق الدولية دمشق – بيروت في منطقة المصنع – شتورا.

وتنفيذاً للمهمة القتالية الجديدة المسندة تحرك اللواء /٥٨ ميكا/ على المحور: مجدل عنجر – المصنع – بيادر العدس، واحتل القطاع الدفاعي المحدد له منتظراً قدوم العدو وتلقينه درساً عنوانه «معركة السلطان يعقوب».

الجمعة ١٩٨٢/٦/١١:

استمرت معركة السلطان يعقوب بضراوة، حيث ازدادت شدتها في صبيحة يوم الجمعة ١١ حزيران ١٩٨٢م بين اللواء /٥٨ ميكا/ من الفرقة الأولى المدرعة وبين القوات الإسرائيلية التي حاولت تطوير الهجوم باتجاه المصنع اللبناني، واستمرت حتى الساعة /١٢,٣٠/ ظهراً من ذلك اليوم، وسنأتي على ذكر هذه المعركة بشيء من التفصيل لاحقاً.

أعلن وقف إطلاق النار عند ظهر يوم الجمعة /١١ حزيران/، وقبل أن يسري مفعول وقف إطلاق النار حاول الإسرائيليون الوصول إلى الطريق الدولي: دمشق – بيروت بشتى الوسائط والسبل وبأسرع وقت ممكن، فأسندت المهمة إلى قوة المناورة الخاصة بقيادة/يوسي بيليد/، وكلفت بقطع الطريق المركزي دمشق – بيروت، وقد تمكنت من الوصول إلى خط: تلة الصعلوك – شبرقية عمّيق.

قرأت القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة هذه التحركات الإسرائيلية وغاياتها، ولمنع العدو الإسرائيلي من تحقيق أهدافه والحيلولة دون وصوله إلى الطريق المركزي دمشق – بيروت في منطقة البقاع الأوسط (شتورا) قامت القيادة السورية **بزج اللواء** /٨١/ دبابات من الفرقة الثالثة المدرعة، حيث تحرك رتل دبابات /ت٧٢/ على طول الطريق من شتورا باتجاه صبغين لمواجهة الأرتال الإسرائيلية في الوادي، لكنه تعرض للكمائن بأسلحة الـــ م/د الإسرائيلية فور دخوله مسرح الأعمال القتالية، وأسندت له المهمة الدفاعية في المنطقة التي وصل إليها، حيث احتل القطاع الدفاعي يميناً من الغرب: تلة الصعلوك – يساراً: شبرقية عمّيق (من الشرق)، وأصبح

مجرى نهر الرياشي فاصلاً بين القوات الإسرائيلية التي احتلت الكمائن مسبقاً وبين اللواء /٨١/ دبابات.

خامساً - الخداع الإسرائيلي في حرب عام ١٩٨٢م:

لقد انتهزت إسرائيل في أثناء اختيارها بدء العدوان على حركة المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية في لبنان عام ١٩٨٢م مجموعة من العوامل المناسبة لها وخاصة التطورات في النزاع العسكري الإيراني والعراقي، كانتقال المبادرة إلى إيران وازدياد قلق العالم العربي تجاه منطقة الخليج العربي. علاوة على ذلك فإن القيادة الإسرائيلية اعتمدت على أن انتباه المجتمع الدولي الذي كان في هذه الفترة موجه إلى النزاع الأرجنتيني – الإنكليزي، وكان الإعداد للعدوان من قبل إسرائيل قد بدأ منذ كانون الأول عام ١٩٨١م وكما في السابق فقد أعير انتباه كبير لإجراءات تضليل الطرف الآخر على المستويين الإستراتيجي والعملياتي – التكتيكي.

إذا كانت تل أبيب في أثناء الإعداد لعدوان ١٩٦٧م قد ارتكزت على إبراز الطابع السلمي لنواياها مظهرة رعاية أبوية للسكان العرب في إسرائيل، فإن الإسرئيليين وأثناء الإعداد للهجوم على لبنان صيف ١٩٨٢م فعلوا العكس تماماً. فقد صعدوا عن عمد حدة التوتر، وانهالوا بصورة منتظمة كالإعصار تهديداً ووعيداً على الفلسطينيين واللبنانيين **بهدف تحطيم العرب نفسياً** والعمل على إضعاف يقظتهم، والسعي إلى هزيمتهم بضربة خاطفة. وقد تمكنت تل أبيب على الصعيد الدولي بسلوكها التقليدي الكاذب من تضليل المجتمع الدولي مرة أخرى، وتوجيه انتباهه إلى رغبة إسرائيل في حل الأزمة بالطرائق السلمية، ونشرت وسائل الإعلام الإسرائيلية قبل أسبوعين من بدء الهجوم خبراً مفاده: «أنه على الرغم من النقاش الذي دام خمس ساعات في مكتب مجلس الوزراء حول إمكانية القيام بتوجيه ضربة للفلسطينيين فإن قراراً بهذا الشأن لم يتخذ، أما في واقع الأمر فإن خطة العدوان كانت قد أقرت».

تناقلت الصحافة الإسرائيلية قبل الهجوم على لبنان مباشرة خبراً حول قيام القوات المسلحة بتدريبات غير مخططة، وفي غضون ذلك استدرك إكمال مسائل نقل بعض الوحدات والتشكيلات من داخل مناطق البلاد إلى الحدود اللبنانية.

وقد زاد الإسرائيليون من وراء هذه الإجراءات تضليل الفلسطينيين واللبنانيين فيما يتعلق بفترة بدء الاعتداء والقوام المحتمل لمجموعات القوات المشاركة فيه، وقد نظمت كذلك عملية تسرب معلومات عن تحشد للقوات الإسرائيلية على الحدود مع لبنان. حيث بدا أن الضربة يمكن أن تكون موجهة إلى ملتقى الحدود الإسرائيلية – اللبنانية – السورية، والإسرائيليون لا يستطيعون اجتياز المنطقة المراقبة من قبل قوات هيئة الأمم المتحدة في الجزء الجنوبي، أما في حقيقة الأمر فإن الضربة كانت قد وجهت في ثلاثة اتجاهات في آن واحد، بما في ذلك اتجاه قاعدة قوات الأمم المتحدة.

ولم يكن مصادفة اختيار تاريخ الاجتياح، فالإسرائيليون افترضوا بصورة معقولة أن العرب الذين تربطهم بيوم /٥/ حزيران /١٩٦٧م/ يوم بدء الحرب ذكريات مؤلمة عن الهزيمة ومنذ ذلك الوقت وكتقليد، يؤيدون في مثل هذا التاريخ رفع الجاهزية القتالية لقواتهم المسلحة ثم يفقدون في اليوم الثاني اليقظة. أما الولايات المتحدة الأمريكية وأثناء الإعداد لهجوم إسرائيل على لبنان، كما في سابق عهدها قامت بتأمين التغطية السياسية للعدوان مؤكدة للحكومة اللبنانية بشكل رسمي نوايا تل أبيب السلمية(*).

ولكن وزير الدفاع الإسرائيلي قام بزيارة لواشنطن قبل الاعتداء حيث حصل عملياً عن طريق وزير الخارجية الأمريكية الكساندرهيغ على موافقة القيادة العسكرية – السياسية الأمريكية على تنفيذ الغزو، وقد أمن كل ذلك للمعتدي المفاجأة العملياتية والنجاحات الأولى.

(*) العماد حسن توركماني، الدهاء في الحرب، بيروت، دار الفكر، ط عام ٢٠٠٠م، ص٢٣٦

قامت القيادة الإسرائيلية بالإضافة إلى إجراءات وتدابير التمويه العملياتي بالتنفيذ الفعال للإجراءات والتدابير التمويهية الهندسية، كاستخدام شبكات التمويه وإبقاء أغطية الآليات العسكرية في أماكن حددت مسبقاً كرحبات للآليات. وعلى هذا النحو تم نشر القطعات ووحدات الفرقة ٣٦ دبابات المرابطة في هضبة الجولان، وتم تقليد وجود القوات على مسافة ٥ – ١٠ كم من مكان تعسكرها الدائم، بينما جرى تمويه الأماكن الحقيقية لتحشدها. واستخدمت في أثناء ذلك شبكات التمويه والنباتات، فعلى سبيل المثال، أبقى في منطقة التعسكر الدائم للواء الدبابات ١٣٢ وفي الساحات المكشوفة تركت أغطية المركبات القتالية في مكان وقوف تلك المركبات سابقاً، كذلك في مطارات عاقر ورامات دافيد وحاتسريم وغيرها.وكانت جميع أماكن إقلاع وهبوط الطيران ومواقف الطائرات، الملاجئ، وهنغارات الطائرات، والعتاد الجوي العائد للمطار مموهة، وعلى هذا النحو نجد أن جدلية الحفاظ على سر فكرة العملية وسرية إعداد القوات للأعمال اللاحقة ظهرت بشكل عميق في الظروف السابقة لبدء الحرب.

قامت القوات الإسرائيلية بالأعمال الهجومية على اتجاهات محددة آخذة بعين الاعتبار ظروف المناطق الجبلية وتشكيلات الفلسطينيين واللبنانيين وقامت القوات الإسرائيلية بأعمال هجومية على اتجاهات مستقلة، وبشكل رئيسي على الطرق بالألوية وفي بعض الحالات بالكتائب بترتيب ما قبل القتال. واستخدمت في الأعمال القتالية على نطاق واسع الهجمات المفاجأة الليلية واختراق الترتيبات القتالية للعدو والالتفاف على نقاط الاستناد (الدشم) مع محاصرتها لاحقاً بقوى الأنساق الثانية. وقد أمنت أساليب الدهاء العسكري هذه وتلك للمهاجمين وتائراً عالية في التقدم.

كما استخدم الإسرائيليون الدهاء والخداع للرأي العام العالمي وحتى الإسرائيلي بما فيه بعض عناصر الحكومة الإسرائيلية في التمويه على الهدف النهائي لهجوم القوات، حيث كانوا يروجون دوماً أنهم يرغبون في **القضاء**

على البنية التحتية لقوات المقاومة الفلسطينية ولا يرغبون في الاصطدام بالقوات السورية في لبنان وحددوا عمق العملية بـــ٤٠كم تقريباً، إلا أن الحقيقة أنهم توغلوا عميقاً واحتلوا بيروت عاصمة لبنان واصطدموا بالقوات السورية **وحاولوا جاهدين عزل أكبر ما يمكن من القوات السورية**، إلا أنهم لم يتمكنوا من تحقيق ذلك(*).

سادساً - الاستنتاجات والدروس المستفادة:

كانت الحرب في لبنان فرصة كبيرة للجيش الإسرائيلي كي يختبر آلته الحربية الجديدة، وبشكل عام يمكن الاستفادة من الأعمال القتالية التي خاضتها جميع الأطراف المشتركة في هذه الحرب والتوصل إلى دروس يستفاد منها عسكرياً، **وهي:**

١- **يتميز القتال في الأراضي الجبلية** وفي المدن الآهلة بالسكان بتكتيك خاص، كما أنه يتطلب نماذج من القوات والتسليح والتعاون بين الأسلحة المستخدمة، وهذا كله يتطلب تدريباً خاصاً وتطويراً مستمراً.

٢- **تبين أن دور المشاة في المعارك**، التي تنفذ في الأراضي الجبلية (كثيرة التضاريس) أو المدن، يعتبر أساسياً، بل يجب أن تنفذ الأعمال القتالية بعمليات مشاة تدعمها الدروع والمدفعية، لذا يجب أن يشكل المشاة غطاءاً متقدماً عند استخدام الدبابات والناقلات المدرعة.

٣- **تبين أن استخدام الأرض ومعرفتها بشكل جيد** من قبل الطرف المدافع له الدور الكبير في صد هجوم القوى المتفوقة كماً ونوعاً، بل إنه يجبر الطرف المهاجم على تغيير أهدافه وخططه وأساليبه نتيجة الخسائر التي سيمنى بها بالتأكيد.

(*) العماد حسن توركماني، الدهاء في الحرب، بيروت، دار الفكر، د.ت ص٢٣٨

٤- **يعتبر القتال بطريقة الكمائن**، مع استخدام الوحدات بشكل أساسي والقطعات أحياناً، هو الأسلوب الأنجع في المعركة الدفاعية ضمن أراض متنوعة التضاريس. لذا يجب التركيز على تدريب الوحدات الصغرى لتنفيذ أعمال قتالية ناجحة في مثل هذه الظروف.

٥- **يجب أن يدرب القادة المرؤوسين** على اتخاذ القرار المناسب بمبادرة سريعة وحسب معطيات الموقف، مع إعطائهم قدراً من الاستقلالية.

٦- **يعتبر التطور النوعي في مجال الاتصالات** خطوة ذات أهمية كبيرة. لكن ميل القادة في المستويات الدنيا إلى استشارة المستويات العليا عند كل ظرف معقد، وميل المستوى الأعلى إلى قيادة القطعات والوحدات في بعض الظروف (مركزياً)، سيقلل من إمكانية ونوعية القادة المرؤوسين وتطوير إمكانياتهم.

٧- **إن تبديل القيادة أثناء تنفيذ الأعمال القتالية**، أو تغيير التشكيلات والقطعات، يشكل خطراً كبيراً على تكامل القيادة، وعقبة في تنفيذ المهمة الملقاة. لذا يجب التقليل منها ما أمكن، أو تأهيل القادة القادرين على القيادة في جميع الظروف والأوقات.

٨- **إن تنفيذ حرب العصابات في الأراضي** المتنوعة والمدن يعتبر الأسلوب الأفضل، خاصة عندما يكون العدو متفوقاً بالعدد والعتاد، ويحقق هذا الأسلوب نجاحاً كبيراً أثناء التنفيذ.

٩- **إن إمكانية الدبابة / ميركافا/** في استيعاب عشرة جنود مسلحين أو أربع حمالات للجرحى، يساهم كثيراً في نقل الجنود إلى ساحة المعركة وإخلاء الجرحى والمصابين عند الضرورة.

١٠- **إن كثرة التضاريس وتنوع وكثرة العتاد والأسلحة المستخدمة** تستوجب إيجاد نظام تعاون وتعارف مناسب، يجنب الوقوع في أخطاء قد تؤدي إلى نتائج لا تحمد عقباها.

١١- **تبين أن للمدفعية دوراً كبيراً في تقديم الدعم اللازم للقوات المتقدمة،** على الرغم من أن طبيعة التضاريس قد تقلل من فعاليتها، مما يوجب تعويض ذلك بإعادة انتشار المدفعية في الزمان والمكان المناسبين، يساعد في ذلك أيضاً تقديم المعلومات الدقيقة من وسائط السطع خاصة الحديثة منها. هذا مع توفر الغطاء الجوي المناسب.

١٢- **أكدت الحرب على أهمية استخدام** مدافع ذاتية الحركة والهاونات متعددة العيارات والأمدية، لأنها تسهل التنقل وتبديل المرابض، وبالتالي تخفف من تأثير الرمايات المعاكسة للبطاريات.

١٣- **أكدت الحرب على أهمية استخدام القذائف المنثارية** لأن تأثيرها على الجنود المكشوفين في نطاق التجمع أو الراكبين داخل عربات مكشوفة من الأعلى (مفتوحة) أكبر بكثير من تأثير القذائف المتفجرة.

١٤- **بغية المحافظة على المعنويات** وعلى إمكانية شفاء الجرحى والمصابين بصورة أفضل وأسرع، يجب توفير فصيلة طبية مع كل طبيب لكل وحدة مقاتلة، تستطيع تقديم الإسعافات الأولية في مكان الإصابة، مع توفر إمكانية الإخلاء بالحوامات.

١٥- **لقد تبين أن لسلاح الهندسة** دوراً هاماً بل متميزاً في المناطق كثيرة التضاريس. وتزداد مهامه بدءاً من شق الطرق الجديدة وبناء الجسور لضرورات تكتيكية، إضافة إلى أعمال التلغيم...

١٦- **بروز دور الحوامات في عملية الإمداد والنقل،** بسبب عدم توفر الطرائق الملائمة لتنفيذ هذه الأعمال بالآليات المخصصة لذلك.

١٧- **لقد تبين في هذه الحرب أهمية دور الحماية الجوية** أثناء تقدم الأرتال لتعزيز تشكيلات أو تبديل تشكيلات أخرى.

١٨- **نجحت الحوامات م/د في أعمالها النوعية** في تلك المناطق نجاحاً نوعياً، إضافة إلى أنها تستطيع القيام بأعمال أخرى. كما قامت بدورها في تدمير قواعد الصواريخ م/ط عند اللزوم، تلك التي يفترض

أن تقوم هي بإصابتها وتدميرها. لذا يجب إيجاد الأسلوب والسلاح الفعال ضدها.

١٩- **يبقى القرار الصحيح والمعلل** هو ذلك القرار الذي يعتمد على معلومات السطع الدقيقة، خاصة عند استخدام التطور التكنولوجي العسكري، الذي مكن القوات الإسرائيلية من الحصول على المعلومات في حينها، إضافة إلى تعزيز ذلك من مصادر أخرى متنوعة.

٢٠- **إن التطور التكنولوجي،** وخاصة في مجال القوى الجوية والدفاع الجوي، يتطلب توفير نظام قيادة وسيطرة موثوق ومستمر يعتمد على وسائط إلكترونية حديثة ومتطورة لا تتأثر بالتشويش الإلكتروني المعادي مع توفر الكادر المدرب.

٢١- **تمكن سلاح البحرية الإسرائيلي** من اختبار وسائطه القتالية، ونظراً للنجاح الكبير الذي حققه، فقد أضيف من جديد لمعارك جيش الدفاع الإسرائيلي، وهذا له أهمية كبرى في المستقبل.

٢٢- **استخدم العدو الإسرائيلي** أساليب حرب نفسية ومعنوية مدروسة جيداً تنسجم مع أهدافه ومع طبيعة الخصم المقابل وقد قامت القوات السورية بتنفيذ طرائق مختلفة للحرب النفسية كانت ناجحة وذات فعالية. وهذا ما يجب أخذه بعين الاعتبار مستقبلاً أيضاً.

٢- **أثبت تنظيم وتنفيذ الدفاع بالوحدات المدرعة** فعالية كبيرة من أجل الدفاع الجيد عن النطاق والقطاعات والقطيعات الدفاعية، حسب المعدلات التكتيكية المعروفة، في نظام قتال المدرعات، وبالانتشار بترتيب قتال على نسق مع احتياط أو على نسقين أو على ثلاثة أنساق.

٢٤- **إن فعالية المعارك الدفاعية للوحدات المدرعة** تتحقق بالمناورة بالقوى والوسائط والعمل المنظم من قبل القادة على المستويات كافة. ويجب ألا تقتصر المناورة فقط على الأنساق الثانية أو الاحتياطية، بل يمكن أن تشمل الأنساق الأولى أيضاً.

٢٥- **إن تنفيذ الضربات المعاكسة** يجب أن يتم قبل أن يتمكن العدو من توسيع خرقه، وقبل أن يعزز الخط الذي يصل إليه.

٢٦- **ضرورة تنظيم التعاون وبصورة كاملة** مع الجوار وحتى العاملين ضمن نطاق الدفاع. كما أن التعاون بين الدبابات والحوامات م/ د هو على درجة كبيرة من الأهمية(*).

٢٧- **إن سلاح الـــ م/ د بمختلف أنواعه** سلاح فعال جداً قد يهدد مستقبل الدروع.

٢٨- **ضرورة التركيز على التمويه الميداني**، واختصار حجم العتاد الداخل في قوام مقرات السيطرة، وتطوير وسائط الاتصال فيها مع توفير حوامات قيادة لقيادة التشكيلات.

٢٩- **في القتال، في مثل تلك الظروف**، من الضروري وجود ممثل جوي على مستوى كل ك/ د.

٣٠- **ضرورة إدخال (ف سطع) عضوية في تنظيم كتائب الدبابات**، وكذلك س ها محمول في ملاك ل. د.

٣١- **زيادة ذخيرة الدبابات من الأنواع الخارقة والجوفاء على حساب المتفجرة**، خاصة عند توفر بطاريات مدفعية من عيار كبير.

٣٢- **من أجل تسهيل عمل وقيادة عناصر المشاة المحمولة** من المفضل وجود قائد ثان للوحدة (س) لقيادة عربات القتال في حال رجّل المشاة منها.

٣٣- **ضرورة استمرار تدريب القوات خلال الأعمال القتالية** طبقاً للظروف والحاجة والموقف.

(*) العماد إبراهيم صافي، سورية جيش مدافع، دمشق، الإدارة السياسية، ط٢٠٠٧م، ص٣١١ – ٣١٤

الفصل الثالث

معركة السلطان يعقوب[1]

أولاً - خصوصية المعركة:

في سهل البقاع الخصيب (في منطقة البقاع الأوسط) وعلى تل يعلو عن سطح البحر قرابة /١٣٠٠/ متر تتربع قرية وادعة شامخة أبيةٌ منيعة آلى ثراها إلا أن يبقى طاهراً عصياً على تدنيس أقدام الغزاة الصهاينة... إنها قرية السلطان يعقوب المطلّة على سهل البقاع الخصيب، ذي الأهمية الإستراتيجية من وجهة النظر العسكرية الإسرائيلية، كونه يشكل بعرف قادة /تل أبيب/ امتداداً شمالياً لعمق "إسرائيل" الاستراتيجي الذي يضمن أمن المستعمرات الإسرائيلية والدفاع عن الأراضي التي احتلت في عدوان حزيران /١٩٦٧م/، وذلك لتميزه بالخصائص التالية:

١- **يؤمن عزل جبهة الجولان** على أكثر من اتجاه، ويسهل نقل الجهود العسكرية إلى جبهات أخرى، كما أنه يمنع القوات السورية من تحقيق

---

(١) للاستزادة ينصح بقراءة كتاب (معركة السلطان يعقوب)، تأليف العماد علي حبيب، الذي قاد تلك المعركة، والكتاب من إصدار الإدارة السياسية في الجيش السوري، ط١، دمشق عام ٢٠٠٩م.

مناورة ضرب القوات الإسرائيلية المتمركزة في الجولان من الاتجاه اللبناني إذا ما فكرت القيادة العسكرية السورية بذلك.

٢- **يؤمن سهولة نقل الحرب إلى** الأراضي العربية السورية واللبنانية من دون أن تشكل الحرب تهديداً فعلياً للعمق الاقتصادي والعسكري "الإسرائيل".

٣- **يؤمن الانتقال بالخيارات العسكرية الإسرائيلية** إلى مواقع جديدة تؤمن لها الانفراج والقدرة على توفير ضمانات دفاعية جيدة، وتشكيل قوة رادعة كافية ضد أية محاولة عربية لخوض حرب مفاجئة من جانب العرب كما حدث في تشرين الأول /١٩٧٣م/.

٤ - **يؤمن الرصد المباشر من خلال** مرتفعاته للتحركات العسكرية براً وجواً وبحراً عبر ترابط الرصد والمراقبة والتنصت، حيث تتوزع على أطرافه جبال حاكمة، وهي جبل الشيخ وجبل الباروك وجبل صنين.

هذه الأهمية الإستراتيجية التي يتمتع بها سهل البقاع دفعت "إسرائيل" للتفكير بالسيطرة عليه والوصول إلى طريق دمشق - بيروت الدولية، ولتنفيذ ذلك **اعتمدت القوات العسكرية الإسرائيلية في عملياتها ضد قواتنا المسلحة في البقاع المبادئ التالية:**

١- **تكثيف حجم القوات المشتركة** من مختلف الصنوف مع تقديم الدعم الناري لها بأفضل ما يمكن، وبخاصة الدعم الجوي.

٢- **تحقيق المفاجأة والمناورة والالتفاف والتطويق** لتجنب المواجهة العسكرية المباشرة ما أمكن مع القوات العربية السورية، وذلك من أجل تأمين الاندفاع السريع باتجاه الشمال بأقل خسائر ممكنة.

٣- **تأمين كثافة نارية كبيرة** واستخدام أحدث الأسلحة بغية تخفيض الروح المعنوية لقواتنا المدافعة، وإيقاع أكبر الخسائر الممكنة فيها، حيث تمَّ

استخدام أحدث الأسلحة الإسرائيلية والقذائف التي كانت ما تزال سرية، وقد تبين أن من بين القذائف المستخدمة القنابل الانشطارية والعنقودية، وغيرها من الأسلحة المحرمة دولياً بغية تحقيق أعلى أشكال الفتك والدمار لدب الرعب في صفوف قواتنا المسلحة، لكن ذلك لم يزد جنودنا الميامين إلا تصميماً أكبر على القتال والمواجهة بعزيمة صلبة وهمة لا تلين دفاعاً عن العزة والكرامة الوطنية والقومية.

٤- **الاستفادة من طبيعة الأرض** في تحقيق التسرب على أجناب قواتنا ومؤخراتها، وتأمين التقرب السريع لأنساقها الثانية واحتياطاتها والضرب بقوة لتحقيق الحسم السريع.

٥- **تثبيت قواتنا المسلحة على جبهة الجولان من خلال** دفع قوات مدرعة جديدة إلى بعض مناطق الهضبة السورية المحتلة قدرت بحدود فرقتي دبابات، علماً أن القوة الأساسية العاملة في الجولان هي الفرقة /٣٦.د/، وقد نقلت للعمل على اتجاه لبنان بعد تعديل طرأ على بنيتها التنظيمية لتتماشى ومسرح الأعمال القتالية.

اعتمدت "إسرائيل" في مواجهتها لقواتنا المسلحة على اتجاه البقاع **أسلوب قتال خاص** بغية تحقيق أهداف الحرب العدوانية التي شنتها، **وقد تميز هذا الأسلوب بما يلي:**

١- **استخدام المستجدات التكنولوجية والتكتيكية** الطارئة على مسرح العمليات.

٢- **القيام بتكثيف القوى براً وجواً** على اتجاه الهجمات المعاكسة للقوات السورية لمنع تلك الهجمات من تحقيق أهدافها.

٣- **عزل ميدان المعركة** ومنع تعزيز المواقع الدفاعية للقوات السورية بالاحتياطات والأنساق الثانية عن طريق الاستفادة حتى أقصى حد

ممكن من نواحي التفوق التي تمتعت بها القوات الجوية الإسرائيلية.

٤- **اعتماد العمليات الألكترونية** ووسائل الرصد والإنذار والاستطلاع والتحكم والتشويش، وبصورة خاصة على الأجيال الجديدة من الذخائر الموجهة.

٥- **الاعتماد على الكثافة النارية** والقصف الكثيف لمناطق تمركز القوات وللمناطق الآهلة بالسكان.

كانت المعارك في البقاع جزءاً يؤثر ويتأثر بمعارك أخرى جرت على الساحة اللبنانية جرّاء سياسة "إسرائيل" العدوانية، بهدف فرض الأمر الواقع لتغييب القوى العسكرية الفاعلة لسورية. ولا يستطيع أحد أن ينكر أن عمليات البقاع – وفي مقدمتها معركة السلطان يعقوب – كانت نوعاً متطوراً في العمل العسكري بفضل الاستخدام الأمثل للأسلحة والذخيرة، وأسلوب القتال المعتمد على الرغم من عدم التكافؤ الذي كان واضحاً في معركة السلطان يعقوب بشكل خاص، وغياب عنصر التوازن في بنية القوى والوسائط المشتركة، لكن مقاتلي **اللواء/٥٨ميكا/** الذين خاضوا هذه المعركة كانت تتوفر لديهم القناعة التامة والإيمان العميق بقول السيد الرئيس حافظ الأسد:

«من يربح المعركة هو الإنسان بشجاعته وتصميمه، وهذه حقيقة ثابتة مهما تطور السلاح. لنقاتل العدو وفي ذاكرتنا قول راسخ لا ننساه أبداً: الشهادة أو النصر..».

لقد خططت "**إسرائيل**" **لقتالها مع** قواتنا العاملة في البقاع بحيث تكون هذه الحرب غير معلنة وتقليدية وقصيرة لخفض احتمالات الحرب الواسعة من جهة، ومن جهة ثانية لتذكير سورية بأن "إسرائيل" قوة لا تهزم عسكرياً، وأنه لا جدوى من الصراع المسلح أو المجابهة العسكرية في سبيل ما تسعى إليه سورية من أجل استعادة ما احتل من أرض واغتصب من حقوق، والقيادة

السورية لم تتفاجأ بالغزو الإسرائيلي للبنان؛ لأنها تدرك الطبيعة العدوانية "لإسرائيل"، وكانت على يقين أن القوات الإسرائيلية ستهاجم القوات السورية في البقاع إذا ما خرقت الجنوب اللبناني، لأن دوافع "إسرائيل" لا تتصل بالوجود الفلسطيني وحده على الساحة اللبنانية، وإنما تنطلق من اعتبارات تتعلق بالرغبة في إسقاط إمكانات سورية في مواجهة الخيار العسكري الإسرائيلي لشل فاعلية دورها الوطني والقومي وإشاعة مناخ الاستسلام في المنطقة.

ثانياً - التدريب والحرب:

بدأ العام /١٩٨١/م بارداً في مناخه وحاراً في تقلباته السياسية، ففي نيسان من هذا العام صدرت أوامر القيادة العامة للفرقة الأولى دبابات بالاستعداد لتنفيذ مهام قتالية (خوض أعمال قتالية – دفاعية) في البقاع اللبناني. رفعت الجاهزية القتالية للفرقة بشكل هادئ وسلس، **وانتقل /اللواء ٩١/د/** من معسكره إلى منطقة تحشده في منطقة جديدة يابوس على الحدود السورية – اللبنانية بإمرة العميد الركن /محمد الصباغ/ واستعدت الكتيبة /٢٤٢/د/ منه للذهاب إلى منطقة راشيا الوادي، وتم تحضير وإعداد باقي تشكيلات وقطعات ووحدات الفرقة للأعمال القتالية والاستعداد لاستلام الإشارة من القيادة العامة.

مضى العام /١٩٨١م/ وكان حافلاً بتكثيف التدريب النوعي، ففي نهاية ربيع ذلك العام وبدء الصيف نفذت القيادة العامة مشروعاً تكتيكياً **للواء /٥٨/ميكا/ بقيادة العميد الركن /علي حبيب/** في مواجهة اللواء /٥١/د/ بقيادة العميد الركن /علي عبدو كلثوم/ بموضوع المعركة التصادمية، كانت نتيجة المشروع لصالح الشماليين (اللواء ٥٨/ميكا/من الفرقة الأولى دبابات)، وقد أشاد مدير المشروع **اللواء /محمد سعيد الحمصي/** بالأداء المميز للطرفين،

الأمر الذي كان موضع ارتياح قائد الفرقة الأولى **العميد الركن /إبراهيم صافي/** الذي عبر عن **ذلك بقوله:** "من ينفذ هذا المشروع بهذه الدقة والحكمة والواقعية يكسب المعركة"، وهذا الكلام كان دقيقاً وواقعياً، فالعلاقة التي تربط المقاتل بقائده كانت مميزة وكفيلة ببلوغ النصر في أية مواجهة مع العدو، ولم يكن هذا هو المشروع الوحيد الذي نفذه اللواء قبل حرب لبنان، **بل سبق ذلك تنفيذ ثلاثة مشاريع:**

مشروع الفرقة بالقوات في تشرين الثاني من العام /١٩٧٩م/.

مشروع دفاعي للواء في العام /١٩٨٠م/.

مشروع بموضوع المعركة التصادمية في عام /١٩٨١م/، وفي المشاريع الثلاثة كان أداء اللواء مميزاً ومتفوقاً، وهذا ما أعطى مقاتليه خبرة وقدرة على إدارة المعركة بنجاح(١).

عاد اللواء /٥٨ ميكا/ إلى معسكره الدائم فور انتهاء المشروع، والجميع كان يتوقع الذهاب إلى الساحة اللبنانية في أقرب وقت، وذلك من خلال قراءة الموقف السياسي واهتمام القيادة العامة بتوفير الحاملات لنقل اللواء دفعة واحدة من دون انتظار، ولهذا كانت الحاملات المعدة لنقل العتاد المزنجر في منطقة التحميل جاهزة عندما تقرر إسناد مهمة قتالية للواء.

انتهى العام التدريبي /١٩٨١م/، وكان قد برز حدثان هامان:

ـ الأول: ضرب المفاعل النووي العراقي.

ـ الثاني: قرار الكنيست الإسرائيلي بضم الجولان في عهد /**مناحيم بيغن**/.

في بداية شهر شباط من العام /١٩٨٢م/ رفعت الجاهزية القتالية

---

(١) العماد علي حبيب ، معركة السلطان يعقوب، إصدار الإدارة السياسية ، سورية، دمشق، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٩م، ص٨٢م.

للفرقة الأولى دبابات استعداداً لأعمال قتالية محتملة على الاتجاه اللبناني، وبعد مدة قصيرة عادت الجاهزية القتالية إلى حالتها العادية، وهذه الدورة من حالة الجاهزية القتالية أعطت الوقت الكافي لدراسة مسرح الأعمال القتالية، وكذلك التأمين القتالي للفرقة بجميع أنواعه، وبخاصة المادي منه، واستعداد القادة كافة لملاقاة العدو، وكان القادة يدرسون الخطة ومسرح الأعمال القتالية بروح عالية من المسؤولية تخزِّن في الذاكرة عدة فرضيات عند خوض الأعمال القتالية الحقيقية، وتضع الحلول الأنسب لها.

جاء شهر حزيران من العام /١٩٨٢م/، وفي بدايته نفذت الفرقة الأولى مشروع قيادة وأركان على اتجاه الجولان بإدارة **اللواء /ياسين شفيق مزيك/** رئيس شعبة العمليات، كما اشترك اللواء /٩١ د/ في تنفيذ المشروع وهو في الساحة اللبنانية، وفي أثناء تنظيم المعركة الدفاعية للواء /٥٨/ميكا على صندوق رمل **شارك العميد الركن /رزق الياس/** معاون مدير المشروع لشؤون الاستطلاع قائد اللواء في تنظيم وتأمين الاستطلاع للواء، وأوضح أنه يفضل الحالة التي يقود فيها قائد سرية الاستطلاع الدورية الأساسية (عناصر سطع اللواء العاملة على الاتجاه الرئيسي)، وهذا ما حصل في معركة السلطان يعقوب.

انتهى المشروع على الحد الأمامي على اتجاه الجولان في منطقة جبا – تل الكروم، وما لَبِثَت القيادات والأركانات أن وصلت إلى أماكن معسكراتها الدائمة، واستراحت استراحة مقاتل إلى أن تلقت الفرقة إشارة الجاهزية القتالية الكاملة /استعداد رقم١/، ويبدو أن قائد الفرقة كان بانتظار ذلك، وهذا ما اتضح من خلال زيارته لمعسكر سطع الفرقة ليلاً على السفوح الغربية لجبل المضيع، وسأل أكثر من مرة خلال زيارته الضابط المناوب في المعسكر: هل جاءك شيء من مقر قيادة الفرقة.

أمر قائد الفرقة بتعزيز الكتيبة /٢٤٢د/ بقيادة المقدم الركن /محرز

صافي قاهر/ في راشيا الوادي ودفع الكتيبة /٢٧٢/د/ بقيادة الرائد /نور الدين نقار/ إلى منطقة: كفر مشكي – مرج الزهور – جب فرح. والكتيبة /١٧٣/د/ نسق٢ اللواء/٩١ د/ بقيادة الرائد /منير عثمان جبور/ في منطقة: سهل البيرة – تل ندوى، أما اللواء /٧٦د/ بقيادة العقيد الركن /علي محمود حسن/ فقد تحرك من منطقة تعسكره ليحتل قطاعه الدفاعي في منطقة: مشغرة – عين التينة – القرعون، كما تحرك الفوج /١٤١مد/ بقيادة العميد الركن /علي قنطار/ واحتل مرابضه المقررة في البقاع الأوسط والغربي، وكذلك الفوج /١٠٦م/ط/ بقيادة العقيد الركن /محمد نصر تقلا/، وكان اللواء /٥٨ ميكا/ بقيادة العميد الركن /علي حبيب/ جاهزاً للتحرك من مكان معسكره الدائم.

يوم الإثنين ١٩٨٢/٦/٧م غادر قائد الفرقة مقر قيادة اللواء حوالي سعت /١١,٠٠/ صباحاً متوجهاً إلى مقر قيادة الفرقة، جمع قائد اللواء رؤساء الأقسام وقادة الكتائب والسرايا المستقلة قائلاً لهم: أيها الرفاق! إن تعليمات وتوجيهات قائد الفرقة تتضمن أن تخاطبوا مرؤوسيكم وترفعوا لهم الروح المعنوية، كما قال: "أطعموا المرؤوسين وجبة ساخنة، وعودوا إلى وحداتكم للقاء المقاتلين ورفع روحهم المعنوية"، وفور الوصول إلى أماكن تواجد وحدات اللواء /٥٨ميكا/ كان العتاد المزنجر على الحاملات، وطلب قائد اللواء ثانيةً رؤساء الأقسام وقادة الكتائب والسرايا المستقلة وأبلغهم: إن تعليمات القيادة تقتضي تحريك اللواء، وإنه لو لم تكن القيادة ترى ضرورة الوصول بجاهزية قتالية كاملة لما تم التحرك في وضح النهار.

انتظم اللواء بترتيب التحرك وتمت الأمور وكأن اللواء ينفذ مشروعه بالقوات، وكان للموقف الإعلامي واتضاح الموقف السياسي وموقف سورية من الحرب أثره على الشارع، فحركة **اللواء /٥٨ميكا/** كانت في وضح النهار وعلى محور: المعسكر الدائم – طريق درعا القديم – مفرق صحنايا – المزة – أوتوستراد – دمشق – بيروت – دير العشاير، وقد ترافق هذا التحرك بالتفاف الجماهير جانبي طريق أشرفية صحنايا – صحنايا – داريا،

وكعادة السوريين في حالتهم العاطفية وتفاعلهم مع الأحداث رفع المواطنون لافتات كتب عليها (الله معكم)، واللاّفت هنا أن أحد الأطفال كان قد كتب على جلبابه باللون الأسود (الله معكم.. الله ينصركم)...، وأخذ يلوّح بيده، وهذا ما زال منقوشاً في ذاكرة عسكريي هذا اللواء.

بات اللواء /٥٨ميكا/ في منطقة تحشده في دير العشاير ليلتين، وحضر إلى منطقة تحشده **اللواء /علي أصلان/**، وطلب من قائد اللواء تدقيق قراره، وأخبره بأنّ العدو يتقدّم باتجاه البقاع الغربي، وتتحرك الجرافات في مقدمة الأرتال، الأمر الذي يستنتج منه أن هدف العدو هو شق محاور للمناورة أو زج قوات إضافية عند اللزوم، وكان مقاتلو اللواء يشاهدون بأعينهم – وبخاصة ليلاً – كيف تنهال القذائف العنقودية بغزارة من الطائرات الإسرائيلية على المحاور في أثناء تقدم الدبابات الإسرائيلية لتأمين تقدمها، ومع ذلك كان قائد اللواء يؤكد لمرؤوسيه أن هذا لا يساوي شيئاً أمام قوات مدربة تثق بنفسها وبسلاحها، وتؤمن بالوطن وقائد الوطن، كما كان قائد اللواء يؤكد في كل اجتماع له مع الضباط أنه على ثقة بقدرة اللواء على القتال بكفاءة عالية ومواجهة القوات المعادية بكل رجولة واستبسال، وأنه في أية مواجهة سيرفع مقاتلو اللواء رأس شعبنا وقواتنا المسلحة عالياً.

ثالثاً - مهام متعددة لمقاتلين نوعيين :

إخراج القوات العربية السورية من لبنان كان أحد الأهداف الرئيسة للغزو الإسرائيلي الذي أخفق في ذلك، ومنع العدو من تحقيق هذا الهدف واجب مقدس تفخر قواتنا المسلحة الباسلة بالاضطلاع به بقيادة القائد الخالد حافظ الأسد الذي ما لانت له قناة قط في مواجهة الأعداء، ولم يذعن في يوم من الأيام لإملاءات الخارج، يقيناً منه أن أبناء الوطن قادرون على الصمود والدفاع المشترك مهما كانت همجية العدوان وقدراته العسكرية، وقد أثبت المقاتل العربي السوري أنه عند حسن الظن والثقة به، وأنه مقاتل نوعي

بكل ما تعنيه الكلمة، والمقاتل النوعي قادر على الاضطلاع بمهام نوعية، وهذا ما تجسد بوضوح في معركة السلطان يعقوب ففي صباح يوم الأربعاء /٩/٦/١٩٨٢م/، تم استلام أمر قائد الفرقة المتضمن أن يقوم اللواء /٥٨ميكا/ باحتلال قطاعه الدفاعي في الأراضي اللبنانية، وتمّ التنفيذ فوراً كما هو مخطط في قرار قائد اللواء المصادق عليه من قائد الفرقة، حيث تم احتلال النطاق الدفاعي في المنطقة: كامد اللوز – المرج – عنجر، وتوضع مرصد قائد اللواء في منطقة المصنع اللبناني جنوب شرق النقطة /٩٦٨/، في حين توضع مقر القيادة في وادي الحرير (النقطة /١١٦٢/) ومقر قيادة المؤخرة في الدوارات شمال المرتفع /١٤٥٠/.

ما لبث الموقف أن تغير، وحصلت تبدلات حادة في الموقف العسكري على الأرض، ووردت معلومات مؤكدة مفادها أن القوات الإسرائيلية تتقدم في منطقة الشوف باتجاه صوفر وباتجاه نبع الصفا بوتيرة عالية بغية الوصول إلى الطريق الدولية: دمشق – بيروت، مما اضطر القيادة إلى إسناد **مهمة جديدة للواء /٥٨ ميكا/** لاحتلال الدفاع باتجاه الغرب (المصنع – النبي زاعور – شتورة).

تم فتح مرصد سطع اللواء في بناية أنشئت حديثاً في بلدة المرج، كما عملت دورية استطلاع مستقلة للواء باتجاه شتورة – المريجات، وبدأت الأنباء تتوارد عن قصف مركّز وكثيف على مقر قيادة الفرقة في المحيطية (المحيدثة) جنوب الرفيد، مما اضطرّ قائد الفرقة إلى نقل مقرّ قيادته إلى مزرعة عزة[1].

بعد ظهر يوم الأربعاء أعطى قائد اللواء /٥٨ ميكا/ تعليماته إلى المقاتلين، وقد كان مقاتلو اللواء على يقين أنهم سيخوضون المعركة الحاسمة من دون تغطية جوية.

---

(١) العماد علي حبيب ، معركة السلطان يعقوب،مصدر سابق، ص٨٨.

صباح يوم الخميس /١٠/٦/١٩٨٢م/ استدعى قائد الفرقة الأولى العميد الركن /إبراهيم صافي/ قائد اللواء /٥٨ميكا/ فحضر بعربته /ب.م.ب١/ ومعه طاقم مرصد قائد اللواء (رئيس سطع. عمليات. مدفعية. إشارة)، واستلم المهمة القتالية الجديدة من قائد الفرقة.

في هذه الأثناء التقى قائد الكتيبة /٣٦٤ ميكا/ مع قائد سرية سطع اللواء في منطقة: كامد اللوز – غرب تلة عطفايا، وسأله عن الموقف قائلاً: لقد كلفني قائد الفرقة بمسك محور كامد اللوز – مزرعة عزة بسرية ميكا معززة، فما هي المعطيات الجديدة لديك؟ فردّ قائد سرية سطع اللواء لا جديد إلا القصف الجوي لجبل الباروك والمحاور، وبعد مضي بضع دقائق وصل قائد اللواء وأمر قائد الكتيبة /٣٦٤ ميكا/ بتنفيذ الأمر الذي تلقاه من قائد الفرقة، وكان الجديد في القرار السابق أن العدو سيتحرك على محور: راشيا الوادي – السلطان يعقوب كقوة رئيسة، وبقوة أخرى من وادي السكي باتجاه كامد اللوز والقوة اليمينية: مشغرة – الصعلوك ومشغرة – القرعون – جب جنين، وبناء على ذلك **كان قرار قائد اللواء ما يلي:**

– نقل الكتيبة /٣٦٠ميكا/ بقيادة العقيد الركن /فؤاد إبراهيم سنيح/ من قطيع دفاعها غرب مجدل عنجر إلى المنطقة: شرق البيرة – مسيل عين صفصاف – تل ندوى للإمساك بمحور: راشيا الوادي – المصنع، ومحور: خربة روحة – مفرق عين عرب – مدوخة،والتحرك على المحور: دكوة – السلطان يعقوب – مزرعة عزة – القطيع الدفاعي الجديد، وبناءً على طلب قائد اللواء /٩١/د/، وبقرار قائد الفرقة الأولى العميد الركن /إبراهيم صافي/ أرسلت السرية الأولى ميكا من هذه الكتيبة "بقيادة النقيب /شعيب سليمان/ إلى اللواء /٩١/د/ لتأمين الحماية والدفاع القريب عن الدبابات ليلاً، حيث ألحقت باللواء المذكور اعتباراً من مساء يوم الأربعاء /٩/٦/١٩٨٢م/.

– تتحرك الكتيبة /٣٦٢ ميكا/ بقيادة الرائد /محمد عزيز حسان/ من منطقة دفاعها غرب عنجر على المحور: عنجر – المصنع – السلطان يعقوب

لتحتل قطيعها الدفاعي في مزرعة: عزة – نقور عزة – عقوب الجدي – قرنة عارف، وكانت إحدى سرايا الميكا التابعة لهذه الكتيبة قد كلفت بقيادة النقيب /يوسف مباركة/ بتأمين الحماية والحراسة لكتائب الصواريخ في البقاع اللبناني منذ ربيع العام /١٩٨١ م/.

– **أسندت إلى الكتيبة /٣٦٤ميكا/ بقيادة الرائد /ثابت زريق غصن/** مهمة جديدة لاحتلال القطيع الدفاعي: جبل عطفايا – شرق كامد اللوز – السفوح الشرقية لمرتفع عريض الباط – غرب المرتفع /١٠٦٥/.

– **الكتيبة /٣٦٦مد/ بقيادة الرائد /محمود زيني/** تحتل مرابضها في منطقة الصويري.

– **عناصر سطع اللواء /٥٨/ميكا/** مراصد سطع – دورية استطلاع مستقلة ينتشرون وفق القرار الجديد على **النحو التالي:**

١– دورية استطلاع مستقلة في كامد اللوز.

٢– مرصد سطع /رقم١/ في مرتفعات: البيرة – عريض الباط – القسم الشرقي من جبل عربي شرق وادي السكي.

٣– مرصد سطع /رقم٢/ في تل عريض الهوى مع قائد سرية سطع ودورية سطع مستقلة رقم١ تعمل باتجاه: مدوخة – خربة روحة – كفر دينس بقيادة النقيب /مالك اليوسف/، ودورية سطع مستقلة /رقم٢/ احتياط سطع اللواء مع مقر القيادة.

– **الاحتياط المشترك بقوام السرية الرابعة** دبابات بقيادة الملازم الأول /عبد الحميد شريف/ يتوضع في المنطقة غرب الطريق العام /٢كم/ شمال شرق قرية السلطان يعقوب بالقرب من مقر القيادة جاهزاً لتنفيذ أية مهمة تسند له في حينه.

رابعاً - إدارة معركة السلطان يعقوب:

- **نُفِّذَ قرار قائد اللواء /٥٨/ميكا/** عملياً على الأرض بشكل متطابق مع الموقف القتالي الطارئ وتعليمات القتال المسندة من قائد الفرقة إلى قائد اللواء، وخلال الأعمال القتالية **تقدم العدو على المحاور التالية:**

١- عين التينة - مشغرة - الصعلوك.

٢- يحمر البقاع - سحمر - القرعون - جب جنين. جبلة الأراضي.

٣- مرج الزهور - وادي السكي - كامد اللوز، وتقدم جزء من القوات المتحركة على هذا المحور باتجاه: كامد اللوز - مزرعة عزة - السلطان يعقوب - بيدر العدس، والجزء الآخر غيَّر اتجاه تحركه وتابع تقدمه باتجاه بلدة غزة غرب السلطان يعقوب.

٤- وادي فقعة - راشيا الوادي - ضهر الأحمر - الرفيد - البيرة - بيادر العدس - السلطان يعقوب كاتجاه هجوم رئيسي، وجزء من هذه القوات تحرك باتجاه: كفر دنيس - خربة روحة - مدوخة.

٥- وادي فقعة - عيحا - كفر قوق اللبنانية – ينطا.

نقل قائد اللواء /٥٨/ميكا/ مرصده (م.ق.م) إلى المرتفع (متقوبة) الواقع بين جبل عطفايا والسلطان يعقوب الفوقا، مما وفر القيادة المباشرة لكتائب اللواء التي أصبحت جميعها تحت الأنظار بما فيها كتيبة المدفعية المتمركزة في الصويري ومقر قيادة اللواء الرئيسي المتمركز في منطقة منارة حمّارة والاحتياطات الموجودة معه.

احتلت الكتيبة /٣٦٤ ميكا/ ومعها السرية الثالثة دبابات قطيعها الدفاعي في المنطقة: جبل عطفايا شمال عين صفصاف - التخوم الشرقية لكامد اللوز، وأحكمت سيطرتها على محور: كامد اللوز - مزرعة عزة بمهمة صد وتدمير العدو المتقدم من اتجاه جب جنين - كامد اللوز، ومن

وادي السكي – كامد اللوز باتجاه كامد اللوز – الفالوج (مزرعة عزة) وتدمير العدو المخترق على محور: البيرة – الفالوج.

الكتيبة /٣٦٢ ميكا/ ناقص سرية ميكا ومعها السرية الثانية دبابات في قطيعها الدفاعي في المنطقة: بيادر العدس – عقوب الجدي ١كم غرب نقور عزة جاهزة لتدمير العدو المخترق والسيطرة على الاتجاه الرئيسي: محور الفالوج – بيادر العدس – السلطان يعقوب.

الكتيبة /٣٦٠ ميكا/ ومعها السرية الأولى دبابات تحركت على محور: مجدل عنجر – السلطان يعقوب – بيادر العدس لتحتل قطيعها الدفاعي في المنطقة /٥٠٠ متر/ شرق ضهرة عيّاش غرب مدوخة – ندوى والسيطرة على هذا الاتجاه، وعلى محور الرفيد: المرتفع /١٠٦٥/ ومحور: ضهر الأحمر – خربة روحة – مدوخة.

السرية الرابعة دبابات بقيت احتياط قائد اللواء، وتوضعت مع مقر قيادة اللواء في منطقة الصويري (شمال قرية المنارة)، وكان قائد اللواء قد خطط لها مهمّةً قتالية، وتنفيذاً لذلك أقام تجهيزاً تحصينياً (جيباً نارياً) قبيل الاشتباك مع العدو بساعات قليلة لتحتله حين اللزوم بعد أن تم تجهيزه كجيب ناري متكامل بغية تدمير العدو المتقدم وأسره في حال تمكن من متابعة التقدم والخرق.

خامساً - سير الأعمال القتالية (١):

عند تحرك اللواء /٥٨ ميكا/ صباح يوم الخميس /١٠/ ٦/١٩٨٢م/ لاحتلال القطاع الدفاعي المقرر تعرضت الكتيبة /٣٦٠ ميكا/ لغارات جوية في المنطقة الواقعة بين بيادر العدس وجبل ندوى بغية عرقلة تحركها

---

(١) راجع كتاب معركة السلطان يعقوب، تأليف العماد علي حبيب، مصدر سابق. ص٩٧-٩٨.

وتأخيرها ما أمكن، ومنعها من احتلال الدفاع، وتهيئة الظروف المواتية للقوات الإسرائيلية الغازية المتقدمة على محور: ضهر الأحمر – الرفيد – البيرة – بيادر العدس – السلطان يعقوب، فتابعت الكتيبة تقدمها على المحور المحدد، ووصلت إلى قطيعها الدفاعي في الوقت المحدد، وتابعت إجراءات التحضير للأعمال القتالية والاستعداد لملاقاة العدو في حينه.

تصدت وحدات التغطية (الدفاع الجوي العضوية) للطيران الإسرائيلي ومنعته من تحقيق أهدافه بدقة، وكان قد اشتبك مع الطيران الإسرائيلي في هذه الأثناء سرية /التشيلكا/ التي كانت تغطي الكتيبة بقيادة /**الرائد سليمان عبد الله** / الذي نفذ مهمته بجرأة وحزم وتصدى لطيران العدو ببسالة وبطولة إلى أن نال شرف الشهادة على السفوح الشمالية الغربية لقرنة عارف (منطقة بيادر العدس).

بحدود الساعة /١٣,٤٠/ من ذاك اليوم الذي بدأ صباحه ساخناً ليس في مناخه فقط وإنما في الموقف العسكري للفرقة الأولى بشكل عام واللواء/ ٥٨ميكا/ بشكل خاص، فشمس حزيران اشتدت حرارتها والدخان الأسود بدأ يغطي مسرح الأعمال القتالية من غرب مرتفعات الباروك وحتى جبل /الشيخ فرج/ لينتقل شرقاً حيث يصل /جورة عاجية/.

نهارٌ صعبٌ في الميدان وقاسٍ وحاسمٍ، فالعدو بدأ يقترب من الحدود السورية والمجنبة اليمينية للواء ٥٨ميكا أصبحت مكشوفة.

النسق الأول للفرقة اهتز بعد قتال عنيف وغير متكافئ بالعتاد والعدة، فاللواء /٩١/ دبابات بدأ باحتلال قطاع دفاعي على خط: الرابيات – ١كم جنوب ينطا – جبل الشجرة.

كتائب الصواريخ م/ط كفادرات التي تعرضت للقصف الجوي المعادي الكثيف بدأت تحتل مواقع جديدة وفق التوجيهات والأوامر الصادرة بما يتناسب مع الموقف المستجد.

ضعفت التغطية الجوية للفرقة الأولى، وبقي اللواء /٥٨/ميكا/ - الناقص سريتين - الوحيد تقريباً في مسرح الأعمال القتالية، تسانده كتيبة مدفعية من الفوج (١٤١/مد) لتقديم الدعم الناري.

الكتيبة /٣٦٤/ميكا/ احتياط قائد الفرقة بقيت في منطقة دكوة ضمن القطيع الدفاعي المخصص لها، وسرعان ما عادت لتلتحق باللواء /٥٨ ميكا/ بدلاً من بقائها احتياط قائد الفرقة.

- تعقد الموقف وأصبح محرجاً للغاية:

اللواء /٨٥ مش مل/ أصبح محاصراً في بيروت، **و اللواء /٦٢مشاة/** واللواء /٥١د/ في وضع معقد رغم ظهور بعض البطولات الفردية في الميدان.

في ذلك الوقت وصل إلى أرض الميدان توجيه من الرئيس القائد حافظ الأسد مضمونه: إن العالم بأجمعه يتابع قتال السوريين، وإنه ينتظر النتيجة، هذه الكلمات المنقوشة في أذهان وصدور عسكريي اللواء /٥٨ ميكا/ كان لها وقعها الخاص في نفوس مقاتلي هذا اللواء الذي كان متمسكاً بدفاعه بثبات وصمود وعناد ينتظر ساعة ملاقاة العدو.

بدأت قطعات ووحدات اللواء /٥٨/ميكا/ تتأهب لخوض الأعمال القتالية وتستعد لملاقاة العدو، وكان قائد الفرقة يولي الاهتمام الكبير بمعركة هذا التشكيل؛ لأنها معركة الحسم الصعبة، بل معركة الفصل، وربما الحرب بأكملها، وهذا ما حصل عملياً على الأرض.

الساعة /١٣,٠٠/ يوم الخميس الواقع في /١٠/ ١٩٨٢/٦م/. **تسللت حوامتان** من طراز /هيوز ٥٠٠/ (وقد ظن المقاتلون أنهما حوامتا /كازيل/، وذلك لزيادة التقارب والشبه بينهما، حيث كانتا مموهتين تماماً كالحوامة /كازيل/ ورسم عليهما العلم السوري، وبشكل دائري كما هو معتمد بالرسم الخاص على الحوامة كازيل، كما أن طاقم كل منهما مؤلف من شخصين

يرتديان اللباس الخاص بطياري الحوامة كازيل من حيث اللون)، تسللت هاتان الحوامتان من جهة العدو فوق مرتفعات المحيدثة باتجاه القوات الصديقة (فوق مدوخة) ثم اتجهتا غرباً باتجاه مرتفع عريض الباط، وقصفتا مربض رشاش م/ط رباعي من عيار /١٤,٥مم/ عائد لمنظمة التحرير الفلسطينية، لكن الحوامتين لم تتمكنا من إصابة الناقلة /ب م ب١/ سطع العائدة لسرية سطع اللواء /٥٨/ميكا/ والدبابة /تشيلكا/، وقد نفذت الحوامتان الرمي على القوات الصديقة رغم إعطاء إشارة التعارف، عندها تم التأكد أنهما حوامتان معاديتان وتم إعلام قائد اللواء بالموقف، وقد تبين أن هاتين الحوامتين استخدمتا لأغراض التسلل وضرب مربض الرشاش الذي تعذر إصابته بالطيران القتالي كونه يتمركز على تبدل انحدار، وقد كان العدو يرى في تدميره أمراً ضرورياً لضمان نجاح عملية إنزال إسرائيلية (وحدة م/د).

بعد ذلك تمكن العدو من إنزال /وحدة م/د/ على مرتفع عريض الباط شمال البيرة، حيث أطلق عدة صواريخ دمرت بعض الأهداف الصديقة في الكتيبة /٣٦٠ ميكا/ وسرية الدبابات العاملة معها، حيث أصابت دبابة قائد السرية أولاً ثم العربة المدرعة الخاصة بضابط إشارة الكتيبة /٣٦٠ميكا/ وكذلك ناقلة /ب م ب١+٢.د/. أعلم قائد اللواء بالموقف، وحُدِّد مكان الإنزال بدقة، حيث كانت منطقة الإنزال تبعد /١٥٠٠م/ شمال مئذنة قرية البيرة، ونفذت كتيبة المدفعية التأثير الناري عليها برشقة من نيرانها، وذلك لتعذر إصابتها بأسلحة الرمي المباشر.

بعد ذلك بقليل بدأت طلائع الأرتال المدرعة الإسرائيلية بالظهور،وأخذ بعضها بالتجمع شرق قرية الرفيد اللبنانية.

تم تحديد مواقع هذه الأرتال واتجاه تقدمها، ونفذ التأثير الناري عليها؛ مما أدى إلى توقف حركتها، لكنها سرعان ما نفذت عملية التجميع (إعادة التنظيم) على المحور (في المنطقة شرق المحيدثة مقابل مفرق قرية الرفيد)،

وبدأت المدفعية المعادية رماياتها الغزيرة تحت غطاء كثيف من الطيران القتالي ونشاط مستمر للطيران المسير.

في هذه الأثناء كانت السرية التي يقودها الملازم الأول /محمد حسن محمد السوقي/ من الكتيبة /٣٦٠ ميكا/ تدافع عن ذاك المحور، وقد تمكنت من إيقاف تقدم العدو الإسرائيلي ليلاً بعد أن أثرت - وبشكل فعال - على قواته نهاراً، وفي الساعة /٠٠,٣٠/ من ليل /١٠ - ١٩٨٢/٦/١١م/ دمرت هذه السرية خمس دبابات معادية من نوع باتون المعدلة، مما أجبر العدو على التوقف والتخفي على جانبي الطريق مقابل قرية الرفيد لإعادة تنظيم قواته من جديد، وهذا ما اعترف به العدو الإسرائيلي وأكده الكاتبان /زائيف شيف/ و/إيهود يعاري/، كما أكدت الأمر ذاته دورية الاستطلاع المستقلة العائدة للواء /٥٨ ميكا/ بقيادة النقيب /مالك اليوسف/ والتي كانت تعمل في منطقة: كفر دينس - خربة روحة.

كان الملازم الأول /محمد حسن محمد السوقي/ - كما وصفه قادته - بطلاً ثابت العزيمة، انتظر بكل شجاعة ورباطة جأش وصول أرتال الدبابات والمزنجرات المعادية إلى مدى تأثير الوسائط النارية لسريته، وعندها بدأ باصطياد الدبابات المعادية واحدة تلو الأخرى ملقناً العدو درساً لن ينساه، **وقد شارك في هذه المعركة الملازم الأول /سمير حكمت/ وهو** من الضباط المميزين والأبطال الميامين الذين ما فتئوا يحثون مرؤوسيهم على استعذاب الشهادة في سبيل الوطن إلى أن **نال شرف الشهادة**، كما كان **للملازم الأول /عيد عليا/** شرف المشاركة في هذه المعركة والتصدي للعدو الإسرائيلي ومنعه من الخرق من الجانب الأيسر للواء، فكان مثال الضابط الشجاع والمقاتل النوعي الذي تمكن بمهارته واستخدامه المميز للصاروخ /مالوتكا/ من تدمير خمس دبابات إسرائيلية وتدمير عدد من مزنجرات العدو بالاشتراك مع باقي مقاتلي وحدته وإجبار العدو الإسرائيلي المتقدم على التوقف على محور: خربة روحة - مدوخة.

مع اقتراب الليل بدأت دبابات العدو بالتقدم، وأصبح من واجب رجال الاستطلاع كشف العدو بدقة والإعلام عنه، وهنا ظهرت بوضوح نتائج التدريب المتواصل الذي كان ينفذه مقاتلو اللواء في أرض التدريب تنفيذاً للتوجيهات التي كانت تركز على أهمية الجاهزية القتالية وضرورة الاستثمار الكامل لإمكانيات السلاح وخصائصه الفنية والتعبوية، وأعطيت الأوامر لتحضير أجهزة الرؤية الليلية والاستعداد لخوض الأعمال القتالية ليلاً.

لم تكن المواجهة مقتصرة على القوى البرية بل شملت باقي صنوف الأسلحة، وعلى الرغم من التفوق الجوي المعادي فقد **قدم الطيارون السوريون بطولات خارقة** في تصديهم للطيران المعادي ومنعه من تحقيق أهدافه بعد أن أصبحت الأجواء مكشوفة جراء تدمير بطاريات الصواريخ المضادة للطيران.

حاولت القوات الإسرائيلية يوم الجمعة /١٩٨٢/٦/١١م/ تعزيز مواقعها الدفاعية والخطوط التي وصلت إليها، وخاضت قواتنا المسلحة معارك قاسية لمنعها من تحقيق ذلك، وتابعت التصدي للقوات الغازية التي كانت تتقدم ببطء على المحاور المذكورة سابقاً، والتأثير عليها بمختلف وسائط النيران مما أرغمها على التوقف والتقهقر، لكنها سرعان ما نفذت عملية إعادة التجميع والتنظيم لمتابعة الأعمال القتالية والزحف شمالاً لتحقيق الأهداف المخططة للحرب(١).

وصل قائد الفرقة ليلاً ومعه رئيس سطع الفرقة وقائد الفوج /١٤١مد/ إلى مقر قائد اللواء الكائن في مثقوبة الواقعة بين السلطان يعقوب ومرتفع عطفايا، وكان حديث قائد الفرقة لقائد اللواء /٥٨ ميكا/ يدل على مدى أهمية المعركة القادمة إذ **قال له:**

---

(١) العماد علي حبيب ، معركة السلطان يعقوب، مصدر سابق، ص١٠٣.

لم يبق غيركم، والجميع ينتظرون معركة هذا اللواء، عليكم حماية المجنبة اليمينية وإيقاف العدو، فأجابه قائد اللواء: "والله لن يمروا من هنا ونحن أحياء، والله سنقاتل حتى آخر طلقة وآخر رجل".

في هذه الأثناء أمر قائد الفوج /١٤١مد/ الكتيبة /١٠٤ مد.صا/ بقيادة الرائد /تركي عقلة الصالح/ بالتأثير الناري في العدو ومنعه من التقدم، فقامت السرية الأولى منها بقيادة النقيب /علي علوش/ بتنفيذ الرمي الغزير بقوام /٦/ قواذف /ب. م ٢١/، حيث أمطرت أرتال العدو المتقدم بوابل من النيران، وساهمت بشكلٍ فعال مع وحدات وقطعات اللواء /٥٨ميكا/ في إضعاف وتيرة تقدم العدو فتوقف هجومه، وبدأت فصائل الدبابات المعادية تتمركز على رؤوس التلال والهيئات الحاكمة لتنفيذ الاستطلاع الدقيق، وكشف جهاز النيران لوحدات وقطعات اللواء /٥٨ ميكا/.

تمّ الإعلام عن الدبابات الإسرائيلية بأنها دبابات /باتون إم ٦٠ – آ – ١/ حيث لم يكن متوفراً لإدارة الاستطلاع معلومات عن الدبابة /باتون إم٤٨آ – ٥/ والدبابة باتون /إم٦٠آ١/ هي الأقرب لها، وبعد دراسة الدبابات المستولى عليها المدمرة منها والجاهزة تبين أن العدو عدل الدبابة القديمة باتون /إم ٤٨آ٣/ ووضع لها برج الدبابة باتون /إم٦٠آ١/، وأطلق عليها اسم الدبابة باتون /إم ٤٨أ – ٥/، حيث ظهر هنا التصفيح الحديث والتدريع الفعال الذي جاء نتيجة لدراسة مسرح الأعمال القتالية بدقة كما ذكر سابقاً.[١]

بدءاً من الساعة ٠٠,٣٠ من ليل /١٠ – ٦/١١/ عاود العدو هجومه من جديد بقوام كتيبة دبابات تعمل كطليعة بمهمة الوصول إلى منطقة المصنع وقطع طريق دمشق – بيروت واحتلاله، وتقدمت القوات المعادية المهاجمة بقوام /١٥د/ "باتون إم ٤٨ آ" وناقلات جند /إم ١١٣/ على محور: الرفيد – السلطان يعقوب، وتمّ الاشتباك معها بمدافع الـــ ب م ب١ والصواريخ م/د

---

(١) انظر الملحق رقم (١)

مالوتكا، والقواذف أر بي جي، لكنها تمكنت من متابعة التقدم فاشتبكت ثانيةً مع النسق الثاني للواء في منطقة مزرعة عزة - بيادر العدس، وهنا تم تدمير معظمها ومنعها من متابعة التقدم.

عاود العدو هجومه حيث دفع كتيبة دبابات ثانية ليلاً حوالي سعت: /٠١,٣٠/ ليلة /١٠ - ٦/١١/ على محور: الرفيد - السلطان يعقوب - المصنع؛ بهدف خرق دفاع اللواء على امتداد الطريق العام (مزرعة - عزة - بيادر العدس - الحمارة - الصويري - المصنع)؛ بغية الوصول إلى عقدة المصنع واحتلالها وقطع طريق دمشق - بيروت قبل سريان موعد وقف إطلاق النار، وذلك تنفيذاً لأوامر قيادة القطاع الشرقي، وتابع العدو تقدمه حيث زج القوى الرئيسة للواء المعادي المتقدم على الاتجاهذاته، بعد أن فشلت كتيبة الطليعة ليلاً، ولما كان مثلث تفرع الطرق (بيادر العدس) منخفضاً وذا أهمية إستراتيجية فقد فضّل العدو احتلال رأس جسر في مكان مرتفع قليلاً إلى الشمال من تلة السلطان يعقوب لكنه لم يفلح في ذلك.

عاود العدو هجومه من جديد على دفعات مع استخدام القنابل المضيئة بشكل كثيف لكنه لم يفلح في تحقيق أي خرق أو نجاح على أرض الميدان، وفي الساعات الأولى من صباح يوم الجمعة /٦/١١/ بدأ العدو يكثف هجماته لكنه أخفق أيضاً في تحقيق أي نجاح، ومع بزوغ الفجر بلغت خسائر العدو /٢٧/ دبابة أخرى، إضافة للدبابات الـــ/١٥/ التي كان قد خسرها سابقاً على هذا المحور، وحوالي سعت /٥,٠٠/ من صباح يوم الجمعة/١٩٨٢/٦/١١م/ شوهدت بعض الدبابات المعادية تنسحب بسرعة خلفية وهي تحترق، وكان نصيبها أن تصاب أكثر من مرة بمدفع الدبابة /ت٦٢/، وبصواريخ المالوتكا.

تعرض مرصد قائد اللواء في مثقوبة صبيحة يوم الجمعة /٦/١١/ ١٩٨٢م/ إلى الرمي المباشر من قبل "ف. د" (٣ دبابة معادية) كانت متمركزة على مرتفعات: عريض الباط - شمال ضهرة عياش، وشوهدت تنفث دخاناً أخضر اللون من عوادمها، مما يدل على أنها ضمن قوام (ف سطع) لقوات

إضافية جديدة سوف تدخل المعركة، ويحتمل أن يكون ذلك للدلالة على الأهداف، والمساعدة في نجدة القوة الإسرائيلية التي أصبحت محاصرة بين قطعات ووحدات اللواء /٥٨ميكا/، أو لدلالة الطيران القتالي (الحوامات م/د) على أهدافها.

إن تواصل الأعمال القتالية قد مكن العدو من كشف جهاز نيران اللواء /٥٨ ميكا/ بدقة أكبر، وجراء ذلك بدأت النيران تنهال بغزارة على وحدات وقطعات الفرقة، وتركز معظمها على اللواء /٥٨ميكا/، وهنا بدا واضحاً أن العدو يركز جهده على هذا الاتجاه: محور راشيا الوادي – السلطان يعقوب – المصنع بوصفه هدفاً رئيساً للعدو الإسرائيلي، وببلوغ هذا الهدف يتحقق هدف الحرب بأكملها(١).

تابع العدو الإسرائيلي هجومه الضاغط لتحقيق هدفه بزج قوىً جديدة في المعركة لزيادة وتيرة هجومه وتحقيق هدف الحرب، حيث بدأ الوقت بالنفاد قبل دخول اتفاقية وقف إطلاق النار حيز التنفيذ، لكنه فوجئ بقتال عنيف ومقاومة شرسة.

في الساعات الأولى من صباح يوم /١١/٦/ استكملت قطعات ووحدات اللواء /٥٨/ ميكا تشكيل الجيب الناري، وأصبحت موجودة في الأمام والغرب كما نجحت بإدخال قوة إلى الشمال الشرقي، وعملت على غلق الجنوب الغربي محور جب جنين – كامد اللوز – الفالوج، وقد اعترف العدو بأن هذا الجيب الناري شكل مصيدة للدبابات الإسرائيلية، حتى أُطلِقَ على تلك المنطقة اسم «**سهل المصيدة**»، ويبدو أن قائد القوة العسكرية الإسرائيلية على هذا المحور قرأ الموقف جيداً، وعرف أنه يواجه تشكيلاً من نوع آخر رسم مقاتلوه خطاً أحمر يحظر على القوات الإسرائيلية تجاوزه أو الوصول إليه.

---

(١) لمزيد من الاطلاع يمكن العودة إلى ما اعترف به العدو الإسرائيلي في صحافته الرسمية التي تحدثت عن معركة السلطان يعقوب.

لقد قرر قائد اللواء المعادي دفع إحدى الكتائب المتبقية لديه أملاً في أن يتمكن عناصرها من إنقاذ الكتيبة الأمامية، وفجأة اشتعلت النار في العتاد المدمر من كلا الطرفين، فانسحب العدو الإسرائيلي إلى الوراء بعد القرية، وكان من الممكن رؤية النار المشتعلة في الدبابات الإسرائيلية واستمرت القوات الأمامية بالاشتباك مع رجال قواتنا الذين صمموا على الانتصار، وكتابة فصل جديد في تاريخ الصراع العربي – الصهيوني.

خلال مدة قصيرة جداً بدأت الكتيبة المعادية تتبعثر، وانتشرت الدبابات والمصفحات الإسرائيلية بين البيوت بمحاذاة التلال الصغيرة، وأصيبت إحدى الدبابات في المؤخرة و عند دخولها إلى المرج نزل قائدها وأعضاء طاقم الدبابة واختبؤوا تحت جنح الظلام، لم تكن هذه القوات في وضع صعب على مستوى الإصابات، لكن التعب أنهك عناصرها كثيراً و لم يغمضوا عيناً طيلة الليل، وسيطر على قيادة القوات الإسرائيلية الإحساس بوجود قوات سورية تحاول الوصول إليهم ليلاً (فصائل و سرايا من اللواء /٥٨/ ميكا)، وتهديد كامل القوة الإسرائيلية بالإبادة والتدمير أو الأسر، وقد تجسد هذا الإحساس فعلاً بتقرب مقاتلي فصائل وسرايا اللواء /٥٨/ ميكا بين أشجار الكرمة والشجيرات الحراجية إلى مسافات قريبة من العدو، وفتحوا النيران من كل اتجاه، الأمر الذي اضطر الجنرال /أفيغادور بنغال/ قائد القطاع الشرقي على اتخاذ القرار بإدخال الفرقة /٨٨٠/ في المعركة لتولي مسؤولية الخط المركزي ومن ثم معالجة وضع القوة التي توقفت في السلطان يعقوب، حيث هوجمت الكتيبة الثانية التي كانت تتحرك على محور الرفيد – السلطان يعقوب بالصواريخ، وتوقفت على مسافة /٥ كم/ من الكتيبة المحاصرة.

هذه النجاحات والانتصارات التي حققها مقاتلو اللواء /٥٨/ ميكا خلقت وضعاً جديداً، احتاج القادة الإسرائيليون الذين دخلوا المعركة حديثاً إلى وقتٍ لفهم حقيقة ما جرى ميدانياً.

دخلت القوة الجديدة التي تقدمت من الجنوب في معركة مع قطعات اللواء /٥٨/ ميكا قبل وصولها إلى المرتفع /١٠٦٥/ – تل ندوة، حيث اشتبكت مع النسق الأول للواء /٥٨/ ميكا الذي يدافع على اتجاه محور الرفيد – السلطان يعقوب، وكان عليها مواجهة قواتنا جنوب الخط المركزي دمشق – بيروت[١].

من المفيد هنا التذكير بأن اللواء /٥٨/ ميكا – وبعد تبدل مهمته – عمد إلى تجهيز خطوط رمي من الثبات قبل الاشتباك مع العدو بساعات قليلة، وهذا ما ترك آثاره في سير الأعمال القتالية، حيث تمكنت الدبابات والناقلات المدرعة /ب م ب/ المزودة بالمدافع والصواريخ من احتلال مساند الرمي المحضرة للاشتراك في الرمايات وتدمير العدو المتقدم، وهذا يفسر تمكّن مقاتلي اللواء /٥٨/ ميكا من إنزال أكبر الخسائر والإصابات في الدبابات المعادية المهاجمة،فقد اقتربت مجموعات من مشاة اللواء /٥٨/ ميكا حاملة القذائف الصاروخية لمسافة مئات الأمتار من الدبابات الإسرائيلية وتحرك عناصرها خفية بين الأشواك الطويلة والشجيرات الحراجية المنتشرة في تلك المنطقة، ومن هناك نفذوا الرمايات على الدبابات والمصفحات الإسرائيلية بقذائفهم الصاروخية، وأنزلوا فيها أفدح الخسائر على الرغم من تدريعها الفعال وتصفيحها الإضافي، فمقاتلونا الأبطال كانوا يتقنون إصابة المدرعات المعادية في نقاط ضعفها، مما ألزم طواقمها بالهروب منها، وهذا ما زاد من نسبة الإصابات في صفوف الجنود الإسرائيليين وزرع الخوف والهلع في قلوبهم.

لقد تم استثمار جميع القوى والوسائط واستخدام الأرض بالشكل الأمثل لتنفيذ المهمة بنجاح، والتفوق النوعي العسكري للقوات الإسرائيلية لم يكن قادراً على مصادرة إرادة القتال والصمود لدى مقاتلينا الميامين، بل كان

---

(١) العماد علي حبيب ، معركة السلطان يعقوب، مصدر سابق، ص١٠٨-١٠٩.

حافزاً للتفكير في كيفية تصحيح الخلل في موازين القوى عبر تفعيل القدرات الذاتية والإبداع في الدفاع والتصدي للقوات المهاجمة، فقبيل غروب شمس **يوم** الخميس /١٠ / ٦ / ١٩٨٢م/ استدعى قائد اللواء /٥٨ ميكا/ قائد الاحتياط المدرع /رئيس أركان الكتيبة /٣٧٠/ دبابات/ لتدقيق المهمة، وكان الاحتياط بقوام السرية الرابعة دبابات التي كلفت باحتلال الخط المحدد مسبقاً و المجهز هندسياً لتشكيل جيب ناري يمين و يسار الطريق العام المعروف بمحور السلطان يعقوب – المصنع، وبالتالي تمّ إكمال تشكيل جيب ناري مع وحدات الكتيبة /٣٦٢/ ميكا (النسق الثاني للواء /٥٨/ ميكا) وجزء من الكتيبة اليمينية /٣٦٤/ ميكا.

في الساعات الأولى من يوم الجمعة /٦/١١/ ١٩٨٢م/ قام العدو بتنفيذ تمهيد ناري كثيف بمختلف أنواع القذائف و خاصة الفوسفورية منها على مربض الكتيبة الصاروخية من الفوج /١٤١/ مدفعية المتوضع بالقرب من مفرق السلطان يعقوب.

صبيحة يوم الجمعة /١٩٨٢/٦/١١م/ أسندت المهمة للسرية الرابعة دبابات، حيث اختصر قائد اللواء /٥٨/ميكا إسناد المهمة إلى رئيس أركان اللواء **العميد الركن /حسن قاسم صالح/** بالقول: "**حرّك الاحتياط لاحتلال الخط المحدد**"، وتنفيذاً لذلك تم تكليف السرية الرابعة دبابات من اللواء /٥٨/ ميكا بقيادة **الملازم الأول /عبد الحميد شريف/** بمهمة صد قوة الدبابات المتقدمة باتجاه الفالوج – المنارة، فتقدمت بكل جرأة وحزم، ونفذت المهمة المسندة لها بنجاح، وتصدت للرتل المدرع المعادي المؤلف من /١٧/ مزنجرة على محور: الفالوج – بيادر العدس – السلطان يعقوب باتجاه المصنع، ودمرت عدداً كبيراً منه، وأوقفت هجومه على هذا المحور، حيث كان لاستخدام الأرض على الوجه الأمثل، وتنفيذ المناورة في الوقت المناسب لقطعات ووحدات اللواء /٥٨/ ميكا دور كبير في حرمان العدو الإسرائيلي من كشف تمركز قواتنا ومعرفة جهاز نيرانها، وإفقاده فاعلية التأثير الناري عليها.

لقد فوجئ العدو الإسرائيلي المتقدم على محور المصنع المذكور سابقاً باحتياط الدبابات المتوضع على الخط المحدد مسبقاً، والمجهز هندسياً، ووجدت القوات المهاجمة نفسها في جيب ناري محكم بين احتياط الدبابات من جهة و جهاز نار الكتيبة /٣٦٢/ ميكا النسق الثاني للواء من جهة ثانية.

فوجئ جزء من قوة الدبابات - قرابة سرية دبابات من الكتيبة التي تقدمت من اتجاه كامد اللوز باتجاه الفالوج - بأنه في مرمى نيران القوات السورية (وحدات وقطعات اللواء /٥٨/ ميكا) من اليمين والأمام جهة الشرق والشمال، فبعد أن اتجهت تلك الدبابات جنوباً باتجاه الفالوج - المرتفع /١٠٦٥/ - الرفيد فتحت عليها النيران من الكتيبة /٣٦٠/ ميكا ودمرت جميعها، وكانت مؤلفة من ثماني دبابات، وقد شوهدت إحدى الدبابات تنسحب بسرعة خلفية وهي تحترق إلى أن أصيبت ثانية بصاروخ مالوتكا من الكتيبة /٣٦٠/ ميكا النسق الأول للواء من السفوح الجنوبية الغربية لتل ندوى.

إن وقوع العدو الإسرائيلي في هذا الجيب الناري و تعرضه لمختلف وسائط التأثير - وبخاصة الرمايات المباشرة من الدبابات، وصواريخ المالوتكا المركبة على الناقلات /ب م ب١/ذ - أجبَرَهُ على ترك دباباته الثماني من نوع (باتون أم ٤٨ أ -٥) جاهزة في أرض المعركة وفرّ جنودها هاربين، وبقيت محركات بعض دباباتهم تعمل حتى فرغت من الوقود، وقد أحضرت جميع هذه الدبابات إلى دمشق، كما خلّف العدو المنسحب وراءه الدبابات المصابة (المدمرة والمعطلة) والكثير من جنوده القتلى، وقد أكد عدد من الكتاب الغربيين موضحين أن مقاتلي اللواء /٥٨/ ميكا تمكنوا بفضل الاستخدام المبدع للأرض والتدريب النوعي والاستخدام الأمثل للسلاح من تدمير كتيبة دبابات إسرائيلية لم ينج منها إلا اليسير.

بحدود الساعة العاشرة صباحاً كان قائد السرية الرابعة دبابات الملازم الأول /**عبد الحميد شريف**/ **قد نال شرف الشهادة** مع عدد من رفاقه منهم **الملازم/بديع سمرة/ جراء** إصابة دبابة قائد السرية الرابعة إصابة مباشرة بقذيفة

من قذائف الطيران القتالي من الوزن الثقيل، حيث كان العدو الإسرائيلي قد حقق سيطرة جوية كاملة، وبدأ تنفيذ أعماله بحرية شبه تامة، وكان قد سبق شهداء هذه المعركة الملازم /فاضل **عبده حنحون**/ قائد دورية الاستطلاع المستقلة (احتياط سطع) من اللواء /٥٨/ ميكا مع عدد من رفاقه في أثناء تنفيذ مهمة قتالية، فأدى واجبه بكل جرأة وحزم، واستشهد في سبيل تأدية هذا الواجب المقدس، حيث تحرك ليلاً كقائد دورية سطع أمام السرية الرابعة دبابات حتى اصطدم بالعدو بكل جرأة وشجاعة وقاتل إلى أن نال شرف الشهادة.

والجدير بالذكر هنا أن العدو قد درس – ولمدة عام كامل – نوعية الدبابة التي يجب أن تخوض هذا النوع من الأعمال القتالية على مثل هذا الاتجاه من مسرح الأعمال القتالية (هضاب ومرتفعات وغابات ومناطق آهلة بالسكان)، كما درس سلاح الخصم (القوات الصديقة)، وضرورة تفادي خطر القاذف م/د آ ر ب جي٧، وهو سلاح م/د الأساسي لدى الوحدات الصغرى، ولتلافي ذلك اعتمدت فكرة التدريع الفعال "التصفيح الإضافي" للدبابات وناقلات الجند الإسرائيلية.

كما تم تكليف وحدات من اللواء /٥٨/ ميكا بتأمين الحماية الكافية لمفارز إخلاء الجيش، ومنذ صباح يوم الجمعة/ ٦/١١ / استطاعت الكتيبة /٣٦٠/ ميكا إيقاف هجوم العدو ثلاث مرات وفي المحاولة الرابعة – وبعد استشهاد **الملازم الأول /سمير حكمت**/ وجرح **الملازم الأول /محمد حسن محمد السوقي**/ قائد السرية اليمينية – نفذ العدو إعماء كاملاً وسداً نارياً واسعاً بمختلف وسائط التأثير وبخاصة المدفعية والهاونات، وكانت وحدة هاون الكتيبة (كتائب العدو) من عيار /١٠٦,٧مم/ تنفذ الرمي بقذائف فوسفورية ودخانية على تل ندوى باستمرار.

لقد كان التعاون والتنسيق مميزاً بين قطعات ووحدات اللواء /٥٨/ ميكا في أرض المعركة، فعلى سبيل المثال عندما أصيبت عربة الاستطلاع

/ب.م.ب١/ تعطل جهاز الرمي الخاص بصواريخ المالوتكا، فتم نقل الصواريخ إلى عربة قائد فصيلة ميكا من الكتيبة /٣٦٠/ ميكا **الملازم الأول /عيد عليا/**، وذلك لمتابعة الصمود والتصدي وتدمير العدو المتقدم، وقد شاركت الكتيبة /٣٦٢/ ميكا المدافعة في النسق الثاني للواء كتائب النسق الأول في تدمير الدبابات المعادية المخترقة في مزرعة عزة...، كما أن الكتيبة /٣٦٤/ ميكا المدافعة في النسق الأول للواء وعلى اليمين شاركت أيضاً بالرمي على أرتال العدو المتقدمة من جب جنين ووادي السكي، باتجاه كامد اللوز – الفالوج، وباتجاه كامد اللوز – عطفايا، وفي تدمير العدو المخترق في منطقة «القتل» في سهل الفالوج – مراح القطاط – مزرعة عزة.

وقد تحدث عن هذه المعركة الرقيب الإسرائيلي /يغرام/ الذي فرّ من المعركة، وقال في معرض حديثه لأحد زملائه: «لو رأيت كيف حاربنا السوريون... لقد تمركزوا في بساتين البقاع ثم فتحوا فجأة علينا نيران أسلحة الـــ م/ د من مسافات قصيرة.... لقد فقدنا دباباتنا والعشرات من القتلى والجرحى»[(١)].

قبيل وقف إطلاق النار بمدة قصيرة اتخذ القرار بدخول الفرقة الثالثة دبابات مسرح الأعمال القتالية بقيادة **العميد الركن شفيق فياض**، وتم زج اللواء /٨١. د/ بقيادة **العميد الركن /توفيق جلول/**، حيث دفعت إحدى كتائبه للعمل كمقدمة للواء بقيادة المقدم الركن /علي أسعد/ على محور: المصنع – شتورا – قب الياس، باتجاه الصعلوك، وتقدمتها سرية رهط حراسة أمامي من الكتيبة ذاتها بقيادة الملازم الأول /لؤي معلا/.

تم زج اللواء /٨١. د/ لإغلاق الثغرة الحاصلة باتجاه الصعلوك – قب

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس ومجموعة من الباحثين ، الغزو الإسرائيلي للبنان، د.ت، ص٢١٨.

الياس ومنع القوات الإسرائيلية المتحركة على اتجاه محور البقاع الغربي: القرعون – شتورة من الوصول إلى الطريق الدولية: شتورة – المصنع.

بعد دخول القوى الرئيسة للواء /٨١. د/ الأراضي اللبنانية قام الطيران المعادي بقصف مؤخرة اللواء في وادي الحرير شرق منطقة المصنع اللبناني، مما أدى إلى قطع محور المصنع – جديدة يابوس عدة ساعات.

انتقل اللواء /٨١. د/ للدفاع عن القطاع /٢/كم شمال تلة الصعلوك – شرق شبرقية عميق – شمال غزة – المرج، وكان الحد الفاصل بينه وبين القوات الإسرائيلية من الأمام مجرى نهر الريّاشي ومن اليسار مجرى نهر الليطاني.

أما اللواء /٤٧. د/ فقد كان يقاتل أمام اللواء /٨١. د/ في المنطقة نفسها على اتجاه قب الياس – تلة الصعلوك – كفريا، وعلى اتجاه شبرقية عميق – خيارة... وقد تسلم اللواء /٤٧. د/ مهمة الدفاع عن المنطقة ذاتها بعد تكليف اللواء /٨١. د/ بمهمة جديدة.

بين سعت /١٢,٠٠/ وسعت /١٢,٣٠/ من يوم الجمعة (١١/٦/ ١٩٨٢) دخلت اتفاقية وقف إطلاق النار حيز التنفيذ، وفي **يوم السبت (١٢/٦/١٩٨٢)** حضر **العماد مصطفى طلاس** إلى منطقة السلطان يعقوب ومعه بعض ضباط القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة ومنهم: **اللواء /حسن علي توركماني/** مدير الإدارة السياسية، واللواء **/علي مصطفى علي/** مدير إدارة الإشارة، **والعميد الركن /إبراهيم صافي/** قائد الفرقة الأولى المدرعة، **والعميد الركن /شفيق فياض/** قائد الفرقة الثالثة المدرعة، واطلعوا على نتائج سير الأعمال القتالية ميدانياً، وصعد وزير الدفاع على إحدى الدبابات الإسرائيلية المستولى عليها، وقد طلب **اللواء /حسن توركماني/** من السيد العماد وزير الدفاع السماح **للإدارة السياسية** باستدعاء بعض وسائل الإعلام الغربي لتصوير الدبابات المستولى عليها وهي في جاهزية قتالية

كاملة، وتعميم ذلك في وسائل الإعلام العربية والأجنبية بهدف دحض الدعاية الإسرائيلية التي تتبجح بأن الجندي الإسرائيلي لا يترك عتاده في أرض المعركة، والتأكيد بالدلائل القاطعة أن الجندي الإسرائيلي جبان يترك سلاحه ويفر من أرض المعركة هارباً إذا شعر بأي خطر يهدد حياته، كما أن عَرْضَ ذلك يرفع من الروح المعنوية للمقاتل السوري.

هذه الحقائق اعترف بها العدو الإسرائيلي لاحقاً بمرارة، ففي حديث لقائد اللواء المدرع الإسرائيلي الذي واجهت قطعاته ووحداته اللواء /٥٨/ ميكا في منطقة السلطان يعقوب **قال:** إن قائد دورية السطع الذي أرسله باتجاه السلطان يعقوب كان قد أبلغه أن الطريق حرة، ولولا ذلك لم يدفع بدباباته تلك على ذاك الاتجاه، وكانت النتيجة أن قائد سرية الدبابات شعر أنه وقع في كمين معادٍ "جهاز نار اللواء /٥٨/ ميكا"، ولهذا تركت طواقم الدبابات الثّماني عتادها وهربت راجلة.

يبدو أن الدبابات الإسرائيلية التي دمرت ليلاً لم تُحصَ بدقة، فقد كان عدد المدرعات الإسرائيلية المدمرة – دبابات وناقلات جند باعتراف القادة الإسرائيليين – أكثر مما تمّ الإعلان عنه في أثناء سير الأعمال القتالية، ويؤكد معظم المراقبين لهذه الحرب أن الكتيبة التي عملت طليعة للواء المدرع الإسرائيلي والتي وقعت في الجيب الناري للواء /٥٨/ ميكا وكانت بكامل قوامها وتعزيزاتها قد دمرت بغالبيتها، ولم ينج من هذه الكتيبة المعادية سوى عشر مزنجرات فقط[١] بحسب كلام الإسرائيليين، واستناداً إلى ذلك يمكن حساب خسائر العدو على النحو التالي:

كل كتيبة دبابات إسرائيلية – في ذلك الوقت – تضم في قوامها /٣٦/ دبابة قتال و/٣١/ عربة إم /١١٣/ إضافة إلى أربع عربات مزنجرة تحمل الهاون /١٠٦,٧/ مم، وبذلك يكون مجموع المزنجرات في الكتيبة هو /٧١/

---

(١) حرب الظلال، الفصل التاسع، الحرب مع السوريين، ص١٩٦.

مزنجرة (دبابة و ناقلة جند)[1]، أي أن عدد المزنجرات المدمرة والمعطوبة يبلغ /٦١/ مزنجرة.

بفضل الأعمال البطولية لمقاتلي اللواء/ ٥٨/ ميكا اندحر العدو الإسرائيلي جنوباً لمسافة تزيد عن /٦/ كم (وهي مسافة الخرق الذي كان العدو قد أحدثه ضمن القطاع الدفاعي للواء /٥٨/ميكا)، مخلفاً عدداً كبيراً من عتاده المزنجر الجاهز والمدمر الذي تم إخلاؤه من أرض المعركة من قبل مفارز إخلاء الجيش، وبعضه أصبح في حقول الرمي والتدريب العائدة للفرقة الأولى وغيرها من تشكيلات قواتنا المسلحة الباسلة، هذا عدا الدبابات والناقلات التي تمكن العدو من إخلائها....

تكبدت القوات الإسرائيلية خسائر فادحة جرّاء المعارك، مما أدى إلى توقفها نهائياً عن متابعة التقدم شمالاً، واضطرها للموافقة على وقف إطلاق النار.

وافقت القيادة السورية على اقتراح تقدم به المبعوث الأمريكي /فيليب حبيب/ لإيقاف النار بين الجانبين اعتباراً من الساعة /١٢,٠٠/ من يوم الجمعة (١١/٦/١٩٨٢م) على أساس انسحاب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضي اللبنانية التي احتلتها في عدوان /٦/ حزيران /١٩٨٢م/.

لقد تركت معركة السلطان يعقوب آثارها البالغة على العدو الصهيوني إلى درجة عرفت فيها في الأوساط الإسرائيلية بـــ **/حرب المأساة/**، كما عرفت منطقة السلطان يعقوب محور: بيادر العدس – السلطان يعقوب – المصنع بـــ **/عقدة شارون/**.

---

(١) انظر الملحق رقم (٢٠) بعنوان: الكمين السوري لكتيبة دبابات إسرائيلية في السلطان يعقوب ليلة ١٠ – ١١ / ١٩٨٢/٦م في كتاب /مسيرة تحرير الجولان/ للعميد الركن المتقاعد الدكتور /رزق الياس/.

سادساً - خرق وقف إطلاق النار:

عند وقف إطلاق النار احتلت الفرقة الأولى نطاقها الدفاعي الذي يمر حدُّه الأمامي من خط: كامد اللوز – مرتفعات شميس الحمى – الكهيا كاد – ينطا – حتى جورة عاجية، وكانت **مهمة اللواء /٥٨/ميكا** تتضمن: الانتقال للدفاع عن قطاع: عقوب الجدي – المرملة – "الكهيا كاد" – وقفي موقف العرب، وتحصينه في مواجهة العدو الإسرائيلي الذي كان مشغولاً في أعمال التجهيز التحصيني، وكان من الواضح أن تجهيزات العدو المقابل وتحصيناته وتأميناته وبخاصة اللوجستية منها هي الأفضل بكثير بسبب الإمكانيات المادية والعتاد الهندسي الأفضل. وكان العدو يعمل لإقامة نقطة استناد على كل هضبة محتلة، ويخصص بلدوزرات من /٣ – ٤/ لتنفيذ ذلك.

كان العميد الركن /إبراهيم صافي/ قائد الفرقة الأولى المدرعة يحضر بشكل مستمر مع **العميد الركن /علي حبيب/** قائد اللواء /٥٨/ ميكا إلى الحد الأمامي للوقوف على معنويات المقاتلين واستعداداتهم والتأكد من جاهزيتهم، وكانا يترددان إلى مرصد قائد سرية سطع اللواء على الحد الأمامي النقيب /مالك اليوسف/ في مرتفعات شميس الحمي (منطقة الراقم /١٢٩٣/)، وكثيراً ما كان يصافح العسكريين، ويتبادل معهم الحديث ويستمع إلى آرائهم، ويقول لقائد اللواء ورئيس سطع الفرقة «ليك ها لعساكر بتنباس للباسها الجيد، ونظافتها الشخصية وهي على الحد الأمامي تستعد لخوض الأعمال القتالية»، كما زار **السيد العماد وزير الدفاع** يرافقه قائد الفرقة بعض النقاط على الحد الأمامي خلال شهر واحد مرتين، وفي إحدى زيارات وزير الدفاع وقائد الفرقة لمرصد قائد سرية سطع اللواء /٥٨/ ميكا على الحد الأمامي – للوقوف على الحالة المعنوية للمقاتلين – شاهدا الاستعداد لتنفيذ إغارة على العدو في (عقوب الوردة) المقابلة في حال إقدامه على أي خرق لوقف إطلاق

النار. وقد كان الأمر واضحاً ويتضمن التبرع بشكل ذاتي للاشتراك بالإغارة، وتبين أن عدد من سجلوا أسماءهم للاشتراك في تنفيذ الإغارة كبير وأكثر من المطلوب، ولذا تم اختيار بعض الأسماء. أحد العسكريين من سرية سطع اللواء /٥٨/ ميكا جلس قرب شجرة حراجية قصيرة وعيونه تدمع، ولدى سؤاله عن سبب ذلك أجاب: لماذا استبعدت أنا من الاشتراك بتنفيذ الإغارة، وأنتم طلبتم نخبة الرجال، ألست رجلاً؟ وقد تم إفهامه أن الاختيار لم يقع عليه لأنه متزوج وعنده أولاد وليس لأي سبب آخر[١].

بعد يومين من زيارة وزير الدفاع قام رئيس مجلس الشعب آنذاك بزيارة إلى الحد الأمامي ووقف لمدة تقدر بـــ /٤٠/ دقيقة ومعه قائد الفرقة، كما زار المقاتلين في أرض الميدان عضو القيادة القطرية الرفيق /عز الدين ناصر/ مع وفد عمالي من دول عربية وأجنبية وقام قائد الفرقة بسرد قصة الحرب لهم، وفي هذه الأثناء حضر الرائد /منذر يوسف/ قائد إحدى كتائب اللواء /٥٨/ ميكا، وقامت الصحفية /ندى شحود/ والصحفي /حسين الحموي/ بإجراء مقابلة معه ومع شقيقه قائد سرية سطع اللواء، وكان من ضمن الأسئلة الموجهة إلى قائد السرية: ما هو شعورك وأنت وشقيقك في معركة واحدة... والآن أنتما على الحد الأمامي وعلى مسافة خطوات من العدو؟ وكان الجواب: جميع عسكريي هذا التشكيل أخوةٌ لنا بل أشقاؤنا. وواقع الأمر هكذا كانت القناعة لدى مقاتلي هذا اللواء، وكان هذا الأمر في أول سلّم اهتمامات قيادة اللواء، حيث كان يتم التأكيد المستمر على أهمية تحقيق الانسجام النفسي بين المقاتلين وسيادة الروح الرفاقية بينهم؛ لأن ذلك شرط أساسي لتحقيق النصر في أية مواجهة مع العدو.

استمر وقف إطلاق النار ساري المفعول حتى يوم الخميس (١٩٨٢/٧/٢٢م) الذي كان يصادف ثاني أيام عيد الفطر السعيد، وكان العدو

---

(١) العماد علي حبيب ، معركة السلطان يعقوب، مصدر سابق، ص١٢٠.

في تلك الفترة وبشكل يومي يقوم بتدقيق موقف قواتنا بواسطة مختلف وسائط السطع، وكانت قواتنا المسلحة تدرك ذلك وتستعد له، حيث تبقى الوحدات المناوبة – وبخاصةً المدفعية – تقوم بالاستعدادات التدريبية والبقاء في جاهزية قتالية كاملة لتنفيذ أية أعمال قتالية يفرضها الموقف بأسرع وقت ممكن.

اعتباراً من الساعة /١٦,٣٠/من يوم الخميس **(١٩٨٢/٧/٢٢م)** بدأ العدو – وبشكل مفاجئ – بخرق وقف إطلاق النار مستخدماً الطيران القتالي ورمايات المدفعية، وبخاصة العنقودية منها، وأسلحة الرمي المباشر (الدبابات والـــ م/د) على كامل الجبهة من تلة الصعلوك غرباً وحتى رخلة في اليسار مما أوقع بعض الخسائر في صفوف قواتنا، وكانت بداية أعماله القتالية قصف مراصد الحد الأمامي، حيث انهالت القذائف على مرصد قائد سرية سطع اللواء وأصابت إحداها نظارة الرصد، وكانت المسافة الفاصلة بين مدفع الدبابة الإسرائيلية ومنظار قا.س سطع اللواء /٧٣٥/م (إذ إن المسافة مَقِيْسَةٌ بدقة بقائس المسافات الليزري الخاص بسلاح المدفعية).

لم يكن خرق وقف أطلاق النار نزهة للقوات الإسرائيلية، إذ جاء الرد سريعاً وقاسياً ومؤلماً، فالاستعداد كان على أتمه انطلاقاً من المعرفة الدقيقة بنوايا العدو، وقد أتاح وجود قائد اللواء في مقر الرصد آنذاك سرعة الرد على العدو في غضون دقائق معدودة، وهكذا استؤنفت الأعمال القتالية عصر يوم الخميس، وبدأت مدفعية اللواء مباشرة بالرد على مصادر النيران المعادية، وتابعت القيادة العسكرية تطور الأعمال القتالية لحظة بلحظة، وكان رد القائد **حافظ الأسد** على العدو الإسرائيلي واضحاً وحاسماً، حيث أعلن عبر الإذاعة والتلفزيون أنه: "**في حال كرر العدو الإسرائيلي ذلك فسيكون الرد قاسياً ومؤلماً وبأسلحة يعلمها وأخرى لا يعلمها**".

سابعاً - معركة السلطان يعقوب في الصحافة الأجنبية:

لم تكن معركة السلطان يعقوب كغيرها من المعارك التي اشتبكت فيها القوات الإسرائيلية مع المقاتلين السوريين المصممين على التمسك بعناد ورجولة بالأرض والدفاع عنها حتى آخر قطرة دم بغض النظر عن الفرق الهائل في وسائط الصراع المستخدمة، فالتفوق الجوي الذي تمتعت به القوات الإسرائيلية طيلة أيام الحرب لم يُجدِ نفعاً، وتم تحييده كلياً جراء التداخل بين القوات، وهذا ما كان يتم التركيز عليه مراراً مع التأكيد على أن الطريقة المثلى لتفادي تأثير الطيران المعادي هي الاشتباك مع قواته، وهذا ما حدث.

إن تضحية قواتنا وبسالتها برهنت على أن هذه القوات آمنت بشرعية أعمالها، وحولت هذا الإيمان إلى واقع ملموس في ميدان المعركة دفاعاً عن القطر اللبناني الشقيق، حيث دارت فوق أرضه وفي سمائه أشد المعارك البرية والجوية وأقساها من حيث حجوم الأسلحة التي استخدمت فيها وأنواعها.

لقد شدت موقعة البقاع الانتباه المحلي والغربي والدولي بشكل كبير، وبالرغم من نشوب حروب عديدة واحتدام عشرات الأزمات والأحداث الدولية، حيث خاضت القوات السورية القتال وحدها ضد قوات ضخمة حشدتها "إسرائيل" براً وجواً، واستطاعت قواتنا الباسلة منع العدو من تحقيق أهدافه النهائية، وذلك بفضل المقاومة الصلبة التي أبدتها في البقاع بشكل عام وفي السلطان يعقوب بشكل خاص.

لم تقتصر تداعيات معركة السلطان يعقوب على الخسائر الميدانية التي أنزلها مقاتلونا الأبطال في صفوف قواته المهاجمة بالأرواح والعتاد، وما أسفر ذلك عنه من فرار مذل من أرض المعركة وترك العتاد جاهزاً للاستخدام بما فيه الدبابات التي تم تعديلها / إم ٤٨آ – ٥/ المحدثة، بل إن الآثار المعنوية والنفسية التي خلفتها معركة السلطان يعقوب في صفوف

المدنيين والعسكريين والسياسيين والإعلاميين الإسرائيليين على حد سواء كانت كبيرةً، وهذا ما ظهر واضحاً في الكتب والمقالات والدراسات التي نشرت بعد الحرب عن معركة السلطان يعقوب التي غدت كابوساً يؤرق الجميع.

لقد تحدث عدد من القادة والمراسلين عن معارك البقاع و وصفوها بالضراوة الشديدة والعنف غير المسبوق، وأكدوا أن القوات السورية استطاعت الصمود في وجه الغزو والتصدي للقوات الإسرائيلية المعتدية بكل جرأة وبسالة، وهذا ما جاء على لسان اللواء /أمير دروري/ قائد المنطقة الشمالية حيث قال:

«**يجب عدم الاستهانة بالسوريين... فالجنود السوريون قاتلوا بشكل جيد وهم مسلحون بأفضل أنواع الأسلحة**»، كما أن العديد من المصادر الأجنبية ذكرت أن القوات السورية منعت القوات الإسرائيلية من تحقيق كامل أهدافها في الوصول إلى بعض مناطق البقاع الشمالي، **وقد نشرت مجلة التايمز مقالاً جاء فيه**(١):

«**إن الروح المعنوية القتالية العالية للقوات السورية التي تصدت للغزو الإسرائيلي في البقاع كانت موضع الإعجاب**»، واعترف /شارون/ في مؤتمره الصحفي يوم الجمعة بتاريخ (١٩٨٢/٦/١١م) بذلك حيث قال:

«**إن الجيش السوري منذ اليوم الأول للقتال قد تصدى بنيران المدفعية لوحداتنا المتقدمة وزج بطائراته ضد طائراتنا وذلك ما عرقل تقدمنا**»، وكذلك الجنرال/روفائيل إيتان/ رئيس الأركان الإسرائيلي آنذاك اعترف لصحيفة هاآرتس بتاريخ (١٩٨٢/٧/٢٩م) بكفاءة المقاتل السوري وعناده فقال: «**إن تصلب وعناد السوريين أمران معروفان دوماً وأبداً**»، ونشرت جريدة النجم الأحمر السوفييتية في عددها الصادر بتاريخ (١٩٨٢/٧/٢٩م)

---

(١) الغزو الإسرائيلي للبنان، العماد مصطفى طلاس،مصدر سابق، ص ٢٠١.

مقالاً مطولاً أشادت فيه بمهارة القوات السورية في البقاع، وبخاصةٍ معركة السلطان يعقوب، ومما جاء في ذلك العدد: إن القوات السورية أظهرتْ مهارة عالية في استخدام الأسلحة والمعدات الحربية التي تمتلكها، **وتصدت بنجاح لهجمات القوات المعتدية وكبدتها خسائر كبيرة** بلغت أكثر من /١٢٠/ دبابة وناقلة مدرعة، وقد أكد هذه الحقائق اللواء /باركو خفا/ قائد سلاح الدبابات الإسرائيلي عندما قال: إن الحرب في البقاع جرت في جبهة واحدة، وخلاصة ما أراه هنا هو أنني أوافق الجهات التي تقول إن القوات السورية لم تصب بزعزعة أو ضربة قاصمة، وإن ثقتها بنفسها ما تزال قائمة وقوية.

ومما جاء في جريدة النجم الأحمر السوفييتية في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٢/٩/١م ما يلي:

«صرحت المصادر الإسرائيلية بالنصر.. ولكن النتائج كانت مغايرة كلياً.. لقد صمد السوريون ببسالة فائقة أمام هجمات القوات الإسرائيلية، وإذا حقق الإسرائيليون بعض النجاحات فذلك كان عبر خسائر كبيرة،حتى إن الإسرائيليين أرغموا في أكثر من موقع على التراجع والهرب تاركين وراءَهم أسلحتَهم وعتادَهم».

وقد أكد عدد من القادة الإسرائيليين في مقابلات أجرتها معهم بعض الصحف الإسرائيلية أن القتال في البقاع كان ضارياً للغاية، وأنها أشد وأعنف من معارك تشرين الأول عام /١٩٧٣م/.

وقالت مجلة (لونفيل أوبسر فاتور) التي صدرت بتاريخ (١٥/١٠/ ١٩٨٢م) في مقال لها بعنوان الدوافع من أجل الحرب في لبنان:

"**السوريون قاتلوا بضراوة وبشكل رائع أكثر مما كان يتوقعه البعض، فقد استطاع السوريون إيقاف تقدم الأرتال الثلاثة الإسرائيلية**، خاصة الرتل الذي كان في الوسط (على محور الرفيد – الفالوج – السلطان يعقوب، لقد طلب قائد هذا الرتل المحاصر الدعم الجوي والمدفعي ليتاح له فتح ممر العبور لكن **لم ينج منه إلاّ القلائل**".

باختصار يمكن القول: إن القوات الإسرائيلية فشلت في تحقيق أهدافها العسكرية النهائية التي سعت إليها من حيث محاولتها إبعاد قواتنا في لبنان إلى ما وراء الحدود، وإيقاع الخسائر الكبيرة فيها كيلا تستطيع بعد ذلك أن توجه أي تهديد مباشر للقوات الإسرائيلية على الأقل في المدى المنظور، فمنذ اللحظات الأولى للغزو - وبالضبط حين بدا أنه سيتابع في اجتياح كامل وعلى مراحل وموجات ضاغطة دافعة - أعلنت سورية التزامها القومي تجاه لبنان الشقيق، واستنفرت قواتها المسلحة العاملة ضمن قوات الردع العربية، وأكدت القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة أن الأوامر أعطيت للقوات هناك بالتصدي للغزو الإسرائيلي بالوسائل كافة.

ثامناً - معركة السلطان يعقوب في الصحافة الإسرائيلية:

أقضَّ مضاجع قادة تل أبيب الحديث عن معركة السلطان يعقوب وتداعياتها وما خلفته من آثار، ولم يقتصر هذا الأمر على كاتب أو دارس، بل امتد ليفرض ذاته شبحاً يخيم حتى على الصحافة الإسرائيلية التي تحدثت عن إخفاق الجيش الإسرائيلي في تحقيق أهداف الحرب التي تم الإعداد والتخطيط لها بشكل مسبق،وقلما خلت صحيفة إسرائيلية من تناول هذا الأمر بعد انتهاء المواجهة الميدانية، لكن أسلوب تناول هذا الأمر والأسباب الكامنة وراء الإخفاق كانت تختلف من دراسة إلى أخرى ومن كاتب إلى سواه، ويمكن باختصار ذكر بعض الأمثلة على ما ورد في الصحافة الإسرائيلية من مقالات ودراسات تتناول معركة السلطان يعقوب ونتائجها:

الفشل المؤلم في السلطان يعقوب: وهذا عنوان مقال نشرته صحيفة **/هاآرتس/ في عددها الصادر بتاريخ (١٥/٨/١٩٩١م) بقلم /يرح تال/ الذي يقول: إنه بعد مرور عشر سنوات على المعركة فالإسرائيليون يتذكرون بكثير من الأسى والمرارة تلك المعركة الضارية التي دارت يومي (١٠ - ١١حزيران**

١٩٨٢م) مع الجيش السوري في منطقة السلطان يعقوب في القطاع الشرقي من لبنان، حيث بدأت الاشتباكات من ظهر يوم الخميس(١٠/٦/ ١٩٨٢م) واستمرت طيلة ليل (١٠ – ١١ / ٦ / ١٩٨٢م) وحتى ظهر يوم الجمعة(١١/٦/ ١٩٨٢م)، وأكدت الصحيفة كل ما تم ذكره سابقاً.

لقد دارت المعركة في قطاع ضيق حيث تَقَدَّمت كتيبة مدرعات إسرائيلية بقيادة ضابط اسمه /**عيرا**/ من التشكيل التابع للواء /أفيغدور بن غال/ ولم تكن تعرف الانتشار الدقيق للسوريين في المنطقة، وعدم معرفة ذلك أدى إلى **وقوع القوات الإسرائيلية في فخ مميت**، فقد قتل في المعركة/٢٠/[١] عنصراً من جنود الجيش الإسرائيلي وجرح العشرات.

لقد تم بحث معركة السلطان يعقوب منذ الحرب عدة مرات في جيش الدفاع، ولكن أسئلة كثيرة بقيت حتى الآن من دون أجوبة، والجواب عليها يمكن أن يوضح: كيف وصلت كتيبة مدرعات إسرائيلية إلى منطقة يسيطر عليها السوريون؟!

كان الهدف العام يكمن في الاستمرار بتقدم القوات من خلال استغلال النجاح واحتلال منطقة حيوية من أجل سبق القوات السورية التي كانت

---

(١) يحق لأي قارئ أن يتساءل هنا: هل يعقل أن يتم وقوع كتيبة كاملة في جيبٍ ناريٍ محكم وتدمر فيه بحيث لا ينجو منها إلا عشر مزنجرات من أصل ستٍ وثلاثين دبابة من نوع باتون المعدلة وست وثلاثين مزنجرة على الأقل من نوع /إم ١١٣/، ويكون عدد القتلى لا يتجاوز عشرين قتيلاً، علماً أن طاقم كل دبابة مؤلف من أربعة عناصر: قائد – رامي – معمِّر – سائق، إضافة إلى طواقم المزنجرات التي من بينها سرية ميكا تضم في قوامها ثلاث عشرة ناقلة مزنجرة، منها إحدى عشرة ناقلة جنود، وطاقم كل ناقلة أحد عشر مقاتلاً على الأقل، وهذا يدل على أن ما كان يتم ترويجه في الصحافة الإسرائيلية غير دقيق، ويهدف إلى التقليل قدر الإمكان من حجم الخسائر في صفوف الجنود الإسرائيليين، وأية أرقام يتم الإعلان عنها تكون مزيفة، وتكون الخسائر أضعاف ما يتم الإعلان عنه.

تتحرك إلى منطقة المعارك والتقدم إلى محور طريق بيروت – دمشق الذي كان هدف المهمة.

حدد اللواء /باراك/ المهمة بدقة للواء مدرع إسرائيلي حوالي الساعة /١٩,٠٠/من يوم الخميس **(٦/١٠)** على الشكل التالي:

احتلال مثلث الطريق الحيوي والتمسك به (يقصد بذلك مثلث بيادر العدس) لمواجهة تقدم القوات السورية، وبدأت حركة الدبابات في منتصف الليل، وعند تحرك الدبابات فتحت نيران باتجاه القوة المهاجمة وأصيبت دبابتان وقتل خمسة جنود، وفي الفترة الواقعة بين الواحدة والثانية ليلاً وصلت الكتيبة إلى مفرق الطريق وكان هناك كتيبتان من نفس اللواء تتحركان وراء الكتيبة الأولى، وقد تحركت القوة شمالاً وهدفها النهائي هو طريق دمشق – بيروت على الرغم من أن هذه المهمة كانت قد ألغيت في تلك الأثناء.

دراسة أخرى حملت عنوان "**كابوس السلطان يعقوب – عشر سنوات على الفشل**"[(١)]، ونشرت في صحيفة يديعوت أحرنوت بقلم / يوفال فيلنغ/، وهذا ملخص لأهم ما ورد فيها.

يقول /فلينغ/: سيجلس على الطاولات كل من المقاتلين وعقيلاتهم وأبناء العائلات الثكلى وأسر المفقودين، وسيتم تجديد الذكريات بمساعدة أشرطة التسجيل عن هذه المعركة الدامية، وكان هناك من أعرب عن خشيته من هذا اللقاء، وقال: إنه من المحظور فتح الجراح التي تجمدت، وأعرب آخرون عن فرحتهم لأنهم يستطيعون الالتقاء مرة أخرى مع الأصدقاء الذين افترقوا عنهم منذ حرب لبنان.

"**كابوس السلطان يعقوب**" و "**فشل حرب لبنان**" بعض الأوصاف التي أعطيت للمعركة التي جرت في الليلة الواقعة بين /١٠ و ١١/ حزيران /١٩٨٢م/ بعد أربعة أيام من بداية الحرب.

---

(١) كابوس السلطان يعقوب في لبنان – عشر سنوات على الفشل – صحيفة يديعوت أحرنوت الصادرة بتاريخ ١٩٩٢/٥/٣٠، ص٣٠.

لقد تم التحقيق في هذه المعركة عدة مرات، ولكن لم يتم أبداً نشر النص الرسمي، وشعر جنود الكتيبة طيلة هذه السنوات بوجود مؤامرة، كما شعروا بالألم لأن الحقيقة لم تخرج إلى النور، بل تم التكتم الكامل عن حقيقة ما جرى، وعندما تم استدعاء الجنود للخدمة الاحتياطية بعد الحرب تحدثوا عن عملية "الإسكات" وعن المستويات العليا التي تمت ترقيتها بالرتب والوظائف على الرغم من مسؤوليتها عن التقصير الذي حدث، وبعد ذلك ومع مرور السنين تبدل الجنود في الكتيبة وبقي القدماء فقط مع الذكريات.

في الاجتماع الذي جرى في "بيت هشريون" في نهاية الحرب كان هناك تبادل للعبارات اللاذعة بين الجنود وقائد الفرقة آنذاك العميد /غيوراليف/ (قائد الفرقة ٩٠)، واحتج الجنود حينذاك على محاولة "جعل المسؤولية" على أحد الضباط الصغار، وأعربوا عن احتجاجهم على "تقصير المستويات العليا" وإلقاء اللوم على قائد كتيبة الاحتياط وجنوده.

ظُهْر يوم الخميس العاشر من حزيران استُدعى اللواء /أفيغدور بن غال/ (يانوش) قائد قوات جيش الدفاع في القطاع الشرقي في لبنان إلى موقع القيادة العليا، وقبل خروجه أمر نائبه اللواء /إيهود باراك/ بنقل أحد الألوية من منطقة كفر مشكي إلى مثلث تفرع الطرق (بيادر العدس) وإلى الجنوب من السلطان يعقوب، وكانت النية هي دفع القوات باتجاه طريق: بيروت – دمشق الذي كان أحد الأهداف الرئيسة لحرب لبنان.

هل كان إيعاز / يانوش/ مختلفاً عن إيعاز نائبه /باراك /؟ دار جدل كبير حول ذلك، وهناك من يقول: إن الأمر الذي أصدره /**يانوش**/ كان يقضي بالاستيلاء على السلاسل الجبلية المطلة على المفرق، في حين أمر /باراك/ بالنزول إلى الأسفل والاستيلاء على مثلث تفرع الطرق.

تلقى قائد الفرقة /٩٠/ العميد /غيورا ليف/ الإيعاز من اللواء /باراك/ في حوالي الساعة السابعة مساءً، وبعد مرور حوالي نصف ساعة استُدعي قائد الكتيبة /**عيرا**/ لمقابلة قائد اللواء العقيد /ميكي/ – قائد قوة الالتفاف التي

كان هدفها جب جنين –، وتلقى الأمر بالتحرك على المحور المتعرج شمالاً باتجاه طريق: بيروت – دمشق، وكان الهدف الرئيس هو السيطرة على مثلث الطرق في جنوب قرية السلطان يعقوب بسرعة، وفي أثناء الليل و من خلال الفرضية الخاطئة التي تصورت أن القوات السورية في المنطقة قد انهارت.

النقيب /نير/ كان حينذَاك قائد سرية من سرايا الكتيبة يؤكد أقوال ضابط الاستخبارات وهي عدم وجود أية معلومات استخباراتية على الأرض: "قالوا لنا: إن السوريين في حالة هروب، وإذا رأيتموهم فلا تطلقوا النار من أجل عدم تعطيل دبابات الغنيمة الجيدة"، **ويقول /نير/** أيضاً: إن هذه الأقوال توافقت مع ما كان قبل ذلك، حيث حدثت حرب تم خلالها إطلاق نيران المدفعية في النهار والهجوم على مفرق المياه من دون مصابين من جانبنا.

أصدر قائد الكتيبة /عيرا/ أمراً بالتحرك نحو الأمام ورغب في الخروج من مجال النيران ولم يخطر في باله أنه في داخل منطقة سورية، وأنه دخل إلى الفخ، وانفصلت السرايا عن قيادة الكتيبة ولم يكن لفصائل الدبابات أي اتصال مع قادة السرايا، وكان الارتباك واضحاً، وقال /آفي راط/: وجدنا أنفسنا في داخل جيب ناري مطوقين من كل جانب، وتلقينا عشرات الصواريخ من كل الاتجاهات، واحتجنا بعض الوقت حتى حددنا جهة إطلاق النار بالضبط، واستغرق الأمر عدة دقائق حتى انتظمنا[١].

أَغْلَقَتْ الدباباتُ المُصابة محورَ حركة الكتيبة، ولكن الدبابات الأخرى بدأت بتجاوز المحور، إلا أنها فقدت في الظلام بعضها بعضاً، واختلطت السرايا مع بعضها، ولم يعرف القادة أين جنودهم، وجرت محاولات حقيقية لجمع القوات ولكن من دون جدوى، وأصيب القادة الصغار ولم ينقلوا القيادة لأشخاص آخرين، كما قال قائد السرية /نير/: لقد كان ذلك سيئاً تماماً.

---

(١) العماد علي حبيب، معركة السلطان يعقوب، مصدر سابق، ص١٣٦.

ويقول: /أفياهو/ قائد فصيلة في إحدى السرايا:عندما قمنا باجتياز القرية **(مزرعة عزّة)** شاهدت أنوار كاشفة ودعوت الأشخاص للاجتماع عندي، تقدمنا بسرعة نحو الأمام وشاهدنا جنوداً سوريين بالقرب من الطريق فأطلقنا النار عليهم وواصلنا تقدمنا. بعد ذلك تم إرسالنا إلى الوراء لإنقاذ /نير/، وتقدمت بسرعة وعندها تلقيت قذيفة وتعطلت دبابتي، وقفز كل الطاقم إلى الخارج وجلسنا في الظلام بين الصخور، انتظرنا قواتنا وكان أمامنا تماماً طاقم من السوريين المزودين بصواريخ "م / د "، وعندما شاهدناهم زحفنا إلى مكان آخر.

تحدث الجميع في جهاز الاتصال للكتيبة عن الاصطدام مع القوات السورية، وكانت كل دبابة منشغلة بمحاولات الإنقاذ، وكانت الصورة بمجملها مشوشة.

اتضحت الصورة بكاملها فجراً، وتبين أن الوضع صعب جداً، وأدركت قيادة الكتيبة في النهاية أن الكتيبة أصبحت واقعة داخل حصار سوري، وأوعز قائد اللواء إلى كتيبة أخرى تابعة له بتخليص الكتيبة المحاصرة، وخصص قائد هذه الكتيبة سرية لهذه المهمة.

تم التصدي للسرية المهاجمة بنيران سورية، فتوقفت ولم تنفذ المهمة التي أوكلت لها، وبعد هذا الفشل انقطع الاتصال بين الكتيبة واللواء، وبدأت الكتيبة بتقديم وإبلاغ التقارير المباشرة إلى قيادة الفرقة.

ويقول /عيرون/ ضابط استخبارات الكتيبة: منذ اللحظة الأولى التي قلنا فيها للفرقة: إن هناك مشكلة فإنهم لم يصدقونا، وقالوا: إننا في نزهة، كما أنهم لم يصدقوا أننا أصبحنا تحت قرية السلطان يعقوب، ولم يستوعبوا الواقع، وكان لدينا شعورٌ بأن أحداً غير مهتم بنا.

وعلى أساس الضائقة الخطيرة التي مرت بها الكتيبة والتي بلغت ذروتها في الساعة الرابعة صباحاً ومع بزوغ الفجر برزت شخصية قائد الكتيبة/**عيرا**/ صاحب الجسم الضخم، حيث قام من خلال صوته القوي الأجش بتهدئة الأشخاص.

طلع الفجر وكانت ظروف الرؤية صعبة، حيث إن أشعة الشمس اخترقت أبصار طواقم الدبابات،و القوات السورية التي كانت متمركزة بين السلاسل الصخرية بدأت بإطلاق الصواريخ ونيران المدفعية وقذائف الدبابات على الكتيبة التي كان جزؤها الأمامي تحت قرية السلطان يعقوب على مسافة حوالي كيلو متر إلى الشمال من مثلث الطرق **(بيادر العدس)**، وكان جزؤها الخلفي موزعاً في منطقة عزة القرية المدمرة الواقعة على المحور إلى الجنوب من مثلث الطرق، ويقول قائد السرية **/نير/**: نزلت في الليل من الدبابة وسرت على الأقدام، وتعثرت بالسوريين وعدت فوراً إلى الدبابة، وأدركت أنه إذا طلعت الشمس فلن يكون لنا أمل.

طلبت المدفعية ودخلت إلى الخندق ولعبنا مع السوريين لعبة الاختفاء، ولم يبقَ لدينا قذائف تقريباً، ارتفعت الشمس وأنزَلَ السوريون قوات حتى مسافة /٥٠م/، وأرسلوا سيارة جيب مع مجموعة من الجنود والصواريخ لإطلاق النار علينا، ورأيت كل الاستعدادات وكان ذلك مخيفاً، وبالاتصال مع **/عيرا/** قائد الكتيبة عرفت أنه لن يأتي أحد لمساعدتنا.

جرت مشاورات في مجموعة قيادة الكتيبة، وقال ضابط الاستخبارات: سألت لماذا لا نخلص أنفسنا إلى الوراء؟ وقال لي قائد الكتيبة: إن ذلك سيكون انتحاراً، ولكن عندما أدركنا أن التعزيزات لن تصل إلينا، وأن الذخيرة بدأت تنفد، بدأ يتبلور قرار بأنه يجب مع ذلك الانسحاب إلى الوراء.

يضيف ضابط الاستخبارات: إن التحول حدث عندما قال ضابط العمليات في الكتيبة لقائد الفرقة: إن الإمكانيات التي بقيت هي الاستسلام أو الانتحار أو التملص بالانسحاب إلى الوراء، ومن هذه اللحظة تغيرت نظرة قائد الفرقة إلينا، وبدؤوا يدركون أن الوضع صَعْبٌ. لقد دفع ضابط العمليات ثمناً باهظاً على هذا التصريح، وبعد الحرب أبعدوه من الكتيبة، ويقول ضابط الاستخبارات: لقد ظلموه كثيراً.

في تلك الأثناء كانت القوات السورية على مسافة /٢٠/متراً عن الطريق، وأطلق جنودها النار على كل من كان يمر، وكل دبابة سارت وحدَها، وكان ذلك في حوالي الساعة التاسعة صباحاً، وكان قائد الكتيبة في مقدمة الرتل المنسحب بسرعة نحو الخارج، وقد أصيبت عدة آليات خلال الفرار، ويضيف ضابط الاستخبارات /عيرون/ قائلاً: لم تكن تلك معركة، حيث كان همنا ينحصر في الخروج من هذا الجحيم على قيد الحياة.

أما قائد السرية /نير/ فيقول: رأينا فجأة أمامنا أرتالاً من الدبابات الإسرائيلية ووقفت فرقة كاملة بانتظام وكأنها في عرض عسكري، واستغربنا لماذا لم يأت كل هذا الجيش الكبير لمساعدتنا، فالكتيبة التي خرجت للهجوم خلّفت وراءها في المنطقة ثماني دبابات جاهزة وعدداً من العربات المدرعة والقتلى والجرحى، واعتبر قائد الفصيلة /**أفياهو**/ مفقوداً في البداية، وما هو معروف عنه ينحصر في أنه ترك الدبابة هو وأعضاء طاقمه في أثناء الليل واختبؤوا بالقرب من القوات السورية، **ويقول /لوستر/:** عند بزوغ الفجر وصلت دبابة /**زوهر ليفيشيتس**/ إلى دبابتنا وخرج سائقه ونظر إلى داخل دبابتنا ورأى أنها مهجورة، وبدأ بالركض ووصل إلى المكان الذي اختبأنا فيه، وقال لي: إن الجميع ماتوا في داخل دبابته، وإن رامي المدفع /**يهودا كاتس**/ مات بين يديه، ولم أذهب للتأكد من أقواله، هذا الأمر أيضاً يضايقني حتى اليوم، حيث إن /**يهودا كاتس**/ عُدَّ مفقوداً.

وفي الصباح بدأ /لوستر/ ورجال طاقمه بالتسلق إلى أعلى الهضبة والسير باتجاه الجنوب وشاهدوا بقايا الكتيبة الهاربة من ساحة المعركة. "انتظرنا حتى يحل الصمت، وفي ساعات الظهيرة تم الاقتراب من قوات الجيش الإسرائيلي واقتربنا منها ونحن نلوح ونصرخ ونستنجدُ كيلا يطلقوا النار علينا".

معركة السلطان يعقوب في قلب الكمين السوري(١)

تحت هذا العنوان **كتب** /**رايلي**/ مقالاً مشهوراً نشره في صحيفة معاريف، ومما جاء فيه:

كانت معركة السلطان يعقوب إحدى أكبر التقصيرات من جانب الجيش الإسرائيلي في حرب لبنان.

وقعت المعركة في الحادي عشر من حزيران ليل (١٠ - ٦/١١ عام /١٩٨٢م/) قبل بدء سريان مفعول وقف إطلاق النار، حيث أخطأ قائد كتيبة المدرعات في التوجيه والدخول تحت جنح الظلام في المنطقة التي فيها الدبابات السورية وقوات من الوحدات الخارجية على مسافة غير بعيدة من قرية السلطان يعقوب في البقاع اللبناني، وعندما شاهد السوريون الدبابات الإسرائيلية تسير في قلب منطقتهم فتحوا النيران عليها، مما أدى إلى وقوع إصابات كبيرة في الدبابات الإسرائيلية.

وهنا وفي اللحظة نفسها هرب الجنود من جحيم الدبابات المستعرة بالنيران بمساعدة الدعم المدفعي الكثيف، ولكن مع هدوء المعارك تبين بأن القوة الإسرائيلية منيت بخسائر جسيمة، وبأن هناك ثلاثة من جنودها (يهودا كاتس وزخريا باومل وتسفي فلدمان) فقدوا، بينما وقع جنديان آخران /**أرييل ليبرمان**/ و/**حزاي شاي**/ في الأسر السوري، وأعيدا إلى "إسرائيل" بعد عدة سنوات في صفقة تبادل للأسرى.

وفي نهاية عملية الإنقاذ أعلن عن وقف إطلاق النار، وفي أعقابه تمّ

---

(١) صحيفة معاريف الإسرائيلية تاريخ ٢/١٦/ ٢٠٠٤م. وهناك دراسات أخرى متعددة تحدثت عن الموضوع ذاته، ومنها دراسة بعنوان: السلطان يعقوب: ٢١ سنة - ٢٠ قتيلاً وثلاثة مفقودين للكاتب /يوآف شتيرن/، صحيفة هآرتس الصادرة بتاريخ ٩/١٠/٢٠٠٣م. "كابوس السلطان يعقوب في لبنان".

إرسال قوة للبحث عن المفقودين والوسائط التي بقيت في المنطقة، ولكن لم يتم العثور على باقي المفقودين، وقد تمكنت هذه القوة من سحب بعض الدبابات المصابة و جرها إلى المنطقة التي سيطر عليها الجيش الإسرائيلي، **لكن السوريين أيضاً نجحوا في سحب عدد من الدبابات الإسرائيلية** التي فرَّ طواقمها منها في المعركة.

حرب الظلال

كتاب من تأليف /زائيف شيف/ و/إيهود يعاري/، وقد نقله إلى العربية /وهيب أبو واصل/، وفيه يتحدث المؤلفان عن مجريات الحرب بتفاصيلها الدقيقة، ومن أهم الأفكار التي تضمنها الكتاب:

حرب بُنيت على أوهام، و رُتِّب أسلوب نشوبها بمقالب المكر والخبث، ونهاية غير مقنعة واستياء تام....

حرب دفعت "إسرائيل" من أجلها ثمناً باهظاً لم تتحدد حتى الآن نهايته... حرب عزلت الحجج الدفاعية في وجه المطامع البعيدة المدى لسياسة عمياء البصيرة، و انجرفت فيها "إسرائيل" إلى مغامرة تبذيرية رسخت شرخاً عميقاً في مناعتها الداخلية.

من خطَّطَ للحرب وسعى لتنفيذها كان يرى في ذلك هدفاً إستراتيجياً يتمثل في تشكيل حكم حليف في لبنان المتغير بزعامة /**بشير الجميل**/، كما كان يتصور أن ازدياد التعاون مع الولايات المتحدة على حساب إبعاد السوفييت سيدفع "إسرائيل" إلى آفاق زاهرة.

ظن /شارون/ أنه سيحصل على غلة تاريخية نتيجة ذلك، وكانت الحرب بالنسبة له ممراً لتغيير وجه الشرق الأوسط، وكان من المتوقع أن النصر سيؤمن "لإسرائيل" السيطرة على الضفة الغربية وقطاع غزة تحت

حماية عصر من الترفع من دون أي اعتراض عليه، ولكي يستعمل المستقبل كنقطة انطلاق لمبادرات إضافية تفرض فيها هيمنة "إسرائيل" على جاراتها، وتحقق النتائج السياسية المخطط لها بهدف معلن هو إبعاد التهديد المدفعي للمنظمات عن مستوطنات الجليل.

هذا الهدف المعلن كان مجرَّدَ غطاء وحيلة لتحقيق الأهداف الأخرى، "فإسرائيل" كانت تريد الخروج للحرب، ولذلك أوجدت الغطاء المطلوب للسعي إلى الحصول على باقي الأهداف التي لم يعلن عنها منذ البداية.

لقد بذل الجيش الإسرائيلي في البقاع – حيث جرت معركة السلطان يعقوب – جهوداً ثلاثة:

آ – **الجهد الرئيسي** كان وجهاً لوجه في مركز البقاع على طول الطريق الرئيسة وإلى جانبه باتجاه مرج الزهور والبقاع الأوسط (البقاع الغربي – البقاع الأوسط).

ب – **الجهد الثاني** في الشرق في منحدرات جبل الشيخ، ومهمته حماية مجنبة القوات الإسرائيلية من جهة الحدود السورية، حيث كان مقرراً للفرقة التي عملت هناك التقدم من حاصبيا إلى راشيا الوادي ثم كفرقوق و ينطا شمالاً.

ج – **الجهد الثالث** فهو المحافظة على قوات الخط الساحلي بالتقدم على منحدرات جبال الشوف وأسفل جبل الباروك والمرور بعين التينة ومن جانبي بحيرة القرعون إلى كفريا وعانا.

كانت عملية البقاع تحدياً مباشراً وعنيفاً جداً للفرقة الإسرائيلية التي أخذت على عاتقها تنفيذها، ووجدت ذاتها وجهاً لوجه مع القوات السورية، وبسبب وعورة الطرق الجبلية التي صَعّبت عمليات الاجتياز وعرقلت سير الصفوف الطويلة خففت من ضغطها في الهجوم، ورغم دخول المئات من المدرعات إلى لبنان لم تتمكن من تشغيل مدافعها إطلاقاً، وكان القتال غالباً مقتصراً على القوات البرية الموجودة في المقدّمة.

اكتسبت هذه المعركة أهمية خاصة؛ لأنها بداية هجوم واسع في البقاع، حيث إن خط الهجوم الإسرائيلي يصل بين راشيا الوادي شرقاً وبحيرة القرعون غرباً.

كانت ليلة الخميس والجمعة /١١/ حزيران، من الليالي الصعبة جداً في المحور الشرقي، ففي هذه الليلة تم ردع التقدم الإسرائيلي في غالبية قطاعات الجبهة إلا في مكان واحد فقط من المحور الغربي الذي عُدَّ محوراً ثانويًا، ونجحت فيه قوات /يوسي بيلد/ بالتقدم حتى تلة الصعلوك.

عند تحرك فرقة /يوسي بيلد/ في الجناح الجبلي للقوات السورية (سفوح جبال الباروك)[١] كانت تشكيلة القوات السورية قليلة الكثافة مقارنةً مع القوات التي بقيت وتمركزت في داخل البقاع. وقبل حلول الظلام سيطرت فرقة /يوسي بيلد/ على عدة قرى: كـــ/عانا/ و/زنوب الجديدة/.

ليلاً وصلت المقدمة حتى مسافة /٥/ كم من الطريق الرئيسة طريق دمشق – بيروت الدولية، وعند منتصف الليل توجه قائد الجبهة الجنرال

---

(١) سلسلة جبال لبنان الغربية تنقسم جغرافياً إلى قسمين: شمالي وجنوبي. يفصل بعضها عن بعضها الآخر ضهر البيدر، فالشمالي يبدأ من جبل الكنيسة جنوباً وحتى مرتفعات جبال عكار في الشمال الغربي، أما القسم الجنوبي من السلسلة الغربية والمعروف بمرتفعات الباروك فتنقسم جغرافياً إلى **ثلاثة أقسام:**

* القسم الشمالي: جبل الباروك، وسمي بهذا الاسم نسبة إلى قرية الباروك التي تغفو على السفح الغربي منه، ويبدأ من ضهر البيدر شمالاً وحتى الطريق الفاصلة بين معاصر الشوف غرباً وكفريّا شرقاً.
* والقسم الأوسط: ومعروف باسم جبل معاصر نسبة إلى بلدة معاصر الشوف التي تتربع على السفح الغربي منه.
* والقسم الثالث (الجنوبي): ومعروف باسم جبل نيحا نسبة إلى بلدة نيحا الشامخة على الطرف الغربي منه، كما شهدت(تومات نيحا) فيما بعد معارك كثيرة وضارية بين رجال المقاومة اللبنانية من جهة والقوات الإسرائيلية والقوات اللحدية من جهة ثانية.

/دروري/ إلى /**يانوش**/، وأوضح /دروري/ أن عملية سلامة الجليل سوف تنتهي قريباً، ووقف إطلاق النار سيدخل حيز التنفيذ غداً الساعة الثانية عشرة ظهراً.

كانت هنالك دلالات توضح بأن السوريين بدؤوا بإدخال تعزيزات، وفي الصباح يُتوقع أن يقوموا بهجوم مضاد، ولذا أُصدرت الأوامر لقوات المقدمة التابعة /ليوسي بيليد/ الموجودة على مسافة بضعة كيلومترات من الطريق الدولية في منطقة جبل الباروك وكفريا وتلة الصعلوك بالاقتحام حتى طريق دمشق – بيروت ومنطقة مطار الرياق، وفي محاور أخرى من الجبهة كان الوضع مختلفاً فقد تباطأ التقدم وتوقف، ولم يتم استغلال نجاح معارك ذلك اليوم.

حدثت عراقيل منطقية من الأساس، حيث وصلت الأوامر للفرقة المتحركة على المحور الشرقي المعروف بخط عرفات بالوصول إلى راشيا الوادي – كفرقوق وينطا في الشمال، ومع الغسق سقطت راشيا الوادي وتقدمت مقدمة القوات حتى عبرت جسر الدلافي المدمّر.

في الوقت نفسه الذي انتظرت فيه القوات رجال الهندسة العسكرية لشق طريق آخر، تم إرجاء التقدم إلى يوم الغد، وفي مقر القيادة نادى /باراك/ نائب /**يانوش**/ قائد الفرقة بعدم الانتظار حتى ينتهي من تزويد الآليات بالوقود: "من أنهى التزويد فليسرع إلى الأمام".

تجدَّد التقدم مع ضوء النهار في المحور الشرقي، ولولا البلبلة التي حدثت على طول هذه الخطوط لكان الأمل كبيراً بالوصول إلى الشمال إلى منطقة الطريق حتى جديدة يابوس وتنفيذ جزء من المهمة إلى أن تصل القوات إلى أقرب من ينطا.

حدث الخلل في الخط المركزي في معركة صعبة ومن ثم توقف بعدها التقدم، وكانت معركة السلطان يعقوب التي جرت على تلة تطل من جوانبها

الشمالي والغربي والشرقي على **تلال عالية** تمر الطريق بينها، وتكمن أهمية هذه الطريق في أنه يوجد عند مدخلها مثلث تتفرع منه عدة طرق إضافة إلى طريق عريضة تصل حتى **كامد اللوز و جب جنين.**

قبل أن ترسل الوحدة إلى هناك جرى نقاش في مقر قيادة /يانوش/: هل يستمر التقدم نحو طريق بيروت – دمشق بكل الطرق التي استخدمتها الوحدات مع التركيز الآني على النجاح في الجناح الغربي، حيث تقدمت قوات /**بيلد**/ بسهولة.

كانت القوات في الخط المركزي تتقدم إلى مثلث تفرع الطرق **(بيادر العدس)** قبل السلطان يعقوب، ومن هناك كانت ستتجه إلى الغرب كي تستمر بعد ذلك من كامد اللوز إلى الشمال باتجاه الطريق المركزي دمشق – بيروت، وكان التقدم سيتم غربها، لكن/**يانوش**/ لم يوافق على هذا الاقتراح، وبدلاً منه تقرر أن تتقدم القوات في الخط المركزي باتجاه المثلث المذكور، وتنصب ليلاً بعض الكمائن تحضيراً لمعركة الغد يوم الجمعة.

كانت التقديرات الإسرائيلية خاطئة، ومع حلول الظلام أعطيت الأوامر بالتحرك نحو مثلث الطرق المذكور **(بيادر العدس)**، حيث كان من المفترض التقدم/٧ كم/ والسيطرة على هذه المنطقة.

قرر قائد اللواء أن تكون كتيبة مميزة، ولها سمعة كبيرة في القتال لتعمل في الطليعة، وقد أُبلغ قائدها **(عيرا)** في الليلة نفسها أن ينصب ثلاثة كمائن وأن يتذكر أن بمحاذاة خط تحركه قوات إسرائيلية من لواء آخر، ولذلك عليه عدم إطلاق النار من دون معرفة المُطْلَق عليه وأن العدو (القوات السورية) في وضع انسحاب وأنه يمكن أن يصطدم مع مجموعات منسحبة، ثم طلب /**عيرا**/ تأجيل المهمة لنصف ساعة حتى يتعرف على خط التحرك، وأصر على هذا الطلب قبل أن يوافق عليه.

في الساعة الثامنة وعشرين دقيقة بدأ التحرك شمالاً. لم يعلم أحد من

رجال هذه القوة **(عيرا)** ما هو مستوى انتشار القوات السورية أمامه، والحالة نفسها كانت في قيادة اللواء[١].

وقد تبين فيما بعد أن السوريين قد انتشروا وتمركزوا على التلال المشرفة على السلطان يعقوب، حيث انتشر اللواء /٥٨/ ميكا من الفرقة الأولى المدرعة، واتضح أن هذه المعلومات عرفت من خلال التصوير الجوي ومصادر أخرى، ورغم ذلك كله لم يصل هذا إلى قوات اللواء الميدانية. جرى جدل حول الوقت الذي تم فيه جمع ومعرفة المعلومات، ومن الذي أخبرهم بالأنباء الدقيقة عن انتشار القوات السورية في السلطان يعقوب وضواحيها، وبقي السؤال من دون جواب حتى ما بعد الحرب. أصر رجال المخابرات على أن هذه المعلومات وصلت إلى مقر قيادة **/يانوش/**. وقد قال ضابط المخابرات في القيادة أنه قد تم تذكيره بالأمر قبل أن تبدأ كتيبة الطليعة المعروفة بكفاءتها القتالية بالتحرك إلى مهمتها، ولما كان مثلث تفرع الطرق **(بيادر العدس)** منخفضاً وذا أهمية استراتيجية، فقد فضّل نصب الحاجز في مكان مرتفع قليلاً إلى الشمال، وادّعى **/يانوش/** أنه لم يقصد التقدم إلى نقطة أعمق في التشكيل السوري حتى تلة السلطان يعقوب.

في تمام الساعة الواحدة بعد منتصف الليل مقابل قرية الرفيد، **فقدت الكتيبة خمسة من مقاتليها في معركة ليلية،** وفتحت النار فجأة من الجناح الأيسر من كمين نصبته وحدات اللواء /٥٨/ ميكا، وفوجئ الجميع به، وأصيبت الدبابة الثانية التي اشتعلت النار فيها وانفجرت و لم ينجُ أحد من طاقمها. وقف التقدم برهة، وفي الجهاز سمع مرة بعد أخرى النداء: لا تتوقفوا!! استمروا إلى الأمام !! وكانت التعليمات هي ترك علاج المصابين للطاقم الطبي وعدم إعاقة تحرك الكتيبة. وبالقرب من مثلث تفرع الطرق

---

(١) العماد علي حبيب ، معركة السلطان يعقوب، مصدر سابق، ص١٤٨-١٤٩.

وقف أوائل الكتيبة وراقبوا إلى الأمام، لم تظهر لهم حركة غير طبيعية. استمروا إلى الأمام، وعندما مرت أوائل الدبابات أمام البيوت شمال قرية الرفيد فتحت عليها نيران كثيفة شملت صواريخ /**ساغر**/، وأطلقت معظم الصواريخ من مسافة قصيرة جداً. كانت التعليمات هي التوجه بحركة إلى الأمام، وفي المقدمة كانت سرية تابعة للكتيبة نفسها لضابط اسمه /نير/.

في الدبابة الثالثة من هذه السرية كان قائد الكتيبة /عيرا/، و إلى الوراء قليلاً كان نائب قائد الكتيبة/ميخا/ مع سرية أخرى، أما السرية الثالثة للكتيبة فقد بقيت بعيداً بعد التقاطع ورُشقت بنيران غزيرة من جانبيها، واضطرت للتوقف بشكل فوري.

في الساعة الواحدة والربع بعد منتصف الليل انقسمت الكتيبة إلى ثلاثة أقسام، كانت جميعها منشغلة بشكل أو بآخر بالمعركة، وفهم قائد الكتيبة /**عيرا**/ أنه لا يسيطر على جميع قواته، لذلك أمر نائبه بالانسحاب إلى الوراء وتنظيم القوى، لم يبتعد نائبه قليلاً حتى ارتطم بنيران قوية من جانبيه واضطر للرجوع إلى /**عيرا**/ وإخباره أنه لا يمكن العبور. أجرى /**عيرا**/ حواراً مع قائد القوة الخلفية، وتوصل إلى قناعة أنه لا يستطيع الوصول إليه من الأمام، فأمره بالانسحاب جنوباً، لكن هذه المحاولة فشلت أيضاً، لأنه عندما بدأ الحركة ضربته صواريخ عديدة وأصيبت إحدى دباباته وتوقفت السرية، وهنا توجه /**عيرا**/ بطلب المساعدة من قائد اللواء الذي اتخذ قراراً هاماً بعد التساؤل: هل يرسل إلى/**عيرا**/ الكتيبتين المتبقيتين معه ؟ لكنه قرر عدم فعل ذلك خوفاً من تحول كامل السهل إلى مصيدة.

وبدلاً من إرسال الكتيبتين إلى الأمام، أرسلت كتيبة واحدة فقط بقيادة المقدم /**إبال**/، وقد أمل أن يساعد هؤلاء في إنقاذ قوة /**عيرا**/ الخلفية لكنه لم ينجح بذلك بل خاض أعمالاً قتالية غير ناجحة.

فجأة.. اشتعلت النار في العتاد المدمر من كلا الطرفين، إلى الوراء بعد

القرية كان من الممكن رؤية النار المشتعلة في الدبابتين الإسرائيليتين، **واستمرار القوات الأمامية بالاشتباك مع المدرعات السورية.**

خلال مدة قصيرة جداً بدأت كتيبة /عيرا/ التي وقعت في فخ النيران تتبعثر، وانتشرت دبابات ومصفحات بين البيوت بمحاذاة تلال صغيرة، وفي المؤخرة أصيبت إحدى الدبابات بقيادة /إيلي لوستر/ عند دخولها إلى المرج، و بعد ذلك نزل /لوستر/ وأعضاء طاقم الدبابة واختبؤوا في أحد البيوت القريبة.

فهم /عيرا/ أن كتيبته لا تستطيع حل المأزق الذي وقعت فيه، وازداد قلقه عندما تبين له من المحادثات الطويلة مع قائد اللواء أنه لا أمل بأن ينقذه اللواء، طالت المحادثات وعاد/**عيرا**/ واستنتج أن لا خطة هناك لإنقاذ كتيبته أو الوصول إليه في وقت معقول. ومع الضوء الأول فهم القادة الميدانيون أن قوة/**عيرا**/ الأمامية موجودة شمالاً أكثر مما توقعوا في البداية. هذه الحقيقة تقررت بعد إجراء رمي استكشاف دقيق بواسطة قنابل فوسفورية، عندها فقط عُرِف أن القوات موجودة أسفل السلطان يعقوب في منطقة تشرف على البقاع من الشمال الغربي وبالقرب من **تل حمارة** الذي يسيطر من الشمال على الخط المركزي الذي يمر في البقاع.

مرة تلو الأخرى عملت ناقلات مدرعة /ب م ب/ سورية حاملة مدافع وصواريخ، وتسلقت على تلة التراب من الغرب، واشتركت في الرماية، وكان تفوق السوريين في الميدان بارزاً، فيما يتعلق بالموقع المشرف الذي هم فيه أم بالاتجاهات الكثيرة التي عملوا منها.

كثرت الإصابات في دبابات الكتيبة المهاجمة، واقتربت مجموعات من مشاة الجيش السوري تحمل القواذف م/د لمسافة مئات الأمتار من الدبابات الإسرائيلية، وتحرك الجنود السوريون خفية في داخل البساتين، ومن هناك أرادوا ضرب الدبابات والمصفحات الإسرائيلية بقذائفهم الصاروخية التي أنزلت إصابات كبيرة في المدرعات

الإسرائيلية، وعلى الرغم من تخلص الطواقم من الدبابات المشتعلة، لكن أفراد الطواقم جميعاً كانوا مصابين.

نادى /عيرا/ المرة تلو الأخرى قائد اللواء، وطلب منه معرفة ماذا يقول قائد المحور، قبل كل شيء سئل: كم من الزمن يستطيع الصمود؟، تذكر /**عيرا**/ كم أغاظه هذا السؤال، عندها سأل /**عيرا**/: متى ستحل المشكلة؟ أجابه قائد المحور: إنه خلال نصف ساعة أو ساعة على الأكثر. اعتبر هذا الجواب مبالغة في التفاؤل، وعندما نفدت الذخيرة العادية من الدبابات اضطروا إلى إطلاق قذائف مضادة للدبابات على المجموعة التي اختبأت في البيوت، وقد ساهمت تلك المناوشات في نفاد الذخيرة تدريجياً،حيث أخبر /هوفمان//**عيرا**/ من مصفحة الهاون قائلاً:**(**بقي معي عشر قذائف فقط**)**، والمحادثة التالية التي كانت بين/**عيرا**/ وقائد المحور كانت صعبة أكثر، فقد كانت تقديرات القائد أنه ستمضي أربع ساعات حتى تستطيع القوات الجديدة التي أتت من الجنوب إنهاء المعركة التي تخوضها قبل الوصول إلى السلطان يعقوب.

صرخ /عيرا/ قائلاً: أريد حلاً واقعياً، ليس لدي المزيد من الوقت، قد لا تجدوننا حين تصلون إلينا. كان صوته متعباً، وكانت ذخيرته على وشك النفاد، مع العلم أنه ليس في داخل الدبابات المتروكة الكثير من القذائف، لكن لا يمكن الاقتراب منها بسبب اشتعالها، ولو أن هذه الدبابات من طراز ميركافا، لكان من الممكن إخراج ذخيرتها من الباب الخلفي، وهنا أقفل قائد المحور سير تفكيره وقال /**لعيرا**/: إذا كان الأمر هكذا أقفلوا الفتحات واخرجوا، اخترقوا الخطوط إلى الوراء **!!**.

سرى صمت لبعض الوقت، وبعدها قال /**عيرا**/: هذا يعني الانتحار، لأن قائد السرية من الوراء قال لي: إنه من الجناح تنتظرنا حوالي /٣٠/ مصفحة سورية طراز /ب م ب/ وعند خروجنا سنحتك بها.

هناك من يدعي أن هذا النبأ تحدث به هذا الضابط بعد منتصف الليل عندما كانت الكتيبة قد تقدمت إلى داخل المواقع السورية، وقد أوضح ضابط المخابرات أن قادته فضلوا المعلومات التي وصلت من الميدان من نقاط المراقبة الموجودة في اللواء الغربي (المتقدم على مرتفعات جبل عربي و وادي السكي..)، حيث أُعلم هؤلاء القادة قبل المساء أن مثلث الطرق وما خلفه مُرَاقَب، ولم تتم مشاهدة أي عدو، وبالتالي المنطقة خالية، وأكثر ما يمكن معرفته أن هناك مجموعات منسحبة، وفي المرج يوجد بعض الآليات المتروكة في المواقع بعد المعركة(١).

تبين لاحقاً أن نقاط المراقبة لم تراقب كما يجب المنطقة التي تورطت فيها كتيبة /**عيرا**/. وبناء على هذا الخبر الوارد من نقاط المراقبة تقدمت القوات شمالاً من دون أن تعرف أنها تتحرك إلى داخل التشكيل الأمامي للواء /٥٨/ ميكا من الفرقة الأولى المدرعة.

كان تحرك القوات الإسرائيلية بطيئاً جداً، وكان عليهم الوقوف بعد أن صعدت المدرعات على الصخور واحتاجت إلى صيانة.

والجدير بالذكر أن /عيرا/ عُدَّ قائداً ناجحاً وذا خبرة عسكرية وهو من رجال المدرعات وكان راضياً عن مرؤوسيه الذين كانوا بأغلبيتهم من المدارس الدينية، وقد لاحظ رجال المشاة الميكا الذين انضموا للكتيبة قبل **وصولهم إلى الرفيد** تحشد قوات العدو السوري الذي كان يضم دبابات ومدرعات، وتمت مشاهدة ذلك عبر نظارات الرؤية الليلية.

تساءل /يانوش/: لماذا تبقى القوة في الطريق عدة ساعات ؟ وقال فجأة: كان عليكم الوصول إلى هناك قبل خمس ساعات.

أمر /**عيرا**/ بتسريع السير، وفي هذه المرحلة أمر بتغيير المهمة، فبدلاً من ثلاثة كمائن تنصب من مستوى سرية، كان عليه أن يصل إلى الهدف

---

(١) العماد علي حبيب ، معركة السلطان يعقوب، مصدر سابق، ص١٥٤.

وأن ينصب حاجزاً من مستوى كتيبة، وقال: إنه يجب عليه الوصول شمالاً إلى مسافة كيلو متر ونصف ونصب الكمين هناك على نحو يلائم الوضع في ساحة المعركة.

نزل /عيرا/ من دبابته ومر بين الدبابات والمصفحات ليرفع من معنويات مرؤوسيه، وأراد أن يعرف مخزون الذخيرة لديه، وفي هذه المرحلة عندما غادر دبابته لدقائق معدودة أمسك أحد ضباطه بالجهاز، كان الضابط الشاب خائفاً وسمع صوتاً هستيرياً يقول: «**لا نستطيع الصمود**». سمع هذا النداء اليائس كل من أنصت إلى شبكات الجهاز بمن في ذلك جنود الكتيبة وضباط الوحدات في خارج السهل، «لماذا تتركوننا؟ يجب إنقاذنا بعملية جوية، الذخيرة تنفد، هل تريدوننا أن نستسلم أو يُجْهِزُوا علينا ؟!» دهش قائد المحور لبرهة ولم يعرف من المتكلم، وهل يتحمّل ذلك على مسؤوليته الشخصية. ارتبك قليلاً وبعدها قال:

«**هناك احتمال أن تقاتلوا... !**» بعد فترة وجيزة أخبر /**عيرا**/ عن المحادثة المخيفة التي دارت بين قائد المحور وأحد ضباطه، وعاد قائد المحور وسأل عن الوضع، وهنا فقد /**عيرا**/ صبره. لم يعرف من الذي يتكلم معه.

سمع /**عيرا**/ **صوتاً متشائماً**: «**الوقت ينفد، أرى أن النهاية من ثلاث جهات...**»، وسمع أيضاً صوت (م) قائد إحدى السرايا في الجهاز. مرت دقائق معدودة، قبل ذلك قتل بجانبه جندي احتياطي قادم جديد من روسيا،وهو تائب ومتدين، متعصب لدينه، كان يصلي صلاة الفجر وعندما أنهى صلاته أخذ رشاشاً وانضم إلى مصفحة (م) وأصيب برأسه، كانت جثته مازالت ملقاة بالقرب من (م) عندما سمع المحادثة في الجهاز مع قائد المحور. ضم (م) صوته للرأي القائل بالانسحاب إلى الوراء؛ لأنه سيمضي زمن طويل حتى تنهي القوة احتلال التلال الشرقية والاتصال مع /**عيرا**/.

كان المطلوب في هذه المرحلة عندما تنكشف الدبابات وتبدأ بالحركة إلى الوراء دعماً كثيفاً بالنار ومجموعات من الرمايات بالقذائف والصواريخ لكي لا يستطيع السوريون فتح النار على القوات المنسحبة.

كان /عيرا/ وجنوده يحتاجون في ذلك الوقت لدعم سلاح الجو، لكنهم لم يجدوا طائرات تعينهم.

في تلك المرحلة تجمعت عدة كتائب مدفعية لتبدأ بإطلاق النار الكثيف في اللحظة التي تبدأ فيها الكتيبة بالتحرك، وكان الهدف هو حماية نارية حول الرتل المتحرك إلى الوراء، وذلك بهدف منع الهجوم على الكتيبة، ولكنها لم تمنع تطاير الصواريخ باتجاهها. انتهت الكتيبة من ترتيباتها الساعة الثامنة وخمساً وأربعين دقيقة، وأمل /**عيرا**/ أن لا يشعر العدو بالتحضيرات، وتم جمع الطواقم من الدبابات المصابة داخل المصفحات.

كانت الكتيبة جاهزة للانسحاب، وبدأت المدفعية التابعة للجيش الإسرائيلي بالرمي المركز، لكن دبابة إضافية أصيبت فجأة، **أعطيت الأوامر بتفجير الدبابة** ونقل الطاقم إلى المصفحة. لم ينجح التفجير وبقيت الدبابة كما هي في ساحة المعركة، بدأ الانسحاب إلى الوراء الساعة /٨,٤٥/،كانت المدة التي يحتاجها لضمان النجاة /١٦/ دقيقة من النار القوية المطلوبة لحماية الكتيبة لتصل إلى هدفها وتنجو!

ضغط السائقون على الآليات للحصول على أقصى سرعة ممكنة، وتسلقوا قليلاً في السفح، وضربت المدفعية من جانبي الطريق، سقطت القذائف على بعد بضع عشرات الأمتار، أفرغ جنود المشاة رشاشاتهم ولم يكن حظ الجميع جيداً؛ لأن عشرات الآليات أصيبت، قسم منها كانت إصاباته طفيفة وآخر إصاباته شديدة، فقط عشر آليات تم تخليصها سالمة، وفي هذه الاشتباكات قتل أربعة وأصيب ستة آخرون بجروح.

تلقت مصفحة أخرى ضربة مباشرة وقتل ثلاثة من طاقمها، أما القتيل

الرابع فكان في دبابة قائد سرية (ح) التي تسلقت الحاجز الشمالي الأخير. بالإضافة لذلك فُقدت إحدى الدبابات في الانسحاب إلى الوراء، وهي دبابة /**شاي حيزي**/ عندما بدأت بالانسحاب إلى الوراء، حيث أشار للدبابة التي خلفه بتجاوزه، ومنذ تلك اللحظة لم تشاهد الدبابة، وأعلن السوريون أن رامي المدفع من طاقم الدبابة أسير لديهم وهو /**أرييل ليبرمان**/. وهناك مفقودان آخران كانا في الدبابة التي ضربت في الصباح، بالإضافة إلى جرح /٢٩/ جندياً،خمسة منهم إصاباتهم خطيرة.

أعلن /**عيرا**/ في تمام الساعة التاسعة وست دقائق: «**أنا في الخارج!**»، بعدها وصلت عدة طائرات مروحية الواحدة تلو الأخرى لنقل المصابين والقتلى، واستمر التفتيش عن المفقودين ساعة إضافية، طاقم /لوستر/ الذي اختبأ وصل بعد ساعات إلى خطوط الجيش الإسرائيلي.

تبين أن هدف الحرب التي شنتها "إسرائيل" هو الوصول إلى طريق الخط المركزي طريق دمشق – بيروت وتطوير الهجوم شمالاً باتجاه رياق – زحلة وإنهاء الأعمال القتالية بأسرع وقت ممكن نظراً لضيق الوقت وضرورة تنفيذ وقف إطلاق النار الذي أصبح وشيكاً.

اختار الجيش الإسرائيلي لواءً مميزاً من ألوية الدبابات في تسليحه وكفاءة قادته بمن فيهم طواقم الدبابات، وكلف هذا اللواء المميز بمهاجمة القوات السورية في منطقة السلطان يعقوب في القطاع الشرقي، وقد اختار قائد اللواء الإسرائيلي كتيبة دبابات متميزة قائدها /**عيرا**/ وهو الناجح والمتمرس ولديه خبرة حرب سابقة، فقد اشترك في حرب تشرين عام /١٩٧٣م/، وأسندت له مهمة التحرك من منطقة الرفيد باتجاه السلطان يعقوب شمالاً ليكون طليعة للوائه، وليؤمن زج قوى كبيرة استعداداً لمعركة صباح الجمعة: (١١ / ٦ / ١٩٨٢م)، وتحقيق هدف الحرب وهدف الإسرائيليين.

كان قائد القطاع الشرقي /يانوش/ حين عودته من قيادة الجبهة يرى

أن قواته قد تأخرت في الوصول على الأقل خمس ساعات، ولقد كانت التعليمات التي أعطيت لكتيبة /**عيرا**/ حين وقع في كمائن الرفيد ومنطقة السلطان يعقوب تتضمن محاولة التملص والاستمرار بالتقدم إلى الأمام.

لم يتمكن قائد اللواء الإسرائيلي من إنقاذ كتيبة/عيرا/ خشية وقوع كامل اللواء في الفخ الناري. طلب /**عيرا**/ الطيران لإنقاذ كتيبته، لكن الطيران الإسرائيلي ضرب قوات المؤخرة العائدة للواء /٨١. د/ في وادي الحرير شرق منطقة المصنع اللبنانية، و لم تضرب قوات اللواء /٥٨/ ميكا الذي كان يشدد الضغط على كتيبة/**عيرا**/.

يضيف الكاتبان إلى فشل العدو الصهيوني في معركة السلطان يعقوب، ووقوف القادة الصهاينة في حيرة في مواجهة مقاتلي اللواء /٥٨/ ميكا تساؤلاً لم يجد إجابة عليه، **ومضمونه:**

لماذا سمح للسوريين بجر الدبابات المعطلة، وسحب الدبابات الجاهزة؟ ولماذا لم يتم تفجيرها ؟

دار النقاش حامياً حول مسألة من كان يعرف ؟ وعن مدى نقل المعلومات الجديدة حول الانتشار السوري في السلطان يعقوب؟ ولم تأتِ الإجابة حتى بعد انتهاء الحرب، وقال الكاتبان /**شيف**/ **و**/**يعارى**/: إن عناصر الاستطلاع في قيادة الجبهة يصرون على أن المعلومات رفعت إلى قيادة /بن غال/، وضابط الاستطلاع في هذه القيادة مقتنع بأنه ذكر هذا الأمر حتى قبل أن تتحرك كتيبة /**عيرا**/ لمهمتها، وفي مقابل ذلك هناك من يقول: إنَّ هذه المعلومات ذكرها ضابط الاستطلاع بعد منتصف الليل عندما كانت الكتيبة قد دخلت في الفخ.

سواء كان هذا أو ذاك فإن **معركة السلطان يعقوب ستسجل في السجلات الحربية للجيش الإسرائيلي كفشل ذريع وخيبة أمل كبيرة.**

ويشير الكاتبان إلى أنَّ تفوق القوات السورية في معركة السلطان يعقوب كان بارزاً سواء في تمركزها في المواقع التي كانت فيها أم في الاتجاهات الكثيرة التي انطلقت منها، ولم يتمكن الإسرائيليون من استغلال الليل رغم التكنولوجيا المتطورة التي يمتلكونها في تسليحهم، وقد حدث في الليل الكثير من العراقيل التي أثرت في مجرى المعارك على صعيد كل الجبهات[1].

كما يؤكد الكاتبان أن عشر آليات سالمة فقط تمكنت من التملص من الجيب الناري، وهذا يعني أن عدد الدبابات و المزنجرات الإسرائيلية المدمرة والتي تركت جاهزة في منطقة الجيب الناري للواء /٥٨/ ميكا هو/٦١/، ويضيف الكاتبان: إن اللواء /٥٨/ ميكا أوقف الجيش الإسرائيلي في وسط الطريق و منعه من الوصول شمالاً إلى زحلة كما كان مخططاً، كما ساهم بتحقيق المساعدة اللازمة للقوات المنتشرة في ضهر البيدر بالصمود ومنع العدو من الوصول إلى هناك.

كتاب (حرب الظلال) يصف شارون بأنه رجل عسكري قد أقنع نفسه وأقنع الآخرين أن فيه صفات استراتيجية نادرة، وأنه قادر على إنزال ضربة قاضية بالجيش السوري، وأن الحكم الانعزالي الذي أمل /**شارون**/ أن يقيمه في لبنان قادر على تنفيذ ما يوكل إليه من مهام، لكن ذلك كله أخفق، فالحكم الانعزالي لم ينجح بالوقوف على رجليه، والمراهنة على /بشير الجميل/ حُكم عليها منذ البداية بالفشل؛ لأنه لم يكن بمقدوره أن يزود /شارون/ بمتطلباته.

واجه رئيس الحكومة /مناحيم بيغن/ بعد الحصيلة التي أسفرت عنها معركة السلطان يعقوب وضعاً بائساً في نهاية صيف /١٩٨٢م/، حيث إن تقديراته وتوقعاته من أجل أن يحسن صنعاً مع شعبه ويثبته على أرض مضمونة في حدود أرض "إسرائيل" التاريخية بحسب زعم الصهاينة لم

---

(١) العماد علي حبيب، معركة السلطان يعقوب، مصدر سابق، ص١٦٠.

تتجسد، وثبت أن الحلف مع أزلامه في لبنان هو عكاز خيزران محطم، ومنظمة التحرير الفلسطينية لم تُصَفَّ، ولم ينحسر موضوع إقامة دولة فلسطينية، وعلاوة على كل ذلك فإن انقسام الشعب والثغرات التي حدثت فيه نتيجة للضحايا الكثيرة التي تطلبتها حرب لبنان والتخوف من احتمال نشوب حرب أخرى، وفظاعة الحروب بالنسبة إلى /**بيغن**/، كل هذا حفّز الرجل الذي كانت دوافعه **((خلقية بحسب زعمه))** على النهوض ومواجهة حقيقة ضعفه.

وفي /١٥/أيلول/١٩٨٣م/ قدم /**مناحيم بيغن**/ كتاب استقالته من رئاسة الحكومة في "إسرائيل" إلى رئيس الدولة /حاييم هيرتسوغ/، وهو يتذكر قول كبار أحبار اليهود في أحلامهم التوراتية: "لكن إن ارتدوا عن قلعة السلطان ارتدوا عن مجدٍ طمحوا إليه"، والمقصود هنا بقلعة السلطان (قلعة السلطان يعقوب).

على النقيض من ذلك استطاعت سورية تقوية مواقفها كعاملٍ رئيسٍ في لبنان، وأكثر من هذا نجحت بمنع الجيش الإسرائيلي من تحقيق خطته، وأوقفته قبل أن يسيطر على منطقة ضهر البيدر وقبل الوصول إلى زحلة، ويفتخر السوريون بهذه النتيجة، فبالنسبة لهم استطاع الجيش السوري أن يصمد في مهمة التصدي **(وخلق ظروف مواتية لصالحه...)**. واستخلص السوريون نتيجة تتضمن: أنه إذا استطاعوا في أية مواجهة إيجاد الدواء الملائم لتجنب التفوق الذي يتميز به سلاح الجو الإسرائيلي فإنهم يستطيعون عندها الولوج في حرب برية أمام الجيش الإسرائيلي، ويجب عدم نسيان أن الجيش الإسرائيلي اضطر لتقديم الكثير من "الضحايا"، لذلك حصل إغراء للرجوع إلى الفكرة العربية بشأن حرب متناسقة زمنياً في جبهتين أو ثلاث جبهات والتي يضطر فيها الجيش الإسرائيلي لتركيز الجهد للاقتحام في جبهة واحدة فقط.

من هنا فإن ثمن الرغبة في تجديد الثقة بقوة الردع كان خاسراً، وقد كلف الانتصار الباهر للجيش الإسرائيلي على بطاريات صواريخ الأرض - جو، بكشف

أسرار عديدة كانت قد حُفِظَت لحرب ضرورية ولحِفْظِ وجود الكيان في عملية محدودة، وإن ضرب الصواريخ دفع بتلك الدولة العظمى (الاتحاد السوفياتي) **لتطوير سلاح مضاد للطائرات.**

لقد بينت تجربة الحرب وجود نواقص كثيرة ومقلقلة في الجيش الإسرائيلي نفسه، وهذا بالطبع يستدعي البحث بجدية أكثر عن مشكلات السيطرة وقضايا التنسيق، وميل قسم من القادة إلى الاعتماد على سياسة إطلاق النار مباشرة وإعاقة الاقتحام والاستعداد بالتخلي عن القتال ساعة الظلام، صعوبات عديدة بخصوص إعطاء أجوبة ملائمة للسلاح المضاد للدبابات الحديثة الذي يعرقل تحرك المدرعات. اكتشافات معينة عن انخفاض مستوى القيادة والمبادرة الشخصية عند بعض الضباط والقادة الكبار إزاء امتياز القادة المتوسطين والصغار، مظاهر عدم الطاعة والرفض والتملص من المهام بشكل لم يسبق له مثيل.

مع مرور سنة على الحرب بدأت "إسرائيل" بصراع للتخلص من المستنقع اللبناني الذي غاصت في داخله مع الحفاظ على مكاسب ضئيلة جداً، وعملية التخلص هذه يمكن أن تكون مستمرة ومؤلمة و نهايتها غير واضحة، ولا يمكن التقدير الصحيح لقضية الحرب كلها.

بعدها بدأت "إسرائيل" بالانسحاب على مراحل من لبنان، ولم يعد بمقدور الحكومة الإسرائيلية منع تحويل هذا الانسحاب الاضطراري إلى فشل تام سيضعفها في النزاعات القادمة و إقامة علاقات ودية مستقبلية مع لبنان تمنع لقاءه مع سورية، حتى إن حرباً كهذه أفقدت "إسرائيل" طريقها، فتضعضع إيمانها بصدقها، وتزعزع أمنها كما **يقول مؤلف الكتاب...**

تاسعاً - تضاريس مسرح العمليات:

إن أحد أهم العوامل في الحرب كانت التضاريس، فالأرض مليئة بالتلال، والمسافة الفاصلة بين مناطق الاشتباك قصيرة جداً، وغالباً ما كانت

تجري الاشتباكات على مسمع ومرأى الطرفين،**وطبيعة لبنان الجغرافية** تضم مناطق تضاريسية هامة:

الأولى: تشكل السهل الساحلي الممتد من الحدود الفلسطينية وعلى طول ساحل البحر المتوسط وحتى ما بعد طرابلس شمالاً مروراً ببيروت، وهناك طريق واحدة فقط يمكن أن يستخدمها أي جيش مهاجم من الجنوب – باتجاه الشمال، وهي طريق باتجاهين لكنها صعبة ونادراً ما تتسع لأكثر من دبابة، وتتعذر حركة السير باتجاهين للآليات العسكرية.

تعج هذه الطريق ببيارات الليمون (البساتين) الكثيفة، وهذا ما جعل مسرح الأعمال القتالية مثالياً لكمائن الـــ م/د، وكثيراً ما تتعذر مناورة المزنجرات بعيداً عن الطريق، ونظراً لكثرة المناطق التي توجد فيها الجروف الصخرية شديدة الانحدار على يمين الطريق فإن محور التحرك ينحصر بين الجروف والبحر **وهي أرض مثالية للكمائن..**

أما منطقة الأعمال القتالية في القطاع الشرقي، وبلدة السلطان يعقوب جزء منها، فهي تمتد جانبياً من فلسطين المحتلة إلى الشمال، وتقع بين سلسلة جبال الباروك غرباً (جبل الباروك – جبل معاصر – جبل نيحا) وسلسلة جبال لبنان الشرقية، ووادي البقاع، وهذا الوادي سهل منبسط عريض تسهل فيه حركة المناورة.

تمتد سلسلة جبال لبنان الشرقية – وهي سلسلة أخرى من الجبال – إلى الجانب الشرقي **لوادي البقاع قرب جبل الشيخ**، وتشكل حدوداً طبيعية تفصل بين لبنان وسورية، وهي حاجز فعال، ويستحيل القيام بأي حركة عسكرية من سورية وإليها عبرها ما لم يتم الالتفاف حول نهاية التلال الشرقية قرب ينطا وكفر قوق اللبنانية، حيث تندر الطرق في هذه المنطقة المكتظة بالوديان والمسيلات التي تجعل الحركة فيها صعبة للغاية، **وفي وادي شبعا** اضطر الإسرائيليون للقيام بشق طريق طوله /١٢كم/ لكي يقوموا بالالتفاف حول المواقع السورية.

إن مسرح الأعمال القتالية على الاتجاه اللبناني يتمتع بالخصائص التالية:

- **تضاريس وعرة.**
- **هضاب ومرتفعات.**
- **المحاور محدودة و معظم الممرات إجبارية.**
- **منطقة آهلة بالسكان.**
- **منطقة حراجية، وكثيراً ما تنتشر فيها بساتين اللوزيات "الكرز" والكروم بطريقة العرائش.**

وهذا ما يؤثر – بشكل كبير – في عمل الصواريخ الموجهة كالمالوتكا.

لقد زودت الدبابات الإسرائيلية المعدلة والتي عرفت فيما بعد بالدبابة باتون /إم ٤٨ آ – ٥/ بطلقات خاصة أطلق عليها الإسرائيليون القذيفة /حيتس/، **وعرفت بالقذيفة السهمية** التي تشبه بشكلها العام الطلقة الأساسية **(سابو)** في الدبابات الشرقية، لكن يبدو أنها تحتوي في تركيبها على مادة اليورانيوم المنضب **(المستنفد)**، وهذا ما أشار إليه الكاتب الإسرائيلي /**يرح تال**/، ونشرته صحيفة /**هاآرتس**/ بتاريخ (١٥/٨/١٩٩١م).

إن التدريع الفعال حيّدَ القاذف /آر.بي.جي/، وبات على الدبابة الإسرائيلية اجتياز المناطق السهلية بسرعة **للأسباب التالية:**

أ – **يحتاج الرامي بعض الزمن** لكشف الدبابة وكذلك اختيار الهدف وتحديد المعطيات اللازمة والرمي عليها، وهذا يتيح للدبابة المعادية اجتياز المسافة (الصعبة للصاروخ مالوتكا) /٥٠٠م/ للاقتراب من واسطة التأثير، وإن كان ذلك يجعلها في خطر مدفع الناقلة /ب م ب١/.

ب – إن دخول الدبابة المهاجمة واختباءَها بين الهيئات الأرضية والكروم يعيق عمل الصاروخ مالوتكا، وفي ضوء هذا يمكن فهم لماذا تمّ

تأخير تنفيذ الحرب لمدة عام كامل، حيث كانت مقررة في العام /١٩٨١م/، وقد أعطي الوقت الكافي لوضع سيناريو خاص للأعمال القتالية وعلى الاتجاهات كافة، مما منح العدو الإسرائيلي الفرصة الكافية باستخدام العتاد المناسب – وبخاصة العتاد المُدَرَّع – وإجراء التعديلات اللازمة عليه[١].

جـ – كان الاتجاه في التطوير والتحديث بالذخيرة أولاً، فظهرت القذيفة الصاروخية إلى حدٍ كبير، وجرى تطويرها من حيث السرعة الابتدائية، كون هذا النوع من الذخيرة يعتمد على موجة الصدمة وقدرة الخرق فيحتاج لسرعة ابتدائية عالية للقذيفة، ثم إن ما تحويه هذه القذيفة من مادة تجعله أكثر فاعلية في قدرة الخرق والتدمير، كما تم تعديل أجهزة الاتصال وأجهزة الرؤية الليلية لتواكب أحدث دبابة يومئذٍ، فضلاً عن التصفيح الإضافي (التدريع الفعال)، مما يؤمن الوقاية الكبيرة لطاقمها، كما يؤمن حماية شبه تامة من خطر القاذف /أر بي جي/ الذي يعدُّ سلاحاً رئيساً وفعالاً يومئذٍ لجندي المشاة، و بخاصة في تلك المنطقة من منطقة الأعمال القتالية التي هي مثالية لنصب الكمائن كما ذكرنا سابقاً

كما أن الإسرائيليين صنعوا دبابتهم الخاصة (ميركافا) والتي عرفت بدبابة الميدان الحديثة، حيث استخدم الجيل الأول (إم ك١) من هذه الدبابات في غزو لبنان /١٩٨٢م/، وقد تم تصميمها لتعمل كدبابة وكناقلة جند وناقلة ذخيرة، وكعربة إخلاء طبي وبمواصفات فنية وتعبوية مميزة (عالية)، لكنها في هذه الحرب خضعت لاختبار وتجربة، وتبين وجود نقاط ضعف تكمن في جهاز سيرها وبخاصة دولاب الشد، كما يمكن استهدافها باختيار الأماكن الأقل تصفيحاً للتسديد واختيار الرمي عليها من نقاط ضعفها، وقد تبين ذلك في أثناء عبورها المخاضَات المائية **(أقنية الري)** في الطرف الغربي من **البقاع الأوسط** – جنوب **وادي الرياشي** كما تحدث الإسرائيليون

---

(١) العماد علي حبيب ، معركة السلطان يعقوب، مصدر سابق، ص١٦٩.

أما الدبابة /سنتريون/ التي تصدرت ولفترة طويلة سلاح المدرعات في الجيش الإسرائيلي فقد كان استخدامها أقل من دبابة /الميركافا/، ولم تظهر في القطاع الشرقي إلا بعد وقف إطلاق النار (بعد عملية تبديل القوات).

عاشراً - خصائص معركة السلطان يعقوب والدروس المستفادة منها:

اتسمت معركة السلطان يعقوب بخصائص عديدة كان أبرزها:

١- **اعتماد العدو الإسرائيلي في هجومه المبدأ الرباعي** (دبابة – طائرة – جرافة – م/د (الـــ م/د الجوي والأرضي).

٢- **التلغيم عن بعد ولأول مرة** مع استخدام المدفعية والحوامات والطيران القتالي واستخدام القذائف العنقودية على نطاق واسع والذخائر المحرمة دولياً.

٣- **الحشد الكثيف للمدرعات الإسرائيلية** وبخاصة الدبابات؛ بغية زيادة وتيرة الهجوم، وتحقيق المهمة في الوقت المحدد – كما هو مخطط – ليتمكن العدو الإسرائيلي من تحقيق هدف الحرب بالوصول إلى منطقة المصنع اللبناني قبل موعد وقف إطلاق النار.

٤- **تنوع السلاح والعتاد القتالي** والاستخدام الكثيف لأحدث التقنيات وآلات الحرب الأمريكية والإسرائيلية.

٥- **استخدام العدو الإسرائيلي المكثَّف لسلاح الجو**، وبخاصة الحوامات القتالية التي تم استخدامها في عمليات التسرب، واعتماد أسلوب التمويه والخداع والتضليل لقصف أهداف أرضية يصعب على الطيران القتالي تنفيذها.

٦- **استخدام الإنزالات الجوية** بشكل كبير قياساً بهذه البقعة الضيقة، نظراً لأهمية منطقة السلطان يعقوب من مسرح الإعمال القتالية.

٧- **تفوق العدو الإسرائيلي الواضح في الحرب الإلكترونية** واعتماد أنظمة

تشويش وتضليل، وتعمية إلكترونية ورادارية وحرارية باستخدام متكامل لوسائل التوجيه والحاسبات الإلكترونية للتحكم بمنظومات وسائط التأثير الناري.

٨- **رباطة الجأش وحسن القيادة والكفاءة وثبات الجندي السوري وصموده** وشدة القتال الذي اتسم به وضرواته، وهذا ما أعلنه /**روفائيل إيتان**/ رئيس أركان الجيش الإسرائيلي الأسبق لصحيفة هاآرتس الإسرائيلية معترفاً بكفاءة المقاتل السوري وعناده(١).

٩- **زيادة الصبائب النارية من قبل العدو الإسرائيلي** وإطالة مدتها عن المألوف، وقد التقطت مكالمة إحدى قادة تشكيلات العدو، وهو يقول لقائده: لن أتقدم متراً واحداً من دون تنفيذ ساعة إضافية تمهيداً نارياً، وعليك أن تعلم أنني سأخوض معركة مع الفرقة الأولى.

١٠- **ظهور الكمائن المسلحة والدوريات** خلف خطوط العدو، وزرع الألغام وحماية الممرات الإجبارية (ممر المرتفع ١٠٦٥) بنيران مختلف أنواع الأسلحة فرض على العدو الإسرائيلي أعباء عسكرية كبيرة بالعتاد والقوى البشرية.

١١- **تميزت معركة السلطان يعقوب بكثافة النيران العالية براً وجواً وبضخامة القوى** التي دفعت بها "إسرائيل" إلى ساحة القتال من أجل تكثيف الضغط على المواقع السورية، والحد من حرية عمل القوات السورية ومنعها من زج قوات جديدة في المعركة.

١٢- **استخدام طائرات الرصد والإنذار المبكر** من نوع (هوك آي) واستثمار السطع الآني المتطور في ميدان المعركة، مثل رادارات المراقبة الميدانية والطائرات المسيرة من دون طيار.

---

(١) العماد مصطفى طلاس،الغزو الإسرائيلي للبنان، مرجع سابق، ص٢٢٧.

١٣- **استهلاك العدو الإسرائيلي الكبير للوسائط** المادية والأسلحة والمعدات والذخائر نتيجة تسارع وتيرة الأعمال القتالية التي فرضها ضيق الوقت وجغرافية مسرح الأعمال القتالية، ومحاولة تخفيف الخسائر ما أمكن، وبخاصة في القوى البشرية.

١٤- **كان واضحاً استخدام الجيل الجديد من الصاروخ /زائيف/** المطور عن الصاروخ /**شرايك**/ للعمل ضد محطات الرادارات امتداداً لتطوير هذا النوع من السلاح منذ حرب تشرين التحريرية /١٩٧٣م/.

الدروس المستفادة من معركة السلطان يعقوب

يمكن تلخيص أهم الدروس المستفادة من معركة السلطان يعقوب وإجمالها بما يلي:

١- الطريقة المثلى لتحييد التفوق الجوي المعادي هي **الالتحام مع العدو على الأرض.**

٢- **تجهيز مسرح الأعمال القتالية** بما يتناسب وطبيعة المعركة المحتملة يسهم في تحقيق النصر، فعلى الرغم من أن ما تم تجهيزه في معركة السلطان يعقوب هو مجرد خط رمي من الثبات بغية إكمال جيب ناري علماً أن تنفيذ ذلك قد تمّ في غضون عدة ساعات فقط ومع هذا فقد **أعطى القوات السورية تميزاً وقدرة على صد القوة** المهاجمة المتفوقة عتاداً وعدةً.

٣- **عدم دقة معلومات السطع** تؤدي إلى نتائج مؤلمة في ميدان المعركة، كما أن إيهام العدو وحرمان استطلاعه من الحصول على المعلومات اللازمة يساهم في هزيمة هذا العدو بغض النظر عن القوى والوسائط التي يهاجم بها.

٤- **التدريب الجيد في السلم والتميز في تنفيذ المشاريع التكتيكية يكسب**

المقاتلين مهارة وخبرة، ويساعدهم على الثبات والصمود وتحقيق النصر في أي مواجهة مع العدو.

٥- **وجود القادة مع المقاتلين ومعرفتهم بإمكانات كل منهم** يساعد في اتخاذ القرار الصائب وتوزيع المهام بما يتناسب وإمكانيات المقاتلين وقدرتهم على المساهمة في صنع النصر، كما أن متابعة المرؤوسين والمعاملة الأبوية والمرونة والعدالة والقدوة الحسنة صفات أساسية يجب توافرها في القائد الناجح.

٦- **التقدير الصحيح لنوايا العدو** ومعرفة أسلوب قتاله وطريقة تفكيره يمكّن القادة من اتخاذ الإجراءات المناسبة لمنع أي هجوم معادٍ من تحقيق أهدافه.

٧- **المحافظة على الاتصال الدائم مع المرؤوسين** (هذا العصب الحيوي الهام) يحتل الصدارة في أثناء إدارة الأعمال القتالية وضرورة أن يكون قادة السرايا – وخاصة الميكا والدبابات – على تردد واحد مع قائد اللواء.

٨- **من الضروري أن يتمتع القائد الميداني (بمستوى قا.س. - قا.ك.) بلياقة بدنية عالية تواكب وظيفته**، إضافةً لامتلاكه نوعية من المعلومات تتناسب ووظيفَتَه.

٩- **تواصل قادة التشكيلات والقطعات في ميدان المعركة مع المقاتلين يرفع كثيراً من الروح المعنوية لديهم**، وكلما كان القائد على تواصل مباشر مع مرؤوسيه تمكن من قيادة المعركة بنجاح.

١٠- **ثقة المرؤوسين بالقائد تلعب دوراً بارزاً في صمودهم** وإصرارهم على صنع النصر.

١١- **الجندي الإسرائيلي جبان يخاف الموت ولا يتردد في ترك عتاده إذا واجه مقاومة حقيقية وأخطاراً تهدد حياته.**

١٢- **أهمية عامل المفاجأة** للعدو ودوره المميز في سرعة حسم المعركة.

١٣- **استثمار الخصائص الوقائية** والتمويهية للأرض والعوامل الجغرافية لمسرح الأعمال القتالية بشكل جيد يقلل من الإصابات بغض النظر عن التقنية العالية للأسلحة المعادية.

١٤- **الصمود في المعركة** عامل حاسم في إحراز النصر، وهذا ما يرعب العدو الإسرائيلي.

١٥- **جميع تشكيلات قواتنا المسلحة قادرةٌ على تسطير بطولات رائعة لا تقل عن التصدي البطولي** الذي نفذه مقاتلو اللواء /٥٨/ ميكا في معركة السلطان يعقوب.

١٦- يجب أنْ لا ننسى أن القادة الصهاينة كعادتهم يستغلون وقف إطلاق النار، ويفتشون عن كل هضبة ومرتفع وتلة تراب غير محتلة ليستفيدوا منها، ويُحسِّنوا دفاعهم عليها، ويضمُّوها إلى الأرض التي أصبحت تحت سيطرتهم لتصبح مكسباً لهم من دون قتال.

١٧- **ضرورة تعزيز دور الـــ م/د للتصدي لمدرعات العدو** باستخدام الصواريخ الحديثة المضادة للدبابات الحديثة والمحدثة واعتماد وحدات الـــ م/د في مختلف التشكيلات (قوات خاصة - مشاة - ميكا - دبابات).

١٨- **ضرورة التفكير في الوقت المناسب** والعمل بحلول إبداعية لوقاية أجهزة الاتصالات والمناورة بها، والاستطلاع لتأمين الأعمال القتالية، وهنا يظهر دور القائد المبدع.

١٩- **حققت معركة السلطان يعقوب نتيجة كبرى**، حيث أبقت القوات العربية السورية في لبنان، كما أن هذه المعركة التكتيكية حققت هدفاً استراتيجياً، إذ منعت تقسيم لبنان وتحويلَه إلى دويلات طائفية صغيرة[١]..

---

(١) العماد علي حبيب ، معركة السلطان يعقوب، مصدر سابق، ص١٧٩-١٨٠.

حادي عشر: خاتمـة

إنَّ معركة السلطان يعقوب ليست استثناءً في تاريخ قواتنا المسلحة، بل هي إحدى وقفات العزة والشموخ المعبرة عن إرادة المقاتل العربي واستعداده للتضحية في سبيل عزة الوطن وكرامة الأمة، والجندي الإسرائيلي لم يعد ذلك /السوبر مان/ الذي يتم تسويقه عبر أبواق الدعاية الصهيونية والإمبراطورية الإعلامية المسيّرة بما يخدم المخططات الهادفة لإحكام الهيمنة وبسط السيطرة والنفوذ، ومن يقرأ تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي بدقة يدرك أن الجندي الإسرائيلي جبان يخشى المواجهة المباشرة في ساحة المعركة، ويسعى للتعويض عن ذلك عبر التحصن في داخل الدبابات والمزنجرات، معتمداً على أن التصفيح المميز يحافظ على حياته، لكن كل ذلك أصبح جزءاً من الماضي، وبخاصة بعد الانتصار الاستراتيجي الذي سطّره رجال المقاومة اللبنانية على العدوان الأمريكي – الإسرائيلي في تموز – آب ٢٠٠٦م.

إننا إذ نستذكر معركة السلطان يعقوب بعد مضي أكثر من تسعة وعشرين عاماً فإن استذكارها يدفع جميع المقاتلين لاستلهام الدروس المستفادة، وإضافة صفحات جديدة مشرقة إلى السجل الذهبي لقواتنا المسلحة، وهو سجل حافل بصور البطولة والرجولة والتضحية والفداء.

إن الرجال الذين سطّروا أروع صور الصمود والدفاع المشرف في تشرين التحرير وفي السلطان يعقوب هم اليوم أكثر تصميماً على استعادة كل قطرة ماء وكل ذرة تراب، واضعين نصب أعينهم هدف إرساء أسس السلام العادل والشامل المبني على قرارات الشرعية الدولية وعلى مرجعية مؤتمر مدريد ومبدأ الأرض مقابل السلام، فالجولان المحتل كان وسيبقى عربياً سورية، وسيعود طال الزمن أم قصر إلى حضن الوطن الأم سورية قلب العروبة النابض.

ثاني عشر - مشاهدات في أرض المعركة:

في يوم ١٩٨٢/٦/١١م، استدعاني **اللواء حسن توركماني**، **مدير الإدارة السياسية آنذاك**، وطلب مني انتظاره في قيادة قوات الردع العربية بلباس الميدان ، مصطحباً معي سائقاً وسيارة لاندروفر، مع السلاح ، **وهناك اجتمع كل من:**

١ – العماد أول مصطفى طلاس نائب القائد العام – وزير الدفاع

٢ – اللواء سعيد بيرقدار قائد (قوات الردع العربية).

٣ – اللواء: حسن توركماني مدير الإدارة السياسية.

٤ – العميد الركن إبراهيم الصافي: قائد الفرقة الأولى المدرعة.

٥ – العميد الركن شفيق فياض: قائد الفرقة الثالثة المدرعة.

٧ – الرائد إبراهيم المحمود: ضابط ارتباط الإدارة السياسية.

وعند تقديم **اللواء سعيد بيرقدار** قائد قوات الردع العربية الموقف لنائب القائد العام، كان مما عرضه:

١ – **فقدان الاتصال مع الكتيبة** ٦٢٢ بعد جرح المقدم عيسى نادر قائد الكتيبة واستشهاد رئيس أركان الكتيبة الرائد معين عرقسوسي، وغموض الموقف على محور بحمدون عالية. بيروت، **بسبب تطويق بيروت، وتداخل القوات.**

٢ – وقوع خسائر كبيرة ولا سيما في سلاح الدفاع الجوي.

٣ – تمكن القوات السورية من إنزال خسائر جسيمة بالعدو بالأفراد والعتاد.

٤ – التبدل السريع للمواقف على المحاور ما بين جنوب لبنان وطريق بيروت – دمشق.

قرر العماد طلاس إرسال ضابط للقيام بالاستطلاع الميداني للحد الأمامي على محاور القتال كافة وتم إرسال ضابط فعاد وأعلم أن طريق دمشق – شتورا مقطوع بسبب تراكم الآليات المدمرة. وتخريب الطريق بالقصف الجوي.

عندها طلب اللواء حسن توركماني من العماد وزير الدفاع: أن ينفذ هذه المهمة الرائد إبراهيم المحمود من الإدارة السياسية.

وبعد الموافقة انطلقتُ عبر طريق التفافي وعند اقترابي من مجدل عنجر كانت في المنطقة أشلاء من الشهداء السوريين واللبنانيين وقد اختلطت الأشلاء وامتزجت الدماء.

فتابعتُ حتى بحمدون، وهناك التقيت بالمقدم عبد الحميد سلطان قائد الفوج (٣٦) قوات خاصة، فطلبت منه معلومات عن الموقف على محور بحمدون – عالية – بيروت فسأل صاحبة المنزل /أم بطرس/ التي قدمت من بيروت باليوم نفسه، فأفادت أن هناك قوات في عالية لكنها غير متأكدة من هويتها نظراً للقصف في المنطقة، فسألته عن موقف تشكيله.

بعدها اتصل هاتفياً بالرائد إبراهيم الحميدي قائد كتيبة في بيروت الذي أفاد هاتفياً **أنه مسيطر على منطقته** وأن معنويات كتيبته عالية. وأنه قادر على الصمود وعلى الخروج من التطويق. **ثم أجريت اتصالين مع الرائد إبراهيم الحميدي ورئيس أركانه النقيب تركي الدرويش**، فكانا يؤكدان قدرتهما على فك الطوق إن تمت موافقة القيادة على ذلك.

انطلقت بعد الغروب من بحمدون باتجاه عالية وبالقرب من مدخل عالية شرقاً، أوقفت العربة وتقدمت باتجاه عدد من الجنود، وكان تقديري أنه إذا كانوا يتحدثون العبرية، أو العربية ولكن بلهجة واحدة فهم الإسرائيليون وإذا كان الحديث باللهجات السورية المتنوعة فهم سوريون ولما تأكدت من أنهم

سوريون ذهبت معهم إلى قائدهم وعرفته على نفسي وقدمت له ساعة كانت بيدي باسم القيادة العامة **فعرض لي موقف كتيبته كما يلي:**

المقدم عيسى نادر قائد الكتيبة ٦٢٢ جريح.

الرائد معين عرقسوسي رئيس أركان الكتيبة شهيد.

خسائر الكتيبة زهاء ٢%.

والكتيبة أخذت موقعاً دفاعياً وهي مسيطرة على قطيع دفاعها.

بعد أن تفقدنا سرايا الكتيبة، أخذت شفافاً عن خريطته **وطلبت منه الانسحاب إلى شتورا بناءً على ما لدي من أوامر فكان جوابه:**

لا أنسحب إلا بعد أن تعلم القيادة أنني مسيطر على مواقعي.

وفي العودة استطلعت عدداً من المحاور:

كان أهمها محور المصنع – الصويري – حمارة – السلطان يعقوب.

وفجأة وجدت نفسي بين دبابات إسرائيلية جاهزة، مشعلة الأنوار فتركت السيارة وقفزت شرقاً خشية الوقوع بالأسر وكذلك فعل السائق فلم يطلق النار علينا أحد. فاقتربت زحفاً باتجاه الدبابات فتأكد لي أن الدبابات إسرائيلية فعلاً لكن من حولها سوريون من لهجاتهم.

فاقتربت وعلمت أن اللواء ٥٨ من الفرقة الأولى هو الذي سيطر على هذه الدبابات الثماني من نوع باتون إم ٤٨ آ ٥ في منطقة بيدر العدس في السلطان يعقوب بعد أن لاذت أطقمها بالفرار **وأن قائد اللواء ٥٨/ ميكا العميد الركن (علي محمد حبيب محمود)،** على المحور نفسه فتقدمت في الظلام الدامس، الذي تشقه أحياناً بعض القنابل المضيئة والطلقات الخطاطة، ودوي الانفجارات. وعند اقترابي، سألت عن مقره، فسمع صوتي، وعرفني به، على الرغم من أننا لم نلتقِ منذ سنين، إلا مرة واحدة ومع معرفتي أنه قد

خاض معارك طاحنة، وأنه لم يذق النوم إلاّ لماماً، سألته سيدي في الكلية الحربية: كنت تسألنا عن المطرة هل هي مليئة بالماء، فقدّم مطرته المليئة بالماء، وقال تفضل اشرب، ثم سألته عن الإبرة والخيط، فقدمهما لي،**(وسبب ذلك أنه كان قائداً لدورتنا في الكلية الحربية)**، ثم أعلمته مهمتي فشرحها لي. عندها أعلمته أن الدبابات الإسرائيلية التي استولى عليها يقوم عناصر من «سرايا الدفاع والصاعقة آنذاك، وغيرهم بسحبها إلى دمشق. أجابني العميد الركن (علي محمد حبيب محمود):

المهم أن نستولي على دبابات العدو أو ندمرها، أما من يسحبها إلى دمشق، فهم العاملون في المؤخرات.

عدت إلى دمشق وقدمت إلى اللواء (حسن توركماني) مدير الإدارة السياسية آنذاك تقريراً مفصلاً عما جرى، عندها حدثت جلبة وهي مرور بعض الدبابات الإسرائيلية المأسورة في شوارع دمشق قرب الإدارة السياسية، وعندها رنَّ جرس الهاتف، فقدّرت أنَّ المتصل إما نائب القائد العام أو رئيس الأركان يستفسران عن الدبابات وعن الكتيبة ٦٢٢.

فأجاب اللواء (حسن توركماني): هذه دبابات إسرائيلية استولى عليها اللواء ٥٨ والرائد إبراهيم المحمود أمامي وسنوافيكم بتقريره فوراً.

وأردف قائلاً: كذلك أعلمني **النقيب علي إسماعيل**. أن قائد لواء (٦٢ **مش)** قد قال له: **(نحن بحاجة إلى إمدادات طبية وتعيينات)**. أقترح أن نؤمن عدد من السيارات تعود إلى قائد اللواء محملة بالإمدادات المطلوبة.

حفاظاً على القدرة القتالية ورفعاً للروح المعنوية.

وعبر ساعتين انطلقت السيارات من الإدارة السياسية إلى قائد اللواء، بقيادة النقيب علي إسماعيل نفسه أيضاً.

كما قام النقيب رياض حداد ، الذي يعمل في فرع التوجيه السياسي في الفرقة الأولى المدرعة ، بصياغة بيانات تطلق بالمكبرات على الجنود الإسرائيليين.

وذلك رداً على الدعاية الصهيونية التي كان الإسرائيليون يبثونها في مبكرات الصوت على الحد الأمامي للقوات السورية في لبنان آنذاك.

حيث قام النقيب رياض حداد بصياغة هذه البيانات باللغة العربية ثم اتصل بالدكتورة (وصال سمير) رئيسة قسم اللغة العبرية في جامعة دمشق؛ وفي إذاعة دمشق حيث قامت بصياغتها باللغة العبرية، **وجرت تلاوتها من قبل النقيب رياض نفسه، وهذا المبين في الملاحق.**

وقد بثت إسرائل عدداً من الأغاني منها (أغنية ما أقصر العمر حتى نضيعه في النضال لمحمد عبد الوهاب، وأغنية ردني إلى بلادي للمطربة فيروز) وذلك لأكثر من عشرين مرة في يوم واحد.

ومن الجدير بالذكر استشهاد عدد من الطيارين السوريين الأبطال فوق الأراضي اللبنانية ومنهم **هاني المحمود** الذي أسقط طائرة (إف١٦) إسرائيلية لأول مرة يسقط فيها هذا النوع من الطائرات.



الهيئة العامة
السورية للكتاب



البَابُ السَّابِعُ

السياسة والحرب في بلاد الشام

في العقد الأول من القرن /٢١/ م


الهيئة العامة
السورية للكتاب

الفصل الأول

بيئة استراتيجية جديدة في المنطقة

ظهرت البيئة الاستراتيجية التي سادت قبل الحرب على لبنان فيما يلي:

- **كانت الحرب على الإرهاب موضوعاً فرض شرطه السياسي** وإيقاعه على الواقع الموجود.
- **الإخفاق الاستراتيجي عربياً ودولياً في منع احتلال العراق،** وهو ما أحدث فوضى بالوجود العسكري الأمريكي و تدمير الدولة العراقية.
- **دخول الانتفاضة الفلسطينية وحكومة حماس** في مأزق طويل مع أشكال الحصار عليها.
- **كان التحرك السياسي يتخذ مساراً حرجاً** قبل الحرب على لبنان، متيحاً فرض صورة سياسية تصنف العالم في محورين.

عند الحديث عن البيئة الاستراتيجية الجديدة نلمس مايلي:

- **عدم قدرة الترسانات الضخمة من السلاح المتطور** والجيوش الكبيرة بشكل منفرد على تبديل عوامل الصراع القائمة، أو حتى تحقيق معادلة جديدة إقليمياً.

- **اتساع مفهوم ميدان المعركة ليشمل الجغرافية الاجتماعية**، فعندما استطاعت المقاومة تهيئة ميدان المعركة فإنها عملت بشكل كلاسيكي من خلال تأمين متطلبات المعركة عسكرياً.

في التقرير الأول فإن حرب الـــ ٣٣ يوماً، كانت الحرب السادسة في الصراع العربي الإسرائيلي على الرغم من أنها انحصرت داخل الجغرافيا اللبنانية.

جاءت الحرب في ذروة التفاوت الاستراتيجي، **حيث تنتشر في المنطقة قوات ضخمة برية وبحرية وجوية، أميركية وإسرائيلية ومن دول حلف شمال الأطلسي تتمثل في:**

١ - القوات الإسرائيلية:

القوات الإسرائيلية المتخمة بأحدث الأسلحة والأعتدة المتطورة ولاسيما سلاح الطيران الإسرائيلي الذي يعد من أقوى أسلحة الطيران بعد الولايات المتحدة، مع مخزون كبير من أسلحة الدقة العالية (الصاروخية المتنوعة بشكل أساسي) فضلاً عن امتلاك القدرات النووية (مايزيد عن ٢٠٠ قنبلة نووية).

تعاني هذه القوات حالياً من تداعيات إخفاقها في الحرب العدوانية ضد لبنان وحزب الله.

٢ - القوات الأميركية:

تحتفظ الولايات المتحدة بقوات جوية وبحرية وبرية ضخمة في إطار استراتيجيتها الحالية للحفاظ على مصالحها في المنطقة، وتتوزع قواتها وفق التالي:

القوى البحرية:

* ينتشر في البحر المتوسط الأسطول السادس الأميركي.

- **القوى الجوية:**

تنتشر القواعد الجوية الأميركية على أراضي العديد من الدول العربية وتركيا وأفغانستان وبعض الدول التي انفصلت عن الاتحاد السوفييتي وتضم أعداد كبيرة من الطائرات.

- **القوات البرية:**

تنتشر بشكل أساسي في أفغانستان /٣٥٠٠٠/ رجل والعراق /١٤٥٠٠٠/ رجل وجزئياً على أراضي بعض الدول العربية.

٣ – قوات الدول الأخرى:

وهي قوات دول متحالفة مع الولايات المتحدة، وتشكل القوات البريطانية عمادها الأساسي.

التوازن العسكري والمقاومة:

وعلى الرغم من أن الطرف المقاوم لا يملك العتاد العسكري والتقنيات والقوات التي تحقق التوازن على الأقل مع حجم الانتشار الكثيف للقوات الأجنبية في الشرق الأوسط، إضافة لحجم القوات الإسرائيلية، إلا أن لديه أوراقاً مهمة في هذا المجال تتجلى في:

- **امتلاك وسائل قتالية مهمة** على الرغم من عدم تساويها أو اقترابها من وسائل الأعداء إلا أنها تشكل ردعاً جيداً إذا أخذنا بالاعتبار نتائج حرب حزب الله وإسرائيل كنموذج.

- **توفر إرادة سياسية تستند أساساً** إلى فهم عمق الصراع بدلاً من التعامل مع إجراءات سريعة لمعالجة الأزمات المتكررة، فالإرادة السياسية ليست عنواناً سياسياً بقدر كونها فهماً للمصالح التي تحكم شعوب المنطقة.

عملياً، إن كسر التفوق الاستراتيجي بين طرفي المعادلة في الشرق الأوسط ظهر في الحرب الأخيرة من خلال اختراق السياسة الأميركية – الإسرائيلية في احتكار العملية السياسية في العالم العربي، وطرح إمكانية عودة المبادرة إلى أبناء المنطقة.

المشهد السياسي بعد الحرب

لكننا نستطيع تلمس واقع جديد طرأ على المنطقة بعد الحرب، جاء نتيجة عاملين:

١ – **كانت هذه الحرب هي الأولى التي حملت تفاهمات دولية**، بينما لم يكن يقف إلى جانب المقاومة أية قوة فاعلة على المستوى العالمي، وردود الفعل تجاهها بدأت تأخذ الطابع الإنساني بعد الأسبوع الأول.

على الرغم من أن الإدارة الأميركية، وعدداً من مراكز الأبحاث، أعطت الوضع العسكري في لبنان بعداً مذهبياً، لكن هذه الصورة كانت تحاول خلق خلاف بديل عن الخلاف الاستراتيجي داخل النظام العربي تجاه الاستراتيجية الأميركية قبل احتلال العراق وبعده.

وبات واضحاً أن جملة من النتائج السياسية ستظهر بشكل سريع على المستوى الإقليمي، حيث حملت الحرب الآثار التالية:

١ – **إخفاق التعامل مع الشرق الأوسط** وفق المشاريع المعدة سلفاً، أو وفق نظرية (الفوضى البناءة):

٢ – **عدم قدرة إسرائيل على إدارة الصراع** بنجاح على الرغم من التفوق العسكري والغطاء السياسي الدولي.

كان واضحاً منذ بداية المعارك أن إسرائيل لم تحدد بوضوح الأهداف السياسية للحرب، فهي تريد تقديم مبررات وأهداف داخلية، وفي الوقت نفسه تسعى لتنفيذ أهداف إقليمية من خلال قلب المعادلة السياسية في لبنان.

وظهر إرباك سياسي وعسكري في القيادة الإسرائيلية على مستوى إدارة الصراع.

٣ – **ظهور خيارات استراتيجية جديدة:**

أعطى نجاح المقاومة مجالاً لصياغة خيارات استراتيجية إقليمية

وعربية جديدة، فلم تعد مسألة المقاومة عنواناً لمراحل سابقة في تاريخ المنطقة، فمسألة التفوق العسكري الإسرائيلي دخلت ضمن حسابات جديدة، حيث تم كسر عامل الخوف من المجابهة، وتجديد مشروع (المقاومة على مستوى المنطقة)، وفي الوقت نفسه أعطت المقاومة لمسألة السلام بعداً جديداً بعد أن أصبح إرادة دولية فقط.

٤ - **التأسيس لإعادة الحياة** للقرارات الدولية المتعلقة بحل الصراع العربي - الإسرائيلي:

كانت أهم نتائج هذه الحرب أن المجتمع الدولي تنبه إلى أساس مشكلتي السلام والإرهاب وجذورهما، إذ بدأ البحث بشكل جدي في الحلول الجذرية لمشاكل المنطقة، وآليات تطبيق قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالصراع العربي - الإسرائيلي.

٥ - طبيعة الجبهة الداخلية الإسرائيلية وتآكل قدرة الردع:

أظهرت نتائج الحرب تأثيرات ضرب الجبهة الداخلية الإسرائيلية على الحرب والسياسية.

وعلى مستوى الردع اعتمدت إسرائيل في مواجهة الدول العربية وحتى الإسلامية على:

- **قدرات إسرائيل النووية والتي تقدر** حسب المصادر المختلفة بما يزيد على /٢٠٠/ رأس نووي.

- **قدرات إسرائيل العسكرية التي تشمل** ترسانة ضخمة من منظومات التسليح الحديثة المؤطرة في قوات مسلحة ضاربة بقواها الثلاث البرية والبحرية والجوية.

- **الاستقواء بالدعم الأميركي السياسي والعسكري غير المحدود.**

وفي هذا السياق، يمكن التوقف عند معطى جديد يتعلق بتغيير النظرية

العسكرية الإسرائيلية لتأخذ بنظر الاعتبار حالة المواجهة أو الحرب بين قوات تقليدية وقوات غير تقليدية.

٦ – تصاعد الانتقاد للسياسة الأميركية:

أوضحت حرب تموز أن الصورة الأميركية لايمكن أن يعاد رسمها داخل أذهان مواطني المنطقة بسهولة، فالانتقادات للسياسة الأميركية قد تصاعدت منذ احتلال العراق.

٧ – انخفاض عدد المهاجرين إلى إسرائيل، وازدياد الهجرة المعاكسة:

أدت الحرب إلى انخفاض أعداد المهاجرين إلى إسرائيل من دول العالم، وكان لتهديد الجبهة الداخلية وشعور الإسرائيليين بتزايد الخطر على حياتهم أثره في الإحجام عن الهجرة إليها، كما أن الأنباء التي أشارت إلى الأعداد الكبيرة من الإسرائيليين الذين تزاحموا على مكاتب السفارات الأجنبية للحصول على تأشيرات خروج تعتبر مؤشراً على القلق.

الفَصْلُ الثَّانِي

النتائج والعبر على الصعيد العسكري

كانت تجربة حرب تموز ٢٠٠٦ غنية بالدروس والعبر، فقد أكدت نتائج هذه الحرب أهمية تطبيق مبادىء الحرب المعروفة.

وفيما يلي سوف نعرض لأهم هذه الدروس والعبر:

١ - مبدأ المفاجأة في الحرب:

في هذه الحرب أخفقت إسرائيل في تحقيق المفاجأة في توقيت شن العدوان، وكان ذلك عاملاً أساسياً في إخفاق العدوان. فيما نجح حزب الله في تجنب المفاجأة، وحقق عدداً من المفاجآت في إخفاء حجم قدراته الحقيقية، وطبيعة تكتيكاته، ومستوى معرفته بالعدو.

وتبقى العبرة في أن تحقيق المفاجأة الاستراتيجية والتكتيكية، والمفاجأة بنوعية الأسلحة وأساليب القتال سيبقى مبدأ أزلي يجب العمل على تحقيقه بمختلف الوسائل.

٢ - مبدأ الحشد:

على الرغم من أن الظروف العصرية لا تسمح لكل الجيوش بتحقيق حشد مخفي عن أنظار العدو، بسبب التطور المذهل لمنظومات الاستطلاع الفضائية والجوية والأرضية، إلاّ أنه في الحرب العدوانية الإسرائيلية ضد لبنان،لم تراع القيادة الإسرائيلية هذا المبدأ، ودفعت بقواتها البرية بشكل مجزأ وخجول إلى معارك جزئية كانت نتيجتها العامة فاشلة.

وبناء على ما تقدم يمكن القول إنه لابد من إجراء الحشد وتركيز القوى على محاور أو اتجاهات محددة لتحقيق الاختراق الجدي، ولاسيما في المستوى التكتيكي، مع مراعاة وجود الغطاء الجوي أو فقدانه.

٣ – مبدأ المناورة:

لقد طبق حزب الله هذا المبدأ على نحو رائع في معاركه ضد القوات الإسرائيلية، فقد تمكن من تدريب قواته على إدارة معركة متحركة أساسها المناورة بالمجموعات الصغرى للقيام بالهجمات على نقاط العدو الحدودية، والإغارة على مجنبات القوات المهاجمة ومؤخراتها، ونصب الكمائن السريعة على طرق التقرب، فضلاً عن المناورة بالأسلحة والنيران.

وبالتالي فإن الحرب أكدت على أهمية تطبيق مبدأ المناورة في جميع المستويات وبمختلف الطرائق.

٤ – الاستخبارات والسرية:

لقد فهم صن تزو منذ حوالي ٢٥٠٠/عاماً أهمية المعلومات عن العدو لأنها تُعَدُّ نصف الطريق إلى النجاح في الحرب، وفي حرب تموز /٢٠٠٦م/ ظهرت بوضوح أهمية المعلومات عن العدو. فكما يبدو من الوقائع أن حزب الله درس الجيش الإسرائيلي جيداً وتوصل إلى تنبؤات صحيحة حول نقاط القوة والضعف لديه وإلى الأساليب المتبعة في القتال. وبنى على ذلك خططاً وتدابير مناسبة للمواجهة ونجح في إحباط خطط العدوان، وفي الوقت ذاته تمكن حزب الله من المحافظة على السرية حول إمكانياته وطبيعة انتشار قواته وأساليب عملها وأخفاها عن عيون وجواسيس العدو الإسرائيلي. وقد حقق الحزب بذلك إنجازاً مهماً شكل المقدمة لهزيمة الغدو في الميدان وتحقيق النصر.

بينما ظهر على الجانب الإسرائيلي عجز استخباراتي واضح في اختراق منظومة الأمن لدى حزب الله، وفي معرفة حقيقة قوة وتسليح وتدريب وانتشار قوات حزب الله في الجنوب والمناطق الأخرى.

٥ – مواجهة الحرب اللاتماسية:

كان من الطبيعي أن تطبق إسرائيل مبادىء الحرب اللاتماسية بسبب سياستها العدوانية، إذ اعتمد الإسرائيليون في السعي لتركيع حزب الله وتدميره على أعمال سلاح الجو في الأيام القليلة الأولى للحرب بما يحسم نتيجة الحرب منذ البداية.

لكن حزب الله واجه الحرب اللاتماسية بطريقة ذكية معاكسة، عن طريق تطبيق أسلوب متطور لحرب العصابات، وتجهيز متقن ومبتكر لمسرح العمليات من الناحية الهندسية.

وبناء على ما تقدم يمكننا القول: إن الحرب اللاتماسية ليس قدراً لا يمكن مجابهته، على الرغم من كل ماتحويه من عناصر قوة كبيرة. كما يمكن القول (إن مجابهة الحرب اللاتماسية ممكنة باستخدام أساليب وتدابير مشابهة لما طبق من قبل حزب الله، حيث تتجه الآراء اليوم إلى نظرية الحرب اللامتناظرة في مواجهة الحرب اللاتماسية النظرية التي تعتمد وسائط القتال البسيطة وغير المعقدة وغير التقليدية في آن، مع الإنسان المؤمن والمدرب،الذي يعتمد أسلوباً متطوراً من حرب العصابات. وهذه القضية مطروحة أمام كل القوى والجيوش المعرضة لمواجهات عسكرية مع قوات الدول القوية مثل إسرائيل والولايات المتحدة بشكل خاص. وكعبرة جلية، ستظل القضية مطروحة للمزيد من الدراسة والتطوير لبلورة عقيدة جديدة في مواجهة الحرب اللاتماسية.

٦ – مدة الحرب:

لطالما سعت إسرائيل في حروبها إلى تطبيق أسلوب الحرب الخاطفة الذي يؤدي إلى هزيمة العدو خلال فترة وجيزة.

في المقابل يسعى خصوم إسرائيل، أو يفترض أن يسعوا، لإطالة مدة الحرب والوصول إلى حرب استنزاف طويلة، لإحداث أكبر الخسائر في صفوف القوات.

في حرب تموز ٢٠٠٦م بدت الصورة مختلفة نوعاً ما. فقد أعد حزب الله عدته لصراع طويل مع الجيش الإسرائيلي. فيما كانت إسرائيل تدبر لإدارة حرب صاعقة قصيرة الأمد. لكن إخفاق المرحلة الأولى من الحرب والنجاحات التكتيكية التي حققها حزب الله أفسد المخطط وباتت إسرائيل بحاجة لوقت أطول، وهنا لجأت إلى أميركا لمنع المجتمع الدولي من فرض وقف إطلاق النار.

تبقى التوصية الأساسية المترتبة على نتائج الحرب الأخيرة،هي الإعداد والتحضير لخوض حرب طويلة الأمد،والسعي لتحقيق ذلك في مجرى الأعمال القتالية.

٧ – الحصار:

فرضت إسرائيل منذ الأيام الأولى للحرب حصاراً جوياً وبحرياً وبرياً محكماً على لبنان. بالإضافة إلى تقطيع أوصال القطر اللبناني. والهدف من ذلك معروف ويتلخص في منع أية إمدادات عسكرية وإنسانية لحزب الله بالأفضلية الأولى وللشعب اللبناني ثانياً، ولا يخفى على أحد أن مثل هذا التدبير سوف يستخدم من قبل أي معتد يمتلك القدرة على تنفيذه، مما يحرم البلد المستهدف من أية إمدادات خاصة بالمجهود الحربي أو بإدامة عمل الاقتصاد وتأمين معيشة المواطنين على المدى المنظور أو البعيد.

٨ – استخدام أنواع القوات المسلحة وصنوفها:

أ – استخدام الطيران:

يعد سلاح الطيران في الظروف المعاصرة الوساطة الأكثر أهمية في الجيوش الحديثة، وهو القوة الضاربة الأساسية التي يعول عليها في حل المهام الرئيسية للقوات المسلحة في الحرب اللاتماسية التي أضحت موضة العصر.

وتملك إسرائيل سلاحاً جوياً ضخماً ومتطوراً متخماً بأحدث الطائرات الأميركية.

وكما في بقية الدول الكبرى،اعتمدت، وتعتمد إسرائيل على سلاح الطيران في حروبها اعتماداً كلياً.

لكن الرهان المبالغ فيه على دور سلاح الطيران لم يكن في محله. ففي تموز ٢٠٠٦م أسندت لسلاح الطيران مهمة إنجاز تدمير قدرة حزب الله القتالية بنسبة عالية، وتجدر الإشارة هنا إلى أن سلاح الطيران الإسرائيلي قد حقق السيطرة الجوية فوق الأراضي والسواحل اللبنانية منذ بداية الحرب،وذلك لأن لبنان لا يمتلك وسائط دفاع جوي جدية. ونفذت الطائرات حوالي /١٥٥٠٠/ طلعة جوية في حوالي /٧٠٠٠/ هدف في لبنان ليلاً نهاراً دون عائق. واستطاع بذلك تدمير كل الأهداف المعروفة والمستطلعة سابقاً.

لكنه لم يستطع إنجاز المهمة الرئيسية وهي تدمير القدرة القتالية لقوات حزب الله بنسبة كافية لحسم مصير الحرب. وربما يعزى ذلك إلى عجز الاستخبارات الإسرائيلية عن تحديد المواقع الحقيقية لقيادات حزب الله ومرابض صواريخه ووسائطه النارية عموماً، إضافة إلى مواقع القوات المدافعة في الجنوب اللبناني. كما أن معظم الإنزالات الجوية الإسرائيلية باءت بالفشل.

لكن هذا لا يعني الاستهانة بالطيران المتفوق، بل سيبقى للطيران الدور الأساسي في الحروب القادمة، وسيزداد اهتمام الدول في دعمه وتقويته. لكن العبرة هي أن هذه الحرب أثبتت إمكانية مجابهة أعمال الطيران وتحييد تأثيره باتخاذ التدابير المناسبة من تأمين دفاع جوي فعال، وتجهيز تحصيني قوي، وإجراءات تمويه وتضليل لوسائط الاستطلاع المعادية.

ب - استخدام الصواريخ:

تبين مجريات الصراع أن الصواريخ تكرست كوساطة قتالية رئيسية في الميدان منذ حرب تشرين التحريرية، حيث فاجأت الصواريخ المضادة للطائرات والصواريخ المضادة للدبابات على الجبهة السورية والمصرية الثنائي الإسرائيلي طائرة - دبابة، وأوقعت فيها خسائر كبيرة.

وأكدت الحرب السادسة على حقيقة أن الصاروخ أصبح الوسيلة الأساسية في التأثير حتى على البنى التحتية. فقد فاجأت صواريخ حزب الله العدو الإسرائيلي على البر وفي البحر والجو.

لقد شكلت الصواريخ الخاصة بحزب الله مشكلة مزمنة لإسرائيل، لأنها كانت تسعى دوماً للقضاء عليها أو إبعاد تهديدها، فيما كانت الصواريخ هي مفتاح النجاح لحزب الله.

تشير الاحصائيات إلى إن حزب الله أطلق نحو /٤٠٠٠/ صاروخ من العيارات المختلفة إبان حرب (الوعد الصادق).

لقد أكدت الحرب على أهمية الصواريخ في التأثير الناري على الأهداف. وينتظر أن تزداد أهميتها، في الوقت الذي يستمر فيه تطوير جميع أنواع الصواريخ باتجاه زيادة قدرتها التدميرية، وباتجاه زيادة المدى ودقة الإصابة. وسيسعى كل طرف إلى زيادة مخزوناته من هذه الوساطة النوعية الفريدة.

ج - أسلحة الدقة العالية:

أيدت مجريات الحرب النزعة المتزايدة لدى الجيوش المتقدمة في امتلاك أسلحة (مقذوفات) الدقة العالية واستخدامها في الحروب. فقد بلغت نسبة المقذوفات ذات الدقة العالية المستخدمة من قبل الطيران الإسرائيلي مستوىً عالياً يزيد على (٧٥%) من إجمالي القذائف المستخدمة. كذلك زادت المقذوفات الذكية في سلاح المدفعية. وبسبب فعالية هذه المقذوفات وتأثيرها التدميري على مختلف الأهداف نتيجة إصابتها بدقة بمقذوف واحد، فإن النزعة في امتلاك المزيد من هذه المقذوفات سوف تستمر. ولاسيما أن التطوير والتحديث لهذه الوسائط ستمر بوتائر عالية. والعبرة هنا في اتخاذ الإجراءات المناسبة لتحييدها والوقاية منها بمختلف الوسائل والأساليب.

د – استخدام القوى البحرية:

لم يكن لدى حزب الله أو الجيش اللبناني قوى بحرية،وبالتالي كانت مهمة القوى البحرية الإسرائيلية سهلة،وتمثلت المهام **المسندة إلى القوى البحرية الإسرائيلية في:**

– **فرض حصار بحري** على الشواطئ اللبنانية لمنع الإمداد بالسلاح والتموين لحزب الله.

– **ضرب الموانئ اللبنانية.**

– **الأهداف المتاخمة للشاطئ.**

– **الإسهام عند الضرورة في تأمين الإنزال الساحلي.**

وقد نفذت هذه المهام بنجاح عن طريق السفن الصاروخية من طراز ساعر /٤,٥/ وساعر /٥/ الحديثة المزودة بالوسائط الإلكترونية للدفاع الجوي وضد الصواريخ.

إلا أن هذه القوى أصيبت بصدمة،إذ فوجئت بامتلاك حزب الله لصواريخ أرض بحر متطورة. واستطاع حزب الله تدمير وإصابة سفينتين صاروخيتين من طراز ساعر /٥ر٤/ وساعر /٥/ إضافة إلى زورق دورية سوبر دفورا، مما أربك سلاح البحرية وجعله ينفذ مهامه من مسافات أبعد عن الشاطئ اللبناني تصل إلى /٤٠/كم.

هـــ – استخدام القوات البرية:

تم استخدام قوات فرقة الجليل (الفرقة /٩١) المنتشرة على الحدود اللبنانية للبدء بأعمال قتالية محدودة، وربما للقيام باستطلاع قتالي على بضعة محاور، فيما كان الطيران ينفذ المهمة الأساسية. واعتمدت الأركان الإسرائيلية في الوقت ذاته على تعزيز الجبهة، عن طريق استدعاء وتجميع قوات النخبة العاملة التي تضم وحدات من: لواء جولاني، فرقة المظلات،

لواء جفعاتي، لواء الناحال /٩٣٣/، وحدات مدفعية + وحدات دبابات من اللواء السابع العاملة في الجولان. وذلك تمهيداً لزجها في المعركة. كما تم استدعاء وحدات مدفعية ودبابات من الفرقة /١٦٢/.

وكما أسلفنا بدأت المعارك البرية باستطلاعات قتالية غير ناجحة. ثم بدأ زج مجموعات قتالية مختلطة القوام بحسب حالة وطبيعة الأهداف، تضم وحدات المشاة، المظليين،القوات الخاصة، الدبابات، المهندسين. وكان الزج يتم بالتتابع على عدد من المحاور. كما لم تحزم القيادة أمرها لتأمر بشن هجوم واسع بقوى كبيرة، مما يعبر عن الارتباك والخوف من الخسائر والخشية من النتائج القاسية.

واتخذت الأركان الإسرائيلية قرار توسيع العدوان البري قبيل نهاية الحرب، وكان ذلك قراراً متأخراً.

وعلى هذا النحو استطاع حزب الله توجيه ضربة مؤلمة لمعظم خطط وهجمات القوات البرية.

ويمكن توصيف استخدام القوات البرية بأنه كان مجزءاً ومرتبكاً، لم تزج فيه قوى كبيرة على اتجاه (اتجاهات) رئيسي لحسم المعركة، وإنجاز احتلال قطاعات هامة تصل إلى نهر الليطاني وتدمر قوى حزب الله المدافعة، ويعتبر ذلك مخالفة لمبدأ حشد القوى وتركيز الجهود الرئيسية على اتجاهات محددة.

وــ استخدام سلاح الهندسة:

برزت في هذه الحرب أهمية سلاح الهندسة سواء في مرحلة الإعداد للحرب أم في مجرى الأعمال القتالية. وقد سبق أن أشرنا إلى الأهمية الكبيرة لتجهيز مسرح الأعمال القتالية من الناحية الهندسية وتحويله إلى شبكة من النقاط المحصنة والملاجئ والأنفاق مع تدابير الإخفاء والتمويه والتضليل استعداداً للمواجهة القادمة.

أما في مجرى الأعمال القتالية فقد برز دور الملاغم القوية التي جهزها حزب الله، سواء منها الثابتة أم الآنية التي استخدمت لتدمير الدبابات والمعدات الهندسية والآليات وكذلك للتأثير على الأشخاص.

ز ـ استخدام قوات الاحتياط:

من المعروف أن الجيش الإسرائيلي يعتمد في حروبه على تعبئة قوات الاحتياط وزجها في الحرب. إذ يحتفظ في الأوقات العادية بنسبة (٣٠%) من قوامه على شكل قوات نظامية وخصوصاً في القوات البرية.

وجرت دعوة الاحتياط بشكل متسلسل ومجزأ وبعد تأخير ونقاش طويل. حيث جرى الإعلان عن تعبئة ودعوة ثلاث كتائب احتياطية بعد بدء الحرب، وبعد نقاش طويل في الكنيست حول احتمال قيام سورية بمبادرة عسكرية باتجاه منطقة الجولان.

ونعتقد أن هذه الصورة ستتغيرمستقبلاً. إذ تقوم الأركان الإسرائيلية بدراسة زيادة أيام تدريب الاحتياطيين والوحدات الاحتياطية لرفع مستواها، مع الإشارة إلى أنه اتخذ قرار في إسرائيل بزيادة مدة التدريب السنوية للاحتياطيين لتكون (من ٢٨ – ٣٢ يوماً).

ح – استخدام الإنزالات الجوية:

وكما هو متوقع فقد نفذت القوات الإسرائيلية في مجرى الحرب ما يفوق عشرة إنزالات جوية معظمها نفذ ليلاً. حيث نفذ إنزالان بمستوى الكتيبة و/٣ – ٥/ إنزالات بمستوى حتى السرية، وباقي الإنزالات بمستوى فصيلة أو مجموعة مهام خاصة. لكن غالبية هذه **الإنزالات عجزت عن تحقيق أهدافها بفعل عوامل عدة وهي:**

عدم دقة وصحة المعلومات التي استند إليها للقيام بالإنزال.

اكتشاف هدف الإنزال من قبل حزب الله، والتصدي السريع والبطولي لقوات الإنزال وإجبارها على الانكفاء بعد إيقاع الخسائر بها.

نشر المقاومة لقوى ومجموعات مقاومة الإنزال في المناطق المحتملة للإنزالات الجوية.

وفي رأينا، كعبرة مما جرى، إن تنفيذ الإنزالات الجوية في أية حرب قادمة سيكون عنصراً أساسياً في الأعمال القتالية، ولا بد من الانتباه إلى تحضير كل الإجراءات والتدابير لمواجهتها وإفشالها والقضاء عليها.

٩ــ التجهيز الهندسي لمسرح العمليات، وإعداد أراضي الدولة للدفاع:

لم يعد سراً أن حزب الله حول الجنوب اللبناني بشكل خاص إلى شبكة من المواقع الدفاعية الحصينة المجهزة بالمنشآت التحصينية القوية والأنفاق والمخابئ التي تؤمن إخفاء وحماية الوسائط النارية والأفراد عن أنظار العدو وقذائفه المتنوعة، كما تؤمن المناورة واستخدام مختلف أنواع الأسلحة والصواريخ بشكل فعال ضد تقدم القوات البرية. وتأمين الصمود لفترة طويلة.

١٠ــ تكريس أهمية المشاة وتراجع أهمية الدبابات:

أصبحت الجيوش تمتلك مقذوفات صاروخية موجهة بالغة الدقة والفعالية. وأصبحت هذه المقذوفات تطلق من عربات القتال أو من قبل الأفراد أو من الطائرات والحوامات القتالية، وحتى من الطائرات دون طيار، وإذا أضفنا إلى ذلك الحشوات المتفجرة الموجهة المزروعة في باطن الأرض أو فوقها (الألغام المتنوعة المضادة للدبابات) وعلى جوانب الطرقات، فإن الدبابة في الميدان أصبحت في خطر داهم. وصار من السهل اصطيادها وتدميرها من قبل أعدائها الكثر.

جاءت الحرب السادسة لتؤكد على هذه المقولة، إذ استطاع حزب الله تدمير الدبابات مركافا – ٤ وغيرها على نطاق واسع بوساطة الصواريخ المضادة للدبابات والعبوات.

كذلك أكدت مجريات حرب تموز على أهمية المشاة في الحرب، لاسيما في التصدي للعدوان وللقوات المدرعة المهاجمة بشكل خاص. كما أن

إسرائيل اعتمدت على المشاة والقوات الخاصة والمظليين في معظم عملياتها.

في رأينا، إن أهمية المشاة سوف تتزايد، مع مزيد من تطوير بنيتها التنظيمية وتسليحها بالوسائط النارية وأجهزة الرؤية الليلية، وتأمين وسائط نقلها إلى الميدان.

١١ــ استراتيجية وتكتيك قوات المقاومة:

اعتمدت المقاومة استراتيجية وتكتيكات فريدة في القتال، مبنية على المقومات التالية:

أ - التنبؤ الصحيح بطبيعة الحرب القادمة، وطرائق القتال عند العدو، وامتلاك معلومات ضخمة عن أوضاعه الداخلية.

ب - التجهيز الهندسي المتقن لمسرح العمليات الذي يمكن من الاختفاء والحماية والمناورة.

ج - تحييد استطلاع (مخابرات) العدو، والمحافظة على سرية أعمال ونوايا الحزب.

د - حسن انتقاء السلاح المناسب لتدمير الهدف في الميدان.

هــ - مفاجأة العدو بنوعية الأسلحة، وأساليب القتال.

و- مستوى إعداد رفيع للمقاتلين (معنوي ومهني).

ز- اعتماد مبدأ القتال المرن والمتحرك، مع مبدأ الاكتفاء الذاتي لكل نقطة من الجوانب كافة.

ح - اعتماد مبدأ الحركة النشطة الدائمة وعدم إخلاء ميدان المعركة مما يؤمن عدم استقرار العدو واستمرار القتال مع العدو المخترق، وفرض مفهوم إنشاء مناطق اشتباك متواصل بدلاً من مفهوم الأرض المحتلة.

ط - استخدام أنماط عمل تكتيكية فعالة ومتنوعة مثل:

- السد الواقف، والضرب على المؤخرة.

- الوعاء الحاضن ثم المدمر.

- الكمائن بأنواعها، البسيطة، والمعقدة والمتتالية.

- الاستدراج إلى مناطق قتل.

- الإغارات البسيطة والمركبة.

- الأفخاخ والملاغم ذات القدرة التدميرية العالية.

- تأمين خطوط التزويد والإخلاء وعوامل القدرة على الصمود.

ي - استخدام ناجح للصواريخ متوسطة المدى للتأثير على الجبهة الداخلية الإسرائيلية.

ك - منظومة قيادة واتصال مدهشة للقوات، أمنت استمرار القيادة دون اختراق أو انقطاع طيلة فترة الحرب.

ل - قيادة عليا حكيمة وواعية وصادقة تمثل القدوة في الشجاعة والصدق في المستويات كافة.

م - مستوى عال من الانضباط الطوعي، وعلاقة وثيقة وتلاحم مصيري مع السكان.

ن - إعلام واقعي صادق، مع حرب نفسية مضادة.

العبرة من نجاح الأساليب المطبقة في حرب تموز على الرغم من أنها حرب محدودة ولها ظروفها الخاصة، هو أن هذه الأساليب أثبتت نجاعتها في المواجهة ويمكن الإفادة منها في المواجهة مع إسرائيل.

التنبؤ بطبيعة الحرب القادمة:

وتتجلى العبرة في تكريس أهمية التنبؤ بطبيعة الحرب القادمة، ونقول التنبؤ الصحيح وليس العشوائي أو الخاطئ. إن مجرد الاعتماد على تحديد طبيعة الحرب الأخيرة والاطمئنان إلى الإجراءات المتخذة على أساس ذلك،

يعتبر خطأ فادحاً. لأن المعتدي سوف يدرس ويحلل التجربة، وبالتالي سوف يطور أساليبه وخططه متلافياً الثغرات والسلبيات التي ظهرت في استخدام القوات المسلحة في الحرب، وكذلك الإيجابيات التي حققها حزب الله. وبالتالي فإننا سنواجه على الأغلب في المواجهة المحتملة القادمة طبيعة جديدة مطورة للحرب وأساليب القتال. مما يؤكد مقولة (صن تزو) المنظر العسكري الصيني «عقب كل حرب نحن لا نكرر التكتيكات ذاتها، إننا نبدلها باستمرار لتلائم الظروف المتبدلة ».

والمطلوب هو متابعة جمع المعلومات عن التطورات في معسكر الأعداء وتحليلها للتوصل إلى التنبؤ الصحيح حول طبيعة الحرب القادمة وأساليب استخدام القوات المسلحة فيها، ومن ثم إيجاد الظروف الموضوعية واتخاذ التدابير الكفيلة بمواجهتها بنجاح.

أما المشاريع الأمريكية القديمة والجديدة فكانت تتركز حول مسائل أساسية متصلة بأطماع الإدارات الأمريكية المتعاقبة ومصالحها التي تتمحور حول المحاور التالية:

- بسط النفوذ والهيمنة على المنطقة.

- السيطرة على النفط وتأمين استمرار تدفقه إلى الدول الغربية خاصةً، والتحكم بأسعاره لخدمة السياسات الاقتصادية الأمريكية.

- تأمين الدعم المطلق لإسرائيل وتفوقها على جيرانها العرب بما يحافظ على أمنها.

أما المشروع الأمريكي الآن فهو يغوص في المستنقع العراقي ويتعثر في جبال أفغانستان، ويتلقى ضربة مشتركة مع إسرائيل في لبنان ويواجه ممانعه في الأراضي الفلسطينية. ويمكن للمراقب أن يشخص واقع المنطقة والتدخلات العسكرية والسياسية فيها والتي أنتجت قوساً من بؤر التوتر والنزاع تتورط فيها أميركا مباشرة أو بالوساطة، يبدأ من أفغانستان مروراً

بإيران والعراق وسورية ولبنان وفلسطين والسودان وانتهاءً بالصومال. وهي في كل هذه الدول تسعى إلى:

- تقسيم الدول إلى دويلات مثل العراق والدول الأخرى المرشحة لذلك حسب القائمة الأمريكية.

- الدفع باتجاه إشعال الفتن المذهبية والعرقية.

- القضاء على نهج المقاومة أينما وجد.

واللافت أن المستهدف في قوس الأزمات هذا دول إسلامية فقط، وأن آليات تنفيذ السياسة الأمريكية هي الضغط والحصار والعقوبات وشن الحرب عند الضرورة عبر مجلس الأمن"الأميركي" أو حتى بدونه.

فهل يمكن أن تتطور السياسة الأميركية على نحو منطقي..؟

- إنّ الإدارة الأميركية أمام ثلاثة خيارات هي:

الخيار الأول: الاستمرار في السياسة القائمة.

الخيار الثاني: الأخذ بالحسبان لنتائج السياسة القائمة والحقائق والتخلي عن الأوهام والعمل على تعديل السياسات باتجاه واقعي يفرضه المنطق، وتبني مقترحات لجنة "بيكر - هاملتون".

الخيار الثالث: محاولة التمسك بالسياسات القائمة مع تعديلات طفيفة تؤخذ من مقترحات لجنة " بيكر - هاملتون".

ماذا عن السياسة الإسرائيلية؟؟

تعاني إسرائيل كمؤسسة سياسية عسكرية من تداعيات الهزيمة التي منيت بها في الحرب. فقد طاول التصدع وفقدان الثقة والنقد أداء كل من الحكومة والمؤسسة العسكرية لجهة الإدارة غير الناجعة للحرب.

باختصار، فإن المؤسسة العسكرية والسياسية في حالة إرباك وتأزم ولا تتمتع بثقة المجتمع الإسرائيلي، وتبحث في أساليب الخروج من هذا

الوضع بالسعي لاستعادة قدرة الردع المتصدعة، لو ناقشنا احتمالات المواجهة العسكرية لوجدنا أن أية حرب ضد حزب الله أو سورية ستوكل إلى إسرائيل ومن خلفها الولايات المتحدة، والموعد المتوقع حسب المراقبين والمحللين هو صيف عام /٢٠٠٧/. إن حرباً ضد سورية أو حزب الله أو كليهما ليست بالأمر السهل، كما أنها معرضة للتوسع، واحتمال انخراط إيران فيها مفتوح، وبالتالي فإن حرباً كهذه قد تتحول إلى حرب إقليمية واسعة النطاق تطال الجميع أما الحرب ضد إيران فستتولاها أميركا ومن ورائها إسرائيل على الرغم من أن نتائجها العسكرية غير مضمونة. إذ لا يمكن في النتيجة احتلال إيران عسكرياً، ونعتقد أنه من غير المرجح منطقياً شن حرب كبيرة في المنطقة خلال عام /٢٠٠٧م/. ويبقى احتمال توجيه ضربات جوية ضد بعض الأهداف سواء في لبنان أم في سورية أم في إيران وارداً، لكنه يحتاج أيضاً إلى حسابات دقيقة وظروف محددة حول طبيعة رد الدول التي تتعرض للضربات والذي قد يصل بنتيجة الضربات المتبادلة إلى درجة تتطور معها الأحداث باتجاه نزاع مسلح كبير تنزلق فيه الأطراف إلى حرب. لا نريد هنا الاسترسال في بحث مواقف الدول العربية والإسلامية والأجنبية، فمعظمها سيتأثر بسياسة الولايات المتحدة سواء بمسايرتها أم بالاعتراض الخجول على سياستها، ناهيك عن التوافق معها من قبل الدول السائرة في فلك أميركا. ولا بد من الإشارة إلى احتمال تطور الموقف الأوروبي نحو بعض التميز عن أميركا بعد رحيل طوني بلير وجاك شيراك في ربيع العام /٢٠٠٧م/.

لقد تميزت الحرب السادسة بما يلي:

١ – وصول القوة العسكرية الإسرائيلية لذروة التفوق.

٢ – أن واقع الصراع كما ظهر خلال المعارك يعود بالدرجة الأولى لطبيعة التوازن الجديد الذي أوجدته المقاومة.

٣ – بالطبع سيبقى الجيش الكلاسيكي موجوداً داخل معادلة الصراع مع

إسرائيل، لكن العامل الإضافي هنا متعلق بمقاييس التفوق العسكري، التي تبقى قدرتها على فرض الإرادة السياسية خاضعة للقراءة والتأمل.

٤ – كانت المقاومة مجردة من أي غطاء سياسي، فباستثناء سورية وإيران بقيت الحرب في أيامها الأولى تشهد في أحسن الأحوال صمتاً دولياً وعربياً.

٥ – في الحرب السادسة استخدمت إسرائيل في الأيام الأولى الأسلوب العسكري السائد في عدم التماس، أو الحرب اللاتماسية، على نمط الحرب ضد يوغسلافيا أو أفغانستان،، مستخدمة الضربات الجوية والصاروخية والحصار على لبنان وتجاهلت عاملين أساسيين هما:

الأول: أن الهدف من هذه الحرب ليس إسقاط نظام سياسي أو تدمير بنية جيش أو دولة، بل إسقاط مجتمع، فكانت النتيجة معاكسة تماماً لما أرادته.

الثاني: أنه باعتبارها دولة متاخمة للبنان، فهي قد لا تستطيع حماية أراضيها من الضربات الصاروخية. وهذا الأمر يضع حدوداً لنوعية الحروب القادرة على تحقيق أهداف سياسية في المنطقة.

الفَصْلُ الثَّالِثُ

ماهية إسرائيل ومعناها

يعتقد عددٌ من المفكرين والسياسيين والمثقفين في الوطن العربي وفي خارجه أن إسرائيل والحركة الصهيونية تتحكمان بسياسة الغرب والولايات المتحدة الأمريكية.

ويحشدون للتدليل على ذلك إحصاءات ووقائع تدلل على قوة اللوبي الصهيوني وفاعليته في حمل دول الغرب وأمريكا على السلوك وفق مشيئة المصالح الإسرائيلية، واتخاذ القرارات الداعمة لإسرائيل في حربها مع العرب. ولأن الوقائع تساعدهم على تأكيد فرضيتهم من حيث حضور الدعم المطلق لإسرائيل اقتصادياً وعسكرياً ومعنوياً وسياسياً فإنهم يخالفون أي رأي آخر لا ينظر إلى المسألة من زاوية رؤيتهم هذه.

المشكلة في اعتقاد كهذا، أنه يعطي لإسرائيل ووجودها معنى لا يتفق مع معناها الحقيقي كما نرى ونعتقد.

والحق أن العودة إلى معنى « إسرائيل » في هذا الظرف بالذات حيث آلة التدمير الصهيونية تمارس أحط أشكال الممارسات الهمجية ضد البشر ليس أمراً من قبيل التحليل الأكاديمي. بل هو ضرورة لتحديد نوعية السلوك السياسي والعسكري المقاوم تجاه إسرائيل وأمريكا معاً.

لنعد إلى السؤال: ما معنى « إسرائيل » ؟ نقصد بمعنى إسرائيل حقيقة وجودها ومبرره ووظيفته.

تقوم فرضيتنا على خلاف الفرضية الآنفة الذكر والتي تقول بتحكم إسرائيل بالسياسة الغربية والأمريكية، إذ إن إسرائيل وجود بغيره وأداة من أدوات الفعل الأوروبي الأمريكي في المنطقة، وجميع قرارات إسرائيل الكبرى في الحرب والسلم خضعت لمنطق تبعية إسرائيل للغرب وأمريكا وخدمتهما ومازالت تخضع لذلك، **لندلل على هذه الفرضية بما يلي:**

أولاً: إن وجود إسرائيل هو ثمرة عداء الغرب لليهود والعرب معاً واستغلالهم في خدمة مشاريعهم الاستعمارية.

أي إن إسرائيل هي ثمرة العماء الأيديولوجي الصهيوني وغبائه والخبث الأمريكي الأوروبي ولا إنسانيته.

فمن المعروف أن الحركة الصهيونية ظاهرة أوروبية صرفة نشأت مع نشوء الإمبريالية وتوجهها نحو استعمار الشعوب الآسيوية والأفريقية.

ولقد التقطت الدول الإمبريالية وبخاصة بريطانيا وفرنسا الأيديولوجيا الصهيونية وأهدافها في فلسطين وأهميتها في السيطرة على المشرق العربي.

فبريطانيا تعرف معرفة اليقين أمرين اثنين:

آ – **إن قيام دولة يهودية غريبة** في قلب العرب سيؤدي حتماً إلى صراع دائم بين السكان الأصليين، أي بين العرب وهذا الكيان، وسيدفع الطرفان ثمناً باهظاً في هذا الصراع لأن القبول بجسم غريب لا ينتمي إلى المنطقة أمر مستحيل.

ب – إن بريطانيا تعلم جيداً أن وجود إسرائيل سيكون رهناً بحماية الدول الغربية. ولا يمكن لقوى إسرائيل الذاتية مهما عظمت أن تستمر في مواجهة العرب وحدها. ولهذا فإن إسرائيل المدينة في وجودها للغرب ستظل حاضرة لتنفيذ ما يطلب منها، وهذا هو الهدف الرئيس لوجودها بريطانياً.

هذه حقيقة يجب أن لا تغرب عن البال ونحن نذكر بمعنى وجود إسرائيل وهي الحقيقة المستمرة حتى الآن.

ثانياً: أنجزت إسرائيل بعد قيامها مهمتين:

الأولى: مع فرنسا وبريطانيا باشتراكها في العدوان على مصر مع بريطانيا وفرنسا العام ١٩٥٦م.

الثانية: لصالح أمريكا في شن حرب ١٩٦٧م على كل من مصر وسورية والأردن والتي كانت تهدف لفرض نمط جديد من الواقع العربي الضعيف في المشرق والذي كان يتميز بالحيوية في ظل وجود عبد الناصر بوصفه قائداً عربياً قومياً على مستوى العرب.

لا شك في أن لإسرائيل فيما ذهبت إليه سواء في اشتراكها في العدوان الثلاثي على مصر أم في شنها حرب حزيران ١٩٦٧م. أهدافاً خاصة أيضاً. لكن الأهداف الخاصة كانت جزءاً لا يتجزأ من أهداف غربية عام ١٩٥٦م وأمريكية عام ١٩٦٧م. فالأهداف الفرنسية والبريطانية في عدوان ١٩٥٦م جاءت بعد تأميم عبد الناصر قناة السويس وضرورة وضع حد لهذا النمط من القادة الوطنيين غير المعتادين عليه والذين ينالون من مصالح استعمارية عمرها أكثر من قرن من الزمان.

وحرب ١٩٦٧م هي حرب إسرائيلية بالوكالة أيضاً. لكن إسرائيل أرادت أن تجني في اشتراكها عام ١٩٥٦م ثمار توسعها وقهر مصر. وفي ١٩٦٧م أرادت وأد حركة المقاومة في مهدها وإضعاف خطرين مجاورين لها واحتلال ما تبقى من فلسطين.

وهكذا فإن إسرائيل قد أُخرجت من غزة وسيناء عام ١٩٥٦م لأن وجودها قد تناقض مع مصالح قوتين عظميين هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي، والسبب الأساس هو مقاومة الشعب المصري وجيشه، وكذلك أخرجت إسرائيل من سيناء والجولان المحتلتين عام

١٩٦٧م بفعل حرب تشرين، كذلك فقد طردت المقاومة الوطنية اللبنانية إسرائيل من جنوب لبنان عام ٢٠٠٠م، وهكذا يُطرد العدو وتتحرر الأرض عندما نمتلك قوة الحق وحق القوة.

وهذا يعني: أن هناك مصالح وأهدافاً أوروبية وأمريكية في المنطقة تتكلف إسرائيل بإنجازها بوصفها دولة وظيفية، وهذا يتطلب دعم إسرائيل إلى الحد الذي تتفوق به عسكرياً على جميع دول العرب.

كما أن هناك مصالح إسرائيلية خاصة لا تنجز إلا إذا جرت الموافقة الأمريكية على تحقيقها، وبما لا يضر المصالح الأمريكية.

كما أن هناك مصالح مشتركة أمريكية إسرائيلية معاً، وتعمل أمريكا وإسرائيل معاً لإنجازها عبر القوى العسكرية الإسرائيلية والحماية السياسية الدولية الأمريكية.

وفي إطار هذا الوعي الأخير بالمصالح المشتركة الأمريكية الإسرائيلية نضع حرب إسرائيل ضد لبنان الآن.

السؤال الأمريكي الأساسي الآن:

كيف له أن يستكمل أمركة الشرق العربي بعد احتلاله للعراق، ونقصد بالأمركة تحويل المنطقة كلها إلى منطقة نفوذ مستقرة، ومنطقة النفوذ المستقرة تعني فيه أمريكا ما هو آت:

أولاً: السيطرة على النفط من دون وجود أية عدائية واستمرار تدفقه وبأسعار تحددها مصالح الولايات المتحدة والغرب عموماً.

ثانياً: ضمان أمن إسرائيل وقوتها ورخائها.

ثالثاً: تقوية علاقة صداقة مع الدول العربية، ولكلمة صداقة هنا معنى أمريكي تعني بقاموسنا التبعية، ونموذجها العلاقة بين أمريكا ومصر والسعودية والمغرب والأردن.

رابعاً: الوقوف ضد أية حركات راديكالية قومية عربية أو إسلامية في المنطقة.

ما علاقة تلك المصالح الأمريكية بالحرب الإسرائيلية على لبنان ؟

إن لبنان من حيث المبدأ ليس له قيمة إستراتيجية بالنسبة إلى أمريكا. كما أنه لضعفه ومحدودية إمكانياته المادية والبشرية ليس له دور كبير يقوم به لصالح الولايات المتحدة. فضلاً على ذلك فإن نظامه السياسي الطائفي نظام أمثل لأمريكا والغرب حيث تسعى الطوائف في وضعها السياسي لسند خارجي دائماً. لكن هذا النظام يضعف إلى حد كبير سلطة « الدولة ». وضعف لبنان هذا يجعله دائماً منطقة نفوذ خارجي غربي أمريكي ومنطقة نفوذ عربي سوري سعودي بشكل خاص.(*)

إن الذي أعطى لبنان قيمة هو تحويله إلى مكان للصراع مع إسرائيل.

فبسبب ضعف سلطة الدولة في لبنان وجدت المقاومة الفلسطينية فيه بعد مجازر أيلول أرضاً لفعلها السياسي والعسكري ضد إسرائيل مؤيدة من قوى وطنية لبنانية.

ولم تستطيع الحرب الأهلية التي امتدت لعقد ونيف أن تنهي الوجود الفلسطيني المسلح من لبنان.

إن أمريكا الحريصة على أمن إسرائيل ورخائها وجدت نفسها في الموقف الإسرائيلي نفسه الحريص هو الآخر بالضرورة على « أمنه » فكانت حرب ١٩٨٢م التي شنتها إسرائيل بمباركة أمريكية وتأييد كبير، فضلاً على تلاقي المصالح الأمريكية الإسرائيلية مع المارونية السياسية آنذاك والتي وصفت بالقوى الانعزالية: القوات والكتائب الأحرار.

(*) مازن يوسف الصباغ، العدوان الإسرائيلي على لبنان عام ٢٠٠٦م، دمشق، دار مي، عام ٢٠٠٦م، ص٥٤٢

وإذ نجحت الحرب الإسرائيلية ضد لبنان في طرد المقاومة الفلسطينية العام ١٩٨٢م فإن ما لا يحسب حسابه هو ظهور قوى لبنانية مقاومة ذات تأييد لبناني كبير، قوي عبرت عنها في البداية المقاومة الوطنية شيوعيون، سوريون قوميون، بعثيون، ناصريون... إلخ.

إن هذه المقاومة اللبنانية إذ استطاعت أن تهزم إسرائيل وتحملها على الانسحاب من جنوب لبنان من دون مباحثات ومن دون تنازلات لبنانية، فإنها فرضت نفسها على الواقع اللبناني كقوة أساسية وحيدة التسلح، حيث ليس باستطاعة أية قوة سياسية لبنانية أن تتجاهل قوة هذه المقاومة وهذه الحرب وفاعليتهما.

لكن القوى المقاومة وحزب الله حليف الشام يُفشل استكمال الهيمنه الأمريكية على لبنان وسلاحه الذي طرح لأول مرة على طاولة الحوار ليس هناك من قوة لبنانية قادرة على نزعة أو قوة عربية أو قوة أمريكية مباشرة **إذاً لا بد من تكليف الدولة الوظيفية (إسرائيل) وهكذا كان، وبالمقابل فإن إسرائيل وجدت نفسها في وضع لا مثيل له من حيث الوضع العالمي والعربي واللبناني للتخلص من مقاومة حزب الله.**

فأمريكا والغرب، فرنسا وبريطانيا على وجه الخصوص، وإسرائيل وبعض العرب وبعض اللبنانيين يريدون نزع سلاح حزب الله. فكان الاعتقاد أن القوة الوحيدة القادرة على فعل ذلك هي إسرائيل.

وهكذا شنت إسرائيل الحرب على لبنان (بالأصالة عن نفسها وبالوكالة عن غيرها)، بالوكالة عن كل القوى ذات المصلحة بنزع سلاح المقاومة. ولكن بأمر وتكليف أمريكيين وأمريكا وحدها القادرة على أمر إسرائيل وتكليفها بإنجاز المهمات الأمريكية بل وذات الطابع الأمريكي الصرف.

مصادر الموسوعة

١ – القرآن الكريم.

المصادر العربية

(المخطوطات)

٢ – ابن الجيعان، شرف الدين يحيى: القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف، مخطوط موجود في المعهد الفرنسي في القاهرة ص ١٠ من المخطوط.

٣ – ابن دقماق، إبراهيم بن محمد الأميري: الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، مخطوط دار الكتب المصرية رقم ١٥٢٢.

٤ – ابن سيد الناس: (محمد بن أبي بكر اليعمري)، عيون الأثر في فنون المغازي والسير، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم /١٧٥/+ مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٣٧م.

٥ – ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم: تاريخ الدول والملوك، القاهرة، دار الكتب المصرية، فصل التاريخ، مخطوط مصوّر من خزانة فيينا ١٣٤٣هـ.

٦ – ابن محزمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، مخطوط مصوّر بدار الكتب المصرية رقم ١٦٧.

٧ - ابن منكلي: الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية، القاهرة، دار الكتب المصرية، فصل فروسية تيمورية، دورية ٢٣.

٨ - أبو إسحق الصاي: (رسائل أبي إسحق).

٩ - البخاري: بداية الرامي إلى الأغراض والمرامي، مخطوط مصوّر في الجامعة العربية نقلاً عن خط المؤلف، ١٩٥٦.

١٠ - الحسن العباس: (الحسن بن عبد الله بن محمد)، آثار الأول في تدبير الدول، المتحف العسكري في القاهرة، مخطوط رقم /٣٨٣/+ مطبوع على هامش تاريخ السيوطي، مصر ١٨٨٧م.

١١ - الحنبلي، إبراهيم: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، مخطوط مصور عن مكتبة المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٤٢.

١٢ - الذهبي، الحافظ شمس الدين أبو عبد الله: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٩٦.

١٣ - السرخسي، أبو محمد بن أبي سهل: شرح السير الكبير، مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ١٥ فقه حنفي.

١٤ - السنجاري: هداية الرامي على الأغراض والمرامي، مخطوط مصور في الجامعة العربية / فلم ١٠٥٦/.

١٥ - الطرابلسي: تحفة المجاهدين في العمل والميادين، حلب، مكتبة الأحمدية رقم ١١٧.

١٦ - العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، القاهرة، دار الكتب المصرية، فصل التاريخ، مخطوط مصوّر، رقم ١٥٨٤.

١٧ - النويري، محمد بن قاسم بن محمد المالكي الإسكندري: الإلمام بما جرت به الأحكام المقضية في وقعة الإسكندرية، الواقع بها سنة ٧٦٧هـ، مخطوط في دار الكتب المصرية رقم ١٤٤٩- تاريخ ١٠.

١٨ - الهرثمي: مختصر في سياسة الحروب، مصور في الجامعة العربية / فلم ٨٤٤ /

١٩ - اليمني، بدر الدين محمود: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تاريخ مصور بدار الكتب المصرية رقم ١٥٧٤.

٢٠ - مجهول المؤلف: التدابير السلطانية في الصناعة الحربية، القاهرة مكتبة جامعة القاهرة صورة المخطوطة محفوظة في المتحف البريطاني دورية ٢٣٣٧.

٢١ - مجهول المؤلف: فهرست الكتب التي نرغب أن نبتاعها، والمسائل التي توضح جنس الكتب التي نرغب الحصول عليها، إنما نجهل أسماءها، مكتبة جامعة القاهرة، رقم ب ٧٧٠، عن لندن سنة ١٨٤٠.

المصادر العربيـة

٢٢ – ابن الأبَّار: الحلة السيراء، ط١، القاهرة ١٩٦٣.

٢٣ – ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشبياني: الكامل في التاريخ، طبعة ليدن + طبعة أويسالا، السويد، تحقيق كارل يوهان تورنير في ١٤ مجلد + الطبعة المصرية الأزهرية ١٢ جزءاً، ١٣٠١هـ + طبعة بيروت، دار صادر ١٩٧٩، في ١٢ ملجداً.

٢٤ – ابن إسحاق: (محمد بن إسحاق بن ياسر)، سيرة النبي، خمسة مجلدات، لبنان، بيروت، دار صادر، عام ١٩٧٩م.

٢٥ – ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، طبعة مصرية بجزء ٧٧.

٢٦ – ابن تغرى بردى: (يوسف بن تغرى بردى الأتابكي الملقب أبو المحاسن)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٩م.

٢٧ – ابن جبير: رحلة ابن جبير، القاهرة، السعادة ١٣٢٦هـ.

٢٨ – ابن الجوزي: (مرآة الزمان في تاريخ الأعيان). د.ن، د.ت.

٢٩ – ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، مصر، القاهرة، ١٣٢٨هـ.

٣٠ – ابن حجر العسقلاني: (شهاب الدين علي العسقلاني)، فتح الباري بشرح البخاري ١٣ مجلداً، المطبعة الأميرية الكبرى في مصر، ١٨٨٣م.

٣١ – ابن حزم الأندلسي: جوامع السيرة، القاهرة، مطبعة دار المعارف في مصر ١٣٢٤هـ.

٣٢ – ابن حزم الأندلسي: (جمهرة أنساب العرب).

٣٣ – ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد : العبر وديوان المبتدأ والخبر، القاهرة، المطبعة الأزهرية، ١٩٣٦م.+ ط دار الكتب المصرية عام ١٩٣٦م. + طبعة بولاق ١٩٦٣م، مصر.

٣٤ – ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد : المقدمة، القاهرة، المطبعة الأزهرية، ١٩٣٠م. + مطبعة مصطفى محمد / مصر + إصدار دار الشروق العربي، لبنان ٢٠٠٤م.

٣٥ – ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، القاهرة، ١٩٦٢م.

٣٦ – ابن الخيام: الفروسية، القاهرة، ١٩٤١م.

٣٧ – ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل اللغوي الأندلسي: المخصص، مصر، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٣١٦هـ.

٣٨ – ابن رشد، محمد بن أحمد بن محمد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد. طبعة شركة المطبوعات العربية. عام ١٩٧٨م.

٣٩ – ابن شداد، القاضي بهاء الدين: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، القاهرة، نشر جمال الدين الشيّال، سنة ١٩٦٤م + القاهرة، المؤيد ١٣١٧هـ.

٤٠ – ابن عبد ربه: (العقد الفريد). ٧ أجزاء، القاهرة، المطبعة الأزهرية، ١٩٢٨م.

٤١ – ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، دمشق، ١٩٥١.

٤٢ – ابن عساكر: تهذيب ابن عساكر، روضة الشام، ١٣٢٩هـ.

٤٣ – ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري: عيون الأخبار، مصر، القاهرة، دار الكتب، ١٩٢٥م. عشرة مجلدات.

٤٤ – ابن القلانسي: تاريخ دمشق، القاهرة، ط النيل ط١ عام ١٩٥٦م.

٤٥ – ابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن تميم الجوزية: الفروسية، دار الكتب المصرية، ١٩٤١م.

٤٦ – ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، القاهرة، المطبعة السلفية والسعادة والخانجي، ط١، ١٩٣٢م.

٤٧ – ابن منظور: لسان العرب – بيروت، دار لسان العرب، د.ت. + طبعة القاهرة، حجازي، ١٩٣٧م.

٤٨ – ابن هشام: السيرة النبوية، مصر، القاهرة، مطبعة الحلبي، مصر، ١٩٣٠م.

٤٩ – ابن واصل، القاضي جمال الدين: مفرج الكروب في تواريخ بني أيوب، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيّال، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥٧م.

٥٠ – أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي الأصطخري: المسالك والممالك، تحقيق: د. محمد جابر بن عبد العال الخبي، بيروت، دار القلم، ١٩٦١م.

٥١ – أبو شامة، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل: الروضتين في أخبار الدولتين، النورية والصلاحية، القاهرة، وادي النيل، ١٣٨٧هـ.

٥٢ – أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، مطبعة الساسي المغربي، د.ت.

٥٣ – إبراهيم محمد أبو الفضل: أيام العرب في الإسلام، دار إحياء الكتب العربية، ط١ ١٩٥٠

٥٤ – أبو الفضل، ولي الدين البصير: النهاية وهو شرح على متن الغاية والتقريب.

٥٥ – أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل: المختصر في أخبار البشر، مصر، المطبعة الحسينية، ط١، ١٣٢٥هـ.

٥٦ – أبو المظفر مؤيد الدين بن منقذ الشيرازي: كتاب الاعتبار، نشر الدكتور حتي، ١٩٣٠م.

٥٧ – الإدريسي: التراتيب الإدارية، طبعة فاس، ١٢٤٦هـ.

٥٨ – أسامة بن منقذ: الاعتبار، نشر الدكتور حتي عام دمشق ١٩٦١م.

٥٩ – الأصفهاني: تاريخ الدولة السلجوقية، بيروت، الإيمان ١٩٦٦م.

٦٠ – البخاري، الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة: صحيح البخاري، شرح القسطلاني، مصر، القاهرة، بولاق، ١٣٠٦هـ.

٦١ – البخاري، الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة: الجهاد والسير، القاهرة، بولاق، ١٨٨٤م.

٦٢ – البغدادي: الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة في أرض مصر، القاهرة، طبع المجلة الجديدة، عام ١٩٥٨م.

٦٣ – بكتوت الرماح: (زيل تاريخ دمشق).

٦٤ – البلاذري: فتوح البلدان، نشر دار النشر للجامعيين، ط ١٩٥٧م + نشر د. صلاح الدين المنجد.

٦٥ – الحسن العباس: آثار الأول في تدبير الدول، مطبوع على هامش الخلفاء للسيوطي، مصر ١٣٠٤هـ+ طبعة بولاق، مصر، القاهرة ١٣٩٥هـ.

٦٦ – حسن عبد الله بن محمد بن عمر: آثار الأول في تدبير الدول، القاهرة، بولاق ١٢٩٥هـ.

٦٧ – الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: أليفي، بروفنسال، القاهرة طبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٣٧م.

٦٨ – الديار بكري: (حسين بن محمد بن الحسن) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، القاهرة ١٩٢٧م.

٦٩ – الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصر، القاهرة، مطبعة الاستقامة ١٩٣٩م.

٧٠ – علي برهان الدين الحلبي الشافعي: السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون، مصر، القاهرة، المطبعة الأزهرية، ط٢، ١٣٢٩هـ.

٧١ – العماد الأصفهاني: الفتح والبرق، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥٧م.

٧٢ – العماد الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي، تقديم وشرح محمد محمود صبح، مصر، القاهرة، دار القومية للنشر والطباعة والتوزيع، مطبعة الموسوعات ١٩٦٥.

٧٣ – العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله: التعريف بالمصطلح الشريف، مصر، القاهرة، مطبعة العاصمة، مصر، ١٣١٢هـ.

٧٤ – الكندي: (القضاة والولاة). د.ن، د.ت.

٧٥ – ـ المالكي: (رياض الإيمان). د.ن، د.ت.

٧٦ – الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب البصري: الأحكام السلطانية، القاهرة، ١٢٩٨هـ.

٧٧ - محمد بن عبد الله الأزدي: فتوح الشام، نشر مؤسسة سجل العرب، ١٩٧٠م.

٧٨ - محي الدين بن شرف الدين النووي الشافعي: رياض الصالحين، القاهرة، مطبعة حجازي، ١٩٤٧م.

٧٩ - المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، القاهرة، ط٢، السعادة، القاهرة عام ١٩٤٨. م.

٨٠ - المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار مصر، القاهرة، مطبعة النيل، ١٣٢٤هـ. + طبعة ١٩٢٨م.

٨١ - موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي: الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة في أرض مصر، القاهرة، مطبعة المجلة الجديدة ١٩٥٨م.

٨٢ - الهرثمي: المختصر السياسي للحروب، القاهرة ١٢٢٣هـ.

٨٣ - الهروي: التذكرة الهروية في الحيل الحربية، دمشق، وزارة الثقافة ١٩٧٢.

٨٤ - ياقوت الحموي: معجم البلدان، القاهرة، دار السعادة، ١٣٢٣هـ.

المصادر الاستدلالية الموسوعية

(العربية والأجنبية)

٨٥ – الأعلام، خير الدين الزركلي، مطبعة كوستانسوماس وشركاه، القاهرة، ط٢، ١٩٥٧م.

٨٦ – تاريخ العرب، الدكتور فيليب حتي + الدكتور إدوارد جرجي + الدكتور جبرائيل جبور: (بيروت، دار الغندور، ط٨ عام ١٩٩٠م).

٨٧ – دائرة المعارف الإسلامية.

٨٨ – القاموس المحيط، الفيروز أبادي، بيروت، ١٩٣٣م.

٨٩ – قصة الحضارات، ول، ديورانت: بيروت دار الفكر العربي، ١٩٨٠ + طبعة مصرية ترجمة محمد بدران، (القاهرة، إصدار جامعة الدول العربية، ط٥، ١٩٧٥م).

٩٠ – المعجم العسكري: إنكليزي، عربي، الإدارة السياسية، دمشق ١٩٧٦م.

٩١ – المعجم المختصر للتعابير والمصطلحات العسكرية: دمشق هيئة التدريب ١٩٦٣م.

٩٢ – موسوعة أحداث القرن العشرين، العميد بهيج بحليس: ١٢ مجلد، بيروت، دار نوبليس، ط١ ٢٠٠٤م.

٩٣ – موسوعة أسرار من التاريخ، الدكتور صالح زهر الدين: (بيروت، إصدار الرحاب، ط١، ١٩٩٤م).

٩٤ – موسوعة تاريخ الحضارات العام: مؤلفيها: موريس كروزييه، جانيت أوبواييه، أندريه إيمار وغيرهم، دار عويدات، بيروت، سبعة مجلدات. و ط عام ١٩٦٤م.

٩٥ – الموسوعة السوفيتية الكبرى ٣٦ مجلد، موسكو، ط ١٩٧٧م.

٩٦ – الموسوعة العربية، هيئة الموسوعة العربية: (دمشق، الطبعة الأولى من عام ١٩٩٨ م صدر المجلد الثامن ط١، عام ٢٠٠٣، ثم تمت الموسوعة).

٩٧ – الموسوعة العربية الميسرة، شفيق غربال: وآخرون، بيروت، دار العلم للملايين مع مؤسسة فرانكلين، ١٩٦٥ + طبعة بيروت، دار الجيل، ط٢ ٢٠٠١م

٩٨ – الموسوعة العسكرية: بيروت، مركز الدراسات ١٩٧٧م.

٩٩ – الموسوعة العسكرية السوفيتية ٨ مجلدات، موسكو، دار النشر العسكرية عام ١٩٧٨م.

١٠٠ – وسوعة المعرفة السويسرية ٢٦ مجلد بيروت ١٩٧٠م.

١٠١ – موسوعة المعلومات العامة، سمير عطا الله: (بيروت منشورات دار عطا الله، ط١، ١٩٨٣م، بيروت).

١٠٢ – موسوعة التاريخ العالمي، في ١٠ مجلدات، رئيس هيئة التحرير، ي.م جوكوف، موسكو، دار المنشورات السياسية الحكومية ١٩٥٧م.

المراجع العربية

١٠٣ – إبراهيم العدوي: الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، القاهرة، نشر المطبعة الأنجلو مصرية، ط٢، ١٩٥٢م.

١٠٤ – العماد إبراهيم صافي: سورية جيش مدافع، وتاريخ نضالي مشرف، دمشق – الإدارة السياسية، ط٧ ٢٠٠٧م.

١٠٥ – اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود: مسائل الصراع العربي – الصهيوني (دمشق، مؤسسة الكرمل الطبعة الأولى عام ١٩٨٠م).

١٠٦ – اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود: الإستراتيجية الصاروخية الحديثة، الطبعة الرابعة، دار العلم، دمشق عام ١٩٨٥م.

١٠٧ – اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود: الحرب العربية الأولى (دمشق، مؤسسة تشرين، الطبعة الأولى عام ١٩٨٧م).

١٠٨ – اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود: فن الحرب عند العرب في القرن الثاني عشر (موسكو – جامعة العلوم الإنسانية – ١٩٩٤م – رسالة.

١٠٩ – اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود: في الحرب عند العرب، دمشق، وزارة الثقافة السورية، ط١ عام ١٩٧٥م.

١١٠ – اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود: الصهيونية والأديان ومستقبل الأمم، دمشق، دار العلم، ط١، عام ٢٠٠٣م.

١١١ – اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود: الحروب الصليبية، دمشق، الإدارة السياسية، ط١ عام ٢٠٠٧م.

١١٢ - اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود: العروبة والإسلام وصراعات القوى العظمى، دمشق، مؤسسة النوري، ط٢، ٢٠٠٨م.

١١٣ - اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود: موسوعة السياسة والحرب عند العرب، دمشق، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٨م، مؤسسة النوري.

١١٤ - اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود: مستقبل الشرق الأوسط، الطبعة الأولى، دمشق، عام ٢٠١٠.

١١٥ - اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود: موسوعة المرأة في التراث العربي والإسلامي، الطبعة الأولى، دمشق، عام ٢٠١٠م.

١١٦ - أحمد بيلي: حياة صلاح الدين الأيوبي، القاهرة، المطبعة الرحمانية، ط٢ ١٩٢٦م.

١١٧ - أمين الريحاني، ملوك العرب، بيروت ١٩٥١م.

١١٨ - أنيس صايغ، تطور المفهوم القومي عند العرب، بيروت، ١٩٦١م.

١١٩ - أنيس الخوري المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، بيروت، ١٩٥٢م.

١٢٠ - أحمد قدري: مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، دمشق عام ١٩٥٦م

١٢١ - أحمد عادل كمال: الطريق إلى المدائن، بيروت، دار النفائس، ١٩٧٢م.

١٢٢ - أحمد عباس صالح: اليمين واليسار في الإسلام، د.ت.

١٢٣ - أحمد علي إسماعيل: (تاريخ السلاجقة). دار الفكر، بيروت، عام ١٩٨٢.

١٢٤ - الدكتور أدمون رباط: التكوين التاريخي للبنان السياسي والدستوري، محاولة لفهم تركيب بيروت، عام ١٩٧٣م.

١٢٥ - أسعد داغر: مذكراتي على هامش القضية العربية، القاهرة ١٩٥٩م.

١٢٦ - الدكتور آصف شوكت: الثورات السورية ١٩١٨م - ١٩٢١م - (دمشق الأوس للنشر - الطبعة الأولى عام ٢٠٠٢م).

١٢٧ - الدكتور إلياس شوفاني: إسرائيل في خمسين عاماً - (دمشق، دار جعفر - الطبعة الأولى. د.ت).

١٢٨ - أمين سعيد: حروب الإسلام والإمبراطورية الرومية، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٣٥م.

١٢٩ - أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى ٣ أجزاء، القاهرة ١٩٣٣م - ١٩٣٥م.

١٣٠ - أنور الرفاعي: قصة الحضارة في الوطن العربي الكبير، دمشق، دار الفكر ١٩٧٣م.

١٣١ - بدر الدين السباعي: الحرب والشعوب، دار ابن الوليد، حمص ١٩٥٧م.

١٣٢ - الجامعة العربية، الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين (١٩١٥ - ١٩٤٦م)، القاهرة ١٩٧٧م.

١٣٣ - تحسين العسكري، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية، بغداد ١٩٣٦م.

١٣٤ - توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨م - ١٩١٤م.. القاهرة ١٩٦٠.

١٣٥ – جعفر شرف الدين: حرب الغفران، دمشق، إصدار خاص، ١٩٧٩م.

١٣٦ – مذكرات جمال باشا، تعريب علي أحمد شكري، القاهرة ١٩٢٣م.

١٣٧ – جمال الدين عيّاد: نظم الحرب في الإسلام، مصر، مكتبة الخانجي، ١٩٧٠م.

١٣٨ – جورجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، بيروت، ١٩٠٢م.

١٣٩ – د. حسن إبراهيم وعلي إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية عام ١٩٣٩م.

١٤٠ – حسن البدري: بالاشتراك مع طه المجذوب وزهدي ضياء الدين، حرب رمضان الجولة الإسرائيلية الرابعة، أكتوبر ١٩٧٣م، القاهرة، نشر الهيئة المصرية الكتاب، ١٩٧٤م.

١٤١ – اللواء حسن البدري: حرب رمضان – (القاهرة – إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٣ – ١٩٧٤م.

١٤٢ – حسن حبيشي: نور الدين والصليبيون، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٤٨م.

١٤٣ – الحملات الحربية في فلسطين: إصدار وزارة الحربية المصرية، عام ١٩٤٢م.

١٤٤ – العماد حسن توركماني: المذاهب العسكرية – (دمشق – دار طلاس الطبعة الأولى – ١٩٩٥م).

١٤٥ – العماد حسن توركماني: الدهاء في الحرب – (بيروت – دار الفكر الطبعة الأولى ٢٠٠٠م).

١٤٦ – العماد حسن توركماني: الحرب السادسة، دمشق، إصدار دار الأُولى للنشر والتوزيع، ط١ عام ٢٠٠٧م.

١٤٧ – العماد حسن توركماني: نظريات بناء القوات المسلحة، دمشق، الإدارة السياسية ط١، عام ٢٠٠٤م.

١٤٨ – العماد حسن توركماني: الأمن القومي في القرن الحادي والعشرين، دمشق، دار الأُولى، ط١، عام ٢٠٠٤م.

١٤٩ – العماد حسن توركماني: الحرب وفن الحرب، دمشق، دار الأُولى، ط١،عام ٢٠٠٦م.

١٥٠ – حماد وظبيان: فيصل بن الحسين من المهد إلى اللحد، دمشق عام ١٩٣٣م.

١٥١ – د. حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام – (القاهرة – نشر الزهراء للإعلام العربي – ط١ – ١٩٨٧م).

١٥٢ – حقي العظم، حقائق عن الانتخابات النيابية في العراق وسورية وفلسطين، القاهرة ١٩١٢م.

١٥٣ – الدكتورة خيرية قاسمية: الحكومة العربية في دمشق بين [١٩١٨م-١٩٢٠م] القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١م. دراسة.

١٥٤ – خيرية قاسمية، الحكومات العربية في دمشق، بين ١٩١٨ – ١٩٢٠، القاهرة دار المعارف ١٩٧١.

١٥٥ – د. رزق إلياس: (تقييم عملية الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م).

١٥٦ – د. رزق إلياس: مسيرة تحرير الجولان، دمشق، دار المساعدة السورية، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٧م.

١٥٧ – رضا استنبولي: السوقية عند العرب وكتاب معارك عربية إصدار التوجيه المعنوي السوري، سلسلة الثقافة العسكرية رقم ١٦، دمشق ١٩٧٠م.

١٥٨ - زكي النقاش: العلاقات بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية، بيروت، مطبعة الكتاب اللبناني، ١٩٥٨م.

١٥٩ - زين نور الدين الزين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط، وولادة سورية ولبنان، بيروت، دار النهار للنشر، ١٩٧١م.

١٦٠ - زين نور الدين زين، نشوء القومية العربية، بيروت ١٩٦٨م، دراسة في العلاقات العربية التركية.

١٦١ - الأمير زيد: مذكرات، عمان، ط١، ١٩٧٦م.

١٦٢ - سعيد أحمد برجاوي: الحروب الصليبية في المشرق، (بيروت - دار الآفاق الجديدة - ط١ عام ١٩٨٤م.

١٦٣ - سليمان موسى، الحركة العربية، بيروت، ١٩٧٠م.

١٦٤ - سليمان موسى، المراسلات التاريخية، ثلاثة أجزاء ١٩١٦ - ١٩٢١، عمان ١٩٧٥ - ١٩٧٧.

١٦٥ - سليمان موسى، مذكرات الأمير زيد، عمان ١٩٧٦م.

١٦٦ - سليمان البستاني، عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، القاهرة ١٩١٨م.

١٦٧ - ساطع الحصري: يوم ميسلون، بيروت، دار الاتحاد طبعة جديدة عام ١٩٦٤م.

١٦٨ - ساطع الحصري، مذكراتي في العراق ١٩٢١ - ١٩٤١، بيروت ١٩٦٧م.

١٦٩ - ساطع الحصري، سورية والعهد الفيصلي، بيروت ١٩٦٦م.

١٧٠ - د. سعيد محمد الحفار: (أضواء على مفاهيم السياسة الاستراتيجية، التخطيط) طبعة أولى، دمشق عام ٢٠٠١م.

١٧١ – السيد فرج: قادة الحرب العرب، دار الفكر العربي،الطبعة الأولى، شباط ١٩٥٨م.

١٧٢ – صلاح الدين فرحات صبحي: تطور القوات المقاتلة، وزارة الحربية المصرية، ١٩٤٩م.

١٧٣ – اللواء صلاح الدين النعيمي + العميد يحيى بسما + اللواء نور الدين محمود + اللواء الدكتور محمد سفر الخطيب: ملف دراسات العام ٢٠٠٦م، إصدار مركز الدراسات الاستراتيجية، دمشق عام ٢٠٠٧م.

١٧٤ – طه الهاشمي: الجغرافيا العسكرية، بغداد، ط٣، ١٩٣٨م.

١٧٥ – العماد علي حبيب: معركة السلطان يعقوب عام ١٩٨٢م، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٩م. إصدار الإدارة السياسية في الجيش العربي السوري.

١٧٦ – عبد الله بن الحسين، الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين، ١٩٧١م.

١٧٧ – عبد الفتاح أبو النصر اليافي، مذكرات قائد عربي، جريدة لسان الحال، بيروت.

١٧٨ – عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، بغداد ١٩٦٧م.

١٧٩ – عبد الله فهد النفيسي: دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، بيروت، دار النهار للنشر، عام ١٩٧٣م.

١٨٠ – عباس محمود العقاد: عبقرية خالد، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٩٦٩م.

١٨١ – د. عبد الجبار الجومرد: يزيد بن مزيد الشيباني، دار الطليعة، بيروت.

١٨٢ – عبد الرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، مصر، دار المعارف، ١٩٦١م.

١٨٣ – المقدم الركن عبد الرحيم عجاج: عقيدة القتال، القاهرة، مطابع الصباح.

١٨٤ – عبد العزيز سيد الأهل: أيام صلاح الدين، نشر المكتب التجاري، بيروت آب ١٩٦١م.

١٨٥ – عبد العزيز علي جميع: قانون الحرب، القاهرة، المطبعة الأنجلو مصرية، ١٩٥٢م.

١٨٦ – عبد اللطيف حمزة: أدب الحروب الصليبية، دار الفكر العربي ط١ ١٩٤٨م.

١٨٧ – عبد الواحد داموك:الحرب العالمية الأولى والثانية، (دمشق دون دار نشر على حساب المؤلف، ط١، ١٩٩٩م).

١٨٨ – علي وناجي الطنطاوي: أخبار عمر وعبد الله بن عمر، دار الفكر، ط١ دمشق ١٩٥٩م.

١٨٩ – علي جودت: سيرة وذكريات، بغداد عام ١٩٧٣م.

١٩٠ – الدكتور غازي حسين: الصهيونية زرع واقتلاع، إصدار اتحاد الكتاب العرب، دمشق عام ١٩٩٥م.

١٩١ – فايز الخصيف، مذكراتي عن الثورة العربية، دمشق ١٩٥٦م.

١٩٢ – فائز موسى المقدسي: أسرار العلم والحرب بين الجوهر والقنبلة الذرية، مطبعة الوقت حلب.

١٩٣ – فايز قنديل: رياح تشرين، دمشق، مؤسسة تشرين، ١٩٧٦م.

١٩٤ – الدكتور فيليب حتي: تاريخ العرب المطول، (بيروت، دار الكشاف، الطبعة الثانية ١٩٥٣م).

١٩٥ – فيليب خوري: سورية والانتداب الفرنسي، (بيروت، ترجمة وإصدار مؤسسة الأبحاث العربية، ط١ – عام ١٩٩٧م).

١٩٦ – مازن يوسف الصباغ: العدوان الإسرائيلي على لبنان، دمشق، دار مي، ٢٠٠٦م.

١٩٧ – العقيد الركن محمد إبراهيم الشاعر: جغرافية فلسطين العسكرية، سلسلة الثقافة العسكرية رقم (٢٠) إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي ١٩٧١م.

١٩٨ – العميد محمد الشاعر: حرب تشرين التحريرية، دمشق، الإدارة السياسية ١٩٧٥م.

١٩٩ – محمد جميل بيهم، لعهد المخضرم في سورية ولبنان ١٩١٨م – ١٩٢٢م، بيروت ١٩٦٨م.

٢٠٠ – محمد حسنين هيكل: عند مفترق الطرق، (بيروت – شركة المطبوعات، ط١١، ٢٠٠٢م).

٢٠١ – محمد حسنين هيكل: حرب الثلاثين سنة، سنوات الغليان.إصدار دار الشروق، طبعة أولى عام ٢٠٠٤.

٢٠٢ – محمد حسين هيكل: الفاروق عمر، القاهرة، مطبعة مصر، ١٣٦٤هـ.

٢٠٣ – محمد علي الغثيث: الغرب والشرق من الحروب الصليبية إلى حرب السويس، الدار القومية، د.ت.

٢٠٤ – محمد عماره: معارك العرب ضد الغزاة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ت.

٢٠٥ – محمد فريد أبو حديد: (حياة صلاح الدين وعصره).

٢٠٦ – محمد كرد علي: خطط الشام، ١٩٦٩م.

٢٠٧ - محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، مصر، القاهرة، دار الكتب، ١٩٣٦م.

٢٠٨ - محمد كرد علي، المذكرات، ج١، دمشق ١٩٤٨م.

٢٠٩ - محمد لبيب البوهي: (قاهر التتار).

٢١٠ - الرئيس محمد معراوي: شريعة الحرب في الإسلام، القاهرة، عام ١٩٥٨م.

٢١١ - محمود شكري الألوسي: (بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب).

٢١٢ - اللواء محمود شيت خطاب: الوحدة العسكرية العربية، (بيروت - دار الإرشاد) ١٩٧١م.

٢١٣ - العماد أول مصطفى طلاس: الرسول العربي وفن الحرب، إصدار الإدارة السياسية السورية، ١٩٧٢م.

٢١٤ - العماد أول مصطفى طلاس: حرب العصابات، (بيروت، دار الطليعة ط١، أيلول ١٩٦٩م).

٢١٥ - العماد أول مصطفى طلاس: الثورة العربية الكبرى، ط٢، دمشق، مطابع الأكاديمية العسكرية العليا، عام ١٩٧٩م.

٢١٦ - العماد أول مصطفى طلاس: (الغزو الإسرائيلي للبنان، ١٩٨٢م).

٢١٧ - العقيد مفلح علي: التاريخ الحربي للأمة العربية، دمشق، منشورات الفرع الثقافي العسكري، ٣٠ /٥/١٩٥٩م.

٢١٨ - العقيد مفلح علي: مقال بعنوان (التفوق الاستراتيجي والعملياتي في المعركة)، السنة الثالثة عام ١٩٧٥م.

٢١٩ - منير شفيق: علم الحرب، بيروت، نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٢٢٠ - ناصر قنديل: حروب كبيرة في شرق أوسط صغيرة، دار الهلال، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٦م.

٢٢١ - د. نبيه عاقل: الإمبراطورية البيزنطية، ١٩٧٠م.

٢٢٢ - نبيه أمين فارس، الثورة العربية الكبرى في الميزان، عمان ١٩٦٧م.

٢٢٣ - د. نظير السعداوي: التاريخ الحربي المصري، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م.

٢٢٤ - نعمان ثابت: الجندية في الدولة العباسية، بغداد، ١٩٣٩م.

٢٢٥ - نوري السعيد، محاضرات عن الحركات العسكرية للجيش العربية في الحجاز وسورية وبغداد ١٩٤٧م.

٢٢٦ - هيثم الكيلاني: المذهب العسكري الإسرائيلي، دمشق، إصدار دار التوجيه المعنوي ١٩٦٨م.

٢٢٧ - هيثم الكيلاني: إستراتيجية إسرائيل في حروبها. إصدار جامعة الدول العربية، تونس عام ١٩٨٦م.

٢٢٨ - يوسف الحكيم، سورية والعهد الفيصلي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٦م.

٢٢٩ - يوسف أسعد داغر، الأصول العربية للدراسات اللبنانية، بيروت ١٩٧٢م.

المراجع الأجنبية

٢٣٠ – آ.آ. ستروكوف: تاريخ فن الحرب في ثلاثة أجزاء. موسكو. دار المنشوارت السياسية ١٩٥٥ – ١٩٥٧، ١٩٦٥م.

٢٣١ – إدوار بروه + موريس كروزييه + جانيت أوباييه + رولان مونيه: تاريخ الحضارات العام، عويدات، بيروت عام ١٩٥٦م.

٢٣٢ – إدوارد سعيد: تغطية الإسلام، ترجمة سميرة الخوري، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ط عام١٩٩٣م.

٢٣٣ – إدوارد سعيد: الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية ط عام ١٩٨١م.

٢٣٤ – آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، (تعريب يحيى الخشاب وعبد الوهاب عزام ط ١٩٥٧).

٢٣٥ – إريك موريز: مدخل إلى التاريخ العسكري، ت: ديري وأيوبي، دار الإرشاد، ١٩٧٠م.

٢٣٦ – أليكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية، ترجمة الدكتور خلف الجراد، إصدار الكويت، سسلة عالم المعرفة، ط١، تشرين الثاني عام ١٩٩٦م.

٢٣٧ – أمنون كابيليوك: إسرائيل نهاية أساطير ت: سليم الصويصي.

٢٣٨ – أندريه إيمار: تاريخ الحضارات العام، ج٣.

٢٣٩ - أندريه بوفر: مدخل إلى الاستراتيجية العسكرية، ت: أكرك ديري والهيثم الأيوبي، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٤م.

٢٤٠ - أوسبينسكي ف.ي. تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، في ثلاثة مجلدات، موسكو، أكاديمية العلوم السوفييتية، عام ١٩٨٤م.

٢٤١ - إيفانوف غ.م. كورشونوف + تبروف، المسائل المنهجية في المعرفة التاريخية، موسكو، المدرسة العليا عام ١٩٨١م.

٢٤٢ - أنطوان همري جوميني: (رسالة في فن الحرب) ١٨٣٦.

٢٤٣ - بكدانوفيتش: تاريخ فن الحرب والحملات الرائعة، تاريخ العصور الوسطى عام ١٨٥٣م.

٢٤٤ - آندرييف. ن، الحروب المقدسة (الحملات الصليبية) س.ب.ب عام ١٩٠٨م.

٢٤٥ - أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ت مصطفى طه بدر، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٥٣.

٢٤٦ - ج.ف.س فوللر: إدارة الحرب، ت: ديري وأيوبي، دمشق، دار اليقظة ١٩٧١.

٢٤٧ - ج.ف.س فوللر: التكنولوجيا والحرب الحديثة، بيروت، إصدار دار القلم، ١٩٧٠م.

٢٤٨ - ج.ف.س فوللر: الحرب الميكانيكية، ت: ديري وأيوبي، بيروت، إصدار دار الطليعة، ١٩٦٩م.

٢٤٩ - ج.ف.س فوللر: المعارك الحاسمة في العالم العربي، بيروت، دار القلم، ١٩٧١م.

٢٥٠ - ج.هـ. روتشيلد: أسلحة الغد، ت الرائد نافع أيوب، دمشق - التوجيه المعنوي، سلسلة الثقافة العسكرية رقم ١٤، عام ١٩٦٨م.

٢٥١ – جان بيريه: الذكاء والقيم المعنوية، ت: ديري وأيوبي، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٢م.

٢٥٢ – جوارهر لال نهرو: نظرة على التاريخ العالمي، ترجمة عن الإنكليزية إلى الروسية، موسكو /بروغريس/ عام ١٩٨٩م.

٢٥٣ – جورج أنطونيوس: يقظة العرب – ترجمة ناصر الدين الأسد، وإحسان عباس – (بيروت – دار العلم للملايين – ط٢ ١٩٦٦م).

٢٥٤ – جورج بوش /الجد/، محمد مؤسس الدين الإسلامي، ومؤسس امبراطورية المسلمين، (الرياض، إصدار دار المريخ للنشر، الطبعة الأولى عام ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م).

٢٥٥ – جورج كاستلان: تاريخ الجيوش، ت: كمال دسوقي، نشر مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٦م.

٢٥٦ – جوزيف شاخت + س. بوزورث: تراث الاسلام، ترجمة الدكتور محمد زهير السموري + الدكتور حسين مؤنس، (الكويت، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عام ١٩٨٨م).

٢٥٧ – جون باجوت كلوب: الفتوحات العربية الكبرى، ترجمة خيري حماد،(بغداد، إصدار مكتبة المثنى، ١٩٦٣م).

٢٥٨ – جيهان الطاهري + أهرون بريغمان: العرب والكيان الصهيوني حرب الخمسين عاماً، ترجمة هشام حداد، إصدار دمشق مركز الدراسات العسكرية، ط١ عام ٢٠٠٠م.

٢٥٩ – الحافظ شمس الدين: دول الإسلام، دار المعارف بالهند، ١٣٢٧هـ.

٢٦٠ – حيدر بامات: مجالي الإسلام، ت: عادل زعيتر، القاهرة، دار إحياء دار الكتب العربية، ١٩٥٦م.

٢٦١ - الميجر جنرال د.ك.باليت: أصول المعرفة العسكرية، ت مصطفى الجمل، إصدار الهيئة المصرية العامة للنشر. د.ت.

٢٦٢ - دوليبروك: (تاريخ الفن العسكري) ثلاثة مجلدات إصدار دار المنشورات العسكرية، موسكو ١٩٣٨م.

٢٦٣ - رازين ي.ن. تاريخ فن الحرب، ثلاثة مجلدات، موسكو، دار المنشورات السياسية، عام ١٩٥٧م.

٢٦٤ - ر.سي.سميل: فن الحرب عند الصليبيين، (دمشق، إصدار مركز الدراسات العسكرية، ط١ ١٩٨٥م).

٢٦٥ - ر.ك. كارانجيا: خنجر إسرائيل، (دمشق، إصدار دار دمشق ط١، عام ١٩٦٧م).

٢٦٦ - روم لاندو: الإسلام والعرب، بيروت ١٩٦٢م.

٢٦٧ - ريتشارد الدنجتون: لورنس في البلاد العربية، ترجمة محمود عزت موسى، مراجعة الدكتور محمد أنيس، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، ط١ عام ١٩٦٦م، القاهرة.

٢٦٨ - ريزنيتشنكو: التكتيك، ت العميد عبد الرزاق الدردري، دمشق، وزارة الدفاع، ١٩٦٧م.

٢٦٩ - ريموند غارتوف: العقيدة العسكرية السوفييتية، ت: المقدم أحمد عبد الكريم، دمشق، نشر الشعبة الثالثة فرع التدريب، ١٩٥٧م.

٢٧٠ - رينيه كروسيه: تاريخ الحروب الصليبية. د.ت.

٢٧١ - زئيف شيف: زلزال أكتوبر، دمشق، إصدار خاص، ١٩٧٩م.

٢٧٢ - زابوروف م.آ. الصليبيون في الشرق. موسكو ١٩٨٠م.

٢٧٣ - زابوروف م.آ. البابوية والحملات الصليبية، موسكو، دار نشر أكاديمية العلوم السوفييتية عام ١٩٥٦م.

٢٧٤ – زابوروف م.آ. تاريخ الحملات الصليبية بالوثائق والمواد، موسكو، المدرسة العليا عام ١٩٧٧م.

٢٧٥ – زابوروف م.آ. علم تدوين تاريخ الحملات الصليبية، (مراجع القرون ١٥–١٨)، موسكو، دار العلم عام ١٩٧١م.

٢٧٦ – زابوروف م.آ. الحملات الصليبية، موسكو، دار نشر أكاديمية العلوم السوفييتية، عام١٩٥٦م

٢٧٧ – زيغريد هونكه: شمس العرب تستطع على الغرب، ت: فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت، منشورات المكتب التجاري. ١٩٧٠م.

٢٧٨ – ستانلي لين بول: سيرة القاهرة، ت: حسن إبراهيم وآخرون، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٥١م.

٢٧٩ – ستروكوف، تاريخ فن الحرب، ت: العميد صباح الأتاسي، دمشق، نشر إدارة الشؤون العامة السوررية ١٩٦٨م.

٢٨٠ – ستيفين رينسمان: الحضارة البيزنطية، ت: عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة زكي علي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٨م.

٢٨١ – ستيفين رينسمان: تاريخ الحروب الصليبية، ت: د: الباز العريني، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٩م.

٢٨٢ – ستيفن غرين: بالسيف أمريكا وإسرائيل في الشرق الأوسط ١٩٦٨م – ١٩٨٦م، لبنان، بيروت، عام١٩٨٨م.

٢٨٣ – ستيوارت ديزموند: تاريخ الشرق الأوسط الحديث، ترجمة زهدي جار الله، بيروت ١٩٧٤م.

٢٨٤ – سوكولوفسكي.ف.د: الاستراتيجية العسكرية. موسكو. دار المنشورات العسكرية. ١٩٦٨ + مارشال ف.د سوكولوفسكي: الإستراتيجية

العسكرية، ترجمة اللواء الركن عبد الرزاق الدردري، العميد الركن صباح الدين الأتاسي العميد الركن عبد العزيز جركس، (دمشق، هيئة التدريب، د.ت، ولهذا الكتاب تراجم أُخرى إحداها لخيري حماد، إصدار بيروت، والثانية لعبد الحليم أبو غزالة، إصدار مصر).

٢٨٥ – سيديو: تاريخ العرب، ت: عادل زعيتر، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٤٨م.

٢٨٦ – سيد أمير علي: (مختصر تاريخ العرب)، ترجمة عفيف بعلبكي، طبعة أولى، دار الطليعة، بيروت.

٢٨٧ – شيمون شيفر: كرة الثلج، بيروت، د.ن، عام ١٩٩٤م.

٢٨٨ – شاخت وبوزورث: تُراث الإسلام، ترجمة الدكتور محمد زهير السمهوري ورفاقه، إصدار الكويت، سلسلة عالم المعرفة، الطبعة الثانية أيار ١٩٨٨م.

٢٨٩ – غوستاف لوبون: حضارة العرب: ترجمة عادل زعيتر، بيروت د.ت.

٢٩٠ – غيسمان ب.آ. المنهج المختصر في تاريخ فن الحرب في العصور الوسطى والحديثة من القرن الحادي عشر حتى القرن الثامن عشر، ط٢ (المعدلة والمختصرة) عام ١٩٠٧م.

٢٩١ – غراموفسكي م.ب الحملة الصليبية ١١٤٧ ضد السلافيين ونتائجها، موسكو عام ١٩٤٦م.

٢٩٢ – ف. بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية ت: حمزة طاهر، تقديم الدكتور عبد الوهاب عزام، مصر، دار المعارف، مصر، ط٢ ت ١٩٥٣م.

٢٩٣ – فاسيلييف: تاريخ العربية السعودية، (موسكو، إصدار دار التقدم عام ١٩٨٦م).

٢٩٤ – فريدريك بيك: تاريخ شرق الأردن وقبائلها، تعريب بهاء الدين طوقان، القدس ١٩٣٥م.

٢٩٥ – ك.ف. كلاوزفيتز – عن الحرب. مجلدين – موسكو – دار النشر العسكرية ١٩٤١ + الطبعة العربية ت: ديري وأيوبي.

٢٩٦ – ليدل هارت: الإستراتيجية وتاريخها في العالم، ترجمة الهيثم الأيوبي، (، بيروت، إصدار دار الطليعة، ١٩٧٠م).

٢٩٧ – ماوتسي تونغ، كتابات عسكرية مترجمة عن الطبعة الصينية بالفرنسية، بيروت، دار ابن سينا للترجمة والنشر، ١٩٦٧م.

٢٩٨ – محمد أركون، الفكر الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، بيروت، دار الساقي، ط عام ١٩٩٢م.

٢٩٩ – مكسيم رودنسون: جاذبية الإسلام، ترجمة إلياس مرقص، بيروت، دار التنوير، عام ١٩٩٨.

٣٠٠ – مناحيم بيغن :(خطاب في الكنيست الإسرائيلي) ١٩٨١/٥/١١.

٣٠١ – اللورد مونستر: رسالة في فن الحرب عند العرب، ت: هيثم الكيلاني، دمشق – التوجيه المعنوي ١٩٦٤م.

٣٠٢ – ميكافيللي ن. فن الحرب، حروب العصور الوسطى، ترجمة النقيب م.م.بكدانوفيتش س.ب.ب.عام ١٩٣٩.

٣٠٣ – نورمان بينز: الامبراطورية البيزنطية، ت: د. حسين مؤنس + محمد يوسف زايد، القاهرة ١٩٥٠م.

٣٠٤ – هـــ. أ. ل. فشر: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ت محمد مصطفى زيادة والباز العريني، دار المعارف، مصر، ١٩٥٤م.

٣٠٥ – هنري كلود: إلى أين يسير الاستعمار الأمريكي، دمشق، دار اليقظة ١٩٧٠م.

٣٠٦ - الجنرال هيرتسوغ: حرب الغفران، دمشق، إصدار خاص، ١٩٧٦م.

٣٠٧ - وكوف ي.م، نبذات في منهجية التاريخ، الإصدار الثالث، طبعة منقحة، موسكو دار العلم، عام ١٩٨٧م.

٣٠٨ - وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة الدكتور حسن حبيشي، القاهرة، (إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب ج١،عام ١٩٩١م).

٣٠٩ - المارشال ويفل: حطين، ترجمة محمد عطية، المجلة العسكرية السورية، العدد الثالث، السنة السادسة، تشرين الأول عام ١٩٥٥م.

٣١٠ - يوليوس فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية، ت: د.محمد عبد الهادي أبو زيد، القاهرة ١٩٥٨م.

٣١١ - يفغيني بريماكوف: الشرق الأوسط المعلوم والمخفي، ترجمة علي العرب + عبد الستار شهباز، دمشق، دار إسكندرون، ط١ ٢٠٠٦م.

٣١٢ - مجموعة من الباحثين الإسرائيليين، التقصير، المحدال، دمشق، إصدار خاص، ١٩٧٥م.

٣١٣ - مجموعة:(من المؤلفين الروس) (الحروب العربية الإسرائيلية): ترجمة العميد صبحي الجابي /دمشق ١٩٧٥/.

٣١٤ - مجهول المؤلف: ت: العميد الركن صبحي الجابي، الحروب العربية الإسرائيلية دمشق ١٩٧٥م.

الدوريات

٣١٥ – الهلال – القاهرة، ١٨٩٢م وما بعده.

٣١٦ – المقتطف – القاهرة، ١٨٨٠ وما بعده.

٣١٧ – الأهرام – القاهرة، ١٨٧٨م وما بعده.

٣١٨ – المنار – القاهرة، ١٨٩٩ وما بعده.

٣١٩ – لسان الحال – بيروت ١٩٠٥م وما بعده.

٣٢٠ – القبلة – مكة المكرمة ١٩١٦م وما بعده.

٣٢١ – الدفاع – دمشق ١٩١٩ – ١٩٢٠م.

٣٢٢ – العاصمة – دمشق ١٩١٩ – ١٩٢٠م.

٣٢٣ – الكنانة – دمشق ١٩٢٠م.

٣٢٤ – الأقلام: مجلة شهرية عراقية، عدد خاص في الأدب الصهيوني، السنة الرابعة عشرة، حزيران عام١٩٧٩م.

٣٢٥ – تقرير: لجنة كاهان عن مجازر صبرا وشاتيلا.

٣٢٦ – الدستور: ندوة فكرية لكبار الجيش الأردني.

٣٢٧ – الصحف العربية السورية: البعث، تشرين، الثورة.

٣٢٨ – الطليعة المصرية، ملف عن حرب تشرين التحريرية.

٣٢٩ – لجنة تحقيق أغراناد، ملف، دمشق، إصدار خاص ١٩٨٥

٣٣٠ – مجلة (كيفونين): أوينون (مقالة الاتجاهات) المنشورة في ١٩٨٢.


الهيئة العامة
السورية للكتاب



الملاحق


الهيئة العامة
السورية للكتاب

ملحق رقم ١

جدول تأريخي للأعمال القتالية

فـــي

فترة الحملات الصليبية في المنطقة العربية

خلال القرن الثاني عشر

الأعـــوام	الأعمـــــال القتالية	المعارك الرئيسية
١١٠٠ـ١١٠١	الحملة الصليبية المتخلفة (المؤخرة). احتلال الصليبيين في آسيد الصغرى.	
١١٠١	معركة الرملة في فلسطين بين الصليبيين والسلجوقيين تحت أمرة بلدوين والسلجوقيين	
١١٠٤		موقعة حران هزيمة الصليبيين على يد السلاجقة
١١٠٤ ١١٠٥	احتلال الصليبيين لعكا معركة أرتاه من أجل قلعة أوكاليليو في سورية بين الصليبيين تحت قيادة تنكريد والسلجوقيين تحت قيادة رضوان وأمير حلب	
١١٠٩	احتلال الصليبيين لطرابلس	
١١١٠	احتلال الصليبيين لصيدا وبيروت	
١١١٣	معركة سامبار بالقرب من بحيرة طبريا في فلسطين بين السلاجقة والصليبيين.	
١١١٥	انتفاضة الفلاحين المسلمين قرب نابلس. معركة سرمين في سورية بين الصليبيين تحت قيادة روجر والسلاجقة تحت قيادة برسوك.	
١١١٩(حزيران)	معركة عفرين في سورية تحت قيادة روجر والسلجوقيين تحت قيدي ايلغازي.	
١١١٩(آب)	معركة قلعة حلب في سورية بين الصليبيين تحت قيادة بلدوين والسلاجقة تحت قيادة ايلغازي.	

١١٢٣	معركة بينة في فلسطين بين الصليبيين والسلجوقيين.	
١١٢٤	احتلال الصليبيين لصور	
١١٢٥(حزيران)	معركة إعزاز في سورية بين الصليبيين تحت قيادة بلدوين والسلجوقيين.	
١١٢٥	ثورة الفلاحين بالقرب من بيروت وصيدا.	
١١٢٦(كانون الثاني)	معركة مرج السفر بين الصليبيين والسلجوقين.	
١١٣١	ثورة الفلاحين في طرابلس	
١١٣٧	احتلال الإمبراطور البيزنطي لإنطاكيا.	
١١٤٤		احتلال السلاجقة لأيسيا وتدميرها.
١١٤٧	الحملة الصليبية الثانية	
١١٤٧(تشرين الأول)	هزيمة الصليبيين الألمان في موقعة قرب دوريل في تركيا على أيدي فصائل من خيالة سلطان أنتوهيا.	
١١٤٨ (تموز)		حصار الصليبيين الفاشل لدمشق.
١١٤٩	معركة عين المراد بين الصليبيين تحت قيادة رايموند والسلجوقيين تحت قيادة الأمير كونراد.	
١١٥٣	احتلال الصليبيين لعسقلان.	
١١٦٤	معركة حارم في سورية بين الصليبيين والسلجوقيين تحت قيدة الأمير كونراد.	
١١٦٧ (آذار)	معركة البابين في مصر بين لصليبيين تحت قيادة أما لريك.	
١١٧٠	غزوة صلاح الدين لغزة.	
١١٧١ـــ١١٧٣	توحيد صلاح الدين الأيوبي لمصر وجزء من سورية وبلاد الرافدين. هجوم العرب على دويلات الصليبيين.	الحرب الصليبية الفاشلة لاحتلال دمشق وحمص وحماة وغيرها من المدن.

١١٧٧(تشرين الثاني)	معركة تل الجزار في فلسطين بين الصليبيين تحت قيادة بلدوين والأيوبيين تحت قيادة صلاح الدين.	
١١٧٩	معركة مرج عيون في لبنان بين الصليبيين تحت قيادة بلدوين الرابع والأيوبيين تحت قيادة صلاح الدين.	
١١٧٩		معركة بيلفورت بين قوات صلاح الدين وقوات ملك القدس بلدوين الرابع.
١١٨٢		هجوم الصليبيين على حلب.
١١٨٧	معركة حطين في فلسطين بين الصليبيين والأيوبيين.	
١١٨٧(آذار)	تحرير صلاح الدين الأيوبي لمناطق القلاع الكرك والكرك في مونريال وإخلاؤها من الصليبيين.	
١١٨٧	معركة عين الجوزة في فلسطين بين الصليبيين والأيوبيين.	
١١٨٧(أيار)	بداية حرب العرب المقدسة ضد الفرنجة، حشد قوات المسلمين الموحدة من دمشق وحلب والموصل ومناطق بلاد الرافدين في منطقة رأس الماء وبداية الأعمال القتالية.	المعركة مع فصائل الأوروبيين في الجزء العلوي من نهر كريسان شمال شرق نهريا وإحراز النصر على الصليبيين.
١١٨٧(تموز وآب)	تحرير القوات العربية للمدن الساحلية الواقعة جنوبي طرابلس أكرا، بيروت، صيدا، ياف، عسقلان.	موقعة حطين سحق صلاح الدين الأيوبي لملك القدس لوزينايان واحتلال طبريا.
١١٨٧ (تشرين الأول)	تحرير جيش صلاح الدين الأيوبي لمدينة القدس احتلال قلعة الكرك.	
١١٨٧ (كانون الأول)	عدم نجاح محاولة صلاح الدين في تحرير صور.	
١١٨٩ (نيسان – أيار)	تحرير العرب لقلعة الكرك دي مونريال.	
١١٨٩ــ١١٩٢	الحملة الصليبية الثالثة.	
١١٩٠ (الخريف)	حصار الفرسان الألمان لعكا.	

١١٩١نيسان – أيار	وصول الصليبيين الإنكليز إلى عكا	
١١٩١ (تموز)		الاقتحام العام للصليبيين لعكا وسقوط المدينة
١١٩١النصف الثاني	محاولات الصليبيين لاقتراب من مدينة القدس واحتلال يافا وعسقلان.	
١١٩٢النصف الأول ١١٩٢ (آب)	معركة قرب يافا في فلسطين بين الصليبيين والأيوبيين.	
١١٩٢ (٢ أيلول)	توقيع معاهدة السلام بين ريتشارد الأول وصلاح الدين الأيوبي	
١١٩٧	معركة أنطاكية ضد الصليبيين.	

ملحق رقم (٢)

القيـــــــــادة العامة		
السلطان كان يعلن الحرب لكنه لم يقم عملياً بقيادة القوات	القائد العام كان يعين من قبل السلطان وكان يقود جميع القوات	الأمراء كانوا يقودون قواتهم الموجودة تحت إمرتهم

القوات البرية

١٠ سفن الأسطول

الخيالة

الصنف لرئيس لمقو ت لقوة الدائمة

يتقاضى لجنود رواتب

الوحدات التعداد

لا توجد

المشاة

صنف القوات
قوة دائمة
يتقاضى الجنود رواتي

مواكب معطيات

الفرقة المحترفة

عناصر المنجنيق النفاطين النبالين وغيرهم

المتطوعون الشباب

قوة نظامية
يمكن لقوامها العودة إلى بيوتهم في أي وقت

١٠٠٢٧٠

طلاب ٢٠٠

الجند

جيش محلي (احتياطي)
تابع للأمراء

الملحق رقم (٣)

السلطان (القائد العام)

القيادة العامة

نائب القائد العام	كبار القادة المجلس العسكري	قائد الجيش كان يفتش جاهزية المقاتلين وحالة السلاح والمعدات والخيول	كاتب الجيش يقوم بتوزيع الأموال والأراضي	الديوان مسؤول عن مسائل التعبئة والإمداد

القوات البرية			الأسطول
	الوحدات	تعداد القوام	
الخيالة	الكتيبة	حتى ١٠٠٠ رجل	لا توجد معطيات دقيقة
المشاة	الطلب	١٧٠ – ٢٠٠ رجل	
الفرق المحترفة	السرية	٤٠ـــ٧٠ رجل	
الشباب المتطوعون	الفصيلة	٤٠ رجل	
الرحل	المواكب	لا توجد معطيات	

الملحق رقم(٤)

منشور رقم (١) الذي استخدمته القوات السورية
في حرب عام ١٩٨٢

أيها الجندي الإسرائيلي : ماذا تنتظر هنا على الأرض العربية في الوقت الذي والدتك تنتظرك في ... روشبينا، وأورشليم.

تنتظرك فيه أختك، تعد الثواني لعودتك في تل أبيب وكريات شمونة .

زوجتك التي تُمني أطفالك بعودتك في كل مكان .

إنني القلبُ الذي ينتظرك حيثما كنتْ

إنني الثكلى التي فقدتْ ابنها الوحيدُ في صيدا

إنني المجروحة التي فقدت زوجَها في الدامور وترك لها أربعةَ أطفال ...

إنني أنا التي خرجتُ وتظاهرتُ في تل أبيب وحيفا ويافا أطالبُ الإرهابيين بيغن وشارون وشامير وإيتان

أنْ عودوا بأولادنا، بفلذاتِ أكبادنا إلى أي أتون من النار ترمونَهم، في سبيل مَنْ تمزق القنابلُ أجسادهم ؟!، وتأكل الطيورُ جُثثهم ؟، أيةُ قضيةٍ هذه المرة تَحرمُنا منهم، ومن نعيمِ القُرب منهم ؟!

ملاحظة : المنشور صادر باسم امرأة إسرائيلية من اللواتي تظاهرن أمام الكنيست الإسرائيلي (حركة السلام الآن)، آنذاك .

ن. رياض حداد

الملحق رقم(٥)

منشور رقم (٢) الذي استخدمته القوات السورية

في حرب عام ١٩٨٢

أيها الجندي الإسرائيلي إن القضية الوحيدة التي يزجّك بها قادتك هي قضيةُ أنانيتِهم الشخصية ومجدِهم الملطخ بالدماء .

ضع باعتبارِك، ولا يغربنَّ عن بالِكَ أبداً أن الجندي السوري ملتصقٌ بالأرض هذه المرة، فإما أن ينتصرْ ويجعلَ مكانكَ مقبرة لك، وإما أن يَجْبُلَ دمَه بترابِ الأرض الطاهر، إذا كان قادتُك يغشون شعبك .

فلا تترك الحيلة تنطلي عليك، أنت الذي تدفع الثمن أنت وحدك، وأهلُك الذين يندبون عليكْ، ويذرفون الدموعْ، والدكَ وإخوتُك، وأخواتُك وأولادُك .

كلهم بانتظارك .

هذه المرة / إن حاولت أن تتقدم شبراً / إما الجنديُ السوري أو أنت .

ولن يكتفي بذلك، بل سيدحرك إلى حيث أتيت .

أنت من يجب أن يقف ثم يفكر أنت وحدَك .

ولنا معك جولةٌ قادمة .

ن. رياض حداد

ومن جميل ما كُتب أثناء الحرب

عانق الموت... ونام

ليس مهماً أن تعرفوا اسمه. هو نفسه لم يكن يهمه ذلك.

ليس مهماً أن تبكوا موته. في حياته كان يغني للفرح والأمنيات.

ليس مهماً أن تجعلوا منه بطلاً. الأبطال لا يفكرون عادة بالبطولة بل يفكرون بالشهادة.

عندما اندلعت الحرب.. كان متفائلاً.. قاتل بتفائله. أصبح إيمانه وتصميمه سلاحاً جديداً يشهره في وجه الأعداء.

وعندما واجه الموت وجهاً لوجه.. كان الموت هو الذي خفض ناظريه. كان يحمل إرادة جيل طهرته عذابات حزيران..جيل لا يحتاج من الآخرين شهادة براءة.

كان الموت يهرب وهو يندفع إليه.. يطارده.. يحاصره، كانت الشظايا والقنابل والصواريخ تنفجر من حوله، لكنه اختار دبابته مأوى ومثوى، فاندفع يقاتل بها بضراوة.

قبل الحرب كان قد أودع جيب صديق بضع رسائل إلى والده. وسافرت الحمائم البيضاء إلى الأب... بينما كانت أغاني الفرح والنضال تتردد داخل الدبابة هي ترمي أهداف العدو.

«بلادي بلادي فداك دمي بذلت حياتي فدى فاسلمي»

وصلت الرسائل.. بينما الحلم يطوف على جدران الذاكرة. الدبابة. قرأ الأب مشاعر ولده عن الأمل بالتحرير.. عن معنى النضال عن ولادة الإنسان الجديد..

قرأ الأب في الكلمات البسطة صورة ولده طفلاً يحبو في حديقة الدار.. قرأ الأب في الرسالة ذكرى طفل يرمي دبابة فرنسية بحجر. وذكرى رجل تطوع في

جيش الإنقاذ.. وتذكر أن الرجل هو نفسه.. قرأ الأب عبر الأسطر.. حكاية قلب أحب.. واختار أن يحمي حبه. لكن آخر ما قرأه الأب في الرسالة كان توقيه ولده...." الملازم الشهيد فلان...."

عندئذ تمنى عديداً من الأولاد. كان الحلم أنشودة للنصر.. وتكسرت صورة الحلم فجأة... اهتز كل شيء.. غامت الصور.. لم تبق إلا صورة واحدة : سبع دبابات للعدو تركها مدمرة على أرض المعركة وهوى الجسد.. لكن الوجه عندما حملوا الجسد كانت تعلوه ابتسامة.. والعينان مغمضتان كأنه نائم..

كان الموت عشقاً... لاحقه حتى عانقه.

ولم يذرف الأب دمعة. كان فخوراً. ماذا تعني الحياة سوى أن يحقق الإنسان ما يهدف إليه ؟ كان ابنه يعرف.. كان يرغب.. كان يحب أن يصبح شهيداً من أجل الوطن. وهكذا فعل. لاحق الموت حتى استسلم الموت لارادته ففرش له سريراً أبيض وثيراً.. وهناك نام.

رياض عصمت

فهرس الجزء الثاني

الصفحة

الباب الرابع
السياسة والحرب في بلاد الشام
من النكبة إلى الاستنزاف
الفصل الأول
حرب عام (١٩٤٨)م

الفصل الثالث

السياسة والحرب في بلاد الشام

في أعوام ١٩٦٨م-١٩٧٢م

الباب الخامس

حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣م

الفصل الأول

مراحل حرب تشرين الرئيسة ويومياتها

الباب السادس

السياسة والحرب في بلاد الشام في الثمانينيات

الفصل الأول

حرب عام ١٩٨٢م في الاستراتيجيات الدولية والإقليمية

الفصل الثاني

حرب عام ١٩٨٢م

الفصل الثالث

معــركة الســلطان يعقــوب

الباب السابع

السياسة والحرب في بلاد الشام

في العقد الأول من القرن /٢١/ م

الفصل الأول

بيئة استراتيجية جديدة في المنطقة

الفصل الثاني

النتائج والعبر على الصعيد العسكري

الفصل الثالث

ماهية إسرائيل ومعناها

الصفحة

اللواء الركن المجاز
الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود

- **ولد المؤلف في سورية** – حمص، الرستن ، عام ١٩٤٨م.
- **عمل مديراً لمدرسة** ، (أبو منديل) ، منبج ، محافظة حلب.
- **انتسب إلى الكلية الحربية** في ١٩٦٨/١٢/٢٨م.
- **عضو اتحاد الكتاب العرب**، منذ عام ١٩٧٢م.
- **عضو جمعية البحوث والدراسات السورية**، منذ عام ١٩٧٢م.
- **رئيس تحرير المجلة العسكرية السورية**، أعوام ١٩٧٢-١٩٧٤م.
- **رئيس قسم التأليف والترجمة والنشر**، أعوام ١٩٨٤ – ١٩٨٥م.
- **اتبع دورة قيادة وأركان حرب**، أعوام ١٩٨٥م – ١٩٨٧م.
- **رئيس تحرير مجلة جيش الشعب** ، أعوام ١٩٨٨م – ١٩٨٩م.
- **نال شهادة الدكتوراة في الفلسفة** . بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف. أعوام ١٩٩١م – ١٩٩٤م.
- **حصل على شهادة ركن مجاز (دفاع وطني)** ، أعوام ٢٠٠٢م – ٢٠٠٣م.
- **رُقيّ إلى رتبة لواء** ، ٢٠٠٢/١/١م.
- **خاض حروب** عام ١٩٧٣م ، والاستنزاف عام ١٩٧٤م ، وعام ١٩٨٢م ، وكتب عنها.
- وللمؤلف زهاء أربعين كتاباً وموسوعة منشورة.
- **شغل وظائف عسكرية أخرى**.
- **شارك في عدد كبير من المؤتمرات** العلمية والثقافية والمناظرات والمقابلات التلفزيونية


الهيئة العامة
السورية للكتاب


الطبعة الأولى / ٢٠١١م
عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة

إن تاريخ الشعوب مرآة تعكس مناهج الأسلاف، لتعليل الأحداث الماضية، وإبراز أسبابها، وبيان الطرائق والوسائط التي استخدمها الأجداد لتحقيق إرادتهم في امتلاك أسباب الوجود والتطور.

فتاريخ الشعوب سر وجودها، وأحداثه منبع آلامها وآمالها، أما فهمه ودراسة تجاربه واستنباط قوانينها وأحكامها، فهو الذي يحدد نجاحها مستقبلاً أو إخفاقها.

وتأسيساً على ما سبق ينبلج النبراس، وتخلق القدوة لمن يريد أن يعتبر من الأجيال الصاعدة.



www.syrbook.gov.sy

مطابع وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١١م

سعر النسخة ٤٠٠ ل.س أو ما يعادلها